رحلة

فى «المعجم التاريخى»

رحلة في المعجم التاريخي

تأليف

إبراهيم السامرائي

١٩٩٩

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة

عالم الكتب
نشر ★ توزيع ★ طباعة

الإدارة :

١٦ شارع جواد حسنى
تليفون : ٣٩٢٤٩٢٦
فاكس : ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة :

٣٨ ش عبد الخالق ثروت
تليفون : ٣٩٢٦٤٠١
ص.ب : ٦٦ محمد فريد
الرمز البريدى : ١١٥١٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع ٩٨/١١٦٦٧
I.S.B.N 977-232-153-X



أحمده وأستعينه وأستغفره وأصلى وأسلم على النبى
المصطفى القائل:

"طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"

الكلمة الأولى

وأقول: «كلمة» وأنا أتلو قوله تعالى: ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها «كلمة» هو قائلها﴾ «١ «سورة المؤمنون».

إنها كلمة أولى بين يدي هذه «الرحلة» التي« صنّفتها منذ سنوات فكانت كتابا مع أمثاله مما كان لي في صنعاء حاضرة اليمن، لقد نال تلك الكتب ومنها كتابي هذا عبء ما احتملته في سنوات تسع عجاف، لم يكن لي فيها أن أنشر ما صنّفت. لقد قلّ أهل النصفة من الناشرين فقد لقيت من هذا وذاك الأعاجيب في الظلم وأقلها السطو. ولا أريد أن أسرف في هذا فقد يكون لي أن أجعله سفراً برأسه.

لقد كان لي وقد عدمت تحقيق النشر أن أفـرّق المجموع في الكتاب فأنشره فصولاً في المجلات العلمية. إنه لظلم أن أسعى إلى هذا فأظلم «الفصول» التى رضيت أن أسلم قيادها لأصحاب المجلات لتظل حبيسة في كراريسها، لقد ضاع في مسعاى عشرات مما صنّفت، فلم أستطع إدراكها.

إنها أصدقائي، وأنا أحسّ هذه الخلّة الوفية كما أحسّها أبو الطيب فى قوله:

«وخير جليس في الزمان كتاب»

ولكنى أتردد في عصرنا هذا الذى ظلم فيه الناس أجمعون أن أتلو صدر بيت أبي مُحسّد:

«أعزّ مكانٍ في الدُنّا سرج سابح»

إن بيننا وبين «العزّة» التي أدركها الشاعر «خرط القتاد».

وبعد فهذه «فصول» رحلتي التي كانت كتاباً مع نظائر أخرى آمل أن يكون للقرّاء المعنيين بعض فائدة، وقليل ما هم.

المقدمـــة

اللغات السامية [1] وأقسامها بحسب التوزيـع الجغرافـــي

القسم الشرقى:

١ـ اللغات الأكدية:

قلت: إنها لغات، ذلك أن جملتها كما سيشير الجدول يدعو إلي هذه التسمية، وهي اللغة العراقية القديمة التي توزعت بحسب الأحقاب إلي لغات. والنسبة إلي «أكد» وهي أول مدينة سكنها الساميون الوافدون شماليّ بابل. ولعل التسمية تشير إلي أن الوافدين في الشمال نسبوا أنفسهم ولغتهم إلي المدينة مقابلة للساكنين في جنوب أرض مابين النهرين وهم السومريون الذين سكنوا «سومر» في الجنوب، وعرفت لغتهم بـ «السومرية».

ولم يهتد أهل العلم إلي نسبة السومرية، ولكن المعروف أن السومرين أمة ذات حضارة

(١) كان بدء الاهتمام بالعربية لدي الأوربيين في القرن السادس عشر حين عكفوا علي درس العهد القديم في نصه العبري. ثم زاد اهتمامهم بهذه اللغات الشرقية في القرن السابع عشر وشمل لغة الجعز أي الحبشية القديمة مع اللغات الأخري العبرية والآرامية والعربية.
وقد اهتدى «شلوتسر Schlözer» المتوفي سنة ١٧٩٨ إلي تسمية مجموعة هذه اللغات «اللغات السامية». وقد استفاد هذا مما ورد في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، وكأن الدارسين وافقوا العالم الألماني في هذه التسمية علي أنها ناقصة الدلالة، ذلك أن «المصطلح» لايتفق هو وما ورد في سفر التكوين مما يخص أبناء سام. لقد قيل: إن كاتب هذا السفر حابي من رضي عنهم اليهود فعدّهم من أبناء سام، واستبعد من لم يرض عنهم اليهود من هذا النسب، ومن هؤلاء الكنعانيون، فقد جعل كنعان من غير أبناء سام، علي حين عدّ أمماً أخري كالعيلاميين من الساميين، وأن عيلام من أبناء سام، مع العلم أن العيلامية ليست من اللغات السامية كما توصل إلي ذلك الدرس الحديث.
وقد ظهر بحث شلوتسر سنة ١٧٨١ في:
I.G.Eichhorn, Repetorium fur biblische und morGenlandische litteratur vIII. Leipzig 1781, 161.

زراعية، وقد ورث عنهم الأكديون الكثير من الألوان الحضارية، ووجدت اللغة السومرية حيزاً لها في اللغة الأكدية.

وكانت اللغة الأكدية قد عاصرت السومرية، ولم يكن لها الغلبة علي السومرية في الحقبة بين (٢٥٠٠-١٩٠٠ق.م). وكان من ذلك أن اتصل الشعبان ببعضهما. وقد أظهرت النقوش المكتشفة هذا الاتصال.

واللغة الأكدية في هذه الحقبة هي السامية القديمة التي جاءت بعدها البابلية وهي منها، في أدوارها المختلفة القديمة والمتوسطة والأخيرة، ثم الآشورية بحسب هذه المراحل اللغوية.

١ـ اللغة الأكدية القديمة

البابلية القديمة
١٩٥٠ـ١٥٣٠ ق.م.

البابلية المتوسطة
١٥٣٠ـ١٠٠٠ق.م.

البابلية الحديثة
١٠٠٠ـ٦٥٠ ق.م

البابلية المتأخرة
٦٥٠ق.م ـ القرن الأول الميلادي

الآشورية القديمة
١٩٥٠ـ١٥٠٠ ق.م.

الآشورية المتوسطة
١٥٠٠ـ١٠٠٠ق.م.

الآشورية الحديثة
١٠٠٠ـ٦٥٠ ق.م

قلت: لقد تعلم الأكديون الألوان الحضارية من السومريين، وكان من هذا «الكتابة» ورسموها بـ «الخط المسماري» الذي كتب به السومريون نقوشهم.

لقد تميزت اللغة الأكدية بميزة الإعراب، وكأن الإعراب الذي نعرفه في العربية ولانجده في أغلب اللغات السامية قد عُرف نظيره في الأكدية، وهو الضم في حالة الرفع، والفتح في حالة النصب، والكسر في حالة الجر.

كما أن «التمييم» في «كلبُمْ وكلبَمْ وكلبِمْ» يقابل التنوين «كلبٌ وكلباً وكلبٍ».

وقد عرفت اللغة الأكدية خصائص معينة هي خصائص اللغات السامية ومنها: وجود أصوات الحلق فيها[1].

(١) قلت إن اللغة السومرية وهي اللغة القدمي في هذه المواطن العراقية الجنوبية قد أثرت في الأكدية من حيث الألفاظ السومرية الحضارية وهي ألفاظ الفلاحة مثلاً، ومن أجل ذلك التأثر زوال =

القسم الغربي:

٢ـ اللغة الكنعانية:

وتشتمل هذه علي مجموعة من الأجريتية، والعبرانية، والفينيقية، والبونية، والمؤابية. إن اللغة الأجريتية هي الكنعانية الشمالية، والفينيقية هي الكنعانية المتوسطة، والعبرانية والمؤابية هما الكنعانيةالجنوبية.

اللغة الأجريتية:

وهذه النسبة تعود إلي مدينة أجريت الساحلية التي ورد ذكرها في رسائل وجدت في العراق ومصر تعود إلي القرنين الثامن عشر والرابع عشر قبل الميلاد. وقد عرفت هذه اللغة السامية سنة ١٩٢٩ في التنقيبات الأثرية في «رأس شمرا» علي الساحل السوري. وكان في مجموعة نقوش في ألواح طينية بالخط المسماري الذي عرف في السومرية ثم الأكدية، وإن كان عدد الحروف فيها يقل عنه في السومرية والأكدية.

وقد كان الحرف في هذه اللغة وحده يفيد الصوت الذي يخصه، في حين كان الرمز المسماري في السومرية والأكدية يفيد المقطع أي الكلمة أحياناً، وهذا في السومرية وقد ورثته الأكدية.

اللغة الفينيقية:

من المجموعة الكنعانية، وقد وصلت إلينا في مجموعة رسائل تل العمارنة بصعيد مصر،

= أصوات العين والحاء والهاء منها. وكان ذلك بسبب أن اللغتين قد عاشتا في حقبة واحدة، وكان السومريون يعرفون الأكدية، ومن غير شك كان الأكديون يعرفون السومرية لحاجتهم إليها.
ومن تأثر الأكدية بالسومرية احتفالها بالفعل، وأن الجملة فيها فعلية تبدأ بالفعل، ولعل هذا من السومرية التي كانتِ جملتها فعلية يأتي فيها الفعل في آخرها.
ولعل الجملة التي يبدأ فيها بالاسم ثم يتلوه الفعل في الأكدية كان من تأثر هذه اللغة بنظام الجملة في السومرية. لقد بقيت اللغة الأكدية بعد زوال السومريين قروناً عدة في صورها المختلفة في اللغة البابلية الآشورية، وهذه مرت بمراحل قديمة ومتوسطة وحديثة، وقد سجلت في النقوش الآشورية إلي القرن السابع قبل الميلاد الذي سيطر فيه الفرس علي الآشوريين، ثم بدأت هذه اللغة الأكدية بالزوال. وبدأ التأثير الآرامي واللغة الآرامية التي استعملها الفرس لساناً لهم.
وكان من التراث اللغوي الأكدي ملحمة كلكامش، وشريعة حمورابي، وألواح كثيرة تضمنت أدباً ومعارف دينية أخري. انظر:

Das Gilgamesch-Epos, Stuttgarl 1970.

R.F. Harper, The code of Hammurabi, Chicago and London 1967.

وهي لغة أهل جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهي لغة أهل ساحل فلسطين وسوريه ولبنان.

وقد وجدت نقوش فينيقية كثيرة خارج هذه الجهات، وذلك بسبب أن الفينيقيين أهل تجارة، فقد استوطنوا في عدة جزر في البحر المتوسط، كما عثر علي نقوش فينيقية في جزيرة قبرص وغيرها من بلدان البحر المتوسط، في آسيا الصغري، والسواحل الأوربية لهذا البحر.

وقد أطلق علي اللغة الفينيقية في الأجزاء الغربية في البحر المتوسط اسم «اللغة البونية» وهذه علي الساحل التونسي، ومن الحواضر التي أقامها الفينيقيون هنا «قرت حدشت» أي القرية الحديثة.

وقد انتهي التأثير الفينيقي في هذه الجهات الغربية بسيطرة الرومان علي مدينة قرطاجنة، وخضع البونيّون للرومان، ومن أجل ذلك تأثرت البونية الجديدة بالرومانية فدخلت الألفاظ اللاتينية إلي اللغة البونية.

الكنعانية الجنوبية:

وأقدم ماوصل في هذه هوامش مدونة علي رسائل أكدية أرسلها بعض أمراء فلسطين إلي ملوك مصر، وهذه تعود إلي عهد «أمنحتب الثالث» (١٤١٣-١٣٧٧ق.م) و«أمنحتب الرابع» (أخناتون) (١٣٧٧-١٣٥٨ق.م).

ويندرج في هذه الكنعانيةالجنوبية:

اللغة العبرانية:

وهذه عرفت في القرن الثاني عشر قبل الميلاد حيث دخلت قبيلة اسرائيل أرض فلسطين، وقد تعلم هؤلاء اللغة المحكية «في تلك الحقبة» وبعد «العهد القديم» مصدر هذه اللغة.

وقد أضافت نقوش البحر الميت علي ورق البردي معلومات مفيدة، وهذه ترجع إلي القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي، كما وجدت مجموعة رسائل عبرية سنة ١٩٦٠ تعود الي القرن الثاني الميلادي.

وقد بقيت العبرية لغة قائمة حتي سقوط السامرة سنة ٧٢١ق.م، ثم سقوط القدس سنة ٥٨٧ق.م، وبعد هذا أخذت مكانها اللغة الآرامية.

وقد صنف اليهود شروحاً للعهد القديم، وهي في نظرهم ذات قيمة تاريخية تلي العهد

القديم وتسمي هذه الشروح «المشنا». وقد ألفت هذه الشروح في القرن الأول الميلادي ومنتصف القرن الثالث.

وقد انتهي الحكم اليهودي لفلسطين سنة ٧٠م علي يد الرومان.

وقد جهل اليهود بعد سقوط السامرة والقدس اللغة العبرية، وكان رجالهم يقرؤون المشنا بالعبرانية ثم يشرحونه بالآرامية. وهذه الشروح الآرامية التي بدأت شفوية ثم سجلت عرفت بـ «التلمود البابلي» وهو نص المشنا بالعبرية، و «الجمارا» وهو اسم للشرح، وكان بالآرامية. وقد عرفت هذه اللغة بـ «آرامية الترجوم».

وقد عاد يهود الأندلس في ظل الدولة الأموية الإسلامية إلي الميدان الثقافي، وصنفوا معرفتهم بالثقافة العربية بلغة عبرية. وقد صنف أحدهم وهو مروان بن جناح القرطبي كتاباً في النحو العبري، كما شارك آخرون في الكتابة عن الأدب العبري والثقافة العبرية، ومن هؤلاء الحريزي، وهو يهودي أندلسي، الذي ألف «مقامات عبرية».

انظر: الساميون ولغاتهم، القاهرة ١٩٧١ (ص٩٨-١٠١) لمحمد حسن ظاظا.

٣- اللهجات الآرامية:

هي مجموعة طرائق من الأعراب لايؤلف كل منها نظاماً لغوياً يستحق أن ينعت «لغة». لقد ورد ذكر الآراميين في النقوش الآشورية في الألف الثالث قبل الميلاد[١]. وأقدم نقش آرامي يرجع إلي القرن العاشر قبل الميلاد. وقد عرفت هذه اللهجات حتي صارت لغة تواصل بين حكام الشرق القديم[٢]. وعرفت هذه اللهجات في شمال العراق في قري معروفة، وفي إيران وسوريا، ثم عرفت بالسريانية بعد ظهور المسيحية وقد عايش السريان العرب وعرفوا العربية.

وأهم هذه اللهجات القديمة: الآرامية القديمة، وآرامية الدولة، والسريانية، والآرامية اليهودية والمندعية واللهجات الآرامية الحديثة.

الآرامية القديمة[٣]:

وهي مجموعة نقوش تتصل بالحقبة بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد. وجدت هذه النقوش في جهات مختلفة من بلاد الشام والعراق. وأهم ما يميز هذه

---

(١) انظر: C. Brockelmann, Das aramäische einschliesslich, in: handbuch der orientalistik, Band lll, Leiden 1954, 5. 133-162.

(٢) انظر: P.lV. Schneider, Aram und Aramaer in der urlll- Zeit Biblica 30, 1949.

(٣) انظر «بروكلمان» السابق ص١٣٧.

الآرامية القديمة عن غيرها في اللهجات الآرامية وجود كلمة «أرقا» بمعني «الأرض» وهذه في اللهجات الآرامية بعد هذه اللهجة القديمة «أرعا». وكأن الضاد في اللغات السابقة الأولي قد تحولت إلي «عين».

آرامية الدولة:

وهي الآرامية التي دونت في النقوش مابين القرن السابع إلي الخامس قبل الميلاد، وقد كان هذا الاسم من صنع J. Markwart [1]. وقد سُمِّيت آرامية هذه النقوش بآرامية الدولة لأن الفرس الأخمينيين جعلوا الآرامية اللغة الرسمية لهم. وقد عرفت الآرامية أيضاً خلال العصر الآشوري. وقد لاحظ علماء الآشوريات أن النقوش الآشورية اشتملت علي نصوص باللغة الأكدية واللغة الآرامية. ولما انتهت حقبة الآشوريين علي أيدي الفرس سنة ٦٢٥ق.م جعلوا الآرامية اللغة الرسمية، فكان بها لغة النقوش في إيران والعراق وشمال بلاد العرب، وكانت لغة المعاملات في الصلات التجارية والصلات السياسية منذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد. وقد عثر علي هذه اللغة في نقوش اكتشفت في آسيا الصغري تشتمل علي الآرامية والإغريقية، وهي تخص شؤوناً تتجاوز الحدود المحلية، وقد جاء في سفر استير أن ملك الفرس كان يرسل أوامره من إيران إلي الهند والي الحبشة، وأكبر الظن كان يحررها بهذه اللغة الآرامية.

وهكذا كان حال الآرامية طوال حكم الدولة الأخمينية، ولما خلف بعد هذه الدولة الحكم الساساسني أبطل هؤلاء الحكام الجدد التعامل بالآرامية وذلك في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

وبزوال الآرامية نشأ عنها ولاسيما في بداية النصرانية لهجات آرامية فكانت شرقية وغربية، وظهرت السريانية.

وهذه كانت مع لغة التلمود البابلي واللغة المندعية تؤلف المجموعة الشرقية من اللغات الآرامية، وهذه في بلاد مابين النهرين وآسية الصغري، وإيران، والمندعية هي آرامية الصابئة التي مازالت لغتهم الدينية.

ويقابل هذه المجموعة الشرقية المجموعة الغربية وهي السريانية الغربية في بلاد الشام التي مازال شئ منها في القري اللبنانية، ومنها قرية «معلولا».

---

(١) انظر بروكلمان ١٣٩-١٤٠.

وقد كان النصاري السريان عاملاً في نشر الثقافة الإغريقية والمعارف القديمة، فكان منهم المترجمون الذين نقلوا فلسفة يونان إلي لغتهم، ومنها نقلت إلي العربية.

الآرامية اليهودية:

عرف اليهود الآرامية قبل ظهور النصرانية بعدة قرون وكذلك بعد ظهورها بعد زوال العبرانية وجهل الأجيال اليهودية المتعاقبة لها. ومن أجل هذا كتب بالآرامية بعض أسفار العهد القديم كسفر عزرا وسفر دانيال، وأما سائر الأسفار فقد أثبتوا مع نصوصها العبرانية ترجمة آرامية لحاجة اليهود الذين ابتعدوا عن الأصل العبراني، بل جهلوه. وقد كانت هذه الترجمات في أول الأمر شفهية، ثم بدا لهم أن يسجلوها، فكان الترجوم البابلي، والترجوم الفلسطيني، والترجوم السامري[1]. وليست هذه الأصناف الثلاثة لغة واحدة، بل هي لغات آرامية، فالترجوم البابلي يتصل بالآرامية الشرقية، وهي السريانية التي أطلق عليها نصري العراق وبقية أجزاء المشرق الغربية في العراق اسم «الكلدانية» والترجوم الفلسطيني والترجوم السامري يمثلان الآرامية الغربية السريانية.

وقد اتبع في هذه اللغات، ولاسيما ما يتصل بـ «الآرامية الغربية» الرسم العبري، وقد كتب بهذا الرسم، واللغة آرامية، علماء اليهود شروحاً أضيفت لما يدعي «التلمود» البابلي والفلسطيني، وهذه الشروح عرفت بـ «الجمارا» وهي شروح «للمشنا» وهو نص التلمود بالعبرية مع ترجمته بالآرامية. وهذا كله في التلمودين البابلي والفلسطيني بالرسم العبري.

القبطية:

لغة استعملها نصاري العراق ومن جاورهم من أهل بلاد الشام في أواخر القرن الثالث الميلادي، وكانوا أهل ممارسة تجارية وإن بدا عليهم أنهم أهل حياة رعوية. وقد كتبوا نقوشهم بالرسم الآرامي.

---

(١) آثر إخواننا المصريون رسم الحرف العبري الذي نطقه نطق حرف G اللاتينية جيماً عربية، ومن شأن هذا أن يفهم أن الكلمة العبرانية «ترجوم» هي الجيم العربية، وهذا خطأ، وأنهم لجأوا إلي هذا الرسم متأثرين بنطق الجيم في العامية المصرية، ولو أننا رسمنا هذا الحرف السامي علي نحو ما يفعل الفرس، أي بكاف ذات عصوين «كَك» لاتقينا هذا الخطأ، علي أن الترجوم يقابل مادة «ترجم» العربية العربية، وليست التاء زائدة في الكلمة، كما يخيل لمن لايعرف الأصول السامية المشتركة من اللغويين العرب الذي عدّوا الكلمة من مادة «رجم» وأين هذه من الأصل! وكان أولي بهم لو قرّبوا هذه المادة من «رقم»، و «الرقيم» هو المكتوب.

وهذه اللغة خليط من الكلم الآرامي والكلم العربي، وربما كان خطهم الأصلي الذي أخذه العرب في شيء من التحوير والتحويل فوصلوا إلي خطهم العربي.

وقد ذهب نفر من الباحثين في الآثار إلي أن القبط عرب، وذهب العراقيون من هؤلاء إلي أن أهل «الحضر» قرب الموصل عرب نبط، وأن لغتهم عربية، والصحيح أنهم بقية آرامية نصاري تأثروا بالعربية، فظهرت كلمات عربية في نقوشهم مع وجود الألف واللام اداة التعريف، في حين خلت الآرامية من أداة التعريف وهي في الأصل الألف في آخر الكلمة التي كانت تقوم مقام أداة التعريف، ثم فقدت وظيفتها فبقيت في الأسماء الآرامية، وبقاؤها أثر من مادة لغوية قديمة.

المندعية

وهي «المندائية»[1] بالهمز في المصادر العربية، وهي صورة أخري للغة الآرامية الشرقية وهي مازالت لغة الصابئة في العراق، وقد دون بها كتابهم المعروف بـ «جنزا» أي الكنز، وهو جملة ترانيم دينية. ولغة الصابئة طوال عصور الدولة الاسلامية هي العربية، وبقيت «المندعية» لغتهم الدينية.

٤ـ العرب في جنوب بلاد العرب «اليمن»:

وهذه التسمية جاءت من الدارسين الي جانب «المستشرقين» الذين جعلوا ما سُمِّي لدي العرب «الحميرية» عربية جنوبية. وقد ضموا إليها صيغاً سامية عرفت في الحبشة، وهي لغة الجعز، واللغة التيجرينية.

وكأن هؤلاء استبعدوا «السبئية» القديمة من هذه التسمية، ولم يعرف العرب مصطلح السبئية، ولم يرد في المصادر العربية. وهي في الحقيقة اليمنية القديمة التي بقيت أصولها وكلماتها فيما عرف بـ «الحميرية» التي بقيت إلي بداية العصور الإسلامية، ثم غلبت عليها العربية فزالت آثار الحميرية بالتدريج.

والخط في الحميرية كما هو في السبئية قبلها هو «المسند» الذي عرف في النقوش في كثير من حواضر اليمن وما جاورها في عمان وبلاد الحبشة، وأمكنة أخري في الساحل الشرقي الإفريقي.

---

(١) أن الهمزة جاءت بسبب أن رسمها في هذه اللغة هو رسم العين، وقد حدث هذا في اللغة الأكدية، فظن الدارسون أن لاوجود للعين في هذه اللغة.

وقد وجدنا هذه الصيغ اليمنية في نقوش كثيرة في شمال الحجاز، فكان منها الثمودية والصفوية واللحيانية والقتبانية، وهذا يعني أن اليمنيين أهل حضارة، وقد نزحوا إلي الحجاز جماعات كثيرة فكان منهم قبائل وحواضر، ومن هنا كان الحجاز في الخارطة اللغوية يمني وأهله يمنيون، والأخبار تؤيد هذا[1].

خصائص اللغات السامية:

لقد أجمع الدارسون علي أن جملة هذه اللغات اشتملت علي أصوات واحدة، وقد تميزت عن غيرها من الاسر اللغوية بـ:

١ـ أصوات الحلق، وكأن هذه كانت كلها أو جلها في السامية الأم.

ثم أن هذه اللغات علي تشابهها في عدد الأصوات إلا أن بعضها يختلف عن البعض الآخر، فأصوات الإطباق في العربية وهي القاف، والصاد، والطاء، والضاد، والظاء لا يوجد كلها في غير العربية من اللغات السامية.

فالصاد والضاد والظاء في العربية يفي بها الصاد في العبرية، وهكذا في الأكدية. والضاد العربية يقابلها العين في الآرامية، وقد تكون قافاً.

٢ـ اعتماد هذه اللغات علي الأصوات الساكنة.

أقول: هذا ما ذهب إليه الدارسون الغربيون (الألمان)، وزعموا أن «كتب» مثلاً تتألف من الكاف والتاء والباء، وفاتهم أن «الحركات» التي هي أصوات صائتة Voyelle تدخل في بناء الكلمة وقيمتها تأتي من أنها مع الأصوات الساكنة تعيّن دلالة الكلمة، وتجعلها تختلف عن دلالة أخرى. إن دلالة الفعل «كَتَبَ» غير دلالة الاسم «كُتُب»، وغير دلالة المصدر «كَتْب».

٣ـ وقال هؤلاء الدرسون إن الأسماء في هذه اللغات تصنف في ثلاثة أقسام هي: العدد والحالة الإعرابية، والجنس، ويريدون بالعدد أن الاسم مفرد ومثني وجمع، وأرادوا بالحالة االإعرابية (Case) كون الاسم مرفوعا Nominative، ومنصوباً accvsative، ومجروراً Génitive.

وأما الجنس فهو التذكير والتأنيث.

(١) لقد اختصّ الدارسون الألمان وحدهم تقريباً بدراسة اللغات السامية، وكتبوا فيها كثيراً، وصنفوا معجمات لها، وأنت واجد هذا فيما كتبه نولدكة وديلمان وغيرهما كثير. وفي كتاب كارل بروكلمان، وهو «الفصل في اللغات السامية» عرض وافٍ لهذه الجهود العلمية الغنية.

٤ـ الفعل في هذه اللغات، ويحتل مكاناً بارزاً من حيث دلالة الفعل علي الزمن، وهو في العربية الماضي والحال والاستقال، ويعبر بالمضارع عن الحال والاستقبال. غير أن الفعل في الأكدية يشتمل علي صيغ كثيرة لانجد لبعضها نظيرا في العربية.

ومن هنا كانت الجملة الفعلية أوضح ماتكون في اللغات السامية.

٥ـ المعجم:

حوي المعجم في اللغات السامية علي مفردات كثيرة مشتركة ومنها الكلمات التي تتصل بخلق الإنسان نحو الراسوالعين والأذن والفم واللسان والأسنان واليد والرجل وغيرها.

ومن الألفاظ المشتركة أسماء الحيوان التي عُرفت في هذه المواطن التي سكنها الساميون الأقدمون.

وكذلك أسماء طائفة من النبات والشجر.

وكذلك الضمائر وأسماء الإشارة والظروف، والأدوات كحروف الجر والنفي والإيجاب وغيرها.

علي أننا نقول: إن العربية قد احتفظت بأغلب الصفات التي وصلت اليها من أصول سامية.

ثم عرض لجملة ذلك التطور بسبب أن العربية بقيت طوال العصور، ولم يحدث في تاريخها أن زالت أو تقلص ظلها.

من «الفرائد الحسان»

لقد كان لي وأنا أجول في رحاب المعجم القديم وقفات طويلة وقفت فيها علي نوادر جمة دعوتها «الفرائد الحسان». لقد كان لي من هذا الشيء الكثير الذي دعوته «معجم الفرائد» وهاأنذا أعود إلي شيء منه وأضيف إليه مالم يكن في درسي القديم.

ولي أن أبسط هذه «الفرائد» مع شيء زدته فقلت:

الأبّ:

قال الزجاج في قوله تعالي ﴿وفاكهة وأبّا﴾ ٣١ سورة عيس.

الأبّ: جميع الكلأ الذي تعتلفه المعاشية. وإلي مثل هذا ذهب الفرّاء. وفي حديث أنس: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قرأ قوله تعالي: ﴿وفاكهة وأبّا﴾ وقال: فما الأبّ؟ ثم قال: ماكُلّفنا وما أُمرنا بهذا.

أقول: إن الأب من كلم التنزيل لم يكن العرب مما ألفوا، ومن أجل ذلك كان قول عمر فيه. وقد وقفنا علي شيء مما يتصل بـ «الأبّ» في سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ.

إن «الأبّ» من الكلم السامي القديم، فأنت تجده في الأصول القديمة في البابلية الآشورية والعبرانية والآرامية، فهو من المشترك القديم في اللغات السابقة.

وكأن ابن دريد حين ذهب في هذه الكلمة ذات الأصالة إلي «المرعي» قد أومأ إلي ما أفادته العربية فيها من دلالة الكلمة علي النزاع إلي الوطن.

وكأني أري ان «الأوْب» و «الإياب» قد استفيدا من «الأبّ».

الأثّ:

ومنه الأثاث والأثاثة والأثوث بمعني الكثرة من كل شيء. وأثّه يأثّ ويؤُثّ ويـئِثّ فهو أثّ وأثيث. وأثّ النبات أي كثر والتف، ويوصف به أيضاً الشعر الجثّل، قال امرؤ القيس:

«أثيثٍ كقنو النخلة الـمُتعثكلِ»

وقال أبو زيد: والأثاث المال أجمع، الإبل والغنم والعبيد والمتاع.

وقال الفراء: الأثاث المتاع لا واحد له.

أقول: وكان أن اكتسب «الأثاث» في عربيتنا المعاصرة خصوصية فدلّ علي ما في البيت من فُرشٍ وأنماط ومقاعد ونحو هذا.

أرض:

قد أذهب في هذه الكلمة المشهورة في دلالتها إلي شيء خاص هو «الأرضة»، وهي دودة أو دويّبة بيضاء، وهي آفة الخشب. قالوا: أُرِضت الخشبة، فهي مأروضة.

أزم:

ومن هذا «الأزْمة» بمعني الشدّة والقحط، والأَزْم هو الجَدْب والـمَحْل.

أقول: ولي أن انظر إلي «الحزْم» والحزْم من الأرض الصلب الشديد، ومنه ذهب إلي «الحزْم» الذي يوصف به الحازم من الرجال.

الألل:

ومن هذا «الإلّ» بمعني الحلف والعهد، وبه فسّر أبو عبيدة قوله تعالي:

﴿لا يرقُبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمّة﴾ ٨ سورة التوبة.

والإلّ: القرابة، وفي حديث عليّ ـ عليه السلام ـ : «يخون العهد ويقطع الإلّ».

وأقول: إن «الإلّ» وكذلك «الإيل» في العربية وسائر اللغات السامية هو «الله» أيضاً. وليس عسيراً أن نذهب في «الإلّ» إلي الحلف والعهد، وليس عسيراً أيضاً أن نبتعد قليلاً إلي «أله».

بدأ:

أقول: ونقف علي «بَدَأ» فنري أن «بَدَهَ» و «بدع» غير بعيدين عن الأصل، وفي هذا التصرف بالإفادة من أصوات الحلق في الحرف الثالث ذهاب إلي سعة العربية.

تبر:

و«التبار» الهلاك، وفي التنزيل: ﴿ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ ٨ سورة نوح.

أقول: ولست في حَرَج أن أذهب إلي «ترب» وما يكون منها.

تلد:

قالوا: التالد: القديم. وقال ابن جني: التالد ما وُلد عندك من مالك أو نُتج، ولذلك حكموا أن تاءه بدل من الواو.

أقول: ومن هذا جمعوا بين ولد وتلد، وقالوا «إلدة» بمعني الولد.

جرش:

الجرْش: حكّ الشيء، وجَرَش الملح فهو جَريش ومجروش.

أقول: وقد بقي لنا من هذا «الجريش» للقمح يعالج بطريقة فيطبخ حساءً.

صمد:

«الصَمْد» القصد، والفعل صَمَد يصمُدُ.

قال تعالي: الله «الصَمَد». أي المقصود، وبناء «فَعَل» يدل علي «المفعول»، ومنه الجَلَب والحَلَب والنَفَض» وغير هذا كثير.

وقد تحوّل الفعل من كونه واقعاً متعدّياً إلي لازم فكان لنا منه في عصرنا «الصمود» بمعني الثبات والمقاومة.

وقد ذهب من هذا الأصل ماكان معروفاً مثل:

الصمّاد وهو الصّمام للقارورة، وهو العفاص والسّداد.

وبناء «فعال» كثير في أسماء الأداة والآلة.

فأين هذا في «الصمود» في العربية المعاصرة، وهو الثبات، وكذلك في قولهم: «صامدون».

و«صَبَن» الشراب: اذا صرَفَه عمّن هو أولي منه.

و «الضِّمْد»: أن تتخذ المرأة صديقين، قال الهذليّ:

تريدين كيما تَضمِديني وخالداً وهل يُجمَع السيفان ويحَك في غِمْد

و«الضِّمار»: المال الغائب الذي لايُرجَي. وكل شيء لست منه علي ثقة فهو ضِمار.

أقول: في هذا خصوصية دلالية مفيدة.

و«ضَنَأت المرأة ضَنْئاً، فهي ضانئ وضائنة، وأضْنَأت: كثر وَلَدُها،

والضِّنء: الولد، بالكسر والفتح.

أقول: وفي هذا شيء مازال معروفاً في بعض الألسن الدارجة.

«الضَّهياء»: المرأة التي لاتحيض.

أقول: قد يكون هذا من الكلم الفني.

و«أضَفْتُه: انزلتُه عليّ.

أقول: هذا هو الصحيح الفصيح، ولم يكن «استضاف» الفعل الجاري استعماله في عصرنا.

و«الأضبط»: الذي يعمل بيَديه جميعاً.

أقول: وهذا غير «الأعسر» الذي يعمل بيده اليُسْري.

«الضِّيْزَن»: الذي يزاحم أباه في امرأته، قال أوس بن حَجَر:

والفارسية فيهم غير مُنكَرة فكُلكم لأبيـــه ضِيزَنٌ سَلَفُ

أقول: وفي هذه الكلمة إشارة تاريخية إلي ما قيل عند الفرس فيما قبل الإسلام من عادات ومنكرة، ربّما تأثر بها العرب.

ورجل «طَرِف»: لا يثبُت علي امرأة ولا علي صاحب.

أقول: وهذه خصوصية دلالية مفيدة.

وامرأة «طالق»: طَلَقها زوجها، و«طالقة» غداً.

أقول: وهذا يعني أن الصفة للمرأة ولكل مؤنث من الحيوان بغير تاء صفة ثابتة لاتتصل بزمن، بل تتصل بما يكون عليه الوصف، فإن كانت بالتاء فهي تفيد الاستقبال. علي أننا لانستوضح هذا استقراءً في جميع الصفات التي وردت مؤنثة بغير علامة أو بالعلامة.

«طمّ» البئر: ملأها بالتراب.

أقول: وهذا مازال معروفاً في الألسن الدارجة، والمستعمل في الفصيح المعاصر:

«رَدَم» البئر أو الحفرة.

«الأطماع»، جمع «طَمَع» وهي أرزاق الجند.

أقول: وهذه كلمة تكثر في العصور العباسية.

وامرأة «مطْماع»: تُطْمع ولا تُمكّن، ورجل طَمِعٌ وطَمُع.

و«الطِّبْع»: السجية، وكذلك «الطِّباع».

و«الظِّنون»: السيّء الظن، والقليل الخير.

ويقال: سُؤت به ظنّاً، وأسأتُ به الظنَّ، يدخلون الألف في الفعل اذا جاءوا بالألف واللام.

و«الظَّنون» البئر لايُدرَي أفيها ماء أم لا، و«الدَّيْن الظنون» الذي لا يُدرَي هل يقضيه صاحبه.

و«المَظِنّة» للشيء: موضعه ومأَلَفُه، قال النابغة:

فإن يكُ عامرٌ قد قال جهلاً ... فإنَّ مظِنّـة الجهـل الشبـابُ

ويقال: عَظَّته الحرب بمعني عضّته.

أقول: وهذا من المواضع التي اختلط فيها الصوتان، وفي العربية مواضع أخري، وهي تشير إلي حدوث اللبس في أزمنة متقدمة.

و«الـمُلْك «عقيم»، لأن الرجل قد يقتل أباه علي الـمُلك.

أقول: وهذه فائدة تاريخية.

و«العَقْوة»: ماحول الدار.

و«الاعتقاب» في البيع أن تأبَى تسليم المبيع حتي تقبض الثمن.

أقول: وهذا من الكلم المفيد.

و«التعقيب»: غَزاة بعد غَزاة، و«التعقيب» في الصلاة: الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة.

أقول: وهذا من الكلم التاريخي المفيد، والكلم الخاص.

و«العمالة»: أجر العامل.

أقولَ: وقد استحدثت «العَمالة» بفتح العين للعمل السيِّء الذي يقوم به خائن لبلده ووطنه.

و«العَنَت»: الخَطأ والغَلَط، وهو المشقّة أيضاً.

أقول: وهو في العربية المعاصرة: الظُّلْم.

و«الاعتناق» في الحرب، و«المعانقة» في المودّة.

أقول: وهما في الشعر سواء، وهما كذلك في العربية العاصرة.

و«العيادة»: عيادة المريض.

أقولَ: وقد «اَستُحدثَت» «عيادة» الطبيب، لمكانه، وغرفته التي يستقبل فيها الـمَرضَى.

«العَسُّ»: الطوف بالليل، وهو أيضاً «العَوْس».

أقول: ولابد أن يكون الأول أصلاً، ثم يصار إلي المعتلّ.

و«العَيوف» من الإبل الذي يَشَمّ الماء فيَدَعه وهو عطشان.

أقول: وقد يكون للرجل يعاف ما لايقبله ويرضاه فهو «عَيوف» عزوف.

و«العَيْقة»: مايحمل الميل من الكُحل.

أقول: وهذا من باب المقادير وحدودها.

و«العَوْل»: ارتفاع الحساب، وهو أن تنقص في إنهاء الوَرَثة.

أقول: وهذا من المصطلح في باب الوراثة، وأصله الميل إلي الجور في الحكم، قال تعالي: ﴿ذلك أدني ألاتعولوا﴾.

و«العَيلة»: الفاقة، والعائل: ذو العيال، وهو الفقير المحتاج.

أقول: و«العائلة» ذات صلة بالعيال والفقر، واختصت بمعني الأسرة في عصرنا، وربما تجاوزت الأسرة في الاستعمال.

وغلام «مُعْبَر»: لم يُختَن.

أقول: هذا من خصوصية في الدلالة.

و«العَتيرة»: شاة يذبحونها في أول رَجَب لآلهتهم، وكان الصنم المذبوح له يُسمَّي عترْاً أو عتيراً.

أقول: وهذه كلمة تاريخية مفيدة.

وفي أمثالهم: «إلا يكُن صَنَعاً فإنه يَعْتَثم»، أي إن لم أكن حاذقاً فإني أعمل علي قَدْر معرفتي».

وخذ ذا فاعتَثِمْ، أي استَعنْ به.

و«العَجير» من الخيل كالعَنّين من الرجال.

وهذه خصوصية مفيدة.

و«عَجَفَت» نفسي عن الطعام، إذا آثَرْتَ به غيرك وأنت تشتهيه.

أقول: وهذه دلالة مفيدة لانعرفها علي خصوصيتها.

و«إعجالة الراعي» ما يُعَجِّله لأهله من اللبن قبل الحَلْب.

أقول: تُنْظَر «الإحلابة».

و«العاجن»: الرجل إذا نَهَض اعتمد علي يدَيه كثيراً.

و«العَجيُّ»: الوَلَد.

أقول: وهذا مازال معروفا في عاميّة أهل الموصل.

و«العَدْوَي»: طَلَبُك إلي والٍ ليعديك على من ظَلَمَك.

أقول: و«العَدوَي في عصرنا خاصة بالمرض يتجاوز المريض إلي السليم.

و«عَذَبَ» الرجل، إذا لم يأكل فهو لا صائم ولا مفطِر.

أقول: وهذه خصوصية مفيدة.

و«العَذوب»: الذي ليس بينه وبين السماء ستر، وكذلك العاذب.

ورجل «عَروس» في رجالٍ عُرس، وامرأة «عروس» في نساءٍ عرائس.

أقول: ويأتي الفرق بين الرجل والمرأة في هذه الكلمة بصيغة الجمع لكل منهما.

و«المعزابة» الذي طالت عزبته.

أقول «مفعال» للمبالغة، والتاء زيادة فيها، كالعلاّمة والفهّامة.

و«العَسَب»: الكراء الذي يؤخَذ علي ضِراب الفَحْل.

أقول: وهذا في شؤونهم القديمة في سلوكهم وما يمارسونه.

و«عَصِبَ» الفم: إذا يبس فيه الريق حتي تتوسّخ الأسنان.

وهذا من «الفوائد» اللغوية.

و«العُطْب» : القطن، الواحدة «عُطْبة» .

أقول: وهذه مازالت في عاميّة أهل العراق.

و«غَلَثْتُ» في الطعام، اذا خَلَطْتُه حنطةً بشعير. ورجل «غَلِث»: شديد القتال، لَزوم لما طَلَب.، ويقال: غَلِثَ به: اذا لزِمَه ليقاتله.

و«الغَمَر» : ريح اللحم.

و«الغُول» مصدر غاله الشيءُ يغوله. واغتاله: اذا أخذه من حيث لم يُدْرَ.

والغَول: بعد المفازة لأنه يغتال من يمرّ به. والغيلة: الاغتيال.

أقول: كأن هذا كله من الأصل وهو «الغُول» وهو الحيوان، من السِّعالي الذي زعموا أنه يغتال من يراه، وهو من أوهامهم وخرافاتهم.

أما ذهاب المعاصرين ولاسيما أهل الشام إلي أخذ «الغَول» لمادة ما يدعَي «الكحول» لدي أهل العلم والكيمياء ففيه تجوّز وبعد عن الحقيقة.

وتقول: «أغالَت» المرأة و«غَيَّلَت» و «أَغْيَلَت» سقت ولدها علي الحَبَل لبنَها، ويُسمّي «الغَيْل» . والغَيْل: الساعد الريّان الممتلئ.

و«الغيل» : الشجر الملتفّ.

و«الفَهْر» : أن يُجامع الرجل المرأة، ثم يُفرِغ في غيرها.

أقول: ولا أدري كيف كان هذا!!

وقالوا: فَعَلَه «من فَوره» .

أقول: ويقال في عربيتنا اليوم: فَعَله علي الفَور.

و«الفَوْت» : الفُرْجة بين إصبعين، والجمع «أفوات» .

ويقال: ماتَ موْتَ «الفَوات» إذا فوجئ.

وهو منّي «فَوْتَ» الرُمح: أي حيث لايبلغه.

أقول: وهذا كله يظهر سعة العربية في تحرّي الفروق في الدلالة، والإفادة من الأصل.

ويقال: بات الناس «فَوْضَي» ، أي مختلطين.

أقول: وقد اجتهد الأستاذ مصطفي جواد فأشار إلي أن «فوضَي» لابدّ أن تكون جمعاً علي «فَعْلَي» وهي علي هذا «فَضَّي» بالتضعيف، ومفردها «فضيض» ، وهي نظير «شَتَي» ومفردها «شتيت» ، ثم نسي الجمع وبقي دلالته.

و«الفدّان» آلة الثّوَرين للحرْث.

أقول: كأن «الفدّان» مُثنّي نُسي مفرده فلم يلمحوه ويذكروه، وهو «الفدّ». وإنا لنَلقَي هذا المفرد في كلمة «الفَرْد»، والراء في الكلمة جاءت من فَكّ الدال المدغَمة، وإبدال الدال الأولي راءً كما في «فَرْقَع» وأصله «فقّع» وغير ذلك.

وهو «الفذّ» بالذال أيضاً، وهذا هو الفَرْد أيضاً.

والماءُ «الفراط»: الذي يكون لمن سبَقَ إليه من الأحياء.

أقول: وهذا من موادّهم التي أفضت إليها حاجتهم إلي الماء.

و«الـمُفْرَج»: القتيل لا يدْري مَن قتله، وهو أيضاً «الحميل» الذي لا ولاء له إلي أحَد ولا نَسَب.

أقول: وهذا من الكلم ذي الدلالة التاريخية المفيدة.

و«الفُراج»: الذي لا يكتُم السِّرّ.

و«وفَزّعْتُ» عنه: كَشَفت عنه الفزَع، قال تعالي: ﴿حتي إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم﴾.

أقول: والتضعيف في الفعل أفاد السَّلْب كقولنا قَشَّرت الفاكهة، أي نَزَعتُ قِشرها.

ومثل هذا: مرَّض الطبيب المريض أي عالجه وداواه وأزال مَرَضَه.

و«الفَشْخ: ضَرْب الرأس باليد (عن ابن دريد).

أقول: وهذا مازال في عامية العراقيين من غير اختصاص للضرب باليد، فقد يكون الضرب بأداة أو حجر.

و«الفَشَل» هو الضعف والتراخي والجبن، قال تعالي: ﴿إذ هَمَّتْ طائفتان منكم أن تَفشَلا والله وَلِيُّهما﴾.

أقول: وقد تحوّل «الفَشَل» إلي الخيبة في عربيتنا الحديثة.

ـ ورجل «فُضَل»: عليه قميص ورداء، وليس عليه إزار ولاسَراويل.

أقول: وهذا يظهر شيئاً في خصائص لباسهم.

و«الفضيخ»: رُطَب يُشرَخ وينْبَذ.

أقول: وهو ضرب من التمر بعد حقبة الإرطاب يسمونه «الزهدي» في العراق في عصرنا.

ـ و«فَطَس»: مات.

أقول: وهذا من الأفعال في عامية العراقيين، ولاتستعمل إلا في النبز والشتيمة، يقال فَطَس العدوّ، وفَطَس الحمار وغير هذا.

و«القُنان» : ريح الإبْط أشدّ مايكون.

أقول: وكأنه أشدّ من «الصُّنان» .

و«القُناقِن» : الدليل الهادي. والبصير بالماء تحت الأرض. والجميع : قَناقِن.

أقول: وهذا من الكلم الفنّي المفيد.

قال بعضهم: يقال لقطَع الذّهَب «القُذاذة» ، ولقطَع الفضّة «الجُذاذة» .

أقول وهذا بعض ما أفادوا في الوصول إلي الفرق في الدلالة بالحرف ومايقرب من ذلك الحرف، كالخَضْم والقضم، والقَطْف والقَطْم وغير ذلك.

ويقال للمدعوّ له: أقرّ الله عينه، وللمدعوّ عليه: اسخَن الله عينه.

وهذا دأبهم في كل ماهو قرّ بارد، فيكون ضدّه «السُّخْن» والسخونة أي الحرارة؛ مما يكرهون وسبب ذلك شدة الحرارة في بيئتهم، وهي نظير الموت، ولذلك قالوا: الموت الأحمر.

و«القَرور» : الماء البارد يُغتَسَل به.

و«الإقناع» : الإقبال بالوجه علي الشيء. و«الإقناع» : مدّ اليد عند الدعاء.

وهذا من الفوائد التي لانعرفها في عربيتنا المعاصرة.

و«القناف» : الأنف الكبير، و«القُناف» : الرجل الكبير الأنف.

أقول: وبه سمّوا «قُناف» لمن كانت هذه صفته.

و«القَهوة» : الخمر، قالوا: سُمّيَت بذلك لأنها تُقهي عن الطعام.

أقول: وليس كذلك، بل الفعل بهذه الدلالة أخذ من «القهوة» بمعني الخمر.

فأما دلالة «القهوة» علي البُنّ، فكأن الذين أحبّوا البنّ أعطوه اسم «القهوة» وهي «الخمر» لشغفهم بالخمر واستحسانه.

و«القبيل» جماعة من قبائل شتّي، والقبيلة بنو أب واحد.

أقول: وكأن «القبيل» يفيد الجمع، والواحدة قبيلة كقولنا: فَسيل وفَسيلة، وزكيّ وزكيّة. وغير هذا كثير.

و«القَباء» لضرب في اللباس، وهو من قَبَوت الشيء: جمعتُه.

أقول: إذا كان هذا الفعل، فهو من «القَباء» وليس العكس.

وهما «قتلان» أي مثلان.

أقول: وكثير من المَصادر علي «فَعْل» تُكسَر فاؤها ليجيء من ذلك وصف خاص مثل: المِسخْ في المصدر المَسخ، و«القِطْع» من المصدر «القَطْع» ، وغير ذلك.

و«أقحَطَ» الرجل: اذا خالَط أهله ولم يُنْزِل.

ويقال: إنَ «الـمُقْرِن»: الذي غَلَبَتْه ضَيعته، تكون له إبل وغَنَم ولا مُعين له عليها. أو يكون تُسقَي إبله ولا ذائد يذودها.

و«القاشور» و«القاشر»: الذي يجيء في الحَلْبة آخراً، وهو «الفِسْكِل».

و«القصائب»: الذوائب.

أقول: وهي الآن في عامية العراق وحدها. ولانكاد نظفر بها في العربية المعاصرة.

و «القَوْقَزة» للتّمر: معروفة.

أقول: وهي وعاء يُنسَج في خوص السعف علي هيئة كيس يُصَفّ (يُكتسي) فيها التمر. وهي مازالت معروفة في جنوب العراق.

و«القَفْخ»الضرب علي الهامة.

أقول: وهذا هو «الكَفْخ» في عامية أهل العراق.

و«الكسَ»: خروج الأسنان السُّفلي مع الحنَك الأسفل، ورجل أكَسُّ، وهذا من صفة خَلْق الإنسان مفيد.

و«استَكَفَفْتُ» الشيء: وهو أن تضعَ يدَك علي حاجبك، كالذي يستظلّ من الشمس، تنظر إلي الشئ، هل تراه.

وهذه فائدة جيدة.

وتقول: لقيتُه كَفَّةً كَفَّة: إذا فاجأته.

و«كُنْهُ» الشيء: غايته.

أقول: و «الكُنْهُ» في لغة المعاصرين هو حقيقة الشيء.

قال الخليل: «اكتَوْتَي» الرجل: إذا بالغ في صفة نفسه من غير عَمَل.

و«الكِراء»: أجر المُستأجَر.

وهذا مازال معروفاً في بعض الألسن الدارجة.

و«كِراب» الأرض: حرْثها، وكذلك كَرْبها.

أقول: وهذا في الألسن الدارجة في عصرنا.

و«والكَزَم»: قِصَر الأنف والأصابع. وأنف أكْزَم.

أقول:وهذا من باب صفة«خَلْق الإنسان».

و«الإكسال»: أن يُخالط الرجل أهله ولايُنْزِل.

أقول: ينظر «أقحَطَ» الرجل.

و«الأكشَف»: الرجل لاتُرسَ معه. و«الكَشوف» من الإبل: التي يضربُها الفحل وهي حامل فتُمكِّنه.

و«الكِشاف» أيضاً أن يُحمَل عليها كل سنة وذلك إذا أراد النِّتاج.

أقول: وفي العربية مما يتصل بالإبل خَلْقاً وصفاتٍ ومواد أخري أدب واف، ولغة وافية و«الكَشَر»: بُدُوّ الأسنان عند التَّبسّم.

أقول: وهذا من عامية العراقيين في عصرنا، ولانظفر به في العربية الفصيحة، بل إنه يرد في الكلام عن الحيوان أو عمن يُنبز فيقال: كشر الأسد، وكشّر العدوّ. ولابد من ذكر تكملة هي «عن أسنانه».

و«الكَشْط»: تنحية الجلد عن الشيء.

وهذا أيضاً في الألسن الدارجة في عصرنا. وهو «القَشْط» أيضاً علي البَدَل.

ويقال: كلَّمتُ فلاناً «كفاحا»، أي وَجْهي إلي وَجْهه. ومن ذلك «المُكافحة» في الحَرْب.

أقول: ولم يبقَ لـ «كفاح» إلا الدفاع والكدّ والسعي الحثيث.

و«اللَّمَم»: مُقاربة المعصية من غير مواقعة.

أقول: ومن هنا قالوا: إنه أخف الذنوب، قال تعالي: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم﴾.

اللِّصُّ: معروف، وفِعْلُه «اللِّصوصيّة» بفتح اللام.

أقول: وهي «اللُّصوصية» بضم اللام، وكأنها أُخِذَت من جمع لصّ. هذا في عربيتنا المعاصرة. أما المصدر الصحيح، وهو مصدر صناعي، بفتح اللام، فكأنه أُخِذَ من «لَصوص» وهو نعت لم يوضَع.

و«اللِّضْلاض: الدليل. ولَضْلَضتُه: التفاته وتحفُّظُه.

أقول: و«الدليل» ممايحتاجون إليه، ومن أجل ذلك كثرت ألفاظه.

و«اللَّفيف»: ما اجتمع من الناس من قبائل شتّي.

أقول: وكأنه «القبيل».

و«لَهَسَ» علي الطعام: زاحَمَ حرصاً.

أقول: وهو من الكلم الدارج في عصرنا.

و«اللَّوَي»: وَجَع في الجوف، وهو مصدر علي «فَعَل» لأنه من الأدواء، ومثل هذا مازال في عامية أهل العراق.

و«الملأَم»: الذي يقوم بعُذر اللئام، وربما قالوا: «ملآم».

أقول: وهو من أبنية المبالغة، ولكنه أدّي معني خاصّاً.

و«اللُّبَد»: الرجل الذي لا يفارق منزله.

أقول: هو من قولهم: لبَدَ بالأرض لبوداً، وألْبَدَ بالمكان: أقامَ به.

و«اللَّبَن»: وَجَع العنق من الوسادة.

أقول: وهذا من الأعراض، ولذلك جاء علي «فَعَل».

و«لَثِق» الشيء: ابتَلّ، وطائر لَثِق: مُبْتَلّ بمعني التَصَق.

أقول: والفعل في العامية، لثق.

ورجل «مِلْحَس»: يأخذ كلّ ما قَدِرَ عليه من حرصه.

و«لَحَس» الشيء بلسانه.

أقول: وهذا كثير في الألسن الدارجة، قليل في العربية المعاصرة.

و«الـمُلْحَدّ»: الدعيُّ المُلْصَق.

أقول: وهذا مثل «الحميل»، ومثل هذا كثير، وهذا يدل علي عنايتهم بالأصول والأنساب.

و«أَلْحَمتُكَ» عِرْضَ فلان: اذا أمكنتُك منه تشتمه.

ويقال للزرع إذا صارَ فيه القمح «مُلْحِم».

و«ألحَمَ» الدابَّةُ: إذا وَقَفَ فلم يكد يبرح.

أقول: وهذا مثل «حَرَن» الدابّة، والمصدر حِران.

ويقال: «لحَبْتُ» اللحمَ عن العظمُ الحبُه لَحَباً: أي قشرته.

أقول: وهو «لحَمْتُ» أيضاً وكأن هذا علي الإبدال، والأصل «لحَمَ» و«اللَّخَص» أن يكون الجفن الأعلي لحيماً، والرجل «أَلْخَص».

أقول: وهذا من أبنية المصادر الدالة علي الأدواء.

و«اللَّوذَعي»: الظريف.

أقول: وهو القادر القوي المتمكّن في العربية المعاصرة.

و«الملسون»: الكذّاب.

وهو صاحب «اللسان» المتكلّم في الألسن الدارجة.

و«التلسين»: أن يُعير الرجل فصيلاً لتدرّ عليه ناقته، فاذا دَرّتْ نُحّي، الفصيل.

أقول: وهذا من معرفتهم في الإبل وصفاتها وكيف يستفاد منها.

«لَطَعَ» الإنسان الشيء بلسانه، بلطَعُه؛ إذا لَحَسه منه في عربيتنا الفصيحة المعاصرة.

أقول: وهذا أشهر في الألسن

و«اللَّطَع»: بياض في باطن الشفة.

أقول: وهو شيء من الأعراض علي «فَعَل».

و«اللُّعوق»: اسم مايُلعَق، وهو بناء «فَعُول» في الأشربة والعلاجات كالسَّفوف، والسَّعوط، والوَجور، وغيرها.

و«اللُّعقة»: ماتأخُذه بالمِلْعَقة. و«اللَّعقة»: المرّة الواحدة.

و«اللَّعْوَقة»: السُّرعة فيما أُخذَ فيه من عَمَل في خِفّةٍ ونَزَق.

أقول: وهذه كاللَّهوَجة واللَّحْوجة.

و«اللُّعوق»: أقلّ الزاد.

قال الفرّاء: «اللَّعْوَة» هي السواد حول حَلْمة الثَّدْي.

وهذه من الكلم الذي يظهر سعة العربية في احتوائها علي «خَلْق الانسان» و «خَلْق الحيوان» ومايتصل بهما وما حواليهما في البيئة الواسعة.

و«اللَّعَج»: حرارة الحب في القلب.

أقول: هو بناء «فَعَل» في الأعراض، وهذا «كاللَّعَس» وهو السواد في باطن الشفة.

و«المَلاغم»: ماحول الفم. ومنه: تَلَغَّمْتُ بالطيب: إذا جعلتَه هناك.

و«اللَّغام»: مايبلغ طرف الأنف في اللِّثام.

أقول: وهذا ضرب من الفرق بالإفادة الحرف، ومايقرب منه.

«والألفَت»: الأعسر، وهوالأحمق، والعسير الخُلُق أيضاً.

وامرأة «لَفوت»: لها زوج ولها ولد من غيره، فهي تَلَفَّت إلي ولدها.

و«اللَّقوة»؛ المرأة تحبَل من أوّل وَقْعة.

و«الـمَشّ» ؛ مَشُّ اليد بالمنديل، و«الـمَشوش» هو المنديل.

١٨٣ – «الماسُ»: الرجل الذي لايقبل قول أحد، و«المأس»، الإفساد بين الناس.

أقول: وبين المهموز وغيره فرق دلالي.

و«الـمأج» ؛ الماء المِلْح، وهو بين «الـمؤوجة».

أقول: ومازال هذا في عامية أهل العراق بلفظ (مَجّ).

و«متّعْتُ» المطلّقة بشئ تنتفع به.

أقول: بمعني زوّدتها بمتاع.

و«المئة» في العدَد، وأمأَت الدراهم؛ صارت مئة وأمأيتُها أنا.

أقول: وهذا من إفادة العربية في توليد الفوائد اللغوية.

و«الـمَجَع»: أكل التمر باللّبَن.

وامرأة «مَجِعَة»: تتكلم بالفحش.

و«الـمُجون»: ألا يبالي الإنسان بما صنَع، و«الـمُماجن» من النُّوق: التي ينزر عليها غير واحد من الفجولة.

أقول: والمجون: العبث باللهو والشرب والفجور، وهذا هو الذي يفي للكلمة.

و«الماخور»: الموضع الذي تباع فيه الخمر.

أقول: و«الماخور» وجمعه المواخير، قد انصرَف إلي مكان الريبةوالفاحشة، مع دلالته علي الأصل في الاستعمال المعاصر. وهو معرّب «ماخور» بالفارسية.

و«الماخض»: الحامل إذا ضربها الطَّلْق.

و«المَدْه»: يُضارع الـمَدْخ، إلا أن «الـمَدْه» في نعت الجَمال والهيئة، والمَدْح عامّ في كل شيء.

و«أمرَضَ» الرجل: اذا قارَبَ إصابة حاجته، قال كثير:

ولكن تحت ذاك الشَيب حَزْمٌ إذا ما ظُنَّ أمرَضَ أو أصابا

و«الـمَرْضَ»: إشباع الدُّهن. و«الإمراغ» في العجين: أن يكثر ماؤه كالـمَرْخ، وهو أيضاً: كثرة الكلام في غير صواب.

أقول: و«مرَغْتُه في التراب فتمرَّغ. وهذا كل الذي بقي من هذه الفوائد في العربية المعاصرة.

و«مَرِحَت» العين: إذا نظرت من وراء اليد إلي الشيء. قال النابغة الجعديّ:

كأنَّ قذيّ بالعين قد مَرِحت به وما حاجة الأخري إلي الـمَرِحان

و«مَرَد» الطعام يمرُدُه مَرْداً: إذا مرَّسَه ليَلين، ومَرَد الصبيّ ثدى أمه. و«الـمَريد»: التمر يُنقع في اللبن.

أقول: وهذا كثير في الألسن الدارجة وقلّما يرد في الفصيحة المعاصرة.

ورجل «مُسكة»: إذا كان لايتعلّق بشيء فيتخلص منه.

و«الـمَسْى»: أن يدخل الراعي يَدَه في رَحِم الناقة ويمَسُط ماء الفحل كراهة أن تحمل له، ومَساه يمَسيه.

أقول: وهذا من ممارستهم في الإبل.

و«المسيح»: الذي أحد شِقّي وجهه ممسوح لاعين له ولاحاجب، وبذلك سُمّي «الدجّال» مسيحاً.

و«المسيح» عيسي ـ عليه السلام ـ كأن وجهه مُسِحَ بالجمال مَسْحاً.

وشربت «مَشوءاً ومَشيأ»: وهو الدواء الذي يُمشي.

أقول: والفعل من هذا ثلاثي ومضعف معروف في العامية، يقال: «مشت» بطنه وتمشي، والماء «يمشّي» البطن.

و«الماصِع» من المياه: المِلح.

أقول: وهو ضد «الماسخ»، أو «الماصخ» في الألسن الدارجة.

و«المُمْصِل»: المرأة تُلقي ولدها وهو مُضْغة.

و«المصواء»: المرأة التي لا لحم علي فخذَيها.

أقول: ومثل هذا في بعض الألسن الدارجة.

و«التمصْر» حَلْب بأطراف الأصابع، وناقة «مَصور»: إذا كان لَبَنها بطيء الخروج. و«الـمصْر»: بقية اللبن.

و«مَعَنَ» الماء: جَرَي، وهو «مَعين».

أقول: وهذا الأصل لابد أن يكون من الأصل البعيد وهو «العَين».

و«الأمْعَط»: الذي لا شعر له.

أقول: وهذا كثير في العامية. ومثله الأمعرُ والـمَر.

و«الـمُغْل» من النساء: التي تحمل قبل فطام الصبي.

و«أمغَلَ» فلان بفلان: إذا سعَى به.

و«المَغَص» تقطيع في المِعَي ووَجَع.

أقول: وهذا هو المشهور في المصطلح الطبيّ في عصرنا.

و«المُقْلة»: الحَصاة تُلقيها في الماء حتي تعرف قَدرُه، قال الشاعر:

قَذَفوا سيّدهم في وَرْطـة قَذْفَك الـمُقلة وسط الـمُتَرَكْ

ونكاح «الـمَقْت أن يتزوّج الرجل امرأة أبيه.

وهذا من مثالبهم.

و«الماقط: الحازي الذي يتكهّن ويضرب بالحصَي.

أقول: الماقط» من الغريب، ولكن «الحازي» قد بقي شيء منه في عامية أهل جنوب العراق، وهو الذي يحرز ويخمّن ويقول ماسيكون.

و«الـمَلأ»: أشراف القوم، و«المَلا» غير مهموز: المفازة.

و«الـمَلَج»: تناول الثدي بأدني الفم. وفي الحديث: «لا تُحرِّم الإملاجة والإملاجتان.

و«الـمُلْحة» في الألوان: بياض يخلطه سواد.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا، وكذلك «الأملح» لكل شيء.

ويقولون في البَيع: «المَلَسي» لا عُهْدَة: أي لا مَتَعلّق.

و«النُّمنُم»: البياض يكون علي الأظفار، الواحدة نُمنُمة.

و«النَبَخ»: ما نفطَ من اليد فخرج شبه قرح ممتلئ ماءً.

و«النَّبْغ»: ما تطايَرَ من الدقيق إذا طُحِن.

و«نَبَغَ» الرجل: إذا لم يكن في إرث من الشعر، ثم قال وأجاد. وبه سُمِّي النابغة.

و«النَّبَه»: الضالّة توجد عن غَفلة، لا عن مطلب، تقول: وجدتُه نَبَهاً.

و«نَبا» بفلان منزله: إذا لم يوافقه، وكذلك فراشه.

و«النبيّ»: الطريق.

ورَمَي «فأنبأ»: إذا لم يخدش.

و«النابئ: الذي ينبَا من أرض إلي أرض. وسَيْل «نابئ: أتي من بَلَد إلي بَلَد.

ورجل نابئ: مثله، قال الأخطل:

ولكنْ قذاها كلُّ اشعَثَ نابئٍ أتتْنا به الأقدار من حيث لا ندري

و«نَتَحَت المرأة: إذا نَظَرت ثم اختبَأتْ.

ورجل «نُتَفة»: ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصي.

و«النَّثَا»: الذكر القبيح.

أقول: كأنَه ضد «الثناء».

و«نَجُدَ الرجل: ينجُدُ نَجداً: إذا عَرِق من عَمل أو كَرْب، و«النَجَدَ»: العَرَق.

و«المُنَجَّد»: الرجل المجرَّب.

و«النَّجْر»: الطَّبْع.

و«النَّجيس»: شيء كانت العرب تفعله من تعليق عُوذةٍ أو خَرَزة علي الصبي دَفْعاً عنه.

والناجِس: داءٌ لا دواء له. قال ساعدة بن جؤيَّة:

والشيب داء نَجِيس لا دواء له للمرء كان صحيحاً صائب القُحَم

و«المنجوف»: المنقطع عن النكاح.

و«نَجَا» ينجو نجاةً. ومن السرعة «نَجاء».

أقول: وقد فُرِّق في المصدر بين الأول والثاني.

و«المَنجوب»: القَدَح الواسع.

و«النجيثة» والنَبيثة والنثيلة، كلها بمعني ما أُخرج من تراب البئر.

و«النَّحْض»: اللحم، وامرأة نحيضة: كثيرة اللحم، فإذا ذهب لحمها فهي «منحوضة».

و«النحيط»: الزفير، وهو «النَّهيت» و «النُّهات»، و «النَّحطة»: داء يأخذ الإبل في صدورها.

و«النُّحل»: عطاء بلا استعواض. ونَحَل المرأة مهرها عن طيب نفس من غير طَلَب، وانتَحَل الرجل الشعر: ادّعاه، قال الأعشى:

فكيف أنـا وانتحالي القـوا في بعد المشيب كفي ذاك عارا

وانتحلت الشيء: ادّعيتَه وانت مُحِقّ. وتَنَحّلته: ادعيته مُبطلاً.

و«النَّخور»: الناقة لا تدرّ حتى تُدخل إصبعك في أنفها.

و«النُّدْغة» : البياض في آخر الظُّفر. وهو «النُّمنُمة» وقد مرّت.

و«النُّدْس» : الفَطِن، وهو «النُّدُس» : السريع الاستماع للصوت الخفيّ.

و«النَّزائع» : من النساء: اللواتي يُزوَّجْنَ في غير عشائرهن، وكل غريب «نزيع».

و«النَّزْعة» : الموضع من رأس الأنزع، وهما «النَّزعتان» : ينحَصّ عنهما الشعر.

ولا يقال: امرأة نَزْعاء، ولكن يقال: زَعْراء.

ومكان «نَزِل» : يُنْزَل فيه كثيراً. و«النُّزْل» : ما يُهيَّأ للنزيل.

وطعام ذو «نَزَل» : أي ذو فضل.

و«النزالة» :ماءالرجل.

ويقال: خرَجْنا «نَتَنزّه» : إذا ابتعدنا عن الماء والريف، ومكان «نَزِيه» : خلاء ليس به أحد.

و«النَّسْل» من اللبَن ما يبقَي علي رءوس الأحاليل. و«النَّسَل» : لَبَن التين.

و«النَّسْي» : ما سقط في منازل المرتحلين من رُذال أمتعتهم، فيقولون: تَتبَّعوا أنساءَكم، قال الشنفري:

وكأنّ لها في الأرض نسْياً تقُصُّه علي أُمِّها وإن تُكلِّمْكَ تبْلَت

و«نُسئَت» المرأة: وهي التي تأخّر حيضُها عن وقته، فرُجِيَ أنها حُبْلَي.

و«النَّسيء» : بيعُك الشيء نَساءً. و«النِّساء: التأخير، تقول: أنسأت. ونَسأَ الله في أجَلِك، وأنسأَ.

و«النَّسيء» : التأخير، وهو كذلك في لغة التنزيل.

وكانوا إذا صدَروا عن مِنيً يقولُ رجل من كنانة: أنا الذي لا يُرد لي قضاء، فيقولون: أنسئنا شهراً، أي أخِّره عنّا حرمة المحرَّم، واجعلْها في صَفَر، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالي عليهم ثلاثة أشهر لايُغيرون فيها، لأن معاشهم كان من الغارة، فيحِلّ لهم الكناني المحرَّم، فقال تعالي: ﴿إنما النَّسيء زيادة في الكفر﴾.

و«النَّشوع» : الوَجور، يقال: نَشَعتُ الصبيَّ فانتَشَع.

أقول: وهو «فَعُول» من الأشربة والعلاجات. وكذلك «النّشوق».

و«النشيل» : اللحم يطبَخ بلا توابل.

و«المنْشَل» : موضع الخاتم من الخِنْصِر.

و«النَشأ» : نسيم الريح الطيّبة.

و«النَّشء» : أحداث الناس.

ورجل «نَشْيان» : يتَخيَّر الأخبار.

و«نَشَدْت» : الضالة : طلبتها، و«أنشَدتُها» عرَّفتها.

أقول: وهذا يدخل في باب الفرق، بين الثلاثي والمهموز.

و«النَّصَف» : الخُدّام، الواحد : ناصف.

و«النَّصاحات : السُلوك التي يُخاط بها.

و«النِّضال» : الـمُراماة، ونضَلَ فلان فلاناً في المراماة: إذا غَلَبَه، وناضلتُه فنَضَلتُه. وفلان «يناضل» عن فلاناً: إذا تكلَّم عنه بعذره. وانتضَل القوم وتناضلوا إذا رموا للسبق.

أقول: و«النضال» في عربيتنا اليوم جهاد وكدّ.

وفلان «نَضِج الرأي: أي مُحكمَه.

ويقال للناقة إذا جاوزت وقت ولادتها ولم تلد: نَضَّجَتْ، وهي مُنَضِّج، قال:

هو ابن مُنضجّاتٍ كن قِدْماً ... يزِدْنَ علي العديد قراب شهر.

فإذا أدخلتَ الهاء ليس إلا قرابه.

و«النَّضوح» : ماينضح من ماء الحوض.

و«النَّضير» : الذهب، و«النُّضار» : الخالص من جوهر التِّبْر والخَشَب.

ويقال: جاء فلان «منتطقاً» فرسَه: إذا جانَبَه ولم يركَبه. قال:

وابرَح ما أدام الله قومي ... علي الأعداء منتطقاً مُجيدا

أي قد شدَّ عليه النطاق.

و«التنطُّس» : التقَرّز.

و«أنظَرْتُه» : أخرْتُه. والنَّظرة: التأخير.

وإن في رأسه «لَنُعرة» ، و«النُّعْرة» : ذبابة تقع في أنف الحمار، وحمارٌ نَعِر.

أقول: وفي عربيتنا المعاصرة «النَعَرات» وتضاف إلي «الطائفية» في الأغلب، وتعني الفتن التي تتصل بـ «الطائفية» .

يقال: نَعَشَه الله وأنعَشَه.

أقول: والمتحرّون للصواب من أهل التصحيح يخطِّئون «الإنعاش» .

ونفقت الدابّة نفوقاً. ونَفَق السِّعر نَفاقاً.

أقول: والفرق يظهر في بناء المصدر.

و«النَّفَل»: الغُنْم. و«انفلتُك: أعطتك نَفَلاً. والنافلة: العطية ومنه نافلة الصلاة.

و«النَّفّاج»: المفتخر بما ليس عنده.

ويقولون: «نَفَّرت» عن الصبيّ: أي لقَّبْتُه لَقَباً، كأنّه عندهم تنفير للجن والمعين عنه.

و«اللقب» في الغالب: ما لايرتضي من الكلم، وهذه العبارة تشير إلي هذا.

و«النَّفْس»: العَيْن. أصابتْ فلاناً نَفْس. و«النَّفْس»: الدِّباغ، يقال: هَبْ لي نَفْساً من دِباغ، فيَهَبُ له قَدْر ما يُدْبَغ به الأديم. و«النِّفاس»: وِلاد المرأة، فاذا وَضَعت فهي نُفَساء.

و«النَّفَض»: ما تساقط في أصول الشَجَر من الثَّمَر.

و«النَّفَضة»: قوم يُبْعَثون في الأرض، ينظرون هل بها عَدُوّ، وكذلك «النَّفيضة».

و«النَّفَط»: ما يخرُج في اليد من العمل، ونَفِطَت يده.

و«النُّقاوة: أفضل ما انتقَيتَ من الشيء. و«نَقاة» كل شيء: رديئه ما خلا التَّمْر فإن «نَقاته»: خِياره.

و«النَّقْض»: نَقْض الحبل والبناء والعهد. و«النَّقَض»: المنقوض.

و«ناقف» الحنظل: الذي يستخرج «الهبيد» وهو حَبّ الحنظل الذي يأكلونه.

و«النَّكِد»: كل شيء خَرَج إلي طالبه بشدّة.

أقول: وليس في «النَّكَد» ولا «النَّكِد» هذه الخصوصية في العربيَة المعاصرة.

و«النُّكُس»: المرض، ويقال: تَعْساً له ونُكساً.

و«الأنكَع»: المتقشّر الأنف.

و«النَّمَسُ»: فساد السَّمْن. و«الناموس»: قُتْرة الصائد.

و«ناموس» الرجل: صاحب سِرّه.

و«النَّمَش»: خطوط النقوش.

أقول: و«النَمَش» في عربيتنا المعاصرة نقط سود تظهر علي الوجه.

وفي الحديث: «خير هذه الأُمّة «النَمَط» الأوسط يلحق بهم التالي.

و«نمَّقْتُ» الكتاب: اذا حسَّنته وجَوَّدته.

وطعام «مَنمول»: إذا أصابه النَّمْل.

هبَّت الريحُ هبوباً، والتَّيس «هَبيباً»، والنائم «هَبّاً».

والسيف «هَبَّة»، والبعير «هباباً».

أقول: والفرق في المصادر.

والهَبْهَبيّ: الراعي، ويقال: القصّاب.

ويقال للفتي السريع في الخدمة: هَبْهَبيّ.

وثوب «هَلْهَل»: سَخيف النَسْج. وشعر «هَلْهَل»: رقيق.

أقول: وهو ثوب «مُهَلْهَل» في العربية المعاصرة.

ويقال: «هَلْهَلْتُ» أُدركُه كما تقول: كدت أدركُه.

أقول: وهذا يدخل في أسلوب «المقاربة» مثل كاد وأوشَك.

و«التهويد»: المَشي الرُّوَيد. و«هوَّد» الرجل: إذا نامَ. و«هوَّد» الشراب نفْسَ الشارب: إذا خثَّرت له نفسه.

أقول: ولم يبق شيء من هذا في العربية المعاصرة، بل بقي في الألسن الدارجة.

و«الهُواع»: القَيء.

أقول: هو كذلك في عامية أهل العراق، وليس في الفصيحة المعاصرة.

و«هوَّل» القوم علي الرجل: إذا حلَّقوه عند نارٍ يُهوِّلون بها عليه، قال أوس:

إذا استقبلَتْه الشمس صدَّ بوجهه كما صدَّ عن نار المُهوِّل حالفُ

أقول: و«نار المُهوِّل» من نيران العرب في الجاهلية.

ورجل «مستَهْتَر»: لا يُبالي ما قيل له.

أقول: وهو «المُستَهتِر» وزن اسم الفاعل في العربية المعاصرة، وهو السفيه الخارج عن الحدود في القول والعمل.

و«الهِدْم»: الثوب البالي.

أقول: وهو كذلك في الألسن الدارجة، وقلّما يرد في الفصيح المعاصر.

و«المِهْدَى»: الطَبَق يُهدَ عليه.

و«الهَدِي»: العروس.

أقول: وهي «فَعيل» بمعني مفعول أي أنها تُهدَى إلي بعلها.

و«هَدَأت الرِّجْل: إذا نام الناس.

أقول: وهذه في الألسن الدارجة، ولاترد في العربية المعاصرة.

و«التهدُّج»: تقطّع الصوت.

و«الهَرْف»: كالهذيان بالثناء علي الشيء إعجاباً به.

أقول: وهو «الهَذيان» من غير خصوصية في العربية المعاصرة، يقال: لاتَهرِف بما لا تعرِف.

و«ابن هَرْمة»: آخر وَلَد الرجل.

و«هُزِلت»: الدابة. وهزَل في منطقه. وأهْزَلَ الرجل: إذا وَقَع في ماله الهزُال.

وأرض «هَلَكون»: أي جَدْبَة.

وامرأة «هَمْشى»: كثيرة الحديث.

و«الهَنَمة»: خرَزة كان النساء يُؤَخِّذن بها الرجال.

و«الـمُهَيمن»: الشاهد.

أقول: وهو «القدير المتسلّط في العربية المعاصرة.

و«وجَدْت» الضالّةَ وِجداناً، و«وَجَدْتُ» من الحُزن وَجْداً، ومن الغَضب مَوْجِدة»، ووَجَدْت في المال وُجْداً.

أقول: وفي هذا كله مادة في الفرق تبدو في المصادر.

الوَحَم والوحام: شهوة المرأة الشيء علي الحبَل. وامرأة وَحْمَي.

وقد «وَحَّمناها»: أي أطعمناها شهوتها.

خاتمة:

هذه موادّ اخترتها لفوائدها الخاصة التي بعضها تاريخي يتصل بتطور الدلالة وبعضها حاجة بنا إليها، وبعضها الآخر بيان لسعة العربية وإفادتها من المواد في توليد المعاني.

مستدرك:

ورجل «مِخْلَط مِزْيَل»، بكسر الميم فيهما: يخالط الأمور ويزايلها.

و«الخِلْط»: المختلط بالناس، المتحبّب المتملّق لهم، وكذلك «الخَلِط».

و«صَنَع» اليد، و«صُنُع» «صُنْع» و «صِنْع»: صانع حاذق.

نظرة في الأمثال

مقدمة

قالوا: إن الشعر ديوان العرب، وهذا يعني أنه حفل بكثير من معارف العرب. وقد فطن المحدثون إلي أن الشعر أعرب عن بيئتهم البدوية كما أعرب عماكان لهم من ألوان حضارية. وكان عبد الله بن عباس يعود إلي الشعر إذا سئل في شيء من ألفاظ القرآن. وسؤالات نافع ابن الأزرق في هذا معروفة مشهورة.

وكان عمر بن الخطاب يوصي بهذا فكان يحث المسلمين الأوائل الذين لم يدركوا شيْئاً مما ورد في لغة التنزيل علي الرجوع إلي «ديوان العرب».

غير أني أقول: إن المثل القديم مورد آخر من موارد الفوائد التي تتصل بالعرب في بيئتهم البدوية وبما كان قد عرفوه من أسباب العيش الأخري. وقد رأيت أن أبدأ مسيرة تاريخية في هذا اللون من الأدب القديم فأقف علي شواخص هذا الأدب القديم، وماتشير إليه من فوائد لغوية وتاريخية وغير ذلك[1].

لقد كان من حديث رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ الكثير من نوابغ الكلم الذي اندرج في باب «المثل» البليغ، ومنه قوله ـ صلي الله عليه وسلم ـ:

١- «إن المُنبَتَّ لا أرضاً قَطَع، ولا ظَهْراً أبقى».

جاء في «مجمع الأمثال»:

المنبَتّ: المنقطع عن أصحابه في السَّفَر، والظَّهْر: الدابّة.

قاله عليه الصلاة والسلام لرجل اجتهد في العبادة حتي هجمت عيناه، أي غارتا، فلما رآه قال له: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إنّ المنبَتّ» أي: الذي يجدّ في سيره حتي ينبَتّ أخيراً، سماه بما تؤول إليه عاقبته، كقوله تعالي: ﴿إنك ميّت وإنهم ميّتون﴾.

يُضرب [هذا] لمن يُبالغ في طَلَب الشيء، ويُفرط حتي يُفوّته علي نفسه.

---

(١) سيكون دليلي في هذه المسيرة كتاب «مجمع الأمثال» أستقربه فأثبت الفوائد التي وجدت أن من العلم أن يوقف عليها. (بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة ١٩٧٢).

أقول: إن هذا الـمَثَل يشير إلي شيء من لوازم البيئة البدوية، فالرحيل أسلوب العيش في تلك البيئة التي شهدت حال «المنبَتّ» الذي لم «يقطع أرضاً» ولم «يبق» له «ظهراً» أي «راحلة».

وكأن العربية استجابت لهذه الحاجات البدوية، أو قل إن أصحاب هذه البيئة اجتهدوا في لغتهم فاهتدوا إلي هذه الرموز التي تتصل بحاجاتهم في هذه البيئة البدوية.

٢- ومن قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في صفة الدنيا والحثّ على قلّة الأخذ منها:

«إن ممّا ينبت الربيع مايقتل حَبَطاً أو يُلمّ...».

جاء في «مجمع الأمثال»:

«الحَبَط: انتفاخ البطن، وهو أن تأكل الإبل الذُرَق فتنتفخ بطونها إذا كثرت منه،

..... وقوله: أو يُلمّ» معناه «يقتُل أو يَقرُب من القتل».

والإلمام: النزول، والإلمام: القرب[1]، ومنه الحديث في صفة أهل الجنّة «لولا أنه شيء قضاه الله لألَمّ أن يذهب بَصَره لما يري فيها» أي: لَقَرُب أن يذهب بَصَره.

قال الأزهري: هذا الخبر ـ يعني «إن مما يُنبت» ـ إذا بُتِرَ لم يكد يُفهم، وأوّل الحديث:

«إنّي أخاف عليكم بعدي ما يُفْتَح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها».

فقال رجل: أو يأتي الخير يارسول الله؟

فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «إنّه لا يأتي الخيرُ بالشرّ، وإنّ مما يُنبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلمّ، إلاّ آكلة الخَضِر فإنّها أكلت حتى إذا امتلأَت خاصرتاها استقبلت عين الشمس وثَلَطَت وبالَتْ ثم رَتَعَت».

هذا تمام الحديث.

قال: وفي هذا الحديث مَثَلان: أحدهما للمفرط في جمع الدنيا وفي مَنعِها من حقّها.

والآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها.

ويضرب هذا في النهي عن الإفراط.

أقول: وفي هذا الحديث الذي أرسل مثلاً بليغاً تبدو البيئة العربية حيّة بشخوط من إنسان وحيوان، والجمَل في حياة البدوي القديم يشارك البدوي في تلك الحياة القاسية. فليس غريباً

(١) أقول: ويمكن أن يضاف هذا الفعل إلي أفعال المقاربة (كاد وأوشك وكرب).

أن يخاطب البدوي الجمل خطاب من يعقل، ومن هنا فلا أرانا نضيف في فهم قول الراجز القديم:

شكا إليَّ جَمَلي طول السُّـــرَي
يا جَمَلي ليس إليَّ المشتكـــــي
صبراً جميلاً فكلانا مبتلـــــي

ولعل بسبب هذا كان للبدوي القديم عناية بالإبل فكانت لغة خاصة، وكان معجماً حافلاً بخَلق الإبل، وخلقه وعاداته، ومايعرض من شؤونه وأحواله. وكان أدباً خاصاً ربما وجدنا آثاره لدي شعراء حضريين عرفوا الحواضر وابتعدوا عن البوادي.

٣- إن الشقيَّ وافدُ البرَاجم

قاله عمرو بن هند الملك، وكان سويد بن ربيعة التميمي قَتَلَ أخاه وهَرَب، فأحرَق به مئةً من تميم: تسعةً وتسعين من دارم وواحداً من البرَاجم، فلُقِّبَ بـ «المُحرِّق»، والقصّة طويلة.

يُضرَب لمن يُوقع نفسه في هَلَكة طمعاً.

أقول: وهذا المثل كسائر الأمثال القديمة تعرب عن شيء كثير من ممارسات العرب الأقدمين في الحياة البدوية. إن القتل أو الفتك كان بينهم معروفاً، وإن طَلَب الثأر من أخلاقهم، وأن في الأدب القديم صفحات تكشف عن هذا.

وسأمضي في بسط ما يتصل بالبيئة البدوية القديمة في هذه الآثار الأدبية التي يعطي فيها المثل القديم شواهد كثيرة.

٤- إن البُغاث بأرضنا يستنسر.

قال الميداني: البُغاث: ضرب من الطير، وفيه ثلاث لغات: الفتح والضمّ والكسر، والجمع بِغثان، قالوا: هو طير دون الرخمه،

و«استنسر»: صار كالنَّسْر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

يُضرب للضعيف يصير قوياً، وللذليل يعزّ.

أقول: وهذا مثل قديم خلصوا إليه من تجاربهم، وإن البدوي القديم يرسله بعد تجربة طويلة فيتمثّل به الآخرون الذين يعرض لهم شيء من هذا.

وأنت تجد تشبيهاتهم مأخوذة مما يعمر تلك البيئة من مظاهر الطبيعة التي سنراها ومما يبرزالحياة فيها من الطير والدواب والإنسان.

٥- إن الجبان حتْفُه من فَوقه.

قال الميداني: الحتَف: الهلاك، ولا يُبنَى منه فَعّل.

وخصَّ هذه الجهة (فوق) لأن التحرّز ممّا يأتي من السماء غير ممكن، يُشير إلي أن الحتْف إلي الجبان أسرعُ منه إلي الشجاعة، لأنه يأتيه من حيث لا تدْفَع له.

قال ابن العباس:

أوّل من قاله عمرو بن أمامة[1] في شعر له، وكانت مُراد قتَلَته فقال هذا الشعر عند ذلك، وهو قوله:

لقد حَسَوتُ الموتَ قبل ذَوقه ... إنّ الجبان حتْفُه من فَوْقه

كلُّ امرئٍ مُقاتـل عن طَوْقَه ... والثَّورُ يَحمي أنفَـه برَوْقَـه

ويُضرب في قلّة نَفْع الحذَر من القَدَر.

والذَّوْق: مقدّمة الحسْو، فهو يقول: قد وطّنْتُ نفسي على الموت، فكأنيّ بتوطين القلب عليه كمن لقيه صُراحاً.

٦- إن المُعافَى غير مخدوع.

يضرب لمن يخدَع فلا ينخدع،

والمعني: أن مَن عوفي مما خُدع به لم يضرّه ما كان خودع به.

قال الميداني في «مجمع الأمثال»:

وأصل المثل أن رجلاً من بني سُليم يُسَمَّي قادحاً كان في زمن أمير يكني أبا مظعون، وكان في ذلك الزمن رجل آخر من بني سُلَيم أيضاً يقال له سُلَيْط، وكان عَلِق امرأة قادح، فلم يزَل بها حتي أجابَته وواعدته، فأتي سُلَيْطٌ قادحاً وقال: إني عَلِقت جاريةَ لأبي مظعون، وقد واعدتني، فإذا دَخلتَ عليه فاقعُد معه في المجلس، فإذا أراد القيام فاسبِقْه، فاذا انتهيت إلي موضع كذا فاصفرْ حتي أعلم بمجيئكما فأَخُذَ حذري، ولكَ كلَّ يوم دينار، فخدعه بهذا، وكان أبو مظعون آخر الناس قياماً من النادي، ففعل قادحٌ ذلك، وكان سُلَيْط يختلف إلي امرأته، فجرَيَ ذكر النساء يوماً، فذكر أبو مظعون جواريَه وعفَافهن، فقال قادح وهو يُعرِّض بأبي مظعون:

ربمّا غُرَّ الواثق، وخُدِع الوامق، وكَذَب الناطق، وملَّتِ العاتق، ثم قال:

---

(١) الشعر في «لسان العرب» (روق) منسوب إلي عامر بن فهيرة، وانظر ترجمته في «الإصابة» رقم ٤٤١٥، والشعر هناك أيضاً، ولعلّه تمثّل به.

لا تَنطِقَنَّ بأمـرٍ لا تَيَقَّنُـهُ يا عَمرو إن الـمُافى غير مخدوعِ

وعمرو: اسم أبي مظعون، فعلم عمرو أنه يُعرِّض به، فلما تفرَّق القوم وثب علي قادح فخَنَقَه

وقال: اصدُقني، فحدّثه قادح بالحديث فعرف أبو مظعون أن سُلَيطاً قد خدَعه، فأخذ عمرو بيد قادح ثم مرّ به علي جواريه فاذا هُنّ مُقبلات علي ما وُكلنَ به لم يفقد منهن واحدة، ثم انطلَق آخذاً بيد قادح إلي منزله فوجد سُلَيطاً قد افترَش امرأته، فقال له أبو مظعون: إن المعافَي غيرُ مخدوعٍ، تهكُّما بقادح، فأخذ قادح السيف وشدَّ علي سُلَيْط، فهرَبَ فلم يدركه،ومال إلي امرأته فقتَلَها.

أقول: وهذه حكاية طويلة قد تكون مما أُلِّف وصُنع، ولكنها ليست غريبة في تلك البيئة القديمة التي أفصح عنها المثل المذكور.

٧- إن وراء الأكَمة ما وَراءها

قال الميداني: أصله أن أمةً واعَدَت صديقها أن تأتيه وراء الأكَمة إذا فرغت من مهنة أهلها ليلاً، فشغلوها عن الإنجاز بما يأمرونها من العمل، فقالت حين غَلَبَها الشوق: حبستموني وإن وراء الأكمة ما وراءها.

يُضرب لمن يُفشي علي نفسه أمراً مستوراً.

أقول: وهذا المثل يعرب عن سلوكهم، وهو نشاط إنساني تبدو فيه نوازع الإنسان ومايكون له وما تسوِّل له نفسه به.

وقد يكون المثل أصدق وأوفي بالإعراب عن هذا من الشعر القديم، ذلك أن القصيدة القديمة بناء خاص له عناصره وله مقوماته، وأن القصيدة لدي أي شاعر لاتختلف عن القصيدة لشاعر آخر ذلك أن كلتيهما قد اشتملت علي عناصر مشتركة لابد من توفرها في كل قصيدة، وكأنّ المتنبي قد أومأ إلي شيء من هذا في مطلع قصيدة له وهو:

إذا كان مَدحٌ فالنسيب مُقدَّمُ أكـلُّ فصيحٍ قـال شعراً مُتيَّمُ

٨- إن العَصَا من العُصيَّة[1]

أقول: هذا مثل أخير أبسطه لأشير به إلي دلالته والرموز التي اشتمل عليها مما يُظهر بعض

(١) أقول: سآتي علي بسطه ما قيل في هذا المثل، وهو حديث طويل لما وُجد فيه من لوازم البيئة العربية القديمة، مع علمي أن ماقيل في أجزاء هذا الكلام شيء لايمكن أن نطمئن إليه علي أنه واقع أكيد.

لوازم البيئة العربية القديمة التي اتسمت ببداوة قاسية جافية. ثم أتحول إلي طائفة أخري من الممثل القديم يومئ إلي شيء من مظاهر الحياة تبتعد عن البداوة منهجاً في العيش وأسلوباً في الحياة.

ولنعد إلي «مَثَلثا» هذا فنقول:

قال أبو عبيد: هكذا قال الأصمعي، وأنا أحسبه «العُصيَّة من العصا، إلاّ أن يُراد أن الشيء الجليل يكون في بدَء أمره صغيراً، كما قالوا: إن القَرْمَ من الأفيل[1]، فيجوز حينئذٍ علي هذا المعني أن يقال: العَصَا من العُصيَّة.

قال المَفضّل: أوّل من قال ذلك الأفعَي الجُرهُمي، وذلك أن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وإياد وربيعة وأنماراً، فقال: يا بَنيَّ، هذه القبّة الحمراء ـ وكانت من أَدَم ـ لـمُضر، وهذا الفَرَس الأدهم والخباء الأسود لربيعة، وهذا الخادم ـ وكانت شمطاء ـ لإياد، وهذه البَدُرة والمجلس لأنمار يجلس فيه، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الأفعَي الجرهمي، ومنزله بنجران، فتشاجروا في ميراثه، فتوجهوا إلي الأفعي الجرهمي، فبينا هم في مسيرهم إليه إذ رأي مُضرُ أثَرَ كَلأٍ قد رُعيَ فقال: إن البعير الذي رَعَي هذا لأعور، قال ربيعة: إنه لأزوَر، قال إياد: إنه لأبتَر، قال أنمار: إنه لشرود، فساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جَمَله، فسألهم عن البعير، فقال مُضَر: أهو أعور؟ قال نَعَم، قال ربيعة: أهو أزوَر؟ قال: نعم، قال إياد: أهو أبتر؟ قال: نعم، قال أنمار: أهو شرود؟ قال: نعم، وهذه والله صفة بعيري فدُلّوني عليه، قالوا: والله ما رأيناه، قال: هذا والله الكذب، وتعلّق بهم وقال: كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته؟ فساروا حتي قدموا نجران، فلما نَزَلوا نادي صاحب البعير:

هؤلاء أخذوا جَمَلي، ووصفوا لي صفته، ثم قالوا: لم نَرَه، فاختصموا إلي الأفعَي، وهو حَكَم العرب، فقال الأفعَي: كيف وصفتموهولم تَرَوه؟ قال مُضَر: رأيته رَعَي جانباً وتَرَك جانباً فعلمت أنه أعور، وقال ربيعة: «رأيت إحدي يَدَيه ثابتة الأثَر، والأخري فاسدته، فعلمت أنه أزوَر، لأنه أفسده بشدّة وَطْئه لازوراره، وقال إياد: عَرَفت أنه أبتر باجتماع بَعَره، ولو كان ذيّالاً لَمصَع به، وقال أنمار: عرفت أنه شرود لأنه كان يرعَي في المكان الملتفّ بنته، ثم يجوزه إلي مكانٍ أرقّ منه وأخبَثَ نبتاً فعلمت أنه شرود، فقال للرجل: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه، ثم سألهم: من أنتم؟

(١) القرم، بفتح فسكون: الفحل من الإبل، والأفيل ـ بوزن الأمير ـ : ابن المخاض فما دونه، وهذا القول «مثل» مثبت في «مجمع الأمثال».

فأخبروه، فرحّب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم، فقال: أتحتاجون إليّ وأنتم كما أري؟

ثم أنزلهم فذبح لهم شاةً، وأتاهم بخمر، وجلَس لهم الأفعي حيث لا يُرَي، وهو يسمع كلامهم، فقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب منه لولا أن شاته غُذيَت بلَبَن كلبة!

فقال مضر: لم أر كاليوم خمراً أطيب منه لولا أن حُبْلتها نبتت علي قبر، فقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسرَي منه لولا أنه ليس لأبيه الذي يُدعَي له: فقال أنمار: لم أر كاليوم كلاماً أنفع من حاجتنا من كلامنا، وكان كلامهم بأُذنه.

فقال: ما هؤلاء إلا شياطين، ثم دعا القهرمان مالاً، فقال فقال: ما هذه الخمر وما أمرُها؟

قال: من حُبْلة غرستها علي قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب منها، وقال للراعي: ما أمر هذه الشاة؟ قال: هي عَنَاق أرضعتها بلَبَن كلبة، وذلك أن أمّها كانت قد ماتت، ولم يكن في الغنم شاة ولدت غيرها.

ثم أتي أمّه فسألها عن أبيه، فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال، وكان لايولد له، قالت: فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب ذلك، فأمكنت من نفسي ابن عمّ له كان نازلاً عليه، فخرج الأفعي اليهم، فقصّ القوم عليه قصّتهم وأخبروه بما أوصي به أبوهم، فقال: ما أشبه، القبّة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب بالدنانير والإبل الحمر، فسُمّي «مضر الحمراء» لذلك.

وأما صاحب الفَرَس الأدهم، والخِباء الأسود فله كلُّ شيء أسود، فصارت لربيعة الخيل الدُّهَم، فقيل «ربيعة الفَرَس»،

ومأأشبه الخادم الشمطاء، فهو لإياد، فصار له الماشية البُلْق من الحبَلّق والنَّقَد[1].

فُسمّي «إياد الشمطاء، وقضي لأنمار بالدراهم، وبما فَضَل، فسُمّي «أنمار الفضل» فصدروا من عنده علي ذلك.

فقال الأفعي: إن العَصَا من العُصيَّة، وإن خُشَيناً من أخشَن، ومُساعدة الخاطل تُعَدّ من الباطل، فأرسلهن مثَلاً.

و«خُشَين وأخشَن: جبَلان أحدهما أصغر من الآخر، والخاطل الجاهل، والخَطَل في الكلام: اضطرابه.

(١) الحبلّق: غنم صغار لاتكبر، والنقد: جنس من الغنم قبيح الشكل.

والعُصَية: تصغيرتكبير. والمراد أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي...

أقول: بسطت هذا المثل كما ورد في «مجمع الأمثال» وكتب الأمثال الأخري، وأنا لاأشك أن يد الصنعة والوضع قد نالت منه، ولكني مع ذلك أوردته بتمامه لأضع القارئ علي أجزائه ولوازمه التي تكشف عن رموز البيئة القديمة، وما كان لأهل البادية من معرفة ذكية في معرفة الأثر واقتنائه والوصول منه إلي شيء من حاجاتهم.

ومن هنا كان أدب الأمثال مورداً مهماً لمعرفة المجتمع الجاهلي القديم، مفصحاً عن أثر تلك البيئة في تزويد الجاهلي القديم بجملة من المعارف تدخل في حياته وسلوكه اليومي.

ثم إنك واجد أن هذه اللغة التي حفل بها المثل القديم قد استجابت لحاجات كثيرة سعي إليها البدوي القديم فوجد مما ألفه بل قل أبدعه لغة وافية تحولت إلي أدب اتسم بالصدق والأصالة.

وقد ورث المسلمون هذا الأدب فكان لهم منه أدب ارتضاه الإسلام وشاع فأُرسل أمثالاً، ومن هذا ما ورد:

٩- «إن البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطق».

قال المفضّل: يقال: أن أوّلَ من قال ذلك أبو بكر الصديق ـ رضي الله تعالي عنه ـ فيما ذكره ابن عبّاس، قال: حدّثني علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالي عنه ـ لمّا أُمِرَ رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ أن يعرض نفسه علي قبائل العرب خَرَج وأنا معه وأبو بكر، فدُفعنا إلي مجلسٍ من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر ـ وكان نسّابة ـ فسلَّم فرَدّوا عليه السلام، فقال: مَمَّن القوم؟ قالوا: من ربيعة، فقال: أمن هامتها أم من لهازمها؟ قالوا: من هامتها العظمي، قال: فأيّ هامتها العُظمَي أنتم؟ قالوا: ذُهْل الأكبر، قال: أفمنكم عَوف الذي يقال له: لا حرّ بوادي عَوف؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهي الأحياء؟ قالوا: لا؟ قال: أفمنكم جسّاس بن مُرّة حامي الذِّمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسَها؟ قالوا: لا، قال: أفمنكم الـمُزدَلف صاحبُ العمامة الفَرْدة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال: فلستم ذُهلاً الأكبر، أنتم ذهل الأصغر، فقام إليه غلام قد بَقَلَ وجهه يقال له دَغْفَل، فقال:

إن علي سائلنا أن نسألَـهُ والعِبء لا تَعرفُـه أو تحملَـهْ

ياهذا، إنك قد سألتَنا فلم نكتمكَ شيئاً، فمَن الرجل أنت؟ قال: رجل من قريش، قال:

بَخٍ بَخٍ، أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من تَيم بن مُرّة، قال: أمكنتَ والله الرامي في صفاء الثغرة.

أفمنكم قُصَيّ بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر وكان يُدعَى مُجمِّعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هَشَم الثريد لقومه ورجال مكّة مُسنتون عجاف؟ قال: لا، قال: أفمنكم شيبة الحمد مُطعم طير السماء الذي كانَ في وجهه قَمَراً يضيءُ ليل الظلام الداجي؟ قال: لا، قال: أفمن المُفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الرِّفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: واجتذب أبو بكر زمام ناقته، فرجع إلي رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ فقال دَغْفَل:

صادَف دَرْءَ السيل دَرْءاً يصدَعُهْ

أما والله لو ثَبَتَّ لأخبرتك أنك من زَمَعات قريش أو ما أنا بدَغفَلٍ، قال: فتبسَّم رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ، قال عليّ: قلت لأبي بكر: لقد وَقَعت من الأعرابيّ علي باقعة، قال: أَجَل، إن لكلّ طامّة طامّة «وإن البلاء مُوَكَّل بالمنطق».

أقول:

في هذا المثل جملة فوائد تتصل بشيء مما كان العربي في جاهليته يحرص عليه، ذلكم هو تعلّقه بالنسب، وضبطه لمعرفة القبائل والبطون، وما اتصل بالتجمعات الإنسانية. وقد بقي الكثير من هذا، والاسلام قائم، مع أن الإسلام حث علي أن الناس سواسية لا فرق بين عربيّ وأعجمي إلا بالتقوي، وكان الرسول يقول: خِياركم في الجاهلية خِياركم في الإسلام.

علي إن الإسلام أبقي كثيراً من عادات العرب مما يدعو إلي مكارم الأخلاق، والرسول الكريم هو القائل: «بعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق».

ومن هذا القول المأثور الذي يندرج في سلسلة المثل القديم، وهو:

١٠- «إن النساء لحم على وَضَم».

قال الميداني:

الوَضَم: ما وُقِيَ به اللحم من الأرض باريّة[١] أو غيرها.

---

(١) الباربة: حصير منسوج من قصب ونحوه.

وهذا المثل يُروَي عن عمر ـ رضي الله عنه ـ ، حين قال: لا يَخْلُونَّ رجل بمغيبة[1]، إنّ النساء لحم علي وَضَم.

أقول: وهذا المثل يشير إلي صونهم للعرض، واحترام المرأة علي أنها عِرض الرجل فينبغي أن يُصان. ومن هنا لايُباح للرجل أن يخلو بامرأة، ولاسيما اذاكانت «مغيبة».

هذا ما كان للعرب في جاهليتهم، وهو شيء مما كان لهم من «مكارم الأخلاق» التي حضّ الاسلام علي التمسك بها، وعدم التفريط فيها.

١١ـ إن البيع مُرْتَخَص وغالٍ

قال الميداني:

قالوا: أوّل من قال ذلك أُحَيحة بن الجُلاح الأوسيّ سيد يثرب، وكان سبب ذلك أن قيس بن زهير العبسيّ أتاه ـ وكان صَديقاً له ـ لما وَقَع الشرُّ بينه وبين بني عامر، وخرج إلي المدينة ليتجهّز لقتالهم حيث قُتل خالدُ بن جعفر زُهَير بن جذيمة، فقال قيس لأُحيحة: يا أبا عمرو، نُبِّئت أن عندكَ درعاً فبِعْنيها أوهَبْها لي، فقال: يا أخا بني عَبْس ليس مثلي يبيع السلاح ولا يفضُل عنه، ولولا أنيَ أكره أن استلئم إلي بني عامر لوهبتها لك، ولحملتك علي سوابق خَيلي، ولكن اشترها بابن لبَون، فإنّ البيع مرتخَص وغالٍ، فأرسلها مثلاً، فقال له قيس: وماتكره من استلآمك إلي بني عامر؟ قال: كيف لا أكره ذلك، وخالد بن جعفر الذي يقول:

إذا ما أردتَ العزَّ في دار يثربٍ ... فنادِ بصوتٍ يا أُحَيحةَ تُمنَعِ
رأينا أبا عمرٍو أُحيحةَ جارُه ... يبيتُ قريرَ العين غيرَ مُروَّعِ
ومن يأته من خائفٍ ينْسيَ خوفَه ... ومن يأته من جائع البطن يَشبعِ
فضائل كانت للجلاح قديمةً ... وأكرِمْ بفخرٍ من خصالِك أربعِ

فقال قيس: يا أبا عمرو مابعد هذا عليك من لومٍ، ولَهِيَ عنه.

أقول:

وهذا مَثَل ندرك في حواشيه طرَفاً من عادات الجاهليين ومايكون من ذلك من مكارم الأخلاق.

(١) المغيبة: المرأة غاب عنها زوجها في غزوٍ أو طَلَب أو نحو ذلك.

١٢- اذا عزّ أخوك فهُن

قال أبو عبيد: معناه: مُياسَرَتُكَ صديقَكَ ليست بضيمٍ ويركيك منه فتدخلك الحمية به، وإنما هو حُسْنُ خُلُق وتفضُّل، فإذا عاسَرَك فياسِرْه.

وكان المفضّل يقول: إن المَثَل لهذيل بن هبيرة التغلبيّ، وكان أغارَ على بني ضبّة فغَنِمَ فأقبَلَ بالغنائم، فقال له أصحابه: أقسِمْها بيننا، فقال: إني أخاف إن تَشاغَلْتم بالاقتسام أن يُدرِكَكُم الطَلَب، فأبَوا، فعندها قال:

إذا عزّ أخوك فهُن، ثم نزَل فقَسَم بينهم الغنائم، وينشد لابن أحمر:

دَبَبْتُ له الضَّرَاءَ وقُلتُ: أبقِي
إذا عزّ ابن عَمِّك أنْ تَهونا

أقول: وهذا بعض من مكارم الأخلاق التي اتّسَمت به البيئة العربية قبل الإسلام.

١٣- إنما أكلتُ يومَ أكلَ الثور الأبيض.

قال الميداني:

يَروي أن أمير المؤمنين عليّاً ـ رضي الله عنه ـ قال:

إنما مَثَلي ومَثَل عثمان كمثَلَ أثوار[1] ثلاثة كُنَّ في أَجَمة، أبيض وأسود وأحمر، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدر منهنّ علي شيء لاجتماعهنّ عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يُدِلُّ علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض فإن لونه مشهور، ولوني علي لونكما، فلو تركتماني آكُلُه صفَت لنا الأَجَمة، فقالا: دونك فكُلْه، فأكَلَه، ثم قال للأحمر: لوني علي لونكَ، فدَعْني آكُل الأسود لتصفو لنا الأَجَمة، فقال: دونَك فكُلْه، فأكَلَه، ثم قال للأحمر: إنيّ آكلُكَ لا مَحالة، فقال: دَعْني أنادي ثلاثاً، فقال: افعَلْ، فنادَى ألا إني أُكِلتُ يومَ أُكِلَ الثورالأَبيضُ.

ثم قال على ـ رضي الله عنه ـ: ألا إنيّ هُنْتُ ـ ويروى وَهَنْتُ ـ يوم قُتل عثمان، يرفع بها صوته.

يضربه الرجل يُرْزَأ بأخيه.

---

(١) أقول: لم يكن للثور في أدبنا القديم مايحمل علي تنقصّه، ووصفه بالغباءكما هي الحال في حاضرنا، ذلك إن «الثور» وهو الحيوان، من أعلامهم، فلدينا من الرجال الكثير من سمي «ثورا»، ومن ذلك: حميد بن ثور الهلالي الشاعر، وسفيان الثوري، محدث.

أقول: وهذا مثل استخلصه أمير المؤمنين من تجاربه في الحياة التي تجمع بين الخير والشر، والمكر والدهاء.

وفي هذا الـمثَل في حديث عليّ يبرز الثور طرفاً في «المَثَل» أي التشبيه. والثور في اللغة الحيوان المعروف الموصوف بالقوّة، ومنه ثور الوحش الذي كان له حضور في الأدب القديم، علي أنه رمز للقوّة والشدة.

وهذا يعيد إلي الأذهان ماكان للثور من رمز في مقدسات الأدب السامي القديم، ومن ذلك كان للثور طاقة خارقة لدي الآشوريين الذين مثّلوه إلهاً ذا جناحَين يجمع بين الحيوان والطير.

وقد بقي في العربية شيء من قيمة الثور أو طاقته فكان من دلالته «السيد الكبير». ومن هنا لم يكن له مايكون في أذهان المعاصرين، فقد ارتبط «الثور» لدي هؤلاء بالغباء والحمق والجهل، وهذا من غرائب الدلالة، وتناقضها في زمنين مختلفين.

وقد استوحي العرب من «الثور» الفعل «ثار يثور» وكان في ذلك المصدر «ثورة»، و«ثَوْر»، و«ثَوران».

وقد يستغرب أهل عصرنا أن يقال لهم مثلاً: إن «الثورة» في «الثور» جرياً علي كثيرٍ من المعاني المجرّدة التي نجد أصولها في «المحسوسات».

أقول: وهذه هي العربية التي أفادت من بيئتها «القديمة البدوية» في توليد المعاني، ألا تري أن «الجَمَل»، وهو الحيوان المعروف، قد أمد العربية بطائفة من المعاني مما يخيّل إليك أول وهلة أنها بعيدة عن عالَم الحيوان.

فأنت تقف علي «الجمال» و«الإجمال» و«المجاملة» و«التجمُّل»، ولو أنك أعملتَ النظر وجَرَيتَ بلطف في بحث هذه الألفاظ وصلت إلي هذه الحقيقة.

١٤- أوّل الصيد فَرَع.

قال الميداني:

الفرع: أوّل وَلَدٍ تنتجه الناقة، كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبرّكون بذلك.

وكان الرجل يقول: إذا تمّت إبلي كذا نَحَرتُ أوّل نتيجٍ منها، وكانوا اذا أرادوا نحره زيّنوه وألبسوه، ولذلك قال أوس يذكر أزمة في شدّة البرد.

وشُبِّه الهيدَبُ العَبامُ من الأقوام سَقْباً مُجلَّلاً فَرَعا

قال أبو عمرو: يُضرَب عند أوّل ما يُرَي من خير في زَرْع أو ضَرْع وفي جميع المنافع.

ويُروَي: أوّل الصيد فَرَع وبِنصاب، وذلك أنّهم يرسلون أوّل شيء يصيدونه يَتَيَمَّنون به، ويُروَي: أوّل صيدٍ فَرَعة.

يَضرَب لمن لم يُرَ منه خير قبل فعلته هذه.

أقول: ونظلّ في هذا المَثَل مع عالم الحيوان الذي أفاده العربي القديم في بيئته البدوية، فدخل في نمط من سلوكهم وعقيدتهم. ونمضي في هذه البيئة الجاهلية فنقف علي المثل:

١٥- أخَذَ أخْذَ سَبْعَة

قال الأصمعي، وكأنّه أراد النصيح، يعني أخذَ سَبُعة، بضمّ الباء، وهي اللُّبُؤة.

وقال ابن الأعرابي: أخذ سَبْعَة، أراد سَبْعةً من العدد، قال:

وإنما خصّ «سبعة» لأن أكثر ما يستعملونه في كلامهم «سَبْع»، كقولهم: سبع سموات، وسبع أرَضين، وسبعة أيّام.

وقال ابن الكلبيّ: سَبُعة رجلٌ شديد الأخذ يُضرَب به المَثَل، وهو سَبُعة بن عَوف بن ثعلبة ابن سَلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوث.

أقول: ولمنضي في مواد هذه البيئة ورموزها فنقف علي المَثَل:

١٦- إنّما أنت خلافَ الضبع الراكب

قال الميداني:

وذلك أن الضبُع إذا رأت راكباً خالَفَته وأخَذَت في ناحية أخري هَرَباً منه، والذئب يعارضه مَضادّة للضبع.

يُضرَب لمن يُخالف الناس فيما يصنعون.

أقول: «والضبع» من الحيوان، وهي تحضر في أدبهم، وقد سمّوا بها السنة المجدبة كما في قول:

أبا خراشة أمّا أنت ذو نَفَرٍ فإنّ قوميَ لم تأكُلْهُمُ الضُّبُعُ

ولعل هذه التسمية بسبب أن الضبع في سني الجَدْب تلزم البوادي.

وأنت تري أن هذه الرموز الحيوانية تعرب عن شخوص البيئة البدوية القديمة.

ونمضي في هذه البيئة القديمة نقف فيها على ما كان يعمرها من شخوص فنقرأها في الـمَثَل:

١٧- اذا نام ظالع الكِلاب.

قال الميداني:

قال الأصمعي: وذلك أن الظالع منها لايقدر أن يُعاظل مع صحاحها لضعفه، فهو يؤخّر ذلك وينتظر فراغ آخرها، فلاينام حتي إذا لم يبق منها شيء سَفَدَ حينئذٍ ثم نامَ.

يُضرب في تأخير قضاء الحاجة.

أقول: لقد استوفي البدوي القديم معرفة بيئته القديمة، وأدرك مافيها، وعرف من ذلك سلوك الحيوان ومايكون منه، فأفاد من هذه التجارب ما استعاره في شؤونه هو، فكان في ذلك «المثل» الذي هو صورة لتلك البيئة، وصديٌ قريباً لها.

كما نجد صدي هذه الملاحظة في شعرهم، قال الحطيئة:

ألا طَرَقَتْنا بعدما نامَ ظالع الـ ـكلابِ وأخْبَى نارَه كل مُوقِـدِ

ونمضي في استيفاء هذه الشخوص فنقف علي الـمَثَل:

١٨- إنما هو ذَنَب الثعلب.

قال الميداني:

أصحاب الصيد يقولون: رَواغ الثعلب بذَنَبه يُميله فتتبَع الكلاب ذَنَبَه، يقال:

أروَغُ من ذَنَب الثعلب.

أقول: وهذه ملاحظة للبدوي القديم دَخَلت حيِّز الـمَثَل الذي كشف عن شخوص البيئة القديمة التي خبرها ساكنو البادية فأفادوا منها فكانت تجربةً وسلوكاً وحياة، ظهر كل ذلك في أدبهم.

ونمضي في هذه المسيرة اللغوية التاريخية فنقف علي «الـمَثَل» ينتظم في الرَجَز القديم، وقد يكون شعراً، فنقرأ قول الراجز:

١٩- إذا اعتَرَضْتَ كاعتراض الهِرَّهْ
أوشَكْتَ أن تَسقُطَ فى أفـرَّهْ

قال الميداني:

اعتَرَضَ: افتعَلَ من «العَرْض» وهو النشاط. والأُفْرَة: الشِّدَّة.

يُضرَب للنشيط يغفل عن العاقبة.

ومن هذه الرموز الحيَّة نجد الضَبَّ الذي يشغل مكاناً في أدبهم ومنه المَثَل:

٢٠- إنْ تَكُ ضبّاً فإنى حِسْلُهُ

أقول: «الحِسْل»: وَلَدُ الضبِّ، والجميع: الحُسُول. ويقال في «الـمَثَل» أيضاً:

«لا آتيكَ سنَّ الحِسْل»[1]: أي لاأتيك أبداً، وذلك أن الضبَّ لا يسقُط له سِنّ، ويُكنَى الضبّ: أبا الحِسْل.

ويُضرَب الـمَثَل المذكور في أن يلقَى الرجل مثله في العلم والدهاء.

وأنت تري أن البدوي القديم قد استوفَى معرفة مايحيط من الأناسي، والحيوان والطير والشجر والنبات، ومايشخص في بيئته من لوازم، كالتل والجبل والسفح وسائر مايبدو في الأرضين، وسنري الكثير من هذا.

٢١- أخذه أخذَ الضبِّ وَلَده.

قال الميداني:

أي أخذَه أخذةً شديدة، أردا بها هلكَته، وذلك أن الضبَّ يحرُس بيضه عن الهوامّ، فإذا خرجت أولاده من البيض ظنَّها بعض أحناش الأرض، فجعَل يأخذ ولده واحداً واحداً ويقتله، فلاينجو منه إلاّ الشريد.

٢٢- إنه لصِلٌّ أصلال.

قال الميداني:

الصِّلّ: حيَّة تقتل لساعتها إذا نهَشَت.

يضرَب للداهي، قال [النابغة]:

ماذا رزِئنا من حيَّةٍ ذكرٍ نَضْناضةٍ بالمنايا صِلٌّ أصلالِ

أقول: وهذا المثل يصل إلي «الصِّلّ» فيلمح في نهشه ولدغه الفتك الذي هو صفة «الداهي» علي سبيل التشبيه.

ونمضي في هذه الرحلة فنعود إلي «البعير الصعب» في الـمَثَل:

---

(١) يدخل هذا المثل في حيّز الأمثال التي تشير إلي النفي وهي كثيرة، وقد يكون النفي معنَي دون أن تصدّر العبارة بأداة النفي، كقولهم: لا يكون ذلك حتي يؤدب القارظان. وهو مثل أيضاً.

٢٣- إنهَ ليُقرِّد فلاناً.

أي: يحتال له ويخدعه حتي يستمكن منه.

وأصله: أن يجيء الرجل بالخطام إلي «البعير الصعب» وقد ستَره عنه لئلا يمتنع، ثم ينتَزع منه قُراداً حتي يستأنس البعير ويُدني إليه رأسه فيرمي بالخطام في عُنقه، وفيه يقول الحطيئة:

لعمرُكَ ما قُراد بني كُلَيبٍ إذا نُزِعَ القُراد بمُستَطاعِ

أقول: وهذا من تجاربهم مع الحيوان، وكيف يستمكنون منه إذا كان صعباً، وفيه شيء أدركوه من صفة الحيوان ومايعرض له مما يؤذيه ويُريحه. وهم من هذا كله يفيدون شيئاً يستعيرونه إلي مايكون فيهم علي أساس من التشبيه.

وهم يشبهون حال من يحتالون له ويخدعونه ويستمكنون منه بحال البعير الصعب وكيف يتوصّلون إلي إخضاعه.

وأنت تجد هذا في أدبهم مثلاً وشعراً.

ولنا أن نتجاوز بهذا القدر الذي عرضنا مما يتصّل بحضور الحيوان في المثل إلي شيء آخر يتصل بالبيئة القديمة، ومافيها مما يسفر عنه أدب الأمثال فنقرأ قولهم:

٢٤- إنما هو كبَرْقِ الخُلَّب

قال الميداني:

يقال: بَرْق خُلَّبٌ، وبَرْقُ خُلَّبٌ، بالإضافة، وهما البَرق الذي لاغيث معه كأنه خادع. والخُلَّبُ أيضاً: السحاب الذي لامطر فيه، فإذا قيل: بَرْق الخُلَّب، فمعناه برق السحاب الخُلَّب.

يُضرَب لـمَن يَعِد ثم يُخلف ولا يُنجز.

أقول: وكما استوفي البدوي القديم معرفة ما يأنس إليه من الحيوان والطير وما لا يأنس إليه، كذلك عرف بيئته ومايعرض لها من أحوال.

ثم إنه لقسوة هذه البيئة وجفائها أدرك قيمة الماء الذي هو «الحياة» له. ومن هنا عرفه فيما يُرسل السحاب منه فدعاه «غيثاً». وهذه الكلمة ذات دلالة، وهي ذاهبة إلي كل ما هو خير وعون ونجدة. وليس غريباً أن يكون في العربية «غَوث» مأخوذاً ومستوحيً من «الغيث» الذي يُغاث به الجَدْب[1].

(١) لقد دلّ الاستقراء أنهم فرّقوا في أكثر الأحايين بين «الغيث» الذي هو «غوث وخير ورحمة» وبين «المطر» الذي حرفوه في أدبهم إلي الشرّ والعذاب. وخير ما يشير إلي هذا ماورد من «المطر» في لغة التنزيل العزيز.

وكان من ذلك أن عرف البدوي السحاب فكان من ذلك لغة وأدب فيهما الكثير من الدلالات التي تعود إلي السحاب، وجدواه وصفاته. وليس غريباً أن يفطن اللغويون إلي «السحاب» فيعقدون له الأبواب والفصول فتكون من ذلك «مصنّفات» مشهورة.

وأنت تستطيع أن تدرك هذا المثل، فتعرف سرّ التشبيه في الرجل يخلف وعده ولا ينجز بالسحاب الذي يحلو من الغيث.

ونمضي في هذا الأدب فنقف علي، استوقَفَ البدوي القديم في بيئته فنقرأ قولهم:

٢٥- إن يبْغِ عليكَ قومُك لا يبْغِ عليكَ القَمَر.

قال الميداني:

قال المفضّل بن محمد: بَلَغَنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبّة في الجاهلية تراهَنوا علي الشمس والقَمَر ليلة أربَعَ عشرة، فقالت طائفة: تطلُع الشمس والقَمَر يَري، وقالت طائفة: بل يغيب القَمَر قبل أن تطلع الشمس فتَراضَوا برجلٍ جعَلوه بينهم، فقال رجل منهم: إنّ قومي يبغون عليّ، فقال العَدْل: إن يبْغِ عليكَ قومُكَ لايبغِ عليك القَمَرُ، فذَهَبَ مثلاً، هذا كلامه.

والبَغي: الظلم، يقول: إنْ ظَلَمَكَ قومُك لايظلمُك القَمَر، فانظر يتبيّن لك الأمر الحق.

يُضرَب للأمر المشهور.

أقول: استرعت الشمس والقمر نظر العربي القديم حتي كان للشمس في وجودهم فكر اتّسَم بقدسية، وكان للشمس في واقعهم صنم يعبدونه، وليس «عبدشمس» من أعلامهم إلا من هذا. والشمس لديهم ذات قوة وشدة وهي نار موقدة، ومن هنا كانوا يخشونها وإن كانوا يرون فيها الجمال المشرق، وأنها تطلع عليهم بالنور بعد ظلام الليل.

وكان القمر نور وإشراق وجمال وهدوء. وقد غلّبوا القَمَر، لأنه مذكر، فقالوا: «القمران» و«النيران».

وكأنّ «الشارق» من نعوتهم يشير إلي الشمس، فكان من أعلامهم «عبد الشارق».

ولما كان هذا اتصالهم بالشمس والقمر، كان لكل منهما حضور في أدبهم، وليست بي حاجة إلي أن أثبت شيئاً من ذلك، فهو معروف مشهور.

وكما كان القمرمشهوراً صيرَ به إلي كل مشهور معروف كما في «المثل» المذكور.

ونمضي في هذه المسيرة فنقف علي قولهم:

٢٦- إن كنتَ ريحاً فقد لاقيت إعصاراً

قال الميداني:

قال أبو عبيدة: الإعصار ريح تهب شديدة فيما بين السماء والأرض.

يُضرَب فيما بين السماء والأرض.

يضرَب مَثَلاً للمُدلّ بنفسه إذا صُلِيَ بمن هو أدهي منه وأشدّ.

أقول: وفي هذا «المثل» تظهر معرفة البدوي القديم للريح والإعصار، وقد كان للعرب معرفة وافية في الرياح واتجاهاتها، وقد بَرَز ذلك فيما ورد في لغة التنزيل في آيات كثيرة وردت فيها «الرياح». و«المعصرات» هي الرياح التي تجيء بالإعصار.

ومن هنا كان للغويين عناية خاصة بالرياح فصنّفوا فيها[1].

وأنت تجد للنهار والليل، ومايتصل بالزمان أثراً بيّناً في المثل القديم، وأنهم استوحوا من اشراقة الضحي وكرّ العشي أدباً رفيعاً يظهر في طائفة في الأمثال، منها:

٢٧- أمرٌ نهارٍ قُضِيَ ليلاً.

ويضرَب لما جاء القوم علي غرّة منهم ممن لم يكونوا تأهّبوا له.

٢٨- أمرٌ سُرِيَ عنه بليل.

أي قد تقدّم فيه وليس فجأة، وهذا ضد المثل السابق.

٢٩- إن مع اليوم غداً يا مُسعدة.

يضرب مثلاً في تنقل الدول علي مَر الأيام وكرّها.

٣٠- إحدَى لياليكِ فهيسى هِيسى.

قال الميداني:

قال الأموي: الهَيْس السَّير أيَّ ضَرب كان، وانشدَ:

إحدَي لياليك فهيسي هيسي لا تنعُمي الليلةَ بالتعريسِ

يضرَب للرجل يأتي الأمر فيه إلي الجدّ والاجتهاد، ومثله قولهم:

٣١- إحدَى لياليكِ من ابن الحُرِّ إذا مشىَ خَلْفَكِ أن تجترّى

إلا بقيصوم وشِيح مُرِّ

(١) كتاب «الريح» لابن خالويه، نشره المستشرق الروسيّ كرتشوكوفسكي في أحد مجلدات منشوراته بموسكو.

يضرب هذا في المبادرة، لأن اللص إذا طَرَد الإبل ضَرَبها ضَرْباً بعجلها أن تجترّ.

أقول: وأنت تري في حواشي الـمَثَل القديم شيئاً من لوازم البيئة البدوية بنبتها البدويّ ومنه «الشيح والقيصوم».

ومن لوازم تلك البيئة قولهم في مَثَل:

٣٢- أخذَت الأرضُ زُخاريَّها.

قال الميداني:

وذلك إذا طال النبتُ والتفَّ وخَرَجَ زَهرُه، و«مكان زخاري النبات» إذا كان نبته كذلك، من قولهم: «زَخَرَ النبت»، قال ابن مقبل:

زَخاريّ النبات كأنّ فيه جيـــاد العبقريّـةِ والقطـوعِ

ويضرَب لمن صلَح حاله بعد فساد.

أقول: ولقيمة النبت عرفوه وميّزوا بين أنواعه، وما كان من حُرّ البقل، وما كان سيّءٍ منه، وصنفوا في ذلك مصنّفات[1].

ومن هذا قولهم:

٣٣- أنا جُذَيْلُها المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب.

قال الميداني:

الجُذَيْل: تصغير الجذْل[2]، وهو أصل الشجَرة. و«المُحَكَّك»: الذي تَتَحكّك به الإبل الجَرْبَى، وهو عود يُنصَب في مبارك الإبل تتمرس به الإبل الجَرْبَى.

و«العُذَيْق»: تصغير العَذْق[3] ـ بفتح العين ـ وهو النخلة،

و«الـمُرَجَّب»: الذي له جُعِلَ له رُجْبَة، وهي دِعامة تُبنَى حولها من الحجارة، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوّفوا عليها أن تنقعر من الرياح العواصف، وهذا تصغير يراد به التكبير، نحو قول لبيد:

وكل أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهيَـة تصفـرُّ منهـا الأنـامـلُ

يعني الموت.

(١) منها «كتاب النبات» للأصمعيّ (نشر المطبعة الكاثوليكية) بتحقيق «هَفْنَر».

(٢) والجِذْل، باللام هو «الجِدْر» في عربيتنا المعاصرة.

(٣) العَذق بمعني النخلة، وهو اللام «عِتك» ومعناه «العرجون».

قال أبو عُبَيد: هذا قول الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، قاله يوم السقيفة عند بيعة أبي بكر، يريد أنه رجل يُستَشفَي برأيه وعقله.

أقول: هذا مثل يبدو فيه شيء من لوازم البيئة البدوية بما فيها من «نَبت» قائماً علي «جذله» الموصوف «بالمُحكَّك» والجذْل يتجاوز «الجذر» في العربية المعاصرة فهو أصل الشجرة وشيء من ساقها، ولذا فهو عُود ينصَب في مبارك الإبل تتمرّس به الإبل الجَرْبَي.

فأنت هنا تعرف شيئاً من ممارساتهم فيما تحزبهم إليه الحاجة.

ثم إن مُرسل الـمَثَل يصف نفسه بـ «بالعُذَيق المُرجَّب». وقد عرفت المراد بالصفة والموصوف، ولكنك تعرف إذا أطلت النظر أن النخلة «سيدة الشجرة»، ومن أجل ذلك قال المعريّ:

كَلفنا بالعراق ونحن شَرْخ وزُرْنـا أشرفَ الشجـر النخيلا

وكأن المعرّي أومأ الي المأثور في الأثر.

«أوصيكم خيراً بعَمَّتكُم النخلة».

لقد تعلق الأقدمون وعَرَفوا لها قَدْرَها، وكأنهم دَرَسوها علي نحو ما يَدرُس أهل العلم في عصرنا مادة «النبات».

لقد عرفوا النخلة في صباها وفتوَّتها وهَرَمها، وعرفوا خيرها وجَناها، ووصفوا خَلْقَها فكان من جملة ذلك أدب حيّ وافر بالخير والأصالة.

وكان من عنايتهم بالنخلة أن عرفوا أصولها وما كان من نَسَبها، ولذلك وصفوا النخل بـ «الكرائم» كما نَعَتوا الخيْل بـ «الكرائم»[1].

ونظل قليلاً مع النبت والشجر لنعرف لوازم البيئة البدوية القديمة فنقرأ قولهم:

٣٤- إيّاكم وخضراء الدِّمَن.

قال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ فقيل له: وما ذاك يا رسول الله؟ فقال: المرأة الحسناء في منبت السوء.

(١) جاء في الأثر الشريف: الخيلُ معقود بنواصيها الخير.
إن «الخيل» من الحيوان الذي كان العرب يقدرون له قَدْره، ومن أجل ذلك عنوا به. وقد أدرك هذا اللغويون فخصّوه بالتأليف فكتبوا في «خلق الفرس» وجاءوا في ذلك بمعجم خاص، كما فطنوا إلي أن الخيل من المواد التي عرف العرب نسبها فكان من ذلك «كرائم الخيل» فكتبوا في «أنساب الخيل» كتباً مشهورة وصلت إلينا، وكان من ذلك أدب وافٍ يشير إلي البيئة العربية.

قال أبو عبيد: نراه أراد فساد النسب إذا خيف أن يكون لغير رِشدة، وإنما جعلها خضراء الدِّمَن ـ وهي ما تُدمِّنُه الإبل والغنم من أبوالها وأبعارها ـ لأنه ربما نَبَت فيها النبات الحَسَن فيكون منظره حسناً أنيقاً ومَنبته فاسداً، هذا كلامه.

قلتُ [أي الميداني]: إن «إيّا» كلمة تخصيص وتقدير المثل: إيّاكم أخُصّ بنصحي وأُحذِّركم خضراء الدِّمَن، وأدخل الواو ليعطف الفعل المقدَّر علي الفعل المقدَّر: أي أخصُّكم وأُحذِّركم. ولهذا لايجوز حذفها إلا في ضرورة الشعر، لاتقول: إيّاك الأسَدَ» إلا عند الضرورة، كما قال:

«وإيّاك الـمَحاينَ أن تَحينا».

أقول: قال الرسول الكريم: «أنا أفصحَ من نَطَق بالضاد بيد أني من قريش». لقد كان كلامه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أبلغ الكلام بعد لغة التنزيل، وإنما حاز هذه المرتبة لأنه عَرَف أسرار العربية، فنَطَق بها وأدرك العرب أنه تكلم بلغتهم التي كانت بنت تلك البيئة البدوية القديمة، ولما أراد أن يعبر عن المرأة الحسناء من أصل سيء ذهب إلي طبعه فاستعار لهذا المعني البديع «خضراء الدمن» فأجاد التصوير وأحكم الأداء في عبارة تشير إلي ما كان في تلك البيئة من خواصّ.

ونظل في بَسْط لوازم تلك البيئة في أعيان النبت والشجر فنقرأ قولهم:

٣٥- إنك لعالم بمنابت القَصيص.

قالوا: القَصيص جمع قَصيصة، وهي شُجيرة تنبت عند الكمأة، فيُسْتَدَلّ علي الكمأة بها.

يضرَب للرجل العالم بما يحتاج إليه.

ومما يندرج في سياق مانحن فيه من الشجر يحضر في أمثالهم مأخوذاً مما ينبت وما عرفوه وأفادوا منه قولهم في الـمَثَل:

٣٦- أنا إذًا كالخاتل بالمَرْخة.

قال الميداني:

الـمَرْخ: الشَّجَر الذي يكون منه الزِّناد، وهو يطول في السماء حتي يُستَظلّ به،

قالوا: وله ثمرة كأنّها هذه الباقلاء، ومعني الـمَثَل:

أنا أباديك وإن لم أفعل، فأنا إذاً كمن يَختلُ قِرْنَه بالـمَرْخة في أن لها ظلاً وثمرة، ولا طائل لها إذا فُتِّش عن حقيقتها.

يُضرَب في نفي الجُبْن: أي لا أخافك.

أقول: إن سعة العربية تؤذن للعارف بها أن يتفسّح في فنّ القول، فقد يكون الإنسان شجاعاً لايخاف خَصْمه، ويستطيع أن يعبر عن هذا بصور كثيرة، ولكن العربيّ القديم يستعير مما له في بيئته من الحيوان والنبات والشجر وغير ذلك مما يألفه ويشاهده في بيئته فيأتي بالصورة الموحية بما يكون فيها من صدق وأصالة مع إجادة للتصوير الذي يعطي المعني بهاءً وجمالاً.

ونمضي في ايراد هذه اللوازم البدوية القديمة فيما جاء من مَثَل:

٣٧- إنه لأحمرُ كأنّه الصَّرْبة.

قال الميداني:

قال أبو زياد: ليس في العِضاه اكثَر صَمْغاً من الطَّلْح، وصَمغُه أحمر يقال له: الصَّرْبة.

يضرَب في وصف الأحمر إذا بُولغ في وصفه.

أقول: و«العِضاه» شجر ضخم كثير الشوك يكثر في بوادي بلاد العرب، ومنه الطلح الذي نصادفه في شعرهم. وفي هذا المثل إيماءة إليه في صَمْغه الذي هو «الصَّرْبة» فأنت تجد المثل يعيد اليك صورة البادية وماتحفل به من نبات وشجر وحيوان ولوازم أخري.

قلت: «لوازم أخري» ومن هذه «الماء» الذي هو مادة الحياة ولندرته في حيز البادية حرص عليه البدوي القديم وأشار إلي ما فيه من خير وبركة وحسن وبهاء. وقد رأينا كيف كانوا في «الغيث» الذي كانوا فيه يغاثون، ويبدو حرصهم علي الماء ونحن نقرأ المثل القديم:

٣٨- أَن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيَسُ

قال الميداني:

أي «مع ماءٍ» كما قال الله تعالي: ﴿وقد دخلوا بالكفر﴾. يعني إن تَرِد الماء ومعك ماء إن احتَجْت إليه كان معك خيرٌ لكَ من أن تفرِّط في حمله، ولعلّك تهجم علي غير ماء، وهذا قريبٌ من قولهم «عَشَّ إبلَك ولا تَفْتَر».

يضرَب في الأخذ بالجزم.

أقول: ونتجاوز أمر «اللوازم» التي نلمسها في البيئة البدوية التي ظهرت في المثل والشعر لنقول أن الماء علي ندرته من «اللوازم» التي تعلقوا بها وسعوا إليها، وربما فاق العرب الأقدمون سائر الأمم الأخري في معرفة الماء وما يمكن أن يكون منه، ومن أجل ذلك كان لديهم مرادفاً للحياة.

ألا تري أنهم إن افتقدوا عنصر الحياة في شيء مارسوه أو عالجوه قالوا: لا ماء فيه، فقد تكون القصيدة لديهم لاماء فيها بمعني أنها تفتقر للحياة والخير والجمال.

ونظل مع الماء في مواضعه فنراهم ينقلونه إلي حيِّز آخر فيقولون:

٣٩- إنما أخشى سَيْلَ تَلْعتي

قال الميداني:

التلّعة: مسيل الماء من السنَد إلي بطن الوادي.

أقول: إن الخوف من الأقارب وبني العم معروف في المجتمعات البدوية القديمة، ولكن العرب استعاروا لهذا المعني ما في بيئتهم من مواد.

ألا تري أن حضور البيئة في هذا القدر من مواد الأدب القديم، أعني الـمَثَل، أوضح منه في حيِّز القصيدة القديمة التي فرض عليها نظم القصيدة، وهي حبيسة في قيدي الوزن والقافية، ما لايبيح للشاعر أن يتفسّح فيه علي نحو ما يكون لديه ذلك في الـمَثَل.

ثم كأن مادة القصيدة الجاهلية كيان خاص له أوله، ومايكون في حشوه، وماينتهي اليه.

قد نقول إن «الحكمة» وجدت في الشعر، ودونك مطولة زهير ومطولة لبيد، وغير ذلك.

والجواب: إن هذه الحكم كانت نظرات عامّة لاتدخل في شؤون الناس التي نجدها في حيز الـمَثَل.

ونتحول من هذه اللوازم لمواد أخري تتصل بحياة البدوي القديم فنقرأ قولهم:

٤٠- أَخَذَه برُمَّته.

قال الميداني:

أي بجملته، الرُمَّة قطعة من الحبْل بالية[1]، والجمع رُمَم ورِمام.

وأصل الـمَثَل: أنّ رجلاً دَفَع إلي رجل بعيراً بحبْل في عنقه، فقيل لكلّ من دَفَع شيئاً بجملته: دَفَعه إليه برُمَّته، وأخَذَه منه برمَّته، والأصل ما ذكرنا.

أقول: إن أخذ الشيء كلّه وجميعه قد يُصار إليه بكثير من الصور، ولكن البدوي القديم وَجَدَ لَديه مادة للإعراب عن هذا الأمر.

ونمضي في إيراد الحاجات التي عبَّر عنها البدوي في حيِّز المثل فكان له من مواد البداوة أدوات مفيدة، ومن ذلك قوله:

---

(١) كأني أري ان «الرِّمَّة» بكسر الراء تقترب من «الرُّمة» بمعني «قطعة الحبل البالية».

٤١- إنّه لمُعتلث الزّناد.

قال الميداني:

العَلْث: الخَلْط، وكذلك الغَلْث بالغين المعجمة، ويُروَي الـمَثَل بالوجهَين.

وأصله: أن يعترضَ الرجلُ الشَجَرَ اعتراضاً، فيتّخذ زِنادهَ ممّا وَجَدَ، واعتَلَثَ بمعني عَلَثَ، والـمُعْتلث: المخلوط.

يضرَب لمن لم يتخيّر أبوه في الـمنْكَحَ.

٤٢- الأمرُ سُلْكَيَ وليس بمخلوجة.

قال الميداني:

السُّلْكَي: الطعنة المستقيمة، والمخلوجة: الـمُعْوَجّة، في الخَلْج وهو الجذب، وأنّثَ الأمر علي تقدير الجمع، أو علي تقدير: الأمر مثل سُلْكَي، أي مثل طعنة سُلْكَي.

أقول: لا أدري أيُّما أصل أهو المثل الذي ذكرناه أم قول امرئ القيس:

نَطعَنهُم سُلكَي ومخلوجة كَـرُّكَ لأُمّين علـي نابـل

ويَضرَب في استقامة الأمر ونفي ضدّها.

وقد يكون المثل وبيت الشعر شيئاً واحداً مما يُتَمثَّل به، وفي هذا قولهم:

٤٣- إنّك خيرٌ من تفاريق العَصَا

قال الميداني:

قالوا: هذا من قول غَنيَّة الأعرابية لابنها، وكان عارماً كثير التلفُّت إلي الناس مع ضَعف أسْرٍ ودِقّة عظم، فواثَبَ يوماً فتيً فقطَع الفتي أنفه، فأخَذَت غُنيَّة ديةَ أنفه، فحَسُنت حالُها بعد فقر مُدقع، ثم واثَبَ آخرَ فقطَع أُذُنَه، فأخَذَت ديَتَها، فزادَت حسنَ حال، ثم واثَبَه آخر فقطَع شَفَتَه، فأخذت الديَة، فلما رأت ما صارَ عندها من الإبل والغَنَم والمتَاع ـ وذلك من كَسْب جَوارح ابنها ـ حَسُن رأيها فيه وذكَرَتْه في أرجوزتها فقالت:

أحلفُ بالمـروة حقّاً والصَّفَـا

أنّكَ خيـر من تفاريق العَصَـا

وقيل لأعرابيّ: ماتفاريق العَصَا؟ قال: العَصَا تُقطَع ساجورا، والسواجير تكون للكلاب وللأسري من الناس، ثم تقطَع عصا الساجور فتصير أوتاداً، ويفرَّق الوتد فتصير كلّ قطعة

شظاظاً، فإن جُعل لرأس الشِّظاظ كالفَلَكة صار للبختي مهاراً، وهو العُود الذي يدخل في أنف البختي، وإذا فُرِّق المهار جاءت منه تواد، وهي الخَشَبة التي تُشَدّ على خلْف الناقة إذا صُرّت. هذا إذا كانت عصا، فاذا كانت قناة فكلّ شَقٍّ منها قوس بُندُق، فإن فُرِّقت الشقة صارت سهاماً، فإن فُرِّقت السهام صارت حظاء، فإنْ فُرِّقَت الحظاء صارت مغازل، فإن فُرِّقت المغازل شَعَبَ به الشعّاب أقداحه المصدوعة وقصاعه المشقوقة على أنه لايجد أصلَحَ منها وأليَق بها.

يُضرَب فيمن نفعُه أعمّ من نفع غيره.

أقول: وهذا المثل يُبرز لنا سعة المواد التي يستعان بها ويُنتفَع في مادة «تفاريق العصا». ونَظَل مع العصا في قولهم:

٤٤- إن العصا قُرِعَت لذي الحِلم

أقول: لابد من ذكر خير هذا المثل على سعته كما أخبر به الميداني:

قال الميداني:

قيل: إن أوّل مَن قُرعت له العصا عمرو بن مالك بن ضبيعة أخو سعد بن مالك الكناني، وذلك أن سعداً أتَى النعمان بن المنذر ومعه خَيل له قادها، وأخري عَرَاها، فقيل له: لم عرَّيتَ هذه وقُدتَ هذه؟ قال: لم أقُد هذه لأمنعها ولم أُعرِّ هذه لأهَبَها.

ثم دَخَل على النعمان، فسأله عن أرضه، فقال: أما مَطرُها فغزير، وأما نَبتُها فكثير، فقال له النعمان: إنّك لَقوّال، وإن شئتَ أتيتُكَ بما تعيا عن جوابه، قال: نَعَم، فأمر وصيفاً له أن يلطمَه، فلَطَمَه لطمةً، فقال: ما جواب هذه؟ قال: سفيه مأمور، قال: الطمْه أخري، فلَطَمَه، قال: ما جواب هذه؟ قال: لو أُخذَ بالأولي لم يَعُد للأخري، وإنما أراد النعمان أن يتعدّي سعد في المنطق فيقتله، قال الطمه ثالثة، فلَطَمَه، قال: ما جواب هذه؟ قال: رَبٌّ يؤدِّب عبده، قال: الطمْه أخرى، فلَطَمَه، قال: ما جواب هذه؟

قال: مَلَكتَ فأَسجِحْ، فأرسلها مَثَلاً.

قال النعمان: اصبت فامكُث عندي، وأعجَبَه ما رأي منه، فمَكَثَ عنده ما مَكَث.

ثم إنّه بدا للنعمان أن يبعث رائداً، فبَعَث عمراً أخا سعد، فأبطأ عليه، فأعقبته ذلك، فأقسَم لئن جاء ذامّاً للكَلأ أو حامداً ليَقتلنّه، فقدم عمرو، وكان سعدٌ عند الملك، فقال سَعدٌ: أتأذن لي أن أُكلِّمه؟ قال: إذاً يُقطَع لسانك، فأشير إليه؟ قال: إذاً تُقطَع يدك، قال: فاقرعُ له العَصَا؟ قال: فأقرعَهَا، فتناول سعد عصا جليسه وقَرَع بعصاه قَرعةً واحدة، فعَرفَ انه يقول له:

مكانَكَ، ثم قَرَع بالعصا ثلاثَ قرعات، ثم رفعه إلي السماء ومَسَح عصاه بالأرض، فعَرَف أنه يقول له:

لم أجد جَدْباً، ثم قَرَع العصا مراراً ثم رفعها شيئاً وأومأ إلي الأرض، فعرف أنه يقول له: ولانباتاً، ثم قرَعَ العصا قرعة وأقبل نحو الملك، فعرف أنه يقول: كلِّمه، فأقبل عمرو حتي قام بين يدَي الملك، فقال له:

أخبرني هل حَمدت خصباً أو ذمَمْتَ جَدْباً؟

فقال عمرو: لَم أذمُم هُزلاً، ولم أحمَدْ بتلاً، الأرض مشكلة لا خِصبُها يُعرَف، ولا جَدبُها يوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنُها خائف.

قال الملك: أولَي لك، فقال سعد بن مالك يذكر قَرْعَ العصا:

قَرَعتُ العَصَا حتي تبيَّنَ صاحبي ... ولم تكُ لولا ذاك في القدم تُقرَعِ

فقال: رأيتُ الأرضَ ليس بمُمحِل، ... ولا سارحٍ فيها علي الرِّعْي يشبعِ

سواء فلا جَدْب فيُعرفُ جَدْبُها ... ولا صابَها غيث غزير فتُمرعِ

فنجّي بها حَوباءَ نفسٍ كريمةٍ ... وقد كادَ لولا ذاكَ فيهمْ تَقَطَّعُ

هذا قول بعضهم.

وقال آخرون في قولهم: «إن العصا قُرِعَت لذي الحلم»:

إن ذا الحلم هو عامر بن الظَّرِب العَدواني، وكان من حُكماء العرب، لا تعدل بفَهمه فهماً، ولا بحُكمه حُكماً، فلما طَعَن في السِّنِّ أنكر من عقله شيئاً، فقال لبنيه:

إنه قد كَبِرَتْ سنّي وعَرَض لي سَهْو، فاذا رأيتموني خَرَجت من كلامي وأخَذتُ في غيره فاقرعوا لي المِجَنّ بالعصا.

وقيل: كانت له جارية يقال لها خصيلة، فقال لها: إذا خولطت فاقرعي لي العصا.

وأتي عامر بخُنثَي ليحكم فيه، فلم يدرِ ما الحكم، فجعَل ينحرُ لهم ويُطعمهم ويُدافعهم بالقضاء، فقالت خصيلة: ما شأنُك؟ قد أتلَفْتَ مالَكَ، فخبَّرها أنه لايدري ما حُكم الأنثي، أتبعهُ مَبالَه.

قال الشعبيّ: فحدّثني ابن عباس بها قال: فلما جاء الله بالإسلام صارَت سُنّة فيه.

وعامر هو الذي يقول:

أَرَي شَعَراتٍ علي حاجبَيَّ بيضاً نَبَتْنَ جميعاً تُؤاما
ظَلَلْتُ أهاهي بهنَّ الكلا بَ أحسَبُهنَّ صواراً قياما
وأحسَبُ أنفي إذا ما مَشَيْت شخصاً أمامي رآني فقاما

يقال: إنه عاش ثلثمائة سنة، وهو الذي يقول:

تقول ابنتي لَما رأتني كأنَّني سَليمُ أفاعٍ ليله غير مُودِعِ
وما الموت أفناني ولكن تتابَعَت عليَّ سنون من مَصيف ومَربَعِ
ثلاثُ مئين قد مَررْنَ كواملاً وها أنا هذا أرتجي مَرَّ أرْبَعِ
فاصبحتُ مثل النَّسْر طارت فراخُه إذا رامَ تَطياراً يقال له: قَعِ
أخيرَّ أخبارَ القرون التي مضت ولابدَّ يوماً أن يُطار بمَصْرَعي

قال ابن الأعرابيّ: أوّل مَن قُرِعَت له العصا عامر بن الظَّرِب العَدوانيّ، وربيعة تقول: بل هو قيس بن خالد بن ذي الجدَّين.

وتميم تقول: هو ربيعة بن مخاشنٍ أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم.

واليمن تقول: بل هو عمرو بن حمَنَة الدَّوسي.

قال: وكانت حكّام تميم في الجاهلية أكثم بن صيفي، وحاجب بن زُرارة، والأقرع ابن حابس، وربيعة بن مخاشن، وضمرة بن ضمرة، غير أنّ ضمرة حَكَم فأخذ رشوة فغدر.

وحكّام قيس: عامر بن الظَّرب، وغَيلان بن سَلَمة الثقفي، وكانت له ثلاثة أيّام: يوم يحكم فيه بين الناس، ويوم ينشد فيه شعره، ويوم ينظر فيه إلي جماله، وجاء الإسلام وعنده عشر نسوة فخيَّرة النبيّ ـ صلي الله عليه وسلم ـ فأختار أربعاً، فصارت سنّة.

وحكّام قريش: عبد المطّلب، وأبو طالب، والعاصي بن وائل.

و،حكيمات العرب: صحر بنت لقمان، وهند بنت الخس، وجُمعة بنت حابس، وابنة عامر بن الظَّرب الذي يقال «ذو الحِلم»، قال المُتلمِّس يريده:

لذي الحِلمِ قبل اليوم ما تقرع العصا
وما عُلِّم الإنسان إلا ليتعلَما

ويُضرَب المَثَل لمَن إذا نُبِّهَ انتبَه.

أقول: لقد أفضَت في بسط هذا المثل، واختلفوا في القائل، ولعل القارئ يجد في أجزاء ما يحمله علي أن يكون أقرب إلي الشكّ في هذا السرد وهذه السعة، وفي اختلاف الرواة في نسبة المثل إلي قائله. ولكثرة ما عرف من الوضع والتزيّد في الأخبار صرنا أميل إلي حمل

الكثير علي الكذب، ولم نفسح في أنفسنا مجالاً إلي بعض التصديق.

ولا أريد أن أقول: إن جملة ما بسطت صدق وحق، ولكني أذهب إلي بين هذا كله حقيقة قد غطّى عليها شيء قليل أو كثير من الوضع.

وأياً ما كان الأمر فليس عندي ذلك بشيء، وذلك لأني أردت أن أبسطه فأتبين بعضاً من لوازم الأدب القديم ولاسيما المثل، فقد عرفنا ما كان يحزب القوم في عيشهم وفي سلوكهم، وما يتأتّي من ذلك من مشكلات اتسمت بها حياتهم.

وبعد فإن المثل تجربة حيّة تناسب ظرفها الذي أرسل فيه المثل وتصلح أن تكون قاعدة فيما ناسبها من ظروف أخري.

ونمضي بعد هذه الوقفة الطويلة في مسيرتنا فنقف علي شيء من سلوك الأقدمين كما يتضّح في المثل:

٤٥- أوّل الغزو أخْرَق.

قال الميداني:

الحَرْب أوّلِ ماتكون فَتِيّةً تَسْعَي بزينتها لكل جَهول
حتي إذا استعرت وشَبّ ضِرامها عادت عجوزاً غير ذات خَليلِ

قال أبو عبيد: يُضرَب في قلّة التجارب كما قال الشاعر:

وصف الغزو بالخُرق لخرق الناس فيه، كما قيل: ليل نائم لنوم الناس فيه.

أقول: لقد شُغل المجتمع البدوي القديم بالغزو والقتال لأسباب اقتضتها ظروفهم فمنها ما كان يتصل بعيشهم وقلّة مواردهم، ومنها ما كان طلباً للثأر، ومنها ما كان امرٌ يقتضيه أن يشاركوا حلفاءهم الذين اضطروا إلي الغزو.

ومن هنا كان المثل إشارة إلي تجربتهم في هذا السلوك الإنساني القديم.

ومن تجاربهم الخاصة ما نستجليه في قولهم:

٤٦- إنّه نَسيج وَحْدِه.

قال الميداني:

وذلك ان الثوب النفيس لايُنسَج علي منواله عدة أثواب.

قال ابن الأعرابيّ: معني «نَسيج وحده» أنه واحد في معناه ليس له فيه ثانٍ كأنّه ثوب نُسِج علي حِدته لم يُنسج معه غيره.

وكما يقال: «نَسيج وحده» يقال: «رَجُلٌ وَحْده».

ويروَي عن عائشة أنها ذكرت عمر ـ رضي الله عنهما ـ فقالت: كان والله أحوَذياً، ويروي بالزاي، نسيج وَحده، قد أعدَّ للأمور أقرانها، قال الراجز:

جاءت به معتجراً ببُردِه ... سفواءَ تردي بنسيج وَحْدِه

أقول: وهذا المثل قد وُصل إليه من حيّز ما يعملون في قضاء حاجاتهم، ومثله في هذه الخصوصية قولهم:

٤٧- إنما يُعاتَب الأديمُ ذو البَشَرة

قال الميداني:

المعاتَبة: المعاوَدة، وبَشَرة الأديم: ظاهره الذي عليه الشعر، أي أن ما يُعاد إلي الدِّباغ من الأديم ما سَلِمَت بشرته.

يضرب لمَن فيه مراجعة ومُستَعتَب.

قال الأصمعي: كل ما كان في الأديم محتَمل ما سَلِمت البَشرة، فاذا نَخِلَت البَشرةُ بَطَل الأديم.

٤٨- اذا سَمِعْت بسُرَى القَيْن فاعلَمْ أنّه مُصْبِح.

قال الميداني:

قال الأصمعي: أصله أن القَيْن بالبادية يتنقّل في مياههم، فيُقيم بالموضع أيّاماً، فيَكسِدُ عليه عَمَلُه، ثم يقول لأهل الماء: إني راحل عنكم اللّيلة، وإن لم يرد ذلك، ولكنه يشيعه ليستعمله من يُريد استعماله، فكثُر ذلك من قوله حتي صارَ لا يُصدَّق.

يُضرَب للرجل يعرفه الناس بالكذب، فلا يقبل قولِه وإن كان صادقاً، قال مهشل بن حرّيّ:

وعهد الغانيات كعهد قينٍ ... ونَت عنه الجعائل مستذاق

كبرق لاحَ يُعجب مَن رآه ... ولايشفي الحوائمَ من لَماقِ

حدَّث أبو عبيدة عن رؤبة قال:

لقي الفرزدق جريراً بدمشق، فقال: يا أبا حزرة أراك تَمرَّغ في طواحين الشأم بَعْدُ، فقال جرير: أيهاه إذا سمعت بسُرَي القَيْن فإنه مُصبح.

قال: فعجبتُ كيف تأتّي لهما، يعني لفظ التمرُّغ ولفظ القين، وذلك أن الفرزدق كان يقول لجرير «ابن المراغة»، وهو يقول للفرزدق «ابن القين».

ونمضي في شؤونهم فنقرأ المثل:

٤٩- أبَى الحقين العِذَرة

قال الميداني:

الحقين: اللبَن المحقون، والعِذرة: العُذر.

قال ابو زيد: أصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً، وعندهم لَبن قد حقنوه في وَطْب، فاعتلّوا عليه واعتذروا، فقال: أبَي الحقين قبولَ العذر، أي إنه يكذبهم.

ومما يندرج في هذا الباب قولهم:

٥٠- أثر الصِّرار يأتى دون الدِّيار

قال الميداني:

الصِّرار: خيط يُشَدّ فوق الخِلْف والتودية لئلاّ يرضع الفصيل، والذِّيار: بَعَـر رطب يُلطَخ به أطباء الناقة لئلا يرتضعها الفصيل أيضاً، فإذا جُعِل الذيار علي الخِلف ثم شُدَّ عليه الصِّرار فربّما قَطَعَ الخلف.

يُضرَب هذا في موضع قولهم: «بَلَغ الحزام الطُّبْيَين» بمعني تجاوز الأمر حدّه.

أقول: ومثل هذا «بَلَغ السيل الزُّبَي».

خاتمة:

عرضت في هذه الأمثال التي عدّتها خمسون وقصدت أن يقف القارئ علي صلة المثل القديم بالبيئة العربية، وكيف يكون المثل صورة لها يرمي إلي تجارب حدثت تماثل نظائرها في كل زمان.

من مواد المعجم التاريخي:[1]
الجمع في طائفة من الكلم القديم

كثر الحديث عن «المعجم التاريخي» وربما وصل العرب هذا المصطلح الجديد مما عرف في الدراسات المعجمية الحديثة، أن هذه الدراسات مهما اكتسبت من «التغريب» لايمكن أن تستغني عن الأصول اللغوية، ذلك أن الجديد اللغوي لابد أن يحتفظ بشيء من علاقة عضوية بالأصول القديمة.

ولنا أن نسأل أنفسنا: ألنا من تراثنا «معجم تاريخي؟» وهل لنا أن نعد مثلاً «لسان العرب» ضرباً من هذا المعجم؟

والجواب عن السؤالين هو أننا لانملك هذا المعجم، وليس «لسان العرب» ولاغيره من المطولات هو هذا الذي نتساءل عنه.

إن «المعجم التاريخي» يجب أن يكون قائماً علي العناية بالأصول، ثم الفروع عن هذه الأصول، وهذا يعني أنه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها إلي نهايتها، ولا أريد بـ«النهاية» الموت والفناء وإن يكن هذا من الأمور الحاصلة في جمهرة من الألفاظ التي عفا عليها الزمن، أو قل قد انتفت الحاجة إليها.

إن لكل كلمة من الكلمات في العربية، كما هي الحال في كل لغة «سيرة» وهذه السيرة تخضع لظروف عدة، وتكون حاجة من حاجات المعربين.

ومن هنا كانت الكلمة محكومة بحاجات ماتني تزداد يوماً بعد يوم علي أن هذا الجديد من الحاجات لايخلق من اللفظ شيئاً من عدم، بل إن المعربين يكونون مسوقين إلي البحث عما لديهم من اللفظ فيعملون فيه النظر حتي يكون لهم الجديد في الأبنية التي عرفوها في العربية.

ولنا أن نقول إن المعجم التاريخي في ضبطه لأفراد هذه اللغة لايكون محكوماً بل ساعياً إلي

(١) نشرت في مجلة المعجمية في وقائع ندوة المعجم العربي التاريخي تونس من ١٤ إلي ١٧ ١٩٨٩.

البحث عن الصواب والخطأ، ذلك أن «الصوابية» في كثير من الألفاظ لاتخضع للاعتبار، إن النظر إلي التطور «الصحيح» يبعد عن الخوض في الخطأ.

أننا حين نبحث في سيرة اللفظة فنراها تكتسي لبوساً خاصاً في كل عصر اتساعا ومجازا وتشبيها، ونحن نقبل هذا اللبو،س، بل قل إننا محكوم علينا أن نقبله، نكون في ذلك غير محصورين في دائرة الضيق ونتجاوز بذلك الحدود إلي أبعد من عصر الاحتجاج.

مازالت العربية القديمة موضع درس، وأن الكثير من نوادرها يسترعي النظر، وقد بدأ لي أن طائفة من الكلم المجموع تقتضينا أن نعود اليها غير مكتفين بالذي شاع من أبنيتها.

إن مصادر العربية القديمة ولاسيما مطولات المعجمات قد توقفت في طائفة فسردت فيها أقوالاً لاتخلو من التضارب، وأن الدارس ليقف فيها علي حشد من الآراء والتأويلات، وكان لي أن وقفت وقفة طويلة علي طائفة من هذه المواد أبدؤها بمسيرة تاريخية لأشير في خاتمة المطاف إلي ما آلت إليه، وسأرتب هذه بحسب أوائلها دون النظر إلي أصولها الاشتقاقية، ودونك ـ صاحبي الدارس المعني ـ هذه المواد:

١ـ سِجـال:

ان هذه الكلمة قديمة، ولكنها بقيت في العربية المعاصرة، والمعربون في أيامنا درجوا علي استعمالها مصدراً كأن أقرأ في «صحيفة الشرق الأوسط»[٢] في مناظرة في الثقافة والأدب، لماذا اختفي «السجال» من حياتنا الثقافية؟.

والذي يخلص من هذا أن السجال بمعني الجدال والمناظرة، وهذا هو الجاري لدي الكتاب في مقالاتهم وأبحاثهم، ومن هذا مايقول آخر: اشتدّ «السجال» بين الأطراف كافة، وهذا شئ فاش كثير.

أقول: و«السجال» بهذا الاستعمال وهذه الدلالة شيء جديد مستوحَي من معني السجال في الأصل.

«السجال»: جمع سَجْل بمعني الدلو الممتلئة ماءً، ولايكون سجل إلا وهو ممتليء ماءً قال لبيد:

يُحيلُون السجال علي السجال[٣].

وفي حديث أبي سفيان: أن هِرَقْل سأله عن الحرب بينه وبين النبي ـ صلي الله عليه

(٢) الشرق الأوسط في ١٩٨٩/٤/٢٦.
(٣) لسان العرب (سجل).

وسلم ـ فقال له: الحرب «سجّال» معناه: إنّا نُدَال عليه، ويُدَال علينا أخري[٤].

أقول: وقوله: «الحرب سجال» علي التشبيه، أي هي كالسجال يتناوب فيها المستقيان من البئر، وهي كما في الأصل جمع «سَجْل» وليس فيها شيء مما درج عليه المعاصرون الذين حولوا الكلمة في استعمالهم إلي «مصدر» وكأنه في استعمالهم مصدر لـ «ساجل» مثل: سابق ومصدره «سباق» و «مسابقة».

أقول أيضاً: أن الأقدمين ذهبوا في دلالة «السجال» وهي جمع إلي معني المبادلة والمعاقبة فأخذوا من السَّجْل وهو الاسم المساجلة ولم يحولوا السجال إلي مصدر نحو: السباقَ والمسابقة، والصراع والمصارعة، وغيرهما كثير جداً.

وأريد أن أقول أن مصدر «فاعل» هو المفاعلة والفعال وهذا لايعني أن كل فعل علي هذا يأتي منه هاتان الصيغتان فكثيراً ماكتفي في العربية بأحدهما وهجر الآخر علي قياسيته. ألا تري أنك تقول: «المباراة» من الفعل «بَارَى» ولا تقول برَاء ولم يجر به الاستعمال. وتقول: مضاحكة ولاتقول ضِحَاك وتقول ملاعبة ولاتقول لِعَاب وتقول مكاثرة ومكابرة ولاتقول كِثَار ولا كبار.

ومن هنا كان علي المعاصرين أن يكتفوا بـ «مساجلة» لأن السجال بقيت في العربية جمعا، ولم ترد مصدراً وإن كانت قياسية كالمساجلة.

واستعمل الزملكاني صاحب «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»[٥] في كلامه علي الأحرف في فواتح السور كلمة التساجل، ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة، ولكن المؤلف جعله من قبيل التبادل والتناوب ونحوهما، وكان موفقاً فيه، قال:

«إنها كالمهيّجة لمن يسمعها، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل في الإعلام»..

أقول: فكيف نقول في «سجال» في استعمال المعاصرين الذين حولوها مصدرا؟

الجواب عن ذلك: ليس من ضير في هذا، وقد استوحى المعاصرون هذه الدلالة من المعني في الأصل وأنها شيء مثل المساجلة بل قل نظير المساجلة في القياس، وليس لي أن أهرع إلي القول بـ «الخطأ».

---

(٤) المصدر السابق.

(٥) من منشورات ديوان رئاسة الأوقاف في بغداد، سنة ١٩٧٤ وانظر ص٥٧.

أقول: إن المعاصرين حين درجوا علي استعمالهم هذا، لم يشعروا أنهم تجاوزوا الأصل، ولعل كثيرين منهم لم يعرفوا دلالة «السجال» في استعمال العرب الأقدمين، ولكنهم يستعملون الكلمة حين يبدؤها أحدهم فتشيع، أفلي أن أقول: إن الكلمة قد «تُرْزأ» بشيوعها؟ علي أن في العربية شيئاً من هذا التحول كما سنري.

٢- شتّـى:

استعملت «شتي» في قوله تعالي: ﴿إن سعيكم لشتّي﴾[٦]، والمعني: مختلف متعدد والكلمة خبر والخبر يفيد الوصف، وكأنّ «شتي» نعت أو صفة في المعني في حين وردت للمبتدأ اسم ذات في قوله تعالي ﴿وقلوبهم شتي﴾[٧].

والخبر «شتّي» في الآية توميء إلي أنها، شتي جمع شتيت، كما سنري في المثل العربي القديم، الذي يشير إلي دلالتها علي الجمع «شتي يؤوب الحلَبَة»[٨].

وكلمة «شتي» في الأصل جمع شتيت مثل جريح وجرحي ومريض ومرضي.

وقد فطن إلي هذا الدكتور مصطفي جواد[٩]، وأشار إلي أنها في الاستعمال قد ابتعدت عن بناء الجمع وتحولت إلي ما يشبه النعت أو الصفة.

أقول: والذي ذكرته أنا من استشهاد بالآية الكريمة لدليل كاف يؤيّد رأي الدكتور مصطفي جواد في تحول هذه الكلمة إلي معني الصفة أو النعت كما أن استشهادي بالمثل القديم يدل علي أصالة الجمع فيها.

٣- غُزّى:

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالي: ﴿أو كانوا غُـزّي﴾[١٠]، في المصحف الكريم الذي بين أيدينا، وقرِئت «غُزَاة» بضم الغين وفتحها كما قُرِئتْ «غِزيّ» بكسر الغين وتشديد الياء،

---

(٦) ٤ سورة الليل.

(٧) ١٤ سورة الحشر.

(٨) مَثَل يضرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الأخلاق. انظر: مجمع الأمثال ٣٥٨/١ (ط. دار الفكر) ـ بيروت.

«شتي» بمعني متفرقين، وهي في موضع الحال، أي يؤوب الحلبة متفرقين.

(٩) محاضرات الدكتور مصطفي جواد لطلبة دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٤٣م.

(١٠) ١٥٦ سورة آل عمران.

وكلها بمعني الجمع، والمفرد «غَازٍ»[11]، وكذلك (غَزي) مثل (نَدي) و (نَجي) وهما جمع (ناد وناج). والذي دل عليه الاستقراء أن بناء «فُعَّل» من أبنية الجمع يكون جمعا لـ «فاعل» صحيح اللام لامعتلها نحو: ساجد وراكع، وجمعهما «سُجَّد» و «رُكَّع» ومن هنا كان «غُزَّى» في لغة التنزيل العزيز من الجمع القليل.

ومجيء غزى في الآية يقدم فائدة تاريخية نخلص منها إلي أن اللغويين حين عرضوا لأصول اللغة لم يفيدوا الفائدة القصوي من لغة التنزيل.

٤- فوْضَى:

وهذه كلمة أخري وُفِّقَ إلي معرفتها الدكتور مصطفي جواد ـ رحمه الله ـ حين لمح الجمع في دلالتها وقال: هي «فَضِّي» في الأصل ثم عرض لها الإبدال بعد فك الإدغام فصارت «فوضي» وقال: إن المفرد منها فضيض مثل شتيت التي جمعت شتي وقد سبق الكلام عليه.

أقول: لم يكن شيء من هذا لدي اللغويين الأقدمين كما نستفيده من المعجمات ذلك

---

(١١) لم يرد فاعل علي «فُعَّل» في الناقص إلا هذا الجمع، والكثير فيه بناء «فُعَلَة» نحو: حَامٍ وجمعه «حماة» وداعٍ وجمعه «دعاة»، وهذا كثير فاش. غير أن في العربية نوادر تبتعد عن الكثير المسموع، ومن هذا ورد «جُمَّل» بمعني الجبال الغليظة جمع «جمل».
ولنا أن نستشهد بقوله تعالي: ﴿حتي يلج الجمل في سمّ الخياط﴾. ٤٠ سورة الأعراف، وقد جاء في «الجمل» في هذه الآية كلام كثير، فقد قرأ ابن عباس «الجُمَّل» بمعني الجبال المجموعة.
وروعي عن أبي طالب أنه قال: رواه الفراء، قال: ونحن نظن أنه أراد التخفيف.
قال أبو طالب: وهذا لأن الأسماء إنما تأتي علي «فَعَل» مخفف والجماعة تجيء علي «فُعِل» مثل صوم وقوم. قال أبو الهيثم: قرأ أبو عمرو والحسن، وهي قراءة ابن مسعود «حتي يلج الجمل» مثل «النغر».
وحكي عن ابن عباس: الجُمَّل» بالتثقيل والتخيف، فأما «الجُمَل» بالتخفيف فهو الحبل الغليظ وكذلك «الجِمَّل» مشدد. قال ابن جني: هو «الجمل» علي مثال «نغر» والجمل علي مثال «قفل»، والجمل علي مثال «طنب» و«الجمل» علي مثال «مثل».
قال ابن بري: وعليه فسر قوله تعالي: ﴿حتي يلج الجمل في سم الخياط﴾، فأما «الجُمْل» فجمع «جمل» كأسد جمع «أسد» ولنرجع إلي «غزى» فنجد الأزهري يقول: «الغزّي» علي بناء الركّع و«السجّد» واستشهد بالآية وجاء في جمع «غازٍ» «الغزّاء» بالمد مثل فاسق وفسّاق (انظر لسان العرب «غزو»).
ومن المفيد أن أشير إلي ما ورد في إنجيل متي مما يتصل بـ «الجُمَل»، وقد ذهب الشراح إلي أن المراد هوالحيوان المعروف ثم عرض نفر من الشراح فصححوا شرحهم وذهبوا إلي أن المراد بـ «الجمل» هو الحبل الغليظ.

أنهم ذكروا: فَوْضَي وفَيْضَي و«فيضوضا» ولم يلمحوا أن أصلها فَضَّي علي نحو ماذهب إليه الدكتور مصطفي جواد.

أقول: إن فوضي قد حولت في استعمالهم إلي نوع من المصدر، وكأنها صارت تفيد ما يفيده «الاضطراب» وعدم النظام وهذا في استعمال الأقدمين أيضا، غير أننا نجد في شعر الافوه الازدي قوله:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَي لا سَرَاةَ لَهُمْ
وَلا سَرَاةَ إذَا جُهَّالهم سَادُوا(١٢)

وكلمة فوضي تفيد الوصف ومعناها مختلطون ومن هنا يصح لي أن ألمح صواب ما ذهب إليه الدكتور مصطفي جواد(١٣).

٥- مشاكل:

أقول: هي كلمة شاعت في العربية المعاصرة جمعاً لـ «مشكلة» وهي في الاستعمال القديم جمع سالم مؤنث «مشكلات».

وقد كثر استعمال مشكلة في العربية المعاصرة، وكذلك جمعها، لقد اختار المترجمون النقلة في المشرق العربي كلمة مشكلة مؤنثة للكلمة الانقليزية Problem فشاعت وكتب لها السيرورة، ولو أنهم اختاروا كلمة أخرى بمعناها نحو معضلة مثلاً لشاعت أيضاً، في حين وجد المترجمون النقلة في المغرب العربي أن هذه الكلمة في الفرنسية مذكرة فاختاروا لها «المشكل».

ولن تجد التونسي إلا قائلاً المشكل في هذا الأمر هو كذا وكذا كما لن تجد المشارقة إلا قائلين «المشكلة الكبري» ثم أعود إلي جمعها فأقول إن «مشكلة» هي بناء اسم الفاعل من

---

(١٢) انظر لسان العرب «فوضي» وجاء فيه بما يُشْعِر الصفة وليست جمعاً قول الشاعر:
طعامهم فوضي فضا رحالهم ولا يحسبون السوء إلا تنـاديـا
وهم فوضي أي مختلطون لا أمير لهم يجميهم.
ويقال أيضاً، فيضي، وفيضيضا، وفوضوضا، ويمدّ جميعه.

(١٣) أقول: رجعت إلي مادة «فضض» لأتبين معناها في الأصل وأعرف الصلة بينه وبين ما آلت إليه بعد الإبدال. لقد عرفت أن «الفضّ» هو الكسر، وأن الدلالات للكلمة كلها لاتبعد عن الكسر حقيقة ومجازا، و«الفضيض» هو المكسور. وإذا كانت «فوضي» تعني «المختلطين» فكأنهم أجزاء متفرقة اختلطت علي غير نظام.

الرباعي نحو «معضلة» وجمعها معضلات ولانقول معاضل كما نقول مشاكل ولكننا نقف علي قوله تعالي: ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾[١٤].

واسم الفاعل هذا لا يأتي منه «مفَاعل» في الجمع إلا نوادر قليلة و«المراضع» جمع «مُرْضِعة» لا «مرْضَع» ومن هنا يكون لنا أن نحكم بصحة مشاكل ولي أن أقول في هذا الجمع ماقيل في جمع مصيبة فقد جمعت علي مصائب وهو الكثير ولكنه علي غير قياس وجمعت علي «مصاوب» واسم الفاعل لايجمع علي مفاعل إلا أنهم توهموا أن المفرد مصيبة علي وزن فعيلة لا «مُفعلة»[١٥].

وكأن هذا الذي عبروا عنه بـ «التوهم»[١٦] صوغ هذا الخروج عن القياس.

---

(١٤) ١٢ سورة القصص.

(١٥) انظر لسان العرب مادة (صوب). ثم أن الجمع «مصائب» بالهمز، فضلاً عن خروجه عن القياس كما قالوا، فيه خروج آخر عن القاعدة الصرفية التي تقضي بعدم قلب الواو والياء همزة عند الجمع كما نقول في جمع «مشيخة» «مشايخ» بالياء، وفي جمع مصيدة «مصايد»، ولكن المعاصرين استبدلوا بالياء همزة ظناً منهم أنه هو الفصيح فقالوا: «مشائخ» و «مصائد». وعلي هذا خطأ البصريون «معائش» في قراءة نافع المدني، وذهب أهل القراءات إلي أنها قراءة موثقة صحيحة، والقراءة العالية حجة، ونافع من أهل الثقة في هذا الفن.

(١٦) جاء في العربية «المسيل» أي السِيلان، وهذا يعني أن الأصِل هو مادة «س ي ل» غير أن جمع «مسيل» جاء علي «أمسلة» و «مسُل» و «مسلان» و «مسائل»، وكله توهم أصالة «الميم» في «مسيل» أي أنه علي بناء «فعيل».
والذي ألاحظه أن الجمع الأخير «مسائل» بالهمزة، والقاعدة الصرفية تقضي أن يكون بالياء «مسايل» لأصالة الياء في «س ي ل». وكأن الاستعمال قد خرج علي القاعدة الصرفية، أو أن أصحاب المعجمات واللغويين قد أغفلوا القاعدة الصرفية، نظير ما جاءت في «مصائب»، ونظير الشائع الكثير علي التوهم أو الخطأ في «مصائد» و«مشائخ».
ومثل هذا جمع «مكان» علي «أمكنة» بتوهم أصالة الميم من «كان» وكأنها وزان «متاع» وجمعها «أمتعه». ولابد أن يكون أصل «مكان» من مادة ك و ن. إن مادة «ك ن ن» كما في «كن» و«كنان» كلها تدل علي الظرفيّة المكانية، وكذلك «و كِ ن» أقول: ولكثرة استعمال «مكان»، واقترَانه بـ «زمان» جعلت الميم أصلاً علي التوهم فجمع هذا الجمع وأصله «الكون» أو «الكينونة». وكأن هذا المصدر الآخر يومىء إلي أن «الكون» الأجوف جاء من الثلاثي المضاعف «ك ن ن»، كما أن «الغيبة» و «الغياب» من «الغبَ» ويستدل علي هذا من «الغيبوبة». وقد نلمح المضاعف يتحول إلي الناقص كما في «غض» الذي تحول إلي «أغضي» ومثله بوجه خاص تحول «مطّ» إلي مطِي» مع بقاء التشديد و «مطل» الفتح في الطاء من «مط» كما ورد في قوله تعالي: ﴿ثم ذهب إلي أهله يتمطّي﴾ «٣٣ سورة القيامة». والاستقراء الكثير في الأفعال يدل علي نظائر هذا الأخير ومنه: «ذَر الذل يتحول إلي ذري».
وأعود إلي «كون» و «ك ن ن» فأجد أن الدلالة واحدة تجمع بين الإثنين، فكلاهما يشير إلي «الوجود». ولعل من هذا أيضاً «الضُر» و «الضرر» من المضاعف و«الضير» من باب الأجوف. وأنا أجتهد فأقول: انّ المضاعف هو الأصيل، ذلك أنه الخطوة الأولي في تحول الثنائي «ضر» إلي ثلاثي وهو ضرر، والاستقراء يشير إلي كثير من هذا.

٦- مصائر:

أقول: في تاريخ هذه الكلمة المجموعة أنها جمعت وشاعت في هذه الصيغة في العربية المعاصرة ذلك أنها وردت مفردة عدة مرات في لغة التنزيل[١٧] وأن ورودها مفردة في لغة التنزيل يشير إلي أن الكلمة وهي مفردة، تؤدي ما يراد منها، فليس ثمة حاجة إلي أن تجمع.

وقد نسأل: لم كان هذا الجمع؟ والجواب عن هذا أن العربية المعاصرة جمعت الكلمة تأثراً باللغات الغربية التي ترد فيها هذه الكلمة مجموعة، كأن يقال فيها «مصائر الأمم» أو «مصائر» الشعوب التي مازالت تحت نير الاستعمار ومثل هذا.

والكلمة الانقليزية Destiny والكلمة الفرنسية Destin أو الكلمة الأخري Sort يأتي كله مجموعاً في هاتين اللغتين:

ولما كنا ننقل عن هاتين اللغتين اضطراراً وحاجة فلابد أن ننتهي إلي هذا الذي حصل من جمع هذه الكلمات، أقول أيضاً: إن المعربين في عصرنا يجهلون دقائق العربية وهم يحسبون مصائر بالهمز فصيحة، ولو قال أحدهم «مصاير» لحسبوا أنّه متأثّر بالإعراب الدارج العاميّ ولم يعلموا أن «مصاير» بالياء هي الفصيحة وأن الياء فيها لاتبدل همزة، وهي نظير مصايد ومشايخ وليس لنا أن نهمز هذه الألفاظ لأن الياء فيها أصل.

إن الياء في مصاير ليست كالياء في حديقة التي تبدل همزة في الجمع فنقول: حدائق لأنها زائدة وليست أصلية والفعل «حدق».

ثم إن المعاصرين قد جمعوا «مصير» علي «مصائر» جمع توهم، فكأن الميم أصل في الكلمة، وهي بذلك وزان «فعيل» كما قيل في «سرير» «سرائر» وهو غير «سرر» و«أسرّة».

وقد مرّ شيءٌ من هذا في تعليقنا علي «مصيبة» و «مصائب»، ومصير اسم مفعول لايمكن أن يجمع علي مصاير لولا فذلكة التوهم.

---

(١٧) وردت كلمة «مصير» في لغة التنزيل ٢٨ مرة اجتزيء منها بما أثبته: قوله تعالي ﴿وبئس المصير﴾ ١٢٦ البقرة، وقوله تعالي: ﴿وإلي الله المصير﴾ ٤٢ سورة النور، وقوله تعالي ﴿وساءت مصيرا﴾ ٩٧ سورة النساء. وقوله تعالي: ﴿قل تمتعوا فإنّ مصيركم إلي النار﴾ ٣٠ سورة ابراهيم. أقول: «إن المصير في هذه الآيات يعني النهاية والعاقبة، وهو هنا مصدر ميمي بمعني الصيرورة أو الصير. وقد يكون في هذه الدلالة الأصلية أساس لكلمة «المصائر» في اللغة المعاصرة، هذه الكلمة التي تجاوزت في جمعها معني النهاية أو العاقبة إلي شيء آخر يتصل بما سيؤول إليه الأمر من أحداث.

٧- **مصاعب:**

«المصاعب» جمع «مُصْعَبْ»، وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة.

قال أبو ذؤيب:

كأنّ مصاعيب زُبٌّ الرؤو س في دَارِ صَرْمٍ تَـلاقَي مُريحا

قالوا أراد «مصاعب» فزاد الياء لتأتي له «فعولن».

أقول: وجدت هذا دليلاً علي أن حذف الياء هو الفصيح وليس العكس.

وقد فات الدكتور مصطفي جواد هذا في ذهابه إلي أن جمع معجم هو معاجيم كأنه حملها علي المسانيد جمع مُسنَد والمراسيل جمع مرسل من مصطلحات الحديث الشريف.

بين الأصالة والتوهم

ذكرت أن «المسيل» هو السيلان، ومن هنا كانت الميم زائدة، ولما جمع المسيل علي «أمسلة» و «مُسُل» و «مُسْلان» و «مسائل»، علم أنهم توهموا أصالة الميم، وهي زائدة في الحقيقة.

والأمر يتجاوز هذا ذلك ان اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم، وكأنها أصل، وزاد فيها المعربون وذهبوا كل مذهب فكان منها «الـمَسَل» لمسيل الماء أيضاً وكان منها «الـمَسْل» بإسكان السين للقطر. ومن عجب أن جملة هذا في مادة «مَسَلَ» ولم يكن له إشارة في مادة «سَيَل» ومن هذا أيضاً أن «مدينة» قد جمعت علي مدائن، ولم يلتفت إلي أصالة الياء بل حسبت مثل ياء «فعيلة» زائدة فجمعت علي ذلك فكانت «مدائن». وقد جعلها اللغويون أصلاً في المعجم القديم «م د ن». والحقيقة التاريخية تشير إلي أنها «د ي ن»، غير أن مادّة «د ي ن» في المعجم القديم قد خلت مما يشير إلي «المدينة». إن المدينة تشير في صوغها إلي أنّها من «الدين» أي الحساب ومن هنا انصرفت إلي معاني التمدن والتحضر. أن «يوم الدين» في الأدب الإسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم.

وهذا المعني هو نفسه في الأصول السامية، فبيت الدين هو هذا المعني في اللغة الآرامية، ومن هنا سميت كنيسة «بيت الدين»، وهي من حواضر لبنان. وبيت الدين في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم أي المحكمة.

فمن حقنا أن نضع الأصلين في المعجم التاريخي، ويشار في مادة «د ي ن» إلي مادة «م د ن». وقد فطن الأزهريّ إلي شيء من هذا في جموع «مسيل» التي تقدمت فقال: وهذه الجموع علي توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة، قال ساعدة بن جؤية: يصف النحل.

منها جوارس للسراة وتختوي[١٨] كَرَبَـات أَمْسِلَـةٍ إذا تَتَصَـوَّبُ

ولكن الأزهري حين أتي بالشاهد أراد أن يثبت معني «أمسلة» فيه فقال: و«الأمسلة» جمع «المسيل»، وهو الجريد الرطب، وجمعه «المُسُل».

---

(١٨) تختوي أي تأكل.

وقال: «سمعت أعرابياً من بني سعد نشأ بالإحساء، يقول لجريد النخل الرطب: «المسل»، والواحد «مسيل»[١٩].

ومن هذا أيضاً قولهم «ماء معين» أي صاف عذب نمير، وقد حسب «المعين» قال تعالي: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ ٤٥ سورة الصافات. وقوله تعالي: ﴿قل أفرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء من معين﴾ ٤٠ سورة الملك.

وقد ورد «المعين» في مادة «عين» في المعجم القديم، وروده هنا يشير إلي أصله وهو «عين الماء». كما ورد في مادة «معن»، ومن دلالات «المَعْن» الاستقاء[٢٠]. إلا إنّ «معن» دلت علي مواد كثيرة ابتعدت عن الماء والاستقاء فصارت مادة قائمة وحدها، لا صلة لها بـ«عين». ومن ذلك «المعان» بمعني المكان أو المنزل، و«الماعون» بمعني الطاعة والزكاة وأسقاط البيت.

ومن هذا أيضاً «المكان» الذي جمع علي أمكنة، وقد سبق الكلام عليه.

ولكني أضيف هنا إلي أنّ شهرة «المكان» وسيرورة استعماله جعلا منه أصلاً. أقول: «أصل» لأنهم أخذوا منه الفعل «م ك ن» الدال علي القدرة، و«التمكن» الثبوت في المكان والاستقرار فيه ثم اتُّسِعَ فيه إلي القدرة مطلقاً. و«المكين»: هو القادر المتمكن ذو المكان[٢١] وكأنهم حسبوه علي «فعيل» ولم يُلمِحوا إلي أنه من «ك و ن».

خاتمة:

وبعد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشققت فيها الكلام علي الأصول وماعرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتي انتهت إلي ما انتهت إليه. وكأني أدرك أن المعرب القديم تجاوز فيما دعي بـ «التوهم» مسألة الصواب والخطأ.

ومن عجب أنه صوّب مسائل ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها إلي الخطإ. ويحسن بي في هذا الصدد أن أفيد من سماحة لغة الذكر وشجاعتها فأورد منها: الأول: وهو مفيد كل

---

(١٩) لسان العرب («مسل») أقول: لم يرد شيء من هذا في مادة «سيَل».

(٢٠) قيل فيه: ماء معين أي معيون ووزنه «مفعول» وحسبت الميم أصلاً فقيل: وزنه «فعيل».

(٢١) قال تعالي: ﴿انك اليوم لدينا مكين أمين﴾ ٥٤ سورة يوسف.
﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ ٢١ سورة المرسلات.
﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ ١٣ سورة المؤمنون.

الفائدة من الناحية اللغوية التاريخية، قال تعالي: ﴿إن السموات والأرض كانتا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا..﴾ ٣٠ سورة الأنبياء. فعوملت «السموات» و«الأرض» مثّني فقال: «كانتا» ثم «ففتقناهما». فلينظر أصحابنا الذين لاعلم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ: ألا تري كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الإخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنهما مثني.

والثاني: مجيء مُفْعِلة مجموعة علي «مَفَاعِل» كما في قوله تعالي: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾(٢٢). أقول: و«المراضع» في سياق الآية تشير بوضوح إلي أنها جمع «مرضعة» وهي أدل من أن تكون جمع «مُرضع»، وإن كان هذا لايمتنع. ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به علي قوة جمع «مصائب» التي تقدم الكلام عليها. الثالث: وهو قوله تعالي: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾(٢٣).

وفي هذه الآية اجتمعت التثنية والجمع، فالمتحدث عنه مثنّـــي، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في «قالتا»، ولكن المحمول عليها من الوصف الذي جاء حالاً من الضمير في «أتينا» كانا جمعا مذكرا سالما وكأن السماء والأرض حين نسب اليهما ما هو خاص بالآدميين، وهو القول، صوّغ ذلك أن يجيء لهما ما جاء في الآية في قوله تعالي: ﴿أتينا طائعين﴾، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة.

أقول: لو كان لي أن أتوسع قليلاً لتجاوز مني هذا الموجز الصفحات الكثيرة، وفي الذي أوردته بعض ما أرمي إليه.

وهذه طائفة أخري من الجموع مما جاء في العربية علي «أَفَاعيل» و«فَعَالِيل» و«تَفَاعيل»، وقد يجيء علي «فَعَالِلْ» وأبنية أخري.

وقد بدا لي أن أعرض لهذه الطائفة من الجموع لخصوصية فيها، ذلك أن الجموع قد اهتدي إليها المعرّبون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها. إنهم بنوا الجموع علي مصادر موادها كما نري، وسأدرج هذه الطائفة من الجموع علي حسب حروف المعجم، ودونك ماوصل اليه استقرائي.

---

(٢٢) سورة القصص.

(٢٣) ١١ سورة فصلت.

١- أبابيل

«أبابيل» وهي الجماعة في تفرقة ولم ترد هذه في العربية سوي في قوله تعالي: ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾[٢٤].

قال القدامي من علماء اللغة وأصحاب «غريب» القرآن: إنها جمع لاواحد له بمنزلة «عباديد» و«شماطيط» و«شعاليل».

غير أن نفراً من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفردا، وكأنهم تخيّلوه وهو بحسب تصورهم: «إِبِّيل» و«إِبَّوْل» وقالوا أيضا «إِبَّالَة»، ولم يرد أيّ من هذه المفردات في نصوص العربية[٢٥].

٢- أساطير

«الأساطير» معناها ما سطره الأولون، وواحد الأساطير أسورة مثل أحدوثة وجمعها أحاديث أقول: وردت «الأساطير» في آيات عدة بقوله تعالي: ﴿أساطير الأولين﴾ والكلمة جمع، ولم يسبقها المفرد في الاستعمال بدلالة ما قيل في المفرد، فقد ورد في كتب اللغة: واحدة الأساطير إسطار وإسطارة وأُسْطير وأُسْطيرَة وأُسْطور وأسطورة.

وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَار، وأسطار جمع سَطْر فكأن «أساطير» علي رأي هؤلاء جمع الجمع.

---

(٢٤) ٣ سورة الفيل.

(٢٥) قلت: ان المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء، ولم يرد كذلك هذا الجمع إلا في الآية الكريمة التي ذكرناها. وعلي هذا يصح لي أن أجتهد فأذهب إلي سبق بناء الجمع وارتجاله في العربية.

ومثل هذا أبنية مجموعة أخري. وقد يكون لي أن أثبت أن العوام في الألسن الدارجة قد كان لهم شئ من هذا فالعراقيون ولدوا جمعاً هو «تفاليس» لمجموعة من «الافلاس» التي تتهيأ لأحدهم في «جيبه» زو محفظة نقوده فيقولون مثلاً: «لم يبق عندي سوي تفاليس» وهي «الافلاس» من النحاس. وليس من شك أن المفرد غير موجود في درجهم ولكنهم تصوروا الجمع وأفادوه من كلمة «فلس». وليس لنا أن نقول: ان المفرد «تفليس» بحسب القياس، ذلك أن هذا غير موجود يدرجون فيه من كلامهم. ومن هذا أيضاً استعمال عامةالعراقيين جمعاً آخر هو «تناتيف»، ويريدون منه الدقيق من قطع الأشياء المتفرقة التي يضمها المتكلم بعضها إلي بعض مع تفرقتها. أو كان أحدهم يأتي بأجزاء صغيرة تتصل بهذا الشئ أو ذاك وليس لهذه «التناتيف» مفرد هو مثلاً «تنتوف» أو «تنتوفة» أو «تنتيفة» بحسب القياس.

وسأذيل هذه الطائفة من الجمع بما ولَده العراقيون من العامة من هذا ولم يكن له مفرد.

وقال ابو عبيدة:: «سطر ويجمع علي أَسْطُر ثم جمع علي أساطير».

أقول أيضاً: وهي لاتخرج في الدلالة عما يسطر من كتابات وهي في قوله تعالي تحتمل النبز أي أن كتابات الأولين لاتعني شيئاً ذا قيمة.

وقد وردت في الجمع وهو المراد المقصود ولم يستعمل المفرد لهذا المعني في النبز، ومن أجل ذلك أعمل اللغويون نظرهم فوضعوه في عدة أبنية ذلك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذلك أبنية عدة في المفرد وأما ما يذهب إليه المعاصرون من فهم للأسطورة فلم يكن في نصوصنا الأدبية التاريخية شئ يومئ إلي شبه يسير بما يعرف عن «الأساطير» لدي الاغريق والرّومان وشعوب الشرق القديم. و«الأساطير» في فهم المعاصرين واستعمالهم جمع مرتجل لا واحد له ولكنهم قالوا: «أسطورة» وحملوها ما لها في اللغات الأجنبية "Fable" أو"Mythe" وحقيقة الأسطورة في العربية أنها تدل علي غير ماتدل عليه في اللغات الأجنبية: إنها مجموعة أسطر أو كتابة شئ مسطور. وهي مأخوذة من الجمع «أساطير» قياساً علي نظائرها الأضاحيك والألاعيب والأهاجي جمع أضحوكة وألعوبة وأهجية.

٣- أشائـب

و«الأشائب» هي الاخلاط، وهُرِعَ أهل «المعرب» الي القول إنها فارسية وان أصلها أشوب.

أقول: وأصحاب المعجمات جعلوها أصلا وهو «أَشَبَ» و «أَشِبَ الشيء» خلطه «والأُشابة» من الناس الاخلاط قال النابغة:

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائـب من غَسَـانَ غيـر أَشَائـب

أقول أيضا: ومن حق صاحب المعجم التاريخي أن ينظر في الأصولَ المتشابهة ويصل العلاقات بينها، إذ لابد لكل منها أن يتصل بصاحبه وأن هذه نسيج واحد يتصل سداه بلُحْمته.

إن مادة «أشب» لابد أن تكون مع مادة «شوب» شيئاً واحداً، فالشوبُ هو الخلط. وكل ما جاء في «الشوب» من دلالات كالعسل وغيره مثلاً كان معني «الخلط» حاضراً فيه.

و«الشائبة» وجمعها «شوائب» هي الأقذار والأدناس تومىء بوضوح إلي «الخلط» ومن هنا كان بين المهموز «أشب» والأجوف «شوب» علاقة الشيء إلي نفسه. أو قل: إن «شوب» هو الأصل قد ذُهِبَ به إلي المهموز ومن هذا الكثير في العربية ومنه «شور» ومنه «أشار» نجده واضحاً في «أَشَرَ».

ومن المفيد أن يشير صاحب المعجم التاريخي، وحقه ذلك، إلي مادة «شيب». إن دلالة

«الشيب» معروفة في العربية، وهو ابيضاض شعر الإنسان، ومنه الأشيب للرجل، ولا يقال للمرأة «شيباء».

والأساس هو اختلاط البياض بالسواد، وَخُصَّ بشعر الانسان. وكأن فكرة الخلط حين اكتسبت هذه «الخصوصية» اتسعت في العربية فأفادت من الواو والياء، فانصرف «شاب يشوب» إلي مطلق الخلط، وانصرف «شاب يشيب» إلي الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد. وهذا معروف في العربية وله نظائر، ألا تري أنّ «البَوْن» هو المسافة وأنّ «البين» هو البعد والفراق، وليس هذا وذاك بعيداً عن كلمة «بين» الظرف المكاني ثم الزماني. ومثل هذا «الطَّيْر» ودلالته معروفة، و«الطور» ودلالته علي التقلب منصرفا إلي مصدر أُميت فعله هو «طاريطور».

٤- أظافير:

و«الأظافير» جماعة الأظفار.

وقالوا: الظُّفْر وجمعه أظفار وأُظْفور[٢٦] وأظافير.

(٢٦) أقول: إذا كان «الأظفور» بضم الهمزة يدل علي الجمع مع أنه قد يدل علي «الظُّفْر» فهو في هذا لايدخل في باب اسم الجمع، وهذا قليل.
ومن المفيد أن أشير إلي أن بناء «أفعول» بفتح الهمزة من أسماء الجمع وهو كثير في اليمن، قال الأستاذ القاضي اسماعيل بن علي الأكوع في مبحث له مفيد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد ٦١ مج٢) في «الأفعول» وما جاء علي وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن.
«وكان لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني المتوفي في حدود منتصف المئة الرابعة للهجرة هو أول من تنبّه إلي هذا الأمر فقد ورد في كتابه «الاكليل» ما لفظه: وكثير من قبائل حمير تأتي علي «الأفعول» (الاكليل) ٤٩٩/٢ وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «وإنما هذا اسم كأنّه جماع قبيلته (الاكليل ١٢٤/١). وقد سار القاضي اسماعيل بن علي الأكوع علي هذا النهج فاستوفي في مبحثه الذي أشرنا إليه ماجاء علي «أفْعول» من أسماء الإعلام والقبائل والبلدان. وأشار إلي أن هذا الوزن موجود في الحبشة، وقال: «وأغلب ظني أنه انتقل إليها من المؤثرات الثقافية في اليمن. وأشار إلي ما ذكره: «ديتلف نيلسن» في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص٣١.
وأشار إلي قول الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه «بين الحبشة والعرب» ص١٠٣، ٣٠٤ الذي ذهب فيه الي أن هذا الوزن حبشي ثم عرفه أهل اليمن.
قال القاضي الأكوع: «ولو أن الدكتور عابدين اطلع علي كتاب «الاكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني لغير رأيه ثمّ قال: وقد تبين أن ما جاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل قولهم: في الأحباش «الأحبوش» (كتاب الاشتقاق لابن دريد ١٩٣) وفي العبيد جمع عبد «الأعبود» فهو صيغة جمع، وما جاء مضموم الهمزة مثل الأُصبوع والأُظفور لغة في الأُصبع والظُّفر، والأُسروع

وهو الأظفور، وعلي هذا قولهم أظافير، لاعلي أنه جمع أظفار الذي هو جمع ظُفْر.

أقول: والذي درج عليه المعربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع ظُفْر «أظافر»، فلم يرد في كلامهم ولا في كتابتهم «أظفر» ولا «أظافير». وقد تكون «أظافير»، وهو جمع «ظُفْر» أو «أُظْفُور» علي قول جماعة، غير داخلة فيما أنا فيه، ذلك أنها جمع مفرده معروف، وكنت قدمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدي اليها المعربون في ممارستهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ولم يرد في استعمالهم. ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدّة كما رأينا في «أبابيل» و«أساطير».

وسيقال إذن، لم ذكرت «الأظافير» وهي مخالفة لما اشترطت وذهبت اليه؟

وأنا أرد علي هذا القائل محترزاً بما ذهب إليه أحد الدّارسين المجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامَت حسين الكنتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل علي نوادر الألفاظ وما عرض لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتي تحولت من الثلاثي إلي الرباعي. وفي هذا الكتاب جاء أن «حذافير» أصلها «أظافير» وسيأتي هذا في حذافير.

والكتاب قد طبع وهو بخط اليد علي طريقة «طبع الحجر» في مجلدين في الهند.

٥- أظانين

و«الأظانين» علي غير قياس، وهي جمع «ظن» مثل «الظنون» وهي من النوادر، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة، أنشد ابن الأعرابي:

لأصْبحَنْ ظَالِماً حَرْبـاً رَباعيـة فاقْعُدْ لها ودَعَنْ عنك «الأظَانِينَا»

واحد الاساريع وهو الأغصان الرطبة التي تخرج من شجر العنب، والاسنوم عضات ترعاها الابل فهو في الأغلب صيغة مفرد مثل الأمْلوح والأملود وغيره. ثم مضي القاضي الأكوع يذكر ما ورد علي أفعول بفتح الهمزة من أسماء الجمع مرتبة علي حروف المعجم وكله كلمات يمنية في القبائل والبلدان جاءت علي بناء الجمع.

أقول: والذي ورد في العربية من بناء الجمع هذا ثلاثة ألفاظ ذكرها أهل اللغة وهي: «أُمْعُوز» للقطيع من الظباء، «أُحْبُوش» لجيل الحبش، و«أُرْكوب» للجماعة من الركاب، وهي بضمّ الهمزة ولم يذكروا معها «أسْطور» «وأُظْفُور».

وليس لنا أن نعمل فيها النظر والقياس فنذهب إلي أنها جمع «أظنونة» أو نقول: إنها جمع الجمع.

٦- بيوتات

و«البيوتات» جمع الجمع، ذلك أن «بيت» يجمع علي «بيوت» وأبيات ثم «بيوتات» علي جمع الجمع. إن جمع الجمع مادة لغوية لاتعني مايراد منها في اللفظ أي الجمع الكثير، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا العام ان «البيوتات» ذهبت إلي عدة قليلة من «البيوت» المشهورة والأسر نحو قولهم : «بيوتات قريش».

ومثل هذا قالوا: «رجالات» للجمع القليل من الزعماء والرؤوس كقولهم «رجالات العرب». إن جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد الخصوصية المتمثلة في القلة.

وقد استفيد من «جمع الجمع» في الشؤون الفنية فتحول إلي مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا، ومنها:

«الدفوعات» لمجموع ما يدفع في المصارف والبنوك.

و«القبوضات» لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حرفائها.

و«الحسومات» لمجموع ما يُحْسَمُ من الفوائد المصرفية.

ومن مصطلحات الصوفية «الفيوضات» و«الإشراقات» و«التجلّيات» وغيرها.

٧- تعاشيب

و«التعاشيب» : ضروب من النبت، لا واحد له. والعشب: النبذ المتفرق. أقول: هذا مما جري في لغة الأقدمين، ولم يكن بهم حاجة إلي كلمة منه تكون مفرداً.

٨- تفاريق

و«التفاريق» في قول ابن الإعرابي: إنّ العصا تُكْسَر فيتخذ منها ساجور، فاذا كُسِرَ الساجور اتُّخِذَت منه الأوتاد فإذا كسر الوتد اتُّخِذَت منه التوادي تُصرُّ به الأخلاف. كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه «تفاريق العصا» وهو يعني أن «التفاريق» مفيدة لصاحبها جاء في الرجز:

أَشْهَدُ بالمَرْوَةَ يوماً والصَّفَا أَنَّك خَيْرٌ من «تفاريق العصَا»

والرجز لغَنية الأعرابيّة، وقيل لامرأة قالته في ولدها، وكان سديد العَرامة مع ضَعْفِ أسْرٍ ودِقّة. أقول: ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفردا للتفاريق وأنك لو قلت «تفريق» بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع «تفاريق» في سلوك الأقدمين كما يشير أدبهم.

٩- تلابيب

و«التلابيب» بصيغة الجمع في لغة المعاصرين، وأنت تقرأ في أدبهم: «وأمسك بتلابيبه»، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ «التلابيب» هو أطراف الثوب.

وهذا هو دأب المعاصرين أنهم كثيراً ما يستعملون الكلمة فيعطونها شيئاً من معناها أو مايقرب منه فيحدث في دلالتها مايمكن أن أدعوه «تطوّر إلي الخطأ».

أقول إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لاجمع، ودونك ما جاء من ذلك: قالوا: وتَلَبُّبُ المرأة بمنطقتها هو أن تضع أحد طرفيها علي منكبها الأيسر وتخرجة وسطها من تحت يدها اليمني، فتغطي به صدرها، وترد الطرف الآخر علي منكبها الأيسر.

وقالوا أيضاً: و«التلبيب» من الإنسان هو ما في موضع اللَّبَبُ من ثيابه، وتلبّب الرجل، تحزم وتشمّر و«اللَّبَبُ» كاللَّبَّة وهو وسط الصدر والـنْحَر. و«لَبَّبَ الرجلَ» جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قَبَضَهُ وَجَرَّهُ، وأخذ بتلبيبه كذلك.

أقول: بعد هذا التوسع نصل إلي ما جاء في التهذيب للأزهري قال: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان. وفي الحديث: فأخذت بتلبيبه وَجَرَرْتُه.

ومن هنا يتبين أنّ الكلمة استعمل مفردها ولم يرد المعربون القدماء حاجة في الجمع لأنه لايدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح. ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة «مجموعة» إلي المعني الذي بسطناه فجمعوا ما لم يُعْرَف له جمع لانتفاء الحاجة اليه.

١٠- جراثيـم

و«الجرثومة» أصل كل شيء، وقيل: ما اجتمع من التراب في أصول الشجر. واستعملت علي التوسع فقالوا: فلان طابت أرومته وعزّت جرثومته.

ولم تكن بهم حاجة إلي جمعه علي جراثيم وإنْ كان هو القياس.

وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه الذي أشرنا إليه وهو «فقه اللسان»: «جراثيم» أصلها «سراشيم» جمع «سرش»، وهو عبراني بمعني الأصل، وقريب منه «ضرس» في العربية، جمعوا «سرش» علي قاعدةالعبرانية، ثم أخذه العرب بإبدال السين جيما والشين ثاء، وجمع علي الطريقة العبرية «الياء والميم»، وحسِب جمعا للجرثومة، ولكونها علي صيغة منتهي الجموع وضعوا لها مفردا.

انتهي كلام السيد المولوي.

أقول: والذي في السريانية والآرامية هو «شرش» للجذر من النبات والشجر، ومازالت العامية الشامية تعرف هذه الكلمة وكأن أهل الشام أدخلوها في عربيتهم الدارجة فجمعوها علي «شروش» نظير «جذر وجذور» وقد عرفتها الفصيحة المعاصرة في سورية ولبنان.

أقول أيضاً: وقد صرَّفَ المعاصرون الجراثيم إلي مصطلح علمي يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولّد الأمراض والآفات، وكأنها تعني ما يعنيه لفظ «مكروب».

١١- حذافير

و«حذافير» الشيء: أعاليه ونواحيه.

قالوا: فإذا نحن بالحي قد جاؤوا «بحذافيرهم» أي جميعهم.

أقول: وقالوا: المفرد «حذفور» أو «حذفار».

وقولهم: إن المفرد إمّا هذا وإمّا الآخر يوميء إلي أنّهم ولدوا هذا المفرد وليس له وجود في كلامهم، ولم نقف فيما بين أيدينا من نصوص علي «الحذفور» أو «الحذفار»، فهو شيء مما ولدوه من الجمع الذي فشا استعماله في كلامهم وأدبهم.

أقول أيضاً: إن الحذافير تعني في استعمال المعاصرين الأشياء الصغيرة والدقيقة التي تدخل مع الأجزاء الكبيرة في شيء واحد.

وكنت قد أشرت في «أظافير» إلي رأي المولوي الكنتوري الذي ذهب فيه إلي أنّ «حذافير» أصلها «أظافير» بعد إبدال الحاء من الهمزة.

أقول أيضاً: وقد يرد «حذاريف» علي القلب في كلام الناس وهي ليست من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج.

١٢- حزاقيـل

و«الحزاقيل» : خشارة الناس، لا واحد لها.

١٣- خراطيـن

و«الخراطين» كما في لسان العرب (خرطن) : ديدان طوال تكون في طين الأنهار.

قال الأزهري: لا أحسبها عربية محضة، وربما كان أصل الكلمة أنهم رأوا ذلك الدود يدب في البقاع الرطبة، ووجدوا من خير مميزاته أنه يخرأ الطين، فكأنهم قالوا: دود خرأ الطين، ثم بكثرة الاستعمال صار دود «خراطين» وبعد كونه كلاماً واقعاً صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم مقامه الوصف. ولمشابهة وزنه صيغة منتهي الجموع، حسبوه لفظاً واحداً جمعاً. ولغرابة نشأة الكلمة، ولعدم الحاجة الي ذكر واحد معين من تلك الديدان إن ما وضعوا له مفردا.

أقول: وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتجلت دون أن يكون لها مفرد.

قال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري في «فقه اللسان» : «خراطيم» مأخوذ من «خراطين» لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة بـ «الخراطين» وحسبوه جمعاً لوجود الوزن. ولشدة الضرورة إلي استعماله مفرداً وهو (خُرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للفيل أطلقوه علي السيّد الشريف المقدّم علي القوم، وعلي الخمر السريعة الإسكار، وأول ما يجري من العنب قبل أن يداس.

أقول: ومنه صاروا الي الفعل «اخرنطم» وما اكتسب من دلالة توميء إلي خرطوم الفيل.

١٤- خلابيـس

و«خلابيس» : الابل تَرْوَي فتذهب ذهابا شديدا فتُعنّي راعيها، يقال: أكفيكَ الإبل وخلابيسها.

وقالوا: «الخلابيس» بمعني الكذب، والواحد «خِلبيس» ، وقيل: لا واحد لها. أقول: ويتجه الظن إلي افتعال «خِلبيس» .

١٥- خناطيـل

و«الخناطيل» صفة لـ «إبل» خناطيل أي متفرقة، وكأنهم ولدوا منه «خُنْطُولة» مفردا

ولكنها من صنع القياس علي النظائر.أقول: لقد قالوا في أحاديث أنها جمع أُحدوثة ولكننا نجد الشائع الكثير أنّها جمع حديث، ومنه «الحديث الشريف» الذي جمع علي أحاديث. وكأن الأحدوثة علي صلتها بالجمع بقيت معزولة في استعمالها الخاص وهي من غير شك صُنِعَت قياسا علي نظائرها.

أقول: لم نقف علي خنطولة في أدب الإبل، ولكن الخناطيل معروفة لدلالاتها علي صفة في الإبل هي التفرق.

١٦- سمادير

و«السمادير» هو الشيء الذي يتراءي للإنسان من الشراب عند السكر وهو ضعف البصر، ومنه «اسْمَدَرّ بصره» أي ضعف.

قال أدي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»[٢٧] : إنه تعريب «شمادير».

أقول: ولما كانت الكلمة علي صيغة الجمع حسبوها جمعا وهي في الأصل مفرد، وقد روعي اللفظ فيها وسنجد شيئاً من هذا.

١٧- شعاريـر:[٢٨]

انظر «شعاليل».

١٨- شعاليـل

و«الشعاليل» في قولهم: ذهب القوم «شعاليل» مثل «شعارير».

وقالوا: لا واحد لها[٢٩].

أقول: وقد جاد «شُعْلُول» للفرقة من الناس، ولم يشيروا إلي أنه مفرد شعاليل.

١٩- شماطيـط

و«الشماطيط» في قولهم: جاءت الخيل «شماطيط» و«شماليل» أي متفرقة، وقالوا:

---

(٢٧) الألفاظ الفارسية المعربة ط. الجامعة الأمريكية ببيروت سنة ١٩٠٨م.

(٢٨) قالوا فيها أيضا: انها جمع «شعرور» وهذه نبز لكلمة شاعر.

(٢٩) انظر ابابيل.

لاواحد لها مثل أبابيل وعبابيد. وقيل: شمْطَاط وشمطوط، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره.

٢٠- ضغابيس

و«الضغابيس» للقثّاء الصغار وقيل: أصول الثمام.

أقول: وليس «الضُّغْبوس» مفردا لها، ذلك أن هذا ينصرف إلى الأغصان التي تشبه «العُرْجون». وقالوا: الضغبوس هو الضعيف.

٢١- طحارير طخارير:

وكأنهما علي الإبدال وهما بمعني لقطع السحاب المتفرقة. وقالوا واحدها طحرورة.

أقول: لم أقف علي هذا الواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر.

٢٢- عبابيد

و«العبابيد» هي الآكام، وهي الأشياء المتفرقة والبعيدة[٣٠] وقالوا لاواحد لها.

٢٣- فراديس

من الكلم الذي جاءنا علي صيغة الجمع «فعاليل» وهو من «المعرب» الدخيل، والأصل براديس «من الألفاظ» الفارسية، وقد حسبه العرب جمعاً علي التوهم، فأعملوا فيه نظرهم فصنعوا المفرد فقالوا «فردوس».

٢٤- قلاقل

و«القلاقل» جمع لما يُتَوَهَّم مفرده وهو «قَلْقَلة» وليس هو في الاستعمال وقد ورد في البيت المعروف لابي الطيب:

وَقَلِقْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا قَلاقِلَ هَمٌّ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة.

---

(٣٠) انظر أبابيل.

٢٥- وجاء في التكملة ٨١/١ أن أهل اليمن يسمون الطبل «الجَبَاجِبُ»، ولا مفرد له.

خاتمة

هذا ما بدا لي أن أثبته مما وقفت عليه، وهو أيضاً مما يجتزأ به وغيره معروف في العربية وسألحق هذا الموجز بما يجري مجراه في لغة عامة العراقيين مما أرتجل من جمع ليس له مفرد(٣١).

---

(٣١) وسأدرج في هذا الهامش ما هو معروف في عامية أهل العراق مما يرتجل جمعاً وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة:

١- حتاريف: للفضلات الصغيرة من الخبز وغيره وهي تومىء إلي «الحروف»، و«حروف» الخبز معروفة.

٢- حذاريف: النطق الدارج للحذافير.

٣- حرافيش: كلمة للنّبز، يقال «الحرافيش» بمعني الأشقياء.

٤- خباصيص: كلمة تعني الاضطراب والفوضي.

٥- خرابيش: للكتابة الرديئة والخط الردىء.

٦- دعاثير: للأشياء المهملة من متاع البيت ونحوه.

٧- دحاريج: للأشياء علي هيئة كرات صغيرة.

٨- شخابيط: للخطوط أو الكلمات غير ذات معني.

٩- شناشيل: للغرفة المطلة علي الشارع واجهتها أبواب من الخشب، والكلمة فارسية.

١٠- صلابيخ: للحصي الكبار واحدها صلبوخ.

١١- طخاميخ: للقطع الغليظة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذلك.

١٢- لهاميد: للقطع الكبيرة من اللحم ونحوه.

فاتني أن أذكر «جلافيط» لفضلات اللحم، ولعل في هذه المادة كلمات أخري تُستَدْرَكُ علي هذا الموجز.

الكلم الذي لزم النفي

أقول: وفي العربية من الكلم من الأفعال والأسماء مالم يرد إلا في حيّزٍ منفى، وهذا يعني أنها لم ترد في جمل وتراكيب موجبة.

وقد وقفت عليها في استقرائي للمعجمات التي رأيت أن استوفيها لحاجة لي، وكان من هذه «مجمل اللغة» لابن فارس، وقد رأيت أن أجمعها في هذا الموجز فأقول:

١ـ جاء في مادة «الأزل».

الأَزَل: القِدَم، وتقول: هو أَزَليّ.

قال ابن فارس:

«وأري الكلمة ليست بمشهورة، وفيما أحسب أنهم قالوا للقديم «لم يزل»، ثم نُسب إلي هذا فلم يستقم إلا بالاختصار، فقالوا: يَزَليّ، ثم أُبدلت الياء ألفاً لأنها أخفّ، فقالوا: أَزَليّ. وهو كقولهم في الرَّمحْ المنسوب إلي ذي يَزَن: أَزَنيّ.

أقول: ومن هنا يكون بحسب قول ابن فارس أن في قولهم «لم يَزَل» يكون الفعل، «يَزَل» أصلاً في «الأَزَل» بمعني القِدَم.

وهذا الفعل قد لزم النفي لإفادة لاستمرار والدوام، وكذا سائر الأفعال وهي:

«ما بَرِحَ» وما «مافتِئ» و«ما انفَكّ».

وأري أن الفعل «مادام» الذي يفيد الاستمرار والدوام من هذه الأفعال أيضاً، وعلي هذا تكون «ما» للنفي، وليس كما قال النحاة: إنها ظرفية مصدريّة.

وقد أوّلوا قولهم: «مادُمتُ حيّا» فذهبوا إلي أن المراد: مدّة دوامي حيّاً.

أقول: قد يقال: أن الفعل «دام» يفيد الدوام، فهل تنفيه «ما»، والجواب: إن «دام» هي فعل غير الفعل التام «دامَ يدومُ». وأن «دام» وقبلها «ما» تركيب يفيد الاستمرار والدوام. وأن «ما» قبل «دام» مثل «مابرح» و «مافتئ»...

٢ـ وجاء الفعل «أَبَه» منفياً في قولهم: «ما أَبَهْتُ له»: أي لم أعلم مكانه، ولا أنستُ به.
ولم يرد هذا الفعل إلا ملازماً للنفي لأداء المعني المذكور.
٣ـ وجاء الاسم «بُدّ» في قولهم:
«لابُدَّ من هذا». والمعني: لا محالة. والكلمة لانكاد نظفر دون أن تسبق بأداة نفي.
٤ـ وجاء في مادة «حول» قولهم: «إن هذا حادث لامحالة».
أقول: وهذا يعني: ان حدوثه لابدّ منه. ولم تأت «محالة» إلاّ في سياق النفي هذا.
٥ـ وجاء في مادة (حيص) قوله تعالي: ﴿سواء علينا أجَزِعْنا أم صَبَرنا مالنا من محيص﴾، أي مَحيد. أقول: ولم ترد «محيص» إلاّ في سياق النفي، وقد وردت كذلك في خمس آيات من لغة التنزيل.
٦ـ وجاء في مادة (سجس) قولهم:
«ولا أفعله سجيس الليالي» أي لا أفعله أبَداً.
أقول: وقد ورد هذا في النفي المطلق الذي أستعين عليه بالظرف «أبَداً».
وقد كثر مجيء «ابداً» في حيّز النفي، قال تعالي:
﴿ولن يتَمنّوه أبداً﴾ ١٥ سورة البقرة.
﴿إنّا لن ندخُلهَا أبداً ماداموا فيها﴾ ٢٤ سورة المائدة.
﴿فقل لن تخرُجوا معي أبداً﴾ ٨٣ سورة التوبة.
﴿لا تقمْ فيها أبداً﴾ ١٠٨ سورة التوبة.
﴿ولن تُفلحوا إذاً أبداً﴾ ٢٠ سورة الكف.
﴿وإن تَدعهُم إلي الهدي فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ ٥٧ سورة الكهف.
﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً﴾ ٤ سورة النور.
﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زَكيَ منكم من أحد أبداً﴾ ٢١ سورة النور.
﴿ولا تَنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ ٥٣ سورة الأحزاب.
﴿بل ظَننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلي أهليهم أبداً﴾ ١٢ سورة الفتح.
﴿ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً﴾ ١١ سورة الحشر.
﴿ولا يَتَمنّونه أبداً بما قدّمَت أيديهم﴾ ٧ سورة الجمعة.

٧ـ وجاء في الفعل «عاج يَعيج» قولهم:

«ما عجْتُ بكلامه» : أي لم أكترث له ولم أصدِّقه.

والفعل «عاج يعيج» ، و «العيْج» بمعني الإقبال علي الشيء. غير أن هذا الفعل لم يرد إلا في حيّز النفي.

٨ـ وجاء في الفعل «عَبأَ يعبأَ» قولهم:

«وما عبَأْتُ به» : إذا لم تبالِه.

وهذا مما لزم النفي.

٩ـ وجاء في الاسم «عَبَقة» قولهم:

«ما بقيَتْ لفلان «عَبَقة» : اي لم يبقَ له من ماله شيء.

١٠ـ وجاء في الاسم «عبكة» قولهم:

«ماذاق عَبَكة ولا لَبَكة» : أي لم يذق شيئاً.

و«العَبَكة» : الكسرة من الخبز، و«اللَّبَكة» : اللقمة من ثريد.

١١ـ وجاء في الاسم «عَدوف» قولهم:

«ماذقتُ عَدوفاً» أو ذَواقاً: أي لم أذق شيئاً.

و«العَدوف» : اليسير.

١٢ـ وجاء في الفعل «كَرَثَ» قولهم:

«لم يكترِثْ فلان لهذا الأمر» : أي لم يهتمَّ.

أقول: إن استعمال هذا الفعل في غير النفي قليل، وكأنه مع الأفعال التي لزمت النفي.

١٣ـ وجاء في الاسم «لَهْسَة» قولهم:

«ومالكَ عندي «لَهْسَة» : أي: ولا قليل، وأصل «اللَّهْس» اللَّطْع كاللَّحْس.

١٤ـ وجاء في الاسم «نوص» قولهم:

«لا مناص من هذا الأمر» : أي لابدّ منه.

أقول: و«المَناص» هو الملجأ، ولكنه لم يرد إلا في حيّز النفي، وجاء قوله تعالي: «ولات حين مناص» .

١٥ـ وجاء في الاسم (نبض) قولهم:

«ما به حَبَض ولا نَبَض» أي ما به حركة.

أقول: ومجيء «الإتباع» وهو «حبض نبض» يأتي لتقوية النفي.

إن النبض مصدر «نَبَض العِرْق» ولكنه سبق بـ «حَبْضه» وهو يفيد الحركة، وقد فتح اللفظان لأجل ما يشبه التركيب.

١٦ـ وجاء في الفعل «نَغَي» قولهم:

«وما نَغَي فلان بحرف» أي ما تكلّم.

أقول: والفعل «نَغَي» والمزيد «ناغَي» يستعمل في الإيجاب، إلا أن ما ذكرناه هو في حيّز النفي.

١٧ـ وجاء في الفعل (هيد) قولهم:

«لا يَهيدنَّكَ هذا الأمر»، أي لا تَكْرثُك.

أقول: وهادَني الشئ يَهيدني اذا كَرَثَني.

وقد يكون لأسلوب النفي إشارات لتقوية النفي، ومن هذه استعمال «شيء» لزيادة النفي كما في قوله تعالي: ﴿وما قدَروا الله حقَّ قَدره إذ قالوا ما أنزل الله علي بشر من شيء﴾.

أقول: قوله تعالي: ﴿من شيء﴾ أريد به أي شيء، فقد جاءت «مِن» مع النكرة لزيادة التنكير، وفي ذلك تقوية للنفي.

وقال تعالي: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حُرمنا من شيء﴾.

وهذا كثير في لغة التنزيل.

خاتمة:

هذا موجز وقفت عليه في قراءتي لمواد العربية رأيت أن أجمعه.

المعجم العربى والتعريب[1]

هذا عنوان محاضرة ألقاها الأستاذ حسن الكرمي في الموسم الثقافي للمجمع الأردني وقد نشرت مع غيرها من المحاضرات.

وقد اشتملت المحاضرة علي آراء صاحبها في المعجم القديم مما يتصل بالمآخذ التي يدعو وجودها أن توضع معجمات جديدة يستبعد منها ما حفل به المعجم القديم من «مثالب».

والأستاذ المحاضر بدأ محاضرته واثقاً من علمه، مطمئناً إلي سعة معارفه، بل قد كان أقرب إلي الزهو منه إلي الاطمئنان، ولولا أني وجدت في محاضرته «أن الأمانة في البحث تقتضي أن لا يدّعي الباحث لنفسه الفضل، ولا أن يتطفّل عليه» لكان في نفسي أن أتجاوز في وصفه صفة الزهو إلي نعت آخر لا أحسبه من صفات أهل العلم.

وحسبك أن تقرأ صفحتين من أول محاضرته حبسها علي «فضائله» وعلي سعة ما ألّف وصنف وترجم، وعلي مبلغ درايته لمصادر الأدب واللغة والتاريخ. ولم ينس أن يشيد بإحسانه في برنامجه الذي دأب علي إذاعته الموسوم بـ «قول علي قول». وكأنه أراد أن يقول: إن ذلك مما تنوء به العصبة أولو القوة.

ولعله أدرك أن المحاضرة هي في «المعجم» فأراد أن يمهد لها وكأنه أراد أن يقول: أنا ابن بجدتها وأبو عذرتها علي نحو ما كان يتنفج ضياء الدين «ابن الأثير» في «المثل السائر» زهواً وخفة وطيشاً. وكان هذا التمهيد بسطة أخري في الزهو والإعجاب، ولم لا أقول العجب (بضم فسكون)، ألم يقل: ويطبع لي الآن في بيروت ثلاثة «قواميس» (كذا) من الإنكليزية إلي العربية أصغرها بحجم «المورد».

ولا أريد أن أعرّض أكثر مما أشرت إليه بزهوه وخروجه عن «المحاضرة» وانصرافه إلي نفسه، ورحم الله الحسن بن هاني لقوله:

ليس علي الله بمستنكَرٍ أن يجمع العالـم في واحِـدِ

(١) من كتاب «الموسم الثقافي» في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولنضرب صفحاً فندخل في حيّـز المحاضرة التي وجدت أن من الخير أن أقف فيها وقفـات:

قال الأستاذ المحاضر فى الصفحة (٢٥٠):

وقد وجدت بعد الممارسة أن المعاجم العربية التي بين أيدينا تحتاج إلي وضع جديد فيه تصحيح وتنقيح وتوضيح حتي تكون وافية بالغرض... وهي في حالتها الحاضرة عاجزة عن الوصول بنا إلي الهدف، بحيث يستطاع استخدامها في استنباط، أو وضع مصطلحات حديثة فارزة (كذا) ...

أقول: لم ينكر أحد من الدارسين أن في المعجم القديم عيوباً، وأنه لا يفي بحاجات عصرنا، ولكن هؤلاء يقرون أن المعجم القديم إنجاز رائع، وله من المحاسن ما له. وإن من العلم أن يحتفظ به، أما التصحيح والتنقيح فينبغي أن يكون في صنعة جيدة لمعجم أو لمعجمات عدة منها التاريخي ومنها الحديث، والحديث ضروب شتي بحسب اتساع ألوان المعرفة الجديدة.

فأما قوله: «مصطلحات حديثة فارزة» فلم أتبين المراد من «فارزة» ولعلها شيء أساءَ به العامل الطبّاع.

ومضي الأستاذ المحاضر يعرض من سوأة المعاجم القديمة فيقول:

وبقاء هذه المعاجم علي ما هي عليه من الخلط والتشويش هو من أعظم الأسباب في عدم التوفّق إلي حد كبير في مصطلحاتنا في القرن الحديث. وأقول إن عدم الدقّة في معاني الكلمات، والخلط بين معني وآخر، وسوء الفهم، أورثت فينا تشويشاً في الفكر، وعدم الدقة في التفكير. فلا غرابة في أن يكون شعب ما فقيراً في تفكيره إذا كانت لغته تفتقر إلي الصحة، أو كان مشوّش الفكر والتفكير بعامل التشويش في لغته...

انتهي كلام الأستاذ المحاضر.

أقول: وفي نفسي أن ألعن هذا «الخلط والتشويش» الذي تخيّله الأستاذ المحاضر فأضاع عليه السبيل وتركه «مشوش» في «الفكر والتفكير» (كذا). والباحث ذو النظر الثاقب يستطيع أن يفيد من هذا «التشويش» المزعوم فيصل إلي العلم دون أن يصدم مسيرته شيء من وعثاء الطريق، وأنّي للأستاذ المحاضر هذا، وقد انطلق منكراً مبتئساً جاحداً فضل أولئك الأفذاذ من ذوي السابقة للخير، ممن كان لهم قدم صدق في خدمة العربية وكتابها العزيز.

وما أدري كيف لا أنحي باللائمة علي الأستاذ المحاضر وهو ينال من أولئك الذين بأيّهم

اقتديت اهتديت فيقول: ولايجوز أن يكون بين الأيدي معجم لايذكر إلا الإبل وما إليها ويحتاج في فهمه إلي معجم آخر.

أقول: أقرأ هذا فأميل إلي الاعتقاد أن صاحب هذه المفتريات رجل أشد ظلماً لنا من أعدائنا وقد قيل:

وظلم ذوي القربي أشد مضاضةً .....

وإلا فيكف يكون «لسان العرب» و«الصحاح» وحتي «كتاب العين» مظانّ لم يذكر فيها إلاّ «الإبل» ؟ ولا أدري ما معني «وما إليها» ؟ وهل لي أن أحمل عليها نفراً من الآدميين ؟.

وقد أسلفت من قوله: «إن الشعب الفقير في تفكيره، لغته فقيرة»، وعندي أن العكس صحيح، وهذا شيء من أوليّات العلم لدي أهل الاجتماع الحضري.

وقال فى الصفحة (٢٥٢):

إن المعاجم العربية علي العموم اعتبرت اللغة لغة أزلية ثابتة لاتتغير، أو لايحق لها أن تتغير عما هي في «اللوح المحفوظ»، فليس فيها اشتقاق ولا تنشّؤ (كذا) ولا تطور كما تتنشّأ الأحياء وتتطور، فهي جامدة...

أقول: لم يقل أحد من أصحاب المعجمات القديمة، ولا من علماء اللغة المتقدمين إن اللغة «أزلية»، فقد اختلفت أقوال المتقدمين في الكلمة وبنيتها ومدلولها، وربما جمعوا علي شيء وخالفهم فيه واحد منهم، ولو استقريت أقوال اللحياني مثلاً لعرفت أن المسائل التي جاء بها هي مما تفرّد بها وخالف غيره. ثم ألم يقولوا: إن ما صيغ علي قياس كلام العرب كان من كلامهم، ذهب إلي هذا ابن جني في غير موضع واحد في «الخصائص».

وأكثر من هذا استقراؤهم لما أثر من لغات القبائل صغيرها وكبيرها، وأخذهم بما ورد في هذا الباب، وأكبر دليل أن هذه اللغات الخاصة وجدت سبيلها إلي قراءات الكتاب العزيز.

ثم إننا نجد أنهم توسعوا في الاستشهاد، وخالفوا المقولة الشهيرة بعدم الاستشهاد بالمولّدين. لقد تجاوزوا المولّدين فكان من شواهدهم شعر بشار وأبي نواس، ولا تعدم أن تجد شيئاً من شواهدهم من شعر المتنبي ومعاصريه.

فهل يحق للسيد المحاضر أن يبتدع «أزلية» اللغة التي لم ترد في كلامهم ولم يومئوا إليها.

وقوله: «لا يحق لها أن تتغير عما فى «اللوح المحفوظ»...

أقول: لولا علمي أن السيد الكرمي من أسرة مسلمة لذهبت إلي غير هذا، فما كان له أن يورد «اللوح المحفوظ» في عبارة لاتنصرف إلاّ إلي تهكّم مرفوض، ولندع «اللوح المحفوظ» فله حرمة مرعية وحرم آمن.

وقال أيضاً: .... وعلي هذا قسّمت اللغة إلي فصيحة وعاميّة، وقسّمت الكلمات إلي دخيلة ومولّدة ومحدثة وعامية وأعجمية وغير ذلك.

أقول: وماذا يؤخذ علي هذا التقسيم، أهو من العيوب؟ وهل خلت المعجمات التاريخية في الإنكليزية أو الفرنسية أو أية لغة غربية أو شرقية من هذه الصنعة التاريخية؟.

ثم قال: ومنعوا الاستشهاد بشعر المولدين:

أقول: وكأنه لم يستقري «أساس البلاغة» للزمخشري و«تاج العروس» ليدرك أن القوم توسّعوا فكان من شواهدهم كما أسلفت شيء من شعر بشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد والمتنبي وغيرهم.

وقد أدرج الأستاذ المحاضر مآخذه فجعلها: أولاً وثانياً وثالثاً حتي بلغت عدّتها ثلاثة عشر... وقد جاء في مأخذه الثاني في الصفحة (٢٥٢):

المعاجم جميعها ينقل بعضها عن بعض (يريد أصحاب المعاجم)... فكانت (أي المعاجم المتأخرة) تخطيء أحياناً وتوجز أحياناً أخري، فكان الشرح إما أن يكون غير مفهوم وإما أن يكون قد اعتراه ما يسمّي بالإيجاز الـمُخلّ، ومن ذلك قولهم: فرطوسة الخنزير أنفه، مع أن أنف الخنزير جزء من فرطوسته..

أقول: وليس هذا عيباً فالفرطوسة جماع الجزء الذي فيه الأنف، بل الأنف هو الظاهر البارز منها فإذا قيل: الفرطوسة الأنف فليس في ذلك إيجاز مخل، أو شرح غير مفهوم.

وقال وهو يدرج المسائل التى تدخل فى ذلك المأخذ أو العيب:

دَرَجَ الثوب طواه ولفّه، واللّف خلاف الطيّ...

أقول: وقوله: «طـواه ولفـّه» لاشيء فيه فاللّف في معناه الأول هو «الطيّ» وكلاهما بمعني.

ولم أجد في «اللّف» إلاّ أنه ضدّ النشر، وكذلك «الطي» ضدّ النشر، وعلي هذا كيف يكون «اللفّ» خلاف «الطيّ» كما زعم الأستاذ المحاضر؟.

وقال في مأخذه السادس:

المعاجم تفسر الكلمات بتفسير أشد غموضاً كقولهم:

الخشابة مطرق دقيق إذا صقل الصيقل السيف وفرغ منه أجراها عليه فلا يغيّره الجفن.

أقول: هذا الشرح غير واضح، والمحاضر علي حق في الإشارة إليه، ولكن أيكون هذا الكلام في «الخشابة» وكلمات قليلة أخري دليلاً علي ما ذهب إليه المحاضر ونسي آلافاً من الكلم كان لها من الوضوح ما لا يدع حاجة لمزيد من الفهم؟.

ثم لماذا لم يجعل المحاضر هذا المأخذ مع المأخذ الثالث الذي جاء فيه:

تفسَّر الكلمات في المعاجم أحياناً تفسيراً لا يفهم...

وقال في المأخذ الثامن:

لا يستطاع من المعاجم معرفة الألوان المركبة...

أقول: وإذا عدم الدارسون أن يجدوا في «لسان العرب» الألوان المركبة، وهي من فضائل الصناعة الحديثة، فهل يكون ذلك عيباً، وهل يجد الأستاذ الكرمي ـ حفظه الله ـ هذه الفوائد الدقيقة في معجم Webster الأمريكي.

غفر الله لأصحابنا كم يبتدعون من عيوبنا ولا ينظرون إلا إلي محاسن أهل الغرب، وليس هذا بجديد، فلأمٌ المخطئ الهبَلُ كما قال الشنفري ـ رحمه الله ـ.

وقال الأستاذ المحاضر في «مأخذه» التاسع:

المعاجم علي الأغلب (كذا) تفضل المجازي علي الحقيقي، فإذا أردت الحقيقي وقعتَ في حيص بيص، وقد لمست ذلك أيضاً في «المخصّص» لابن سيده، وفي «فقه اللغة» للثعالبي، و«الألفاظ الكتابية» للهمذاني، و «المترادف والمتوارد» للشيخ إبراهيم اليازجي.

أقول: قوله: «المعاجم علي الأغلب تفضل المجازي علي الحقيقي» غير سديد، وذلك لأن المعاجم تبدأ بذكر المشهور فقد يكون المجازي أشهر من الحقيقي، وقد يكون العكس، وليس للمحاضر أن يجعل هذا قاعدة درج عليها أهل المعجمات. وقوله: «تفضل» غير وافٍ، فليس في الأمر تفضيل أو اختيار.

وقال الأستاذ في «مأخذه» العاشر:

عدم الإتيان بأمثلة لتوضيح المعني من أكبر عيوب المعجم العربي، وقد وجدت مثلاً في معجم الوسيط عن الفِلِزّ قوله: الفلزّ عنصر كيماوي يتميز بالبريق المعدني...

وهذا التفسير لايعني شيئاً، فهل الفلز نحاس أو فضة أو ذهب أو «ماذا».

أقول: أنا مع الأستاذ المحاضر في أن «الوسيط» قد أغفل أن يأتي بشيء دقيق ينصرف إلي حقيقة ثابتة في شيء من مواده، وإلي هذا أشار الأستاذ أحمد الخطيب في محاضرته، ولكن هذا ليس شيئاً عاماً شاملاً في طريقة الوسيط ففيه القدر الكبير من الأمثلة والشرح والتوضيح كما أشار إلي ذلك أهل الدرس، ولاسيما «الوسيط» في طبعته الثانية التي نقحت فزيد فيها وحذف منها أشياء كثيرة. وأما قوله: «أو ماذا» فنمط من ابتداع في باب العطف على طريقة الأستاذ المحاضر.

وجاء فى المأخذ الحادى عشر قول المحاضر:

التصحيف شائع في المعجم العربي، والغريب أنهم يعاملون الكلمة وتصحيفها كأنهما كلمتان منفصلتان، مثل: مزمز وهزهز، وانْقَـرَعَ وانقَـدَع، وقبصة وقبضة، وبَجَر ونَجَر، وتَرَنَّـخَ بـه، وتَرَنَّح، وغَصَنَ وغَضَن وغَضَر، وغَمَصَ وغَمَضَ، وشَلَت وسلت، وانشَدَح وانسدح..

أقول: الكلم المصحّف وقع في المعجم وأضيف المصحّف حتي صار لغة وليس لنا أن نقول: إنه مصحّف، لأن ذلك قد حدث في زمان لاندركه. غير أنه لا سبيل إلي احتساب الكلمات التي أوردها المحاضر من المصحّف، ولا أدري كيف خيِّل للمحاضر أن يقول: مزمز وهزهز من الكلم المصحف، ولم يشر إلي الأصل منهما ليدل بذلك علي أن الكلمة الثانية من المصحف، والذي أراه أنهما أصلان، وإن خُيِّل إلي المحاضر أن الميم تشتبه بالهاء. ومثل هذا نقول في «انقرَعَ وانقدَعَ»، ولم يقل أحد من المتقدمين إن الأصل «انقَرع» وصُحِّفت إلي «انقَدَع» ولو دخل شيء من هذا لذكره أصحاب التصحيف والتحريف والمشتبه قبل أن يدركه السيد الكرمي فيثبته في محاضرته.

وليس أدل علي ابتعاد المحاضر عن المحجّة من أنه ذكر «قبصة وقبضة» وزعم أن التصحيف قد دأخلهما ولم يعيّن الأصل، وفاته أن أهل الذكر قرأوا في الكتاب العزيز: «فَقَبَضْتُ قبصةً من أثر الرسول» ٩٦ سورة طه بالصاد، والأصل الذي عليه أكثر القراءات بالضاد.

وهذا يعني أن الضاد والصاد من الأصوات التي تتعاقب في العربية، ثم إنها تتعاقب بين العربية والعبرانية ولو شئنا أن نذكر من هذا لكان لنا منه معجم صغير.

ولو كانت الكلمات التي جاء بها المحاضر من الكلم المصحف لوجدنا شيئاً منها لدى أهل

العلم المعنيين بالتصحيف كما أسلفت ومنهم أبو أحمد العسكري، وحمزة الأصفهاني وغيرهما.

ثم إن بين هذا الكلم الذي أتي به الأستاذ المحاضر ما يدخل في «اللغات» أي ماندعوه في عصرنا «اللهجات» فما كان بالسين في لغة من لغات العرب ورد بالشين في لغة أخري من لغاتهم، ألا نري أن المجد الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط قد أفرد لهذا الكلم الوارد بالسين والشين كتاباً ذكره الذين ترجموا له، ولم يحمل ذلك علي التصحيف.

أقول: لو أن الأستاذ المحاضر قد توقف وصبر وشقي بجهد الدرس لأدرك أن هذا الذي حمله علي المصحف لم يكن منه، فليس «رزم ورزح» منه، ولا «رتوة وربوة» منه أيضاً وإن تشابه الرسم، ولو كان ذلك لفطن له أولو العزم من الثقات العلماء قبل أن نُهرَع نحن في آخر هذا الزمان فنحمله على غير جهته فنكون كحاطب ليلٍ، أو كمن يهرف بما لايعرف.

وجاء في المأخذ الثاني عشر قول المحاضر:

إغفال المعاجم لكثير من صيغ الأفعال كإغفال سَرَّع بمعنى عجَّل، وثَخَّنَ بمعنى غلَّظ، ورَشُدَ بمعني صار رشيداً...

أقول: قد تغفل المعاجم جمع كلمة لأنه معروف مشهور، وقد تغفل ذكر أشياء أخري كان حقها أن تذكر كما بين المحاضر، ولكن شيئاً من هذا الذي لم يذكر في المعاجم معروف كاشتقاق حامض وعاجل وفاحم وغني وعمي... وأنت إذا قرأت هذه المواد وجدت في حشوها ما يعين على إدراك هذه المسائل الصغيرة. ألا تري أن من التزيد أن يقال: إن «لسان العرب» ليس فيه أصل «غني» و «عمي».

ليس شيء من هذا. فأما «سَرَّع» و «ثَخَّن» فإن افتقدهما الأستاذ المحاضر فذاك أنهما لم يكونا من المسموح المشهور في تلك العصور، وإنما جدّا بعد ذلك قياساً علي غيرهما، وهذا التوليد الجديد إيذان أن اللغة في مسيرتها المباركة تستجيب لحاجات الناس، أو قل إن الناس وجدوا فيها هذه السعة فأفادوا من ذلك.

وجاء فى المأخذ الثالث عشر قوله:

المعاجم في كثير من الأحيان لا تفرّق بين الصفة والاسم فهي تقول مثلاً: الرِّخْف هو الزبد الرقيق المسترخي والعجين الكثير الماء، لكنها لاتقول هل الكلمة اسم فقط لاصفة، أي

أنه لايجوز أن يقال عجين رَخْف، وكذلك الدِّلوف أي العُقاب السريعة، ولكنها لاتقول: عقاب دلوف...

أقول: أقصر أيها المحاضر الجليل ولا تبتئس، ولا يشتبه عليك الأمر فهو أيسر من ذلك، ولو أدركت أن العربية تشيع فيها الصفة حتي تنزل منزلة الموصوف لعلمت الأمر، فإذا أدركت هذا عرفت أن الراح والصهباء والسلافة والمدام وغيرها من نعوت الخمر انصرفت للخمر واشتهرت حتي أنزلت منزلتها، فلانطالب صاحب المعجم أن لم يذكر أن «الصهباء» صفة، بل جعلها من أسماء الخمرة، ومثل هذا يقال في المهنّد والصارم والحسام والمخذم وغيرها. وحكاية ابن خالوية مع أبي فراس في مجلس سيف الدولة مشهورة معروفة، وما أظن أن المحاضر يجهل هذا، وقد أشار في أول المحاضرة إلي أنه قد انصرف إلي الكتاب القديم ووقف علي العربية فنال من عجرها وبجرها ماتجاوز الكفاية فصار يصنع المعاجم.

وأختم هذه الإلمامة الموجزة بما كنا نحفظ أيام الطلب من عينية النابغة التي يقول فيها:

وبتُّ كأنّي ساورتني ضئيلةٌ ... من الرُّقشِ في أنيابها السُّمُّ ناقعُ

وهذه «الرقشاء الضئيلة» هي الحية، وقد أنزلت الصفة منزلة الموصوف، وذاك وجه حسن من فنون القول.

انتهي الكلام علي «مآخذ» الأستاذ المحاضر في المعاجم، ولننتقل إلي شئ يتصل بمتن اللغة مماكان للمحاضر فيه ميدان فسيح فنقول فيه ما بدا لنا أن نقول فيما يستحق أن يستدرك فيه أياً كان هذا الاستدراك.

بدأ المحاضر هذا الجزء من المحاضرة بالكلام علي الفعل الثلاثي وحركة العين في ماضيه ومضارعه فذكر قول أبي زيد الأنصاري (ص ٢٥٧):

إذا جاوزت المشاهير من الأفعال التي ماضيها علي «فَعَل» فأنت بالخيار إن شئتَ قلتَ «يفعل» بضم العين، أو «يفعِل» بكسر العين.

ثم عقب المحاضر على قول أبى زيد فقال:

وهذا القول لا يشمل الأفعال التي صحّ فيها الوجهان مثل فَسَق وفَسَدَ وعَرَج وعكف... وأقول: ولم يشر إلي المراد بـ «الوجهان» أيكونان ضم العين في المضارع أو كسرها، أم شيء آخر. وإني إذ أتساءل هذا التساؤل لأني لم أعرف أن «فَسَدَ» مضارعها «يفسد» بالضم أو «يفسد» بالكسر وكذلك سائر الأفعال الأخري، والذي أعرفه من أمرها أنها مضمومة العين في المَضارع وليس الكسر وارداً ولو علي لغة ضعيفة.

وقد جاء في «فَسَدَ» الماضي «فسُد» بضم السين وقالوا فيها: لغة رديئة.

وقال: ثم إن هذا القول (أي قول أبي زيد) لا يفرّق بين: حلَّ الرجلُ العقدة، وحَلَّ الرجل في البلدة، فالمضارع من الأول «حَلَّ يحلُّ»، ومن الثاني «يحِلُّ»...

أقول: كأنّ الأستاذ قد قرَّ في نفسه أن ما لاحظه كثيراً في الاستعمال قاعدة لغوية، وفاته أن العربية لاتخضع إلي ما خُيِّل للكثيرين أنه قاعدة فقد قرأنا في الكتاب العزيز: ﴿ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنَعوا قارعة أو تحُلُّ قريباً من دارهم﴾ ٣١ سورة الرعد.

إن الفعل «تحُلّ» جاء بضم العين خلافاً لما توهم الأستاذ المحاضر، فأما «يحِلّ» بكسر الحاء فقد ورد في الكتاب العزيز في جملة من الآي بمعني «كان حلاً أو حَلالا» نحو قوله تعالي:

﴿... فإنْ طلّقها فلا تحِلّ له من بعد حتي تنكح زوجاً غيره﴾ ٣٣٠ سورة البقرة.

وقد تأتي «يحِلّ» بكسر العين معني ينزل كما في قوله تعالي:

﴿كُلوا من طيِّبات ما رزَقناكم ولا تطغَوا فيحِلَّ عليكم غضَبي﴾ ٨١ سورة طه.

وكأن الأستاذ المحاضر انتهي إلي هذا الذي دعوته «قاعدة تخيّلوها» فقال:

ويظهر أن ضم العين أو كسرها في المضارع الصحيح له علاقة بكون الفعل متعدّياً أو لازماً.

وقال فى الصفحة (٢٥٩):

والمعاجم أحياناً تسقط بعض الصفات، وقد تستبدل إحداها بالأخري، فالفعل «مَرِضَ يَمرَض مَرَضاً» يكون منه «مَرِض» لا «مريض»، وجمع «السمِرض» «مرضَي»، وجمع «المريض» «مرضاء».

وتقول المعاجم: «رقيق» بدلاً من «رَقّ» أي «رَقِق».

وتقول المعاجم: «عَجُم يعجُم عُجمة» فهو «أعجم» وتقول إن «أعجم» من هذا الفعل من الشواذّ، والصحيح: أن «أعجم» من صيغة أخرى وهي «عَجِم يَعْجَم عَجَماً» فهو أعجم، وهذه الصيغة لاتذكرها المعاجم.

أقول: وفي جملة هذه الأسطر ما يستحق أن يوقف عليه طويلاً وذلك أن الأستاذ المحاضر قد وطّن نفسه أن المعجم أسقط أشياء، وهو يريد من غير شك صاحب المعجم، وربما أراد جمهرة اللغويين الأقدمين. وإذا كان هذا فقد وَهِمَ أعظم الوهم وقسا علي أولئك الأفذاذ ممن خدموا العلم خدمة صادقة.

أقول: لم يُسقط هؤلاء شيئاً من مواد العربية فيستبدلوا به آخر يَسُدُّ مسدَّه، ولِمَ يسقطون وزان «فَعِلْ» من الفعل «مَرِض» ليصيروا إلي فعيل وهو «مريض»؟ وكذلك في سائر ماظن أنهم أسقطوه.

هذه مسألة أولي، فأمّا الثانية فقد توهم أن ما جاء كثيراً من الصيغ في فعل من الأفعال الثلاثية هو قاعدة، وهذا التوهم مظنة الخطأ فقد خرج عن هذا الكثير شيء غير قليل كان سبباً في ألا يُجروا الكثير علي أنه قاعدة مقررة. ومن هذا جاء «مريض» ولم يأت «مَرِض»، وإذا كان هذا لم يرد فلا يعني أن اللغويين أسقطوه، ومثل هذاكثير.

وأما الثالثة فمسألة أبنية الجموع في العربية فقد قرر المحاضر أنّ «مرضَي» جمع «مَرِض» الذي سقط من المعجمات كما توهّم، و «مُرضاء» جمع «مريض». وهذا يعني أن المحاضر قد قرر أن بناء «فعيل» لايكون جمعه إلا «فُعَلاء»، وهذا شيء لانتحققه في العربية قاعدة مطردة كما ظن المحاضر.

إن ما جاء علي «فعيل» قد يجمع علي «فَعْلي» وليس هذا غريباً أو شاذاً نحو: «جريح» وجمعه «جَرحي» و «قتيل» جمعه «قتلي». وإذا أخذنا بما قال المحاضر فلابد أن نفترض أن «جرحَي» و «قتلَي» جمعا «جَرح» و «قَتل» مثل «مرض» الذي ادّعي المحاضر وجوده ولكن اللغويين أسقطوه. ولما كنا لانقبل «جرَح» و «قَتل» فكذلك نرفض وجود «مَرِض».

ولنعد إلي الجمع فنقول: إن أبنية التكسير لاتقيد بأوزان معينة في الاسم المفرد، بل يكون شئ من ذلك علي سبيل الكثرة، ألا تري أن «أسير» يجمع «أسرَي» و«أُسارَى» و «أَسارَي». وأن «بري» يجمع «أبرياء» كما يجمع «بُرَاء» وهذا الجمع الثاني هو الذي قرره المحاضر في بناء «فعيل» ليس غير، ويجمع براء.

ويجمع «كريم» «كُرَماء» كما أراد المحاضر، ولكنه يجمع علي «كرام» أيضاً.

ويجمع «شريف» علي «أشراف» و«شُرَفاء».

ويجمع «مجيد» علي «أمجاد»، ولم يُسمَع «مُجَداء» كما قرر المحاضر.

ويجمع «طبيب» «أطبّاء» و «أطِبّة».

ويجمع «أبيّ» علي «أباة» ليس غير. ويجمع «أحمق» علي «حَمْقي» والكثير في جمع «أفعل» «فُعْل». ويجمع «غازٍ» علي غُزاة ومثله «حام» حُماة، غير أن «غازٍ» جمع علي «غُزّى» كما ورد في الكتاب العزيز: ﴿ أو كانوا غُزّى﴾ ١٩٦ سورة آل عمران.

وهذا الجمع غريب لأن ما كان علي «فاعل» معتل الآخر فجمعه علي «فُعَلَة» مثل «دعاة» و«قضاة».

ولايجمع علي «فُعّل» إلا فاعل صحيح الآخر نحو «ركّع» و «سجّد» جمعا راكع وساجد.

وهكذا يتبين لنا أن أبنية الجمع المكسّر لا ينظمها ضوابط تجري مجري القاعدة.

وأما الرابعة فقول المحاضر في «أعجم» الذي فعلُه «عَجُم يعجُم عجمة»:

الصحيح أن «أعجم» من صيغة أخرى هي: «عَجِمَ يعجَم» مثل «فَرِحَ» فهو أعجم.

أقول: كأنما أراد المحاضر أن يجعل من المطرّد قاعدة، وليس المطرّد إلا الكثير ليس غير فقد جاء من «خَطُبَ يخطُب» بمعني صار ذا لون أحمر، «أخطب»، والكثير في «أفعل» أن يأتي من «فَعِلَ يفعَل».

ومثل هذا «أحمق» فقد ورد من «حَمُق يحمُق».

وقال الأستاذ المحاضر فى الصفحة (٢٥٩):

والمعاجم تخلط بين هذه الصيغ، فهي تقول مثلاً: عَنَدَ يعنَد، وعَنَدَ يعنِد، وعَنُدَ يعنُد عُنوداً، تقول ذلك دون تمييز.

أقول: لم أتبين وجه الخلط فيما ذهب إليه المحاضر، والذي أدركه أن الفعل جاء علي ثلاثة أوزان وليس من فرق بينها.

لعل الأستاذ المحاضر ظن أن ما جاء علي فَعَل يفعُل، وما وَرَدَ علي فَعَلَ يفعِل، وفَعُلَ يفعُل وثلاثة الأوزان الأخري يختص كلٌ منها بخصائص، وكأنّ هذه الخصائص قد أنزلت لدي المحاضر منزلة القواعد الثابتة فلا يحاد عنها.

ولو عرفنا أن العربية واسعة، وأن من سعتها أن شيئاً كثيراً فيها حادَ وابتعد عن الشائع المألوف، لأدركنا أن لا سبيل إلي القول بـ «الخلط» و «الخطأ» و «التشويش» كما أشار الأستاذ المحاضر.

ومن أمثلة ما وقع فيه الأستاذ المحاضر جعله أن مصدر الأفعال التي علي وزن «فَعُلَ يفعُلُ» هو فَعالة أو فُعولة، والوصف منها هو «فعيل» فقال مثلاً:

وتقول «المعاجم»: «عَنُف يعنُفُ عَنافةً» الرجلُ بغلامه، فهو عانف. والصحيح أن «عَنُفَ يعنُفُ عَنافةً» فعل لازم فلا يقال عانف بل هو عنيف.

أقول: ولابد من وقفة مفيدة علي قول الأستاذ المحاضر. لقد خَطَّأ الأستاذ المحاضر ما ورد في المعجم فقال: لا يصحّ «عانف» وصفاً من الفعل «عنُفَ يعنُفُ» وجعل السبب المانع أن الفعل لازم.

وهذه حجة باطلة فقد ورد من «فَعُل يفعُل» وهو لازم كلُّه وصف علي «فاعِل» فقد جاء من «نبُهَ» «نابِه» كما جاء «نبيه»، و «شاعر» من «شعُر» و «طاهر» من «طَهُرَ»، و«مجيد» و «ماجد» من «مجُدَ».

ومثل هذا «فَعِل يفعَل» اللازم الذي يأتي الوصف منه علي «أفعل» و «فَعيل» و «فَعلان» نحو: أحمر وأعمي، من «حَمِر» و عَمِيَ»، وبخيل وكحيل، وعطشان وريّان، غير أننا نجد من هذا ما جاء علي فاعل مع لزومه مثل ظاميء وساهر وباخل.

ولا نستطيع أن نقيد الوصف بـ «فعيل» من الأفعال الدالة علي الصفات الثابتة وهي من باب «فَعُلَ يفعُل» فقد جاء من ذلك «شُجاع» من «شَجُع» و «جبان» من «جبُن»، و«عذْب» من «عَذُب» وغير ذلك. كما أن المصدر من هذه الأفعال لايقتصر علي فَعالة وفُعولة كما أومأ المحاضر، أو كما يفهم مما جاء به فقد جاء «الجُبْن» من «جبُن» و «العظمة» أو «العِظَم» من «عَظُمَ» و«الحُمْق» أو «الحَماقة» من «حَمُقَ»، وغير هذا كثير.

وقال السيد المحاضر:

وتقول المعاجم: فَطِن به وله وإليه، يفطَن ويفطِنُ، وفَطُنَ يفطُن فَطْناً وفِطْناً وفُطناً وفَطَناً وفطنةً وفُطونة وفَطانةً وفِطانة وفطانية، تقول ذلك دون تمييز بين صيغة وأخري.

أقول: إذا كان صاحب المعجم أو قل اللغويون القدامي قد ذكروا هذه الصيغ ولم يميزوا فكيف يسوغ لنا أن نميّز علي وفق ما نتخيله قاعدة صحيحة جرياً علي الكثير المشهور؟.

إن هذا الذي اطمأنّ إليه المحاضر وجعله قاعدة لم يغب عن القدماء، ولكنهم لم يروا من الاستعمال المشهور ما يجعلهم أن يجروه مُجري الكثير المشهور، ومن أجل ذلك اكتفوا ببسطه، إن كثرة هذه الصيغ تدل من غير شك علي كثرة «اللغات». وعلي هذا ليس لنا أن نُهرَع إلي القول بالخلط والخطأ فيصح فينا قول أبي نواس:

حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ

ومن الأمثلة التي زعم المحاضر أنها من باب «تخليط الأوزان» قوله:

والمعاجم تقول: رَعَن يرعَنُ، ورَعُنَ يرعُنُ رُعونةَ ورَعَناً كان أرعَنَ. وفي هذا تخليط في الأوزان، والصحيح أن يقال: رَعِنَ رَعَناً فهو أرعَن، ورَعُنَ يَرعُنُ رعونةً فهو رَعْن، وتركت المعاجم (رَعْن) وأخذت (أرعن).

أقول: ليس من «تخليط الأوزان» كما زعم المحاضر ذلك أن الوصف «أرعن» هو للفعل المفتوح العين ماضياً ومضارعاً، وللفعل المضموم العين ماضياً ومضارعاً، ولايختص «أفعل» بالفعل المكسور العين ماضياً مفتوحها مضارعاً. ومصدر «التخليط» الذي ادّعاه المحاضر اعتقاده خصوصية «أفعل» بالوزن الأخير وليس هذا صحيحاً فقد قالوا: أحمق والفعل «حَمق» مضموم العين، وقالوا: أخطّب والفعل «خَطُب» مضموم العين أيضاً، ومثل هذا «أرعن» والفعل «رعُن».

وحين آمن المحاضر بما اعتقده قاعدة في «أفعَل» افترض وجود «فَعِلَ يفعَل» في «أرعَن» ولم ينص أحد من أهل اللغة علي وجوده.

ومما اتّهم المحاضر به «المعاجم» قوله في آخر الصفحة (٢٥٩):

وقد تخلط المعاجم بين الأفعال فتعتبر الواحد منها كما لو أنه فعل جديد، فالفعل «كَبْكَبَ» هو الفعل «كَبَّبَ» والفعل «تَكَبْكَبَ» هو الفعل «تَكَبَّبَ»...

والفعل «كَبْكَبَ» هو الفعل «كَبَّبَ» خُفِّفَ إلي «كَبْكَبَ».

أقول: وليس «كَبَّبَ» مخفّفاً من «كَبْكَبَ» فكلاهما أصل، وإن دلالة الثاني ذات خصوصية خاصة، وزعم المحاضر أن المعاجم لاتذكر اشتقاق كلمة «غنيّ» مع أنها تذكر اشتقاق «فقير» وتقول: من «فَقُر يفقُر فقارةً».

ولا أدري كيف لاتذكر المعاجم أن «غني» الوصف من «غَنِيَ» الفعل؟ رُبّما لم يأت بالتصريح إن الوصف «غنيّ» من الفعل، ولكنه معلوم لا حاجة إلي التصريح به بعد ذكر الفعل «غني».

ثم قال: إن المعاجم تذكر «عَبْل» ولا تذكر أنها من «عَبُلَ يعبُل عُبولةً»، كما لا تذكر اشتقاق «عتيد».

أقول: وليس هذا من العيوب فقد يلمح الناظر في المطوّلات من المعجمات هذه المسائل ويدركها من غير أن ينص عليها.

وقال: المعاجم تذكر «عَجْباء» ولا تذكر «أعجَب».

وأريد أن أقف علي هذا فأقول قد ترد صفات علي «فعلاء» ولم يُعرف لها «أفْعَل» مثل: «ليلة لَيْلاء» وليس في العربية «أَلْيَلَ»، ومثل هذا امرأة حَسْناء، ولا يقال للذكر «أحسَن»، وكذلك ليلة «شيْباء» وهي معروف في نعوت الليالي ومثل هذا كثير.

وقال:

وتقول المعاجم: «عَجِفَ يعجَفُ، وعَجُفَ يعجُف عَجَفاً» دون تمييز بين «عَجِف يَعجَفُ فهو «أعجَف»، و«عَجُفَ يعجُفُ عَجافة» فهو «عجيف». والغريب أنها تقول: إن جمع «أعجَف» «عجاف» وتقول: إنه شاذ، والصحيح أن جمع «أعجَف» «عُجْف»، وأما «عِجاف» فهي جمع عَجيف فلا شذوذ.

أقول: إذا ادعي المحاضر أن القدماء لم يميزوا بين «فَعِلَ وفَعُل» في مصدر الفعل عَجِفَ وعَجُفَ» وجعلوه واحداً هو عَجَفاً فذاك ما وصلوا إليه، وليس لهم أن يفترضوا أن شيئاً قد سقط فاكتشفه المحاضر وخفي أمره علي المتقدمين من علماء العربية.

لقد جاء الوصف من «عَجِف» المكسور العين و«عَجُف» المضموم العين واحداً أيضاً هو «أعجف» ولم يذهبوا كما ذهب المحاضر إلي وجود «عجيف» الذي لم يهتدوا إلي أثره، أما المحاضر فقد استقر في علمه أن «فعيل» خاص بـ «فَعُلَ يفعُلُ» وما دَرَي أن العربية القديمة واسعة بسعة «لغاتها». ولقد أشرنا إلي مجيء «أفْعَل» من الفعل المضموم العين.

وكأنه أنكر أن يكون «عجاف» جمعاً لـ «أعجَف» شذوذاً، فجعل هذا من الخطأ لأنه افترض باديء ذي بدء وجود «عَجيف» وهو غير معروف وإنما قاسه المحاضر علي نظائره.

لقد تصور الأستاذ المحاضر أبنية زعم أنها موجودة ولم تذكرها المعاجم، وحين قرر هذا لم يهتد إلي تقريره هذا من أنه وجد في كلام العرب تلك الأبنية، ولو كان قد فعل هذا واستدرك به علي المعجم القديم لكان من المجتهدين الذين أضافوا ما كان حقُّه أن يدخل المعجم.

لم يفعل هذا وإنما ذهب إلي قراره تصوراً معتمداً علي الكثير الذي يأتي علي شاكلة ما ادعي أنه سقط من المعجم ومن ذلك قوله:

وتقول المعاجم: «شَخُتَ يشخُت شُخوتةً» فهو «شَخْت» فليس لهم أن يفترضوها كما افترضها السيد المحاضر، ولذلك جعلوا «شَخيت» مثل «شَخْت» وليس المصدر إلا واحداً هو «شُخوتة».

وقال المحاضر في الصفحة (٢٦١):

وتقول المعاجم: (سَمُر يَسمُرُ سُمْرَةً) وهذا يخالف ما جاء عن «زَرِقَ يزرَق زَرَقاً» فهو «أزرق»، و«شَقِرَ يشقَرُ شَقَراً» فهو «أشقر»، ومن الغريب أن المعاجم لا تذكر اشتقاق «أحمر» هل هي من «حَمِرَ يحمَر» أم من «حَمُر يحمُر».

أقول: لا أدري ما الغرابة في مجيء «سَمُر يسمُر سُمْرَةً»، وقد عرفنا أن مصادر الأفعال الدالة علي الألوان يغلب عليها «فُعلة» مثل: الحمرة والصُفرة والخُضْرة»، و «الزُرقة» أكثر من «الزَرَق» وكذلك «الشُقرة» أكثر من «الشَقَر» وقد أشار إليهما المحاضر ولم يشر إلي الكثير وهو «فُعلة».

واشتقاق «أحمر» من «حَمِرَ يحمَر» وليس ذلك غريباً فإن لم يجده المحاضر في المعجم فقد عرفه أهل اللغة وكتب الصرف تذكر هذه المسائل فتقطع بها.

ومما عدّه المحاضر «تشويشاً» قوله:

وهذا التشويش موجود مثلاً في «غامَ البعير يغيم غَيْماً» فهو «غَيْمان»، والصحيح «غَيِمَ يَغْيَم غَيَماً» فهو «غَيْمان»، ومن أمثال هذا الفعل «عَيِطَ يَعْيَط عَيَطاً» و «عَيِنَ يَعْيَن عَيَناً».

أقول: ليس في الأمر من خطأ حتي ينبري المحاضر فيقول: والصحيح... و«غام البعير يغيم غيماً» فهو غَيْمان صحيح والفعل أعلّ وأصله مع علته: «غَيَمَ يَغْيَمُ» والإعلال هو الكثير في العربية أي سلب العلة فلا تقول: «قَوَلَ وبَيَعَ» بل نقول: «قال وباع»، وعلي هذا فالإعلال هو القاعدة الكثير، وما بقي علي علّته فهو خلاف القاعدة وهو القليل ومنه «عَيِطَ وعَيِنَ» اللذين جاء بهما المحاضر.

قلت إنّ بقاء العلة قليل في العربية ومنه استَحْوَذَ واستنوق الجمل وغيرهما.

وقال أيضاً في الصفحة نفسها:

والمعاجم تقول: إن «القَحامة والقُحومة» مصدران ليس لهما فعل، والصحيح أن «القحومة» في فعل «قَحُمَ يقحُمُ قُحومةً» فهو «قَحْم»، وأن «القَحامة» من فعل «قَحِمَ يقحَمُ قَحامةً» فهو «قحيم».

أقول: ما نسبه المحاضر إلي المعاجم صحيح وأن المصدرين لافعل لهما أي أن فعليهما منسيّان وهذا كثير في العربية فقد قالوا إن «أيضاً» مصدر نسي فعله «آض يئيض»، وقولهم: نُسيَ فعله أي أنه غير موجود استدلوا عليه قياساً علي نظائره.

وقالوا في «يَدَع ويَذَر» : فعلان مضارعان نسي ماضيهما وهما «وَدَعَ» و «وَذَرَ».

وقالوا في: «فوضي» و «شتّي»: جمعان لفضيض وشتيت وكلاهما منسيّ.

أما قول المحاضر والصحيح فحقيقته التصوّر والقياس علي النظائر، وقد ذهب إلي أكثر من هذا فقد جاء بالوصف من الفعلين اللذين لم يعرفا فقال: من «القحومة» جاء الوصف «قحم» ومن «القحامة» جاء الوصف «قحيم» وكلاهما من التصور الذي لم يؤيده المسموع في العربية. وعلي هذا لم يكن من خطأ يضطر المحاضر إلي التصحيح.

ومن أوهام المحاضر ما تخيّله في الفعل «قَذَرَ» فقد جاء بصيغ من أفعال وصفات لاوجود لها في العربية وادعي أن المعاجم أخلّت بها. ولو أنه وجد شيئاً منها في كلم العرب لكان له حجة يستدرك بها ما فات المعجم علي نحو ما صنع المتقدمون في «فصيح ثعلب» حين صححوا له واستدركوا عليه فسمّوا مصنفاتهم «فائت الفصيح» و «تصحيح الفصيح» ونحو هذا.

ومثل هذا كان كلامه في «عَقَدَ» باختلاف معانيها مما يقتضي اختلاف الأبنية.

وفي المحاضرة أفعال أخري ذهب فيها المحاضر إلي شيء معين لاتذكره المعجمات معتمداً فيه علي القياس علي الكثير وهذا مما يجب ألا يؤخذ به لأن نتائجه إضافات كثيرة لم تعرف في لغة العرب.

وإذا اجتزىء بهذا القدر مما ورد في أبنية العربية واجتهاد المحاضر فيها أري من المفيد أن أختم هذه البسطة بالكلام علي خروج المحاضر عن أساليب العربية في الاستعمال الفصيح المشهور فأقول:

١- جاء فى الصفحة (٢٥٠) قول المحاضر:

فأنا أعود فأقول: إنني أتكلم عن الموضوع...

أقول: والصواب: علي الموضوع، والكلام علي الشيء لا عنه.

٢- وجاء فى الصفحة (٢٥٤) قوله:

... ولاسيما فيما يتعلق بأعضاء الجسم...

أقول: استعمال «لاسيما» هذا هو استعمال حديث، وذلك لأن «لاسيما» يجب أن تلحق باسم صريح معرفة أو نكرة وله أحكام في كل منهما، قال امرؤ القيس:

ولاسيّما يوم بدارةِ جُلْجُل

وتقرأ: يومٌ، ويومٍ، ويومـاً.

٣- وجاء فى الصفحة (٢٥٥) قوله:

المعاجم علي الأغلب تفضّل المجازي.

أقول: والصواب: في الأغلب.

٤- وجاء فى الصفحة (٢٥٦) قوله:

... ولكنها لاتقول: هل الكلمة اسم فقط لا صفة...

أقول: لقد نبّه اللغة أن «هل» لا تباشر الاسم، والصواب: هل تكون الكلمة...

٥- وجاء فى الصفحة (٢٦١) قوله:

هل هما من «رَوِبَ يَرَوَبُ رَوْباً» أم لا.

أقول: أشرنا إلي أن «هل» لا تدخل علي الجملة الاسمية أو أن الاسم يتبعها. ثم إن «هل» لا يأتي بعدها المعادل وهو «أم»، بل يأتي بعد الهمزة.

٦- وجاء فى الصفحة (٢٦٥) قوله:

بل نضدّي عديدون من أصحاب الفضل...

أقول: أراد المحاضر بـ «عديدون» «كثيرين». والصواب أن «عديد» بمعني «عَدَد» ولكن المعاصرين جعلوها بمعني «كثير» فقالوا مثلاً: أسباب عديدة وغيرها. وبدلّنا علي أن «عديد» بمعني «عَدَد» قول السموأل:

تعيرُنـــا أنّـا قليـل عَديدُنـا فقلتُ لهـا: إن الكـرامَ قليـلُ

وقد خصّ المحاضر الجزء الأخير من محاضرته بالتعريب وكيف قصّر المعاصرون في وضع المصطلح بترجمته من الانكليزية في حين أشار إلي إحسان الأتراك العثمانيين في هذا الباب فذكر طرفاً من مصطلحاتهم في الرياضيات ولعلوم.

ثم ختم المحاضرة متهكماً بتقصير الشعراء وأهل العلم في عصرنا فقال:

... واختلط الحابل بالنابل وضاعت المقاييس والمعايير في الشعر والأدب واللغة حتي صح أن يقال:

وتسـابقـت عـرج الحميـر فقلـت مـن عـدم السوابـقْ

وليته لم يستشهد بالبيت ـ غفر الله له ـ فمن هو المبّرأ من العيب، ولا تعدم الحسناء ذاما ورحم الله امرءاً عرف قدره فوقف عنده.

نظرة نقدية في اللغة اليمنية
في المعجمات العربية

بين يدى البحث:

لقد أستوفي الدكتور هاشم الطعان ما ورد من الألفاظ اليمنية في (المعجمات) وكتب اللغة والمصادر التأريخية، وهيأ هذا العمل فرصة للدارسين.

ولابد لي قبل البدء بهذا الدرس أن أمهد له بشيء يتصل بالوضع والانتحال في اللغة. لقد عرف أهل الدرس الانتحال والكذب والتزيد في الشعر القديم، وكتب فيه مؤرخو الأدب، وأنت تقف علي هذا في «طبقات فحول الشعراء» وفي كتاب «الأغاني» وغيرهما. وقد كان شيء مثل هذا في الأخبار التاريخية التي تتصل بالفرق والطوائف. وأما الموضوع في الحديث الشريف فأمره معروف.

ولم يعرض أهل الدرس للموضوع المرتجل من المواد اللغوية. وكأني ألمح طائفة من هذا في الأبنية الرباعية والخماسية، ذلك أن طائفة كبيرة من هذه المواد لاتشير إلي معني واضح فأنت تجد فيها مايدل علي الصفات غير المحدودة، ولا تعرف من حال الموصوف بها شيئاً. لعلك تقف على ما هو «صلب شديد» فتجد طائفة من الرباعي، وما هو فوق الرباعي ينصرف إلى هذا، وإلى «الضخم» وما يشبه هذا من الصفات. ثم إنك لاتجد حضوراً لهذه المواد في نص قديم، بل هي مواد يتيمة ليس لك أن تصف بها موصوفاً معيناً وهي أيضاً أسماء وأفعال ومصادر لانخلص منها إلي فائدة معينة.

وأني لأميل إلى صرف هذه المواد إلي الموضوع المصنوع، ولنقف على طائفة من هذه[1]، ثم نغادرها إلي الكلام علي الألفاظ اليمنية التي لاتحتمل الصدق، ودونك شيء مما وقفت عليه من هذا الذي احتمل فيه الكذب:

البِرْشاع: الذي لا فؤاد له[2].

البحْظلة: أن يقفز الرجل قفزات اليربوع، يقال: بَحْظَل يُبحظِل بحْظَلة.

أقول: لو أن أبن فارس قد وجد الفعل مستعملاً في نص من النصوص لكان عليه أن يثبته مستدلاً علي هذه الهيئة الخاصة.

البُهْصُلة: هي القصية، والبُهْصُل: الجسيم، وحمار بُهْصُل: غليظ.

وهل لي أن أفيد شيئاً من «البهصِلة» أصفة هي لامرأة أم لحيوان أم غير هذا مما لايعقل ثم أيكون «البهصل» هو المذكر، ولِم خص به الحمار؟

بلْعَث: ورجل بَلْعث: سيىء الخلق.

أقول: وقول ابن فارس: «رجل بلعث» ليس من النصوص التي تعتمد لأنه مصنوع.

البَهكَثة: السرعة فيما يأخذ فيه (الإنسان من عمل).

وابلَنْدَجَ: المكان: تسع، وابلندج الحوض: اذا انهدم.

أقول: ولِمَ لم تكن «ابلندج» مع كلمة «الحوض» بمعني «اتسع» كما هي مع «المكان»؟

بَخْذَع: يقال: ضربَه إذا قطعه بالسيف.

بَلطَحَ: الرجلُ: إذا ضَرَبَ بنفسه الأرض، ويقال: بلدحَ.

بزْمَخ: الرجل، تكبر.

تبحضل: لحمه: غَلُظَ. أقول: وكأن ابن فارس قد نسي «البحضلة» التي بدأ بها هذا الباب وجعلها بمعني أن يقفز الرجل قفزات اليربوع. وكان أهل اللغة فرقوا بينهما في الضاد والظاء.

البْردس: الرجل المنكر.

وبلْذَمَ: الرجل: فرق فسكت (بالدال والذال).

وبزذن: الرجل برذنة، إذا ثقل واشتقاق (البرذون) منه.

أقول: والعكس هو الصحيح أي إن الحيوان (البرذن) هو الأصل. ومنه ولد الفعل.

وتبزعر: الرجل: إذا ساء خلقه. وشاب (برذع) و (برذوع): ممتليء تام.

أقول: كأن القلب الذي عرض للكلمة ذهب بها إلي معني بعيد آخر يختلف كل منها عن الأخر حسناً وقبحاً.

برزل: ورجل برزل وبرزول: ضخم.

والمبرطس: الذي يكتري للناس الإبل والحمير، والفعل: البرطسة.

برعس: وناقة برعس وبرعيش: غزيرة.

برشط: الرجل اللحم: إذا شر شره.

البركلة: المشي في طين، أو الخوض في ماء.

بلعس: وناقة بلعس: مسترخية اللحم.

بلخص: الرجل وبلسم: إذا كره وجهه.

وبلهس: أسرع في مشيته.

وبللاص وبلهص: عدا.

البعثوط: سرة الوادي.

بلعك: وناقة بلعك. مسترخية مسنة.

بعكنة: ورملة بعكنة: غليظه.

تبغثرت نفسي: غثت.

وابرنتيت ابرنتاء: إذا تقدمت.

وتبربس البرجل: إذا مشي مشياً خفيفاً.

وتبربست الشيء: طلبته.

عبلهن الرجل: خرج من ثيابه.

البجارم والبجاري: الدواهي.

والمبرنشق: الفرح المسرور، قال الأصمعي: حدثت الرشيد بحديث فابرنشق.

أقول: إذا كان حديث الأصمعي صحيحاً..

ابرنتيت للأمر: إذا استعددت له.

أقول كأن ابن فارس وأصحاب المعجمات إذا قالوا «ابرنتيت» وجعلوا بعد الفعل «للأمر» ذهبوا به إلي غير المعني الأول الذي أثبتوه قبل بضع كلمات!!

ومما جاء من كلامهم على أكثر من ثلاثة أحرف أوله تاء.

الترتب: الأمر الثابت.

الترخم في قولهم: ما أدري أي ترخم هو، أي لا أدري أي الناس هو.

والتربوت من الإبل: الذلول.

ومما جاء من هذا مما أوله الجيم:

أجلوذ: اذا أسرع: والجلذي: الشديد من الأمر.

أقول: ورد الفعل «اجلوذ» والفعل «احرنجم» في كتب الصرف، ولم أر نصاً جاء فيه هذا.

والجحنفل: الغليظ الشفة.

والجرنفش العظيم الجنبين.

والمجرنمز: المجتمع كأنه من الجراميز وهو الثقل.

الخرمل والخذعل: المرأة الحمقاء.

الخزخر: القوي.

الخجوجي: الطويل.

ورجل خنشليل: ماض.

ومما أوله الدال:

دنقش الرجل دنقشة إذا نظر وكسر عينه.

والدقلص والدلمص: البراق.

والدمكمك: القوي.

والدفناس: الأحمق.

والدردس: الكبير المسن.

والدغاول: الغوائل.

والادرنفاق: السير السريع.

وأدرمج إذا دخل في الشيء.

ومما أوله الزاي:

الزغرب: الماء الكثير.

الزنترة: الضيق.

الزرنقة: السرعة.

المزمهل: الماء الصافي.

ويقال «ازمهرت» الكواكب إذا لمعت.

و«ازلأم» القوم اذا ركبوا ونصت بهم إبلهم، ويقال: إزلام القوم إذا جمعوا. وازلأم النهار إذا ارتفع ضحاه.

و«الزعبج»: سحاب رقيق: فله الفراء. وأنكر أبو عبيد أن يكون (الزعيج) من كلام العرب قال ابن فارس: والفراء عندي ثقة.

أقول: وهذا شيء يقوي عندي ما أحسبه موضوعاً من هذا الكلم الغريب.

و«الزُّملول» الأملس.

و«المُزخْروط»: الرجل الخسيس، و«الزُخْروط» الجمل المسن.

و«الزعموم»: الغبي.

و«زهرق» الرجل: إذا اشتد ضحكه.

أقول: ولم أجدها في «المقاييس» لابن فارس نفسه.

و«الزبنتر»: القصير.

و«أزرأم» الرجل: إذا غضب.

ومما أوله سين من هذا:

«السلقع»: المكان الحزن.

و«السلفع» المرأة الصخابة، والشجاع.

و«اسخنطر»: طال وعرض!!

و«أسمهد» السنام: طال. و«اسرهد» السنام: قطع قطعاً.

و«السرومط»: الطويل.

و«اسرندى» غلبه.

و«السرندى» الشديد.

و«المسعمد» الوارم.

ومما أوله شين من هذا:

«اشفتر» الشيء: تفرق.

و«الشنظرة» : التعرض لأعراض القوم بالشتم.

و«الشنظير» الفاحش.

ومما أوله صاد من هذا:

«صلخد» : صلب.

«وصلقم» : شديد العض.

«وأصمعد» الرجل: ذهب في الأرض.

و«الصمرد» الناقة القليلة اللبن.

و«الصملك» : الشديد القوة.

ومما أوله ضاد من هذا:

«الضبارك» :الضخم.

و«الضبطر» :الشديد.

و«االضبنطي» :القوي.

و«المضرغط» : الضخم والغضبان.

و«الضنفس» : الرخو اللحيم.

«الطرموس» الرغيف: وقال ثانية: خبز الملة، وقالوا: الكذاب.

و«الطلحف» : الشديد.

و«الطلخوم» : الماء الآجن.

وقال ابن دريد: «الطفنش» : الواسع صدور القدمين.

ومما أوله عين من هذا:

«العيهم» :الشديد.

و«لمعزهد» : المترف.

و«العلكد» : الشديد، وقال: العجوز الصخابة.

و«العكلد» : الشديد.

و«لبن عكلد» : خاثر.

و«العجلد» و«العجلط» : اللبن الخاثر.

و«العشنط» الطويل، والسيء الخلق.

ومما أوله غين من هذا:

و«الغذامر» و«الغذارم» : الكثير من الماء.

و«غذمرت الشيء وغذرمته إذا بعته جزافا» .

ومما أوله فاء من هذا:

«الفرشط» و«الفرشاط» : الواسع. و«فرشط» البعير: برك.

و«الفلقم» الواسع.

و«الفلحس» : الحريص، والمرأة الرسحاء.

و«الفدغم» : الرجل العظيم الخلق.

ومما أوله قاف من هذا:

«القفندر» : الشيخ، و اللئيم الفاحش!

و«القلهذم» : الحقيف، ونهر «قلهذم» : كثير الماء.

و«الفصنصع» :القصير.

و«القناعس» : المجتمع الخلق.

و«اقرنبع» في جلسته: تقبض.

و«اقفعلت» يده: تقبضت.

و«أقبان» :تقبض.

و«أقسان» : صلب.

و«أقمعد» : عسر.

و«أقذعد» : عسر.

ومما أوله كاف من هذا:

«الكنابث» : الرجل الجهم الوجه: و«تكنبث» الشيء: تقبض!!

و«المكأندر» :الشديد.

و«الكرزم» : الرجل القصير الأنف.

ومما أوله لام من هذا:

«اللعموط: الحريص، و«لعمط» الرجل اللحم: اذا أنتهسه عن العظم.

ومما أوله هاء من هذا:

«الهجرع» : الكلب الخفيف، والرجل الطويل الأحمق!!

و«اهرمع» الماء: سال، و«أهرمع» الرجل: أسرع.

و«الهلكس» : الرجل الدنيء، حكاه «الدريدي» [ابن دريد] !!

خلاصة:

هذا قليل من الكلم الذي زاد علي ثلاثة أحرف، وهو كثير، وقد وقفت منه علي الغريب الذي لم يرد في نص، والذي لم تقيد دلالته بشيء يفيد التعيين والتحديد.

وأخلص بعد هذا القدر من الكلم الذي لا يبتعد عن الشك، وقد يحوم حوله تردد في قبوله فاعرض لما هو خاص بالعربية «اليمنية» في كتب اللغة، وقبل أن أباشر هذه المادة وهي موضوع الدرس أقول:

لابد لي أن أبدأ أن الوضع تناول هذه المادة وهذا ليس غريباً، ومن هذا ما ورد في كتب الأدب[٤] «وقال أبو عبد الله المفجع» : كان المبرد (أبو العباس) لعِظَم حفظه اللغة واتساعه يتهم. فتواضعنا علي مسألة لا أصل لها، نسأله عنها لننظر كيف يجيب، وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشعر:

أبـا منـذر أفنيـت فاستـق بعضنـا

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، فقطعناه وتردد علي أفواهنا تقطيع ومنه «قبعضنا» ، فقلت له: أيدك الله تعالي

ـ ما «القبعض» عند العرب؟ فقال: القطن

يصدق ذلك قول الشاعر:

كأن سنامها حشي القبعضا» .

قال: فقلت لأصحابي: ترون الجواب والشاهد إن كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان اختلق الجواب في الحال فهو أعجب».

ولنتحول إلي العربية «اليمنية» لنري ما كان في كتب اللغة، وما صح من ذلك، وما عرض لها من الوضع والكذب. ولنبدأ بابن دريد فأقول:

ورد في حاشية ص ٣٧٨ من «سمط اللآلي من الجزء الأول:

«رأيت في تذكرة ابن العديم بخطه بالدار (أي دار الكتب المصرية) (أدب ٢٤٢ ورقمه ٥٣) أنبأني الحسن بن حمدون البغدادي، ونقلته من خطه، أنشد ابن دريد لبعض حمير:

مازلت أبكي عند بظر أم واهب
ودمعي علي زبي وزبي شائب
عجبت لحسن الفقحتين علي الخصي
وأندب أيريها وتلك الحقائب
أتيح لها القلوب من بطن قرقري
وقد يجلب الشيء البعيد الجوالب
فياجحمتا بكي علي أم واهب
أكيلة قلوب ببعض المذانب؟
فلم يبق منها غير نصف عجانها
وشنترة منها وإحدي الذوائب

قال ابن دريد: حمير تسمي القبر بظرّ وما نتأ من شيء. والزُبّ اللحية، يقول أبكي الخدود، والأيرين: الذؤابتين، وتلك الحقائب: يعني السنين، يقال: حقبة وحقب وأحقاب، وحقب وحقائب. والشنترة: الاصبع».

وقد ورد هذا الخبر، والأبيات فيه غير مجتمعة في كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي ١٣٦/١، كما ورد في «لسان العرب» في المواد (جحم وشنتر وقلب) مع اختلاف في بعض الألفاظ، وفي ضبطها وتفسيرها.

وقد عُرف عن ابن دريد وضعه للأخبار، ونستدل علي ذلك مما نقله عنه القالي من أحاديث و«مناكير ابن دريد في «لسان العرب» معروفة، ومن هذا ما ورد في «طحس»[٥]: قال ابن دريد: «الطحس» يكني به عن الجماع من (مناكير) ابن دريد، ومثل هذا مسائل عدة.

وعندي أن المصادر اليمنية من كتب اللغة والأدب والتأريخ هي المظان الجديرة بالثقة في الوقوف علي مواد هذه العربية.

علي أني أفرد من بين هذه المظان العربية التي نجد فيها بقية اللغة اليمنية التي أسماها أهل اللغة الحميرية.

قلت: وقد يتبادر إلي ذهن القارئ إن (شمس العلوم) وهو من المظان التي هرع إليها المستشرقون فنشروا أشتاتاً يسيرة من هذه المعلمة الضخمة.

أقول: إن (شمس العلوم) من كتب المعارف العامة الواسعة التي تشتمل علي فنون عدة، وإن كان المؤلف قد صرف جل همه إلي اللغة كما قال ياقوت[٦].

وقد وصفه عمارة اليمني في (المفيد) بقوله (هو شاعر فحل قوي الحبك)، حسن السبك وهو من شعراء أهل الجبل)[٧].

وقد توفي نشوان سنة ٥٧٦هـ، وهذا يعني أنه من رجال القرن السادس الهجري ومن الطبيعي أن يكون الكثير من البقايا الحميرية قد أمحي عن العربية اليمنية. ومن أجل هذا فليس لنا أن نفيد كثيراً في هذا الخصوص مما نجده في (شمس العلوم) وأكبر الظن أنه اعتمد كتب اللغويين المتقدمين غير اليمنيين في إثبات ما دعاه «يمنيـّـا» كابن دريد وغيره.

وهو في هذا بخلاف الهمداني المتوفي سنة ٣٣٤هـ والذي عاش في القرن الرابع وكان لما سجله من الآثار اليمنية قيمة علمية، تؤكدها النقوش التي اكتشفت في عصرنا[٨].

وقد كان لي أن استقريت (ضياء الحلوم) لمحمد بن نشوان[٩] ثم رأيت أن أنظر في (شمس العلوم) فيما طبع منه[١٠] وفي أصله المخطوط فأنتهيت إلي أن هذا المصدر علي فائدته وغناه في اللغة والأدب لايمكن أن يقدم فوائد في بقايا الحميرية القديمة، والذي فيه لم يختلف كثيراً عما ورد في كتب اللغويين غير اليمنيين التي سنتكلم عليها.

علي أننا قد نعثر في مصادرنا اللغوية لغير المنسوبين إلي اليمن مادة صحيحة، ذلك أن ما نقله ابن سيده فيما حكاه ابن جني مرفوعاً إلي الأصمعي صحيح يؤيده ما ورد في الأصول السبئية وهو ما رواه ابن السكيت أيضاً في خبر عن أحد ملوك حمير أنه قال لعربي: ثب، و«ثب» بالحميرية: إجلس، فوثب الرجل فاندقت رجلاه، فضحك الملك وقال: ليست عندنا عربية، من دخل ظفار حمر، أي تعلم الحميرية[١١].

ولابد من الوقوف علي الخصوصيات اللغوية اليمنية كما أفاد اللغويون قبل أن نعرض للمادة المعجمية، ومن هذا:

١ـ ما ورده صاحب «لسان العرب»[١٢] لشاعر حميري:

يا ابن الزبيـر طالمـا عصيكا

وطـالمـا عنيتنـا اليكـا

أقول: وليس لنا أن نفيد من هذا البيت الذي لم ينسب إلي قائل معروف كثيراً لأن قوله في (عصيكا) ترد الكاف في موضع (تا) للخطاب، فإذا كانت هذه كما ذهب اللغويون في اللغة اليمنية فكيف نقول في (عنيت) التي وردت فيها التاء كما في العربية!

ألنا أن نقول: إن هذه الحقبة التي قال فيها هذا الشاعر الحميري، هي الحقبة التي عفت فيها آثار الحميرية، ولم يبق إلا مخلفات يسيرة؟.

وكأن المستشرق الألماني (نولدكه) قد اعتمد علي هذا البيت اليتيم، وقاس وجود هذه الظاهرة اللغوية وهي إبدال الكاف من تاء المتكلم والمخاطبة، علي ما هو معروف منها في الحبشية[١٣].

ثم ألنا أن نعتمد وجود هذه الظاهرة اللغوية مما ورد في «الاكليل»[١٤] أيضاً؟.

٢ـ وكأني أذهب إلي غير ما يذهب الآخرون في استبعادي الخصوصيات اللغوية لدي القبائل القحطانية التي غادرت اليمن منذ قرون طويلة لا نعرفها مثل قبيلة طي، وتغلب وغيرهما. ومن هذا أن الطائيين يقولون في (بقي) و (فني) بَقَي وفَنَي مثل قضي[١٥] وكأن اللغويين حين رأوا هذه الخصوصية لدى الطائيين نسبوها إلي أصل يمني هو لغة بلحارث بن كعب[١٦].

أقول: أن مسألة النسبة في كثير من المسائل اللغوية في مصادرنا القديمة ليست أمراً يوحي بالثقة في مصادرنا القديمة، ذلك أن المسألة الواحدة تنسب إلي مصادر عدة، أو أن المصادر تختلف في هذه النسبة.

ومن هذا ما يجيء من هذه الخصوصيات في حشو خبر مفرد في حكاية تشعر بأخبار السمر ونحو ذلك فقد ورد من هذا أن حمير أو بلحارث بن كعب يقلبون القاف كافاً، وبهذا خرج رجل من مأزق وقع فيه حين خاطب المأمون قائلاً: (يا ركيك)[١٧].

أقول: وليس للدكتور هاشم الطعان أن يعتمد علي هذا الخبر فيجعله خصوصية لغوية تأريخية معتمداً علي كلمات عرض لها الإبدال في العربية نحو: صحق وضحك، وقشط وكشط، ونكت ونقط[١٨].

إن الإبدال لايمكن أن يطرد في كلمة فيها قاف فتتحول إلي الكاف، إن ظاهرة الابدال تتناول ألفاظاً بعينها. وقد يكون دليلاً علي هذا ما هو معروف متداول في الألسن الدارجة في عصرنا.

٣ـ ومن هذه الخصوصيات أن المثني والأسماء الخمسة تلزم الألف كما في كتب اللغة والنحو. وقد نسبت هذه الخصوصية إلي بلحارث بن كعب، وقد جاء من هذا قول الراجز:

أي قلـوص راكـب تـراهـا

طاروا (علا عن فطره (علاها)

فاشد بمثني حقب (حقواها)

نـاد بـه ونادبا (أبـاهـا)[١٩]

ويندرج في هذه الخصوصية أن ما كان آخره ألف مقصورة من الحروف والأسماء: نحو (علي) و (لدي) يلزم الألف عند اتصاله بضمير المخاطب والغائب نحو علاك وعلاه ولداك ولداه.

ومن هذا أيضاً قول هوبر الحرثي:

تـزود منـا بين أذنـاه ضربـة

دعته إلي هابي التراب عقيم[٢٠]

وكأن لغة بلحارث بن كعب هذه هي قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفاً فيقولون: أخذت الدرهمان واشتريت ثوبان[٢١].

أقول: وليس لنا أن نطمئن إلي نسبة هذه الخصوصية فبينا نجد مصادرنا تنسبها إلي بلحارث بن كعب نجد السيوطي لايخص بلحارث وحدهم في هذه النسبة، فقد عزاها آل بني العنبر وبني الهجيم وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان ومزدادة وعذرة[٢٢].

علي أننا قد نطمئن في نسبة السيوطي إلي أن هذه الخصوصية يمنية في الأغلب الأعم.

وجعل صاحب اللسان[٢٣] لزوم المثني للألف في قوله تعالي ﴿إن هذان لساحران﴾ لغة بني الحارث بن كعب وكنانة.

وقال أبو عبيد: كان الكسائي يحكي هذه اللغة في بني الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وأهل تلك الناحية[٢٤].

وهي لدي ابي حيان لغة بني الحارث وسليم[٢٥].

٣ـ وقد نسب أهل اللغة إلي اليمن شيئاً مما أدخلوه في (اللغات المذمومة) فقد جاء في (الكامل)[٢٦] للمبرد (وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة، قال: قال معاوية يوماً: من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق. وتيمنوا عن كشكشة تميم، وتياسروا عن كسكسة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطانية حمير. فقال له معاوية. قال الاصمعي: وجرم من فصحاء الناس.

وجرم من قضاعة، وقضاعة مشهورة في أصلها القحطاني، وإن جاء خلاف فيها بين العدنانية والحميرية[٢٧].

وقد وصفت قضاعة بالغمغمة في نص (الكامل) ونص (البيان والتبيين)[٢٨] وهي (العجعجة) في (المزهر) للسيوطي[٢٩] وهذه العجعجة قد وردت منسوبة إلي بني فقيم في مصادر أخري[٣٠].

ومن هذه اللغات المذمومة:

١ـ شنشنة اليمن وهم يجعلون الكاف شيئاً مطلقاً نحو لبيش أي لبيك[٣١].

٢ـ طمطمانية حمير كما هي في (أم) أداة للتعريف في لغة حمير [٣٢]وقيل لغة طي[٣].

٣ـ لخلخانية الشحر وعمان كقولهم: مشا الله أي ما شاء الله كان[٣٤].

٤ـ تلتلة بهراء (وبهراء من قضاعة كما في (عجالة المبتدى ص٨) والتلتلة تعني كسر حرف المضارعة نحو: تِعلمون وتِفعلون وتصِنعون[٣٥].

أقول: وهذه الخصوصية ليست في بهراء وحدها فكثير من لغات العرب قد عرفت هذا فهي فاشية في قيس وتميم وأسد وهذيل. وقد عرف أن عبد الله بن مسعود، وهو هذلي، قد قرأ: ﴿ولا تِقربا هذه الشجرة﴾. وقرأ يحيي بن وثاب ﴿ألم إعهد إليكم﴾[٣٦]

٥ـ ومن الإبدال الخاص بحمير أنهم يجعلون الجيم كافاً، كما ورد في (البيان والتبيين)[٣٧].

وذكر هذا ابن فارس في (الصاحبي)[٣٨] هذه الكاف فوضعها بين القاف والكاف والجيم، وقال: هي في سائر اليمن.

أقول: يشير إلي الجيم الانفجارية السامية الثقيلة علي نحو ما ينطق المصريون في عصرنا.

٦ـ ومن خصوصيات الحميرية أن هاء التأنيث تكون تاءً عند الوقف فيقال: تمرت وطلحت في تمره وطلحه.

ونقل ابن جني عن الأصمعي عن أبي عمرو: جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ قال: نعم أليس بصحيفة[٤٠]..

٧ـ وقالوا: إن نون الموصول تحذف في لغة بني الحارث بن كعب في (اللذان) و(اللتان)[٤١].

٨ـ ومن هذه الخصوصيات ما نسب إلي همدان وهو تشديد واو (هو) ويا (هي) علي أن السيوطي قد ذهب إلي أن تشديد الواو ضرورة بعد إشارته إلي أنه من لغة همدان.

وأشار ابن جني إلي أن تسكين الهاء الضمير المتصل لغة ازد السراة[٣٤].

٩ـ ولا أدري كيف نسب الدكتور جواد علي[٤٤] علي إبدال الميم في (مكة) بالباء (بكة) إلي العربية الجنوبية. إنه إبدال يعرض في لغات العرب عامة، وهو منسوب إلي مازن ابن ربيعة من قبائل الشمال[٤٥].

١٠ـ إن هذه الخصوصيات في نسبتها إلي أصحابها لم تكن شيئاً من العلم الأكيد، ذلك أن أصحاب المصادر اللغويين لم يتثبتوا مما أسندوه. وهم في الأغلب الأعم لم يشيروا إلي مصدرهم الذي أفاد منه هذه الفوائد. ومن هنا ليس لي أن أعلق فائدة كبيرة مما جاء في (تاج العروس)[٤٦] من أن الهمزة تقلب هاء في لغة اليمن نحو أراق وهراق.

أقول: إن الهمزة والهاء من مواد الإبدال، وهي فاشية في العربية ، وليس في طوقنا أن نعزو كل كلمة عرض فيها هذا الإبدال إلي أصحابها.. وإذا كان امرؤ القيس قد قال:

وإن شفائي عبرة «مهراقة»

فهل عند رسم دارس من معول

فلا يعني ذلك أن قوله (مهراقة) من لغة اليمن بل إنه صار إلي هذه الكلمة لحاجته إليها في شعره.

ولنعد إلي المادة اليمنية المنثورة في المصادر اللغوية وغيرها مهتدين بما جمعه الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ.

أقول: كأن الدكتور هاشم الطعان أراد أن يجمع هذا التراث المزعوم الذي ادعي فيه اللغويون وغيرهم ونسبوه إلي اليمن، وكأنه أراد أن يقتصر عمله علي الجمع والاستقراء. إن ما صنعه مفيد جداً فقد كفي الدارسين هذه المهمة.

وأذكر أن الدكتور الطعان، وقد كان من طلابي في كلية الآداب ببغداد قد وعي ما قلته، وهو يعمل في رسالته التي هي كتاب «البارع»[٤٣] للحصول علي الدكتوراه، أن يقف علي المواد اليمنية التي أثبتها ابن دريد في (الجمهرة) من مصادر اللغة والأدب والتاريخ. ثم أراد أن يخرج هذه المدة في (كتابه). لمح الدكتور هاشم الطعان أن ابن دريد قد تزيد فرمي بـ (المناكير) وأشار إلي ما وضع في كتابه، ولو أنه أفرد لهذا الأمر قدراً لنقد هذا الذي تجمع لديه أكثر مما فعل لانتهي إلي أن جل الذي استقراه من اليمنية مما لا يطمأن إليه.

قلت في هذا الدرس أن الكثير من علومنا الإسلامية قد عرض لها الوضع والعبث، وأضيف الآن فأقول: إذا كان حديث رسول الله قد عرض له ما عرض من الوضع والانتحال والدس مع أن النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد قال:

«من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ومع هذا التحذير الشديد سمع الكذابون الوضاعون هذا ولم يمتنعوا عما اضطربوا فيه فكانت (مطولات) ضخمة في الأحاديث الموضوعة.

وأعود إلي ابن دريد، وهو أول لغوي غير يمان قد استهواه التراث اليمني فتزيد وصنع وكان من بعضه (مناكيره). وعندي أن (المناكير) ليست بالعدد القليل، بل انها شيء أكثر من ذلك.

قلت: ليس لي أن أقبل هذا القدر الكبير مما أدعي يمنيته في المصادر القديمة مما لانجد له أصلاً فيما وصل إلينا من السبئية التي دعيت (الحميرية) لدي العرب.

ولكني أستدرك فأقول: إن خلو المعجم السبئي من كثير من هذا الذي أثبته اللغويون ليس دليلاً عملياً علي أنه كذب محض، ذلك أننا لانملك كل النصوص السبئية، والذي فاتنا ومازال غير مكتشف يشتمل علي تراث لغوي غير الذي وصل الينا.

أقول ومع استدراكي هذا فأني أميل إلي ماذهب إليه القدماء من تكثر ابن دريد ووضعه وقد أشرت في بحثي هذا إلي غير ابن دريد من اللغويين القدماء[٤٩] الذين عرف عنهم شيء من هذا ولابد لي الآن من وقفات علي (المعجم) اليمني الذي صنعه هاشم الطعان وضمه إلي كتبه.

١ـ **مأرب**: هي الحاجات. والمصدر كتاب (الاتقان) ٣٥/١ في علوم القرآن للسيوطي.

أقول: ولم تشر المعجمات المطولة إلي أن الكلمة (حميرية).

٢ـ **الأريكة**: الحجلة فيها السرير، أبو عبيدة عن الحسن: يمانية: كتاب (الاتقان ١٣٥/١، والصاحبي ص٣٨).

أقول: اعتمد السيوطي علي ما ذكره أبو عبيدة، وأظنه في كتابه (مجاز القرآن) علي أني رجعت إلي هذا الكتاب فلم أجده، فلعله في كتاب آخر من كتب أبي عبيدة.

وأقول أيضاً: أن أبا عبيدة كابن دريد من اللغويين المشارقة الذين لم يعرفوا اليمن ولا شافهوا أهل اليمن، ولم يشيروا إلي كتب أهل اليمن، ومن هنا فإني أميل إلي أنهم تزيدوا مدفوعين بحماستهم في تصيد الغريب والنوادر ليعرفوا بها دون غيرهم.

وكذلك أقول في ابن فارس صاحب كتاب (الصاحبي) وهو الذي قضي شطراً من عمره في مواطن غير عربية قريباً من الصاحب بن عباد وزير آل بويه.

٣ـ **أمض**: شك جاء في (السيرة ١٣/١) لابن هشام، وقال أبو عمرو: أمض أي باطل

أقول: ولم يشر صاحب (لسان العرب) الي أن الكلمة حميرية، وكأنه وجد أن قول أبي عمرو ليس بشيء.

٤ـ **إمام**: كتاب، وهي حميرية في (الاتقان ١٣٥/١) وفي تفسير (الجلالين ٢٦٠/١) ولم يشر السيوطي (المتوفي سنة ٩١١هـ) إلي مصدره.

٥ـ **أمة**: سنين في لغة ازد شنوءه (تفسير الجلالين ٢٠١/١) والاتقان ١٣٥/١ و (لغات القرآن علي هامش الجلالين ص٣٠ لحسنون).

أقول: كأن الدكتور الطعان قد توسع في اليمنية الحميرية فعد لغة أزدشنوءة منها، وهذه وإن كانت في الأصل قبيلة قحطانية إلا أنها تركت موطنها الأصلي.

٦ـ **الأنثيان**: الاذنان، وهي يمانية في حاشية سمط اللآلي ٣٧٨/١ وهي من (مناكير ابن دريد كما في «اللسان» (أنت).

٧ـ **الأيران**: الذؤابتان يمانية، وهو مذكور في السمط ٣٧٨/١. أقول وهو في (اللسان) من (مناكير) ابن دريد.

٨ـ **تبتئس**: تحزن، كندة (الاتقان ١٣٦/١) و (تفسير الجلالين ٢٠٤/١) وهي في لغة سدوس (اللغات في القرآن ص٣٢).

أقول: وهذا من توسع الدكتور الطعان الذي أراد أن يدخل في موضوع لغات القبائل التي هي من أصل قحطاني.

٩ـ **البداء**: بالكسر لغة في الفداء، هكذا ينطق به عامة عرب اليمن (تاج العروس (بدي).

أقول وكيف لي أن آخذ بقسمة من مصدر متأخر، فصاحب (التاج) من رجال القرن الثالث عشر، وهو ينفرد بهذا.

ثم أن المسألة تتصل بالإبدال، وهذا الإبدال فاش في كثير من لغات العرب. وهو مما توسع به الطعن غير ناظر للمسألة نظرة نقد.

١٠ـ **بيان (فى كلام عمر بن الخطاب)سواء**، قال الأزهري.. وكأنها لغة يمانية ولم تفش (اللسان: بب).

أقول: لو أن الدكتور الطعان من أهل النقد لتوقف قليلاً في قبول الكلمة لقول الأزهري وكأنها لغة يمانية.

١١ـ **البظر**: الخاتم، حميرية (اللسان/ بظر) وهو القبر أيضاً، وما نتأ من شيء وهي حميرية (السمط ٣٧٨/١) من (مناكير) ابن دريد.

١٢ـ **البعير**: يدل علي الماشية عموماً في السبئية (مختصر علم اللغة العربية الجنوبية لاغناطيوس كويدي).

أقول: وليس هذا خاصاً بالعربية الجنوبية، ذلك أن (بعيرا) في اللغات الآرامية تدل علي الدواب عامة.

١٣ـ **البغس**: السواد، لغة يمانية. ذكر ذلك أبو مالك (الجمهرة بغس).

أقول: لا نعرف أبو مالك من رواة الاعراب، وأنا أميل إلي أنها من (مناكير) ابن دريد.

١٤ـ **البواء**: الهلاك من لغة عمان (تفسير الجلالين ٢٣٣/١، و ٦٨/٢، ولغات القرآن) وهل لنا أن نجعل أزد عمان من اليمن من أجل هذا، وإن كانت القبيلة قحطانية؟.

١٥- **التقردة:** الكسيرة. عن ابن دريد قال: والتقردة الأبزار كلها عند أهل اليمن..

وعن ابن الأعرابي هي (التقدة) لكزبرة والكرويا، قال الأزهري: وهذا هو الصحيح وأما (التقرد) فلا أعرفه في كلام العرب.

أقول: وبحسب ما ذكره الأزهري يكون كلام ابن دريد من المصحف.

١٦- **التلم في كتاب العين:** مشق الكراب بلغة أهل اليمن (نقله عن ابن فارس في (المقاييس) ٣٥٣/١.

١٧- **تارة:** مرة، في لغة أشعر (تفسير الجلالين ٢٥/٢) و (اللغات في القرآن ص٣٧) و(الاتقاء ١٣٦/١).

وكيف للباحث الجاد أن يثق بهذه النسية، وهي في مصادر متأخرة.

أقول: والكلمات من (اليمنية) المزعومة كثيرة في هذه المصادر المتأخرة. وقد أثبتها الدكتور هاشم الطعان في (معجمه) وما أظنه اطمأن إلي ما أثبته، وقد كان همه أن يجمع هذا المتفرق في المصادر مما يعزي إلي العربية اليمنية.

ومن أجل ذلك اجتزىء بما ذكرت مما ورد في المصادر المتأخرة ودُعي يمنيا أو حميريا مثل تاج العروس، وكتب السيوطي ومصادر متأخرة أخري.

١٨- **الجمحة:** العين،حميرية أو يمانية (لسان العرب/ حجم وشنتر) و (الأمالي للتهالي ٣٦/١) و (السمط ٣٧٨/١).

وهي من (مناكير) ابن دريد. وقد وردت في (معجم المقاييس ٤٢٩/١) و(شمس العلوم، ط ليدن ٣٠٠/٢) و (جني الجنتين ص٣٣).

أقول: وفي الأبيات التي ذكرت في حاشية في (السمط) وقد تقدمت، ما يشعر أنها موضوعة، وهي غير منسوبة، وقد تكلمت عليها، واشتملت علي شئ من (مناكير) ابن دريد.

١٩- **الجربة:** المزرعة. وفي نقوش اليمن من الأمثال العدنية (نقوش ٦).

والجربة: القطعة من الأرض محدودة المعالم (الاكليل ٣١٤/٢ هامش) وفي (لسان العرب): الجربة المزرعة.

٢٠- **الجزع:** المحور الذي يدور فيه المحالة، لغة يمانية (الجمهرة/ جزع).

٢١ـ **الجنور:** مدارس الحنطة والشعير، لغة يمانية (الجمهرة/ جرن).

أقول: وهذا والذي قبله مما انفرد به ابن دريد.

٢٢ـ **الرجل:** في كلام أهل اليمن الكبر الجماع، نقله الأزهري والصاغاني (اللسان/ رجل) و (التاج/ رجل).

أقول: وهل لنا أن نفيد من هذا الذي لاسبيل لنا فيه إلا حمله علي المجاز والتو.

٢٣ـ **رصفت الوسادة بمعني ثنيتها** (الجمهرة ٣٦٤/٢) وعن (الجمهرة) وردت في (مقاييس اللغة ٤٠١/٢) و (اللسان/ رضف).

٢٤ـ **الزُب:** الذكر بلغة آل اليمن، وخص به ابن دريد ذكر الإنسان. والزب: اللحية.. وقيل: الأنف.. يمانية (اللسان/ زبب) و(الجمهرة/ بزر) وقيل الزب مقدم اللحية عند بعض أهل اليمن، وقال الشاعر:

ففاضَت دموع الحَجْمَتين بعبرة

علي الزُبّ حتي الزُبّ في الماء غامس

وهذا شاهد لا نعرفه ولسنا في ثقة من أمر نسبته. و«الجمهرة» الأصل الأول الذي أثبت هذه الفوائد. ولابد لنا أن نتذكر الأبيات المتقدمة التي وردت في (السمط ٣٧٨/١) عن (تذكرة ابن العديم).

٢٥ـ **الطحس:** يكني به عن الجماع، وهو من (مناكير) ابن دريد (اللسان/ طحس).

خاتمـــة:

أكتفي بهذا القدر الذي اجتزئ به عن سائر (المعجم) الذي ذيل الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ كتابه) الذي أشرنا إليه. وكأنه كان معنيا بجمع المادة من المصادر المختلفة والتي أفادها من استقرائه الوافي. وكأنه أيضاً أرجأ النظر في نقد ما جمعه إلي عمل آخر، ولو مد الله له في الأجل لأتي بشيء مفيد. إن هذا ما عرفته منه معرفة أكيدة.

وقد رأيت أن أختم هذا الموجز بما بسطه يوهان فك المستشرق الألماني المجتهد في لغات اليمن في ضوء ما أفاده مما ورد في (الإكليل) و (صفة جزيرة العرب) كتابي المؤرخ الهمداني وذلك في كتابه (العربية)[٥٠] وكنت أشرت إلي أن الفوائد في هذين المصدرين تعد من العلم الذي أحرز الثقة لدي الدارسين.

[من كتاب «العربية» من ص ١٥٤-١٥٩ ليوهان فك]

لقد كانت لغة البدو (في القرن الرابع الهجري) في مستوي من الخلوص والنصاعة لاتدانيه لغة المرجع والحضريين، لاسيما إذا كانت ألسنتهم لاتزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة. بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلي الإقامة والاستقرار، وبهذا إلي الاتصال الذي لاغني عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا؛ فقدت لغتهم من صفائها وخلوصها فقداناً كبيراً.

وإلي أي حد كانت الأحوال متشابكة معقدة؟ هذاما يكشف عنه بيان الهمداني (المتوفي ٣٣٤هـ) عن العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حوالي نهاية القرن الثالث[٥١] فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لاتزال تمعن في الاختفاء أمام عربية الشمال. ويقول الهمداني[٥٢] إن اللغة الحميرية القُحّة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قتاب (عنديريم الحالية) إلي ذمار. وقد كانت هذه هي المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولة الحميريين القديمة. أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهي: صنعاء، ففي أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥) ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منها لغة، لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك أيضاً. وعلي النقيض من ذلك يقع غربي صنعاء مركز ثان للغة الحميرية الخالصة (الحميرية المحضة ص١٣٦ س١) يمتد بين شبام أقبان عبر سلسلة جبال المصانع حتى حبل: تُخلى.

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة: خيوان، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلي ناحية صعدة (ص١٣٥ ـ س١٥) التي كانت تسود فيها عربية الشمال.

وفيما عدا هذا اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتي وجوه الاختلاط، إذا لم تكن قد قضي عليها تماماً من قبل الداخلين.

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأخلاط من اللهجات أنه لم يكن يري فقط أن لغة الكتابة هي القدوة والمثال، بل كان يري فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصيلة الخالصة البعيدة عن التغيير والتبديل، والتي تفرعت منها تدريجاً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف.

وعلي هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص١٣٥ س٢٥) أن صنعاء

كانت فيها بقايا من العربية المحضة، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم رديئة (ص١٣٤ س٢٤) وأن في بعضهم نوكاً وحماقة إلا من تأدب منهم.

ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات إلا أن الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والغتمة من وجهة نظر واحدة، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد.

وهو ينظر بعد هذا، هل هي معقدة صعبة الفهم علي من خرج عن محيطها؟

وهكذا نراه لايفترض أن اللهجتين المهرية والشحرية، أساساً من لغة أخري، تبتعد من عربية الشمال إلي حد يتعذر معه التفاهم، بل يصور سكان الشحر والأسعاء علي أنهم قوم لاينطقون نطقاً فصيحاً، والمهريين علي أنهم غتم يشاكلون العجم.

ولايذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت، فهو يكتفي بأنهم ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف. (ص١٣٤ س١٨).

وهو يعد فصيحة أيضاً لتلك اللهجات التي يتكلم بها في سرو مذحج، ومأرب وبيحان، وحريب، ففي هذه المناطق الواقعة علي طريق العطور والتجارة، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي، كانت اللغة الرديئة أمراً نادراً (ص١٣٤ س١٩).

وكانت فصيحة أيضاً لهجة المنطقة بين مأرب وذمار، التي يحددها الهمداني علي الصورة التالية: جبل إسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار، وإقليم كومان المتاخم له من الشمال الشرقي جيضا، وإقليم الحداء المجاور له، وجبل دِقرَار الواقع في منطقة مأرب، وأخيراً منطقة (قائفة) التي تعد من مناطقة (مراد) (١٣٥ س٥).. وكان كومان حميريون في الأصل ولكنهم صاروا في عهد الهمداني، من قبيلة مذحج [٥٣]؛ مما يدل علي أن خلوص اللغة لايرجع إلي الدم والنسب.

ويعد الهمداني أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة همدان[٥٤] الممتدة إلي الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتي نجران، وما جاور هذه الأقسام أيضاً، حيث تسكن قبائل بلحارث في الرحبة، علي حين أن صنَاف بالجوف الأعلي دون ذلك في الفصاحة (ص١٣٥ س٢٠).

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أحب، وهو شعب من همدان، علي الرغم من أنهم يتخذون: أم، بدلاً من: أل، أداة للتعريف[٥٥] ويستعملون المثنى بالألف في جميع الحالات[٥٦].

وبنو حرب، فخذ من همدان في بلد: وادعه، وهم أهل إمالة في جميع كلامهم، علي حين أن بني عمهم[٥٧] بني سعد أفصح.

علي أن المنطقة العظمي التي تغلب فيها الفصاحة تبدأ في الشمال من حدود اليمن الحقيقية عند وادعة، وتمتد عبر سلسلة السروات علي الساحل إلي غربي شبه الجزيرة.

وقد ذكر الهمداني في ص١٣٦ س٣ من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخترقها طريق القوافل، بعض أفخاذ من مذحج (جنب وزبيد؛ وقضاعة (سنحان ونهد) وأزدشنوءة (بني أسامة وعنز)، ثم من خثعم[٥٨]، وهلال وعامر بن ربيعة؛ ثم بعد هذا مرة أخري فصائل من الأزد (الحجر[٥٩] ودوس وغامد ويشكر)، ثم من فهم ثقيف فبجيلة، وأخيراً طائفة يسميها بني علي. ولكنه ينبه بوجه خاص إلي أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل (تجاه تهامه) أقل فصاحة ممن يعيشون في أعالي الجبال. وكما أثر جوار تهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم الجوف، كما يري الهمداني (ص١٣٥ ـ ص٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين..

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظته (ص١٣٥ س١٠)، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بني سعد العشيرة) من بطن تهامة لابأس بلغتهم إلا من سكن منهم القري[٦٠]، وكما يقول في ص١٣٤ س٢٥، توجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعريين، هم بنو واقد، الذين يعدون من ثقيف[٦١]، وبنو مجيد الحميريون في الأصل[٦٢]، وهما فصيحتان أيضاً.

كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بني خولان الذين يخيمون في السهل، علي حين أن بني قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (الغور) غتم غير فصحاء (ص١٣٦ س٢).

ويصف الهمداني لهجات أخري بأنها فصيحة، كاللهجات الجارية بين ذمار وصنعاء (١٣٥ س ٢٤) ولهجة السكاسك التابعين لكندة.

ويعد وسطاً في الفصاحة، وإلي اللُّكنة أقرب، لهجات بعض بقاع تقع في المنطقة الجبلية ألهان وأنيس، (غربي ذمار)؛ وإلي اللُّكنة أقرب أيضاً ما جاور ذلك في جبال حراز، وإن كان بينها ما هو متوسط بين الفصاحة واللكنة؛ علي أن بينها أيضاً ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة، لاسيما في القبائل الساكنة بمنطقة جبال الحضُور.

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني في ص١٠٦ س١٨ إن أصلهم حميري: والجحادب من حمير وقد يتهمدنون.

وأبعد من ذلك نحو الشمال، في همدان، كما يقول الهمداني في ص١٣٥ س١٢ هناك إلي جانب غذر، وهنوم، وحجور الفصحاء، يوجد غُتم أيضاً مثل بعض قُدم، وبعض الجبر. كذلك في النجد من همدان، تسود عربية مخلوطة بحميرية في سهلي البون والخشب[٦٣].

أما ظاهر همدان، النجدي، أي النواحي الواقعة علي الأطراف من الهضبة، فلغتها فصيحة.

ولهجة جبلان، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي جبال: ألهان، عسيرة الفهم، فيها تعقد، علي حين أن لهجة يحصب[٦٤] ورعين المتصلتين بجبلان من جهة المشرق أفصح من جبلان (ص١٣٥ س٢)، علي الرغم من أن الأخيرين، وهم رعين، حميريون في الأصل[٦٥].

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة الكلاع في الجنوب (ص١٣٤ س٢٦) ففي نجديها فصاحة عالية، مع عسرة من اللسان الحميري (أي من أثر البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر). وفي سراتها أي أعاليها (المناطق الجبلية) تعقد. وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي الجبلية الوعرة من سِرْو حمير، لاسيما بين من ينتمون ـ دون حق ـ إلي جعدة بن كعب من هوازن التي هي من عرب الشمال، ومساكنهم في منطقة الجبال الجنوبية المرتفعة علي الطريق من عدن إلى صنعاء... ويقول الهمداني في وصف لهجتهم: ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحير ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون: باين مْعَمّ في يابن العم و: سِمَعْ في: اسْمَعْ (ص١٣٤ س٢١).

وأبعد من ذلك إلي الجنوب، توجد لهجة أفصح، في لحج وأبين ودثينة؛ والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم.

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جَنَد، بأنها متوسطة (ص١٣٤ س٢٦).

ولهجات جيشان الواقعة جنوبي اليمن، وما جاورها من بقاع، حميرية، مثل لهجة السرو (ص١٣٥ س١).

وأخيراً في المعَافر ـ في منطقة: تعز الحالية ـ ينطقون في سافلتها لهجة فيها غُتمة، وفي علياها أفصح من ذلك (ص١٣٤ س٢٥، وانظر ص ٩٩ س١٧).

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن، فيكتفي الهمداني (ص١٣٦ س٨) بملاحظة عامة: وكذلك الحجاز فنجد السفلي فإلي الشام وإلي ديارمضر وإلي ديار ربعية، فيها الفصاحة إلا في قراها.

ثم ختم ذلك بقوله: فهذه لغات الجزيرة علي الجملة دون التبعيص والتقنين (أي دون التفصيل بذكر الخصائص الخاصة)..

أقول إن هذه الصفحات التى أضمها إلى ما قمت به مأخوذة من كتاب (العربية) ليوهان فك المستشرق الألمانى، تؤلف فى الحقيقة ألواحاً فى «الأطلس اللغوى اليمنى» لقد استوفى الأستاذ المستشرق خواص العربية اليمنية فى حواضر اليمن التاريخية فى عصر الهمدانى المؤرخ الشهير...

الهوامـــش:

١ـ سأستقري كتاب «المجمل»لابن فارس من منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت ١٩٨٥م.

٢ـ أقول: لو كان ابن فارس قد وقف علي نص جاء فيه «البرشاع» لأثبته شاهدا، وهو وغيره من أصحاب المعجمات وكتب اللغة يتعقبون النص ولو كان مما يشك فيه فيثبتون شاهداً في كلمة ولو كانت مما لا يؤدي فائدة.

٣ـ لم أجد (ابلندح) في (لسان العرب)، بل وجدت الفعل الرباعي وآخره الحاء (بلدح) بمعني أعيا مثل بَلَح (وبلح) و(بلد). ورجل بلندح ألا ينجز وعداً، والبلندح: القدم الثقيل.

٤ـ الانباري، نزهة الألياء ص١٦٦.

٥ـ من المفيد أن أشير هنا إلي أن المعجم القديم، ولاسيما «القاموس المحيط» قد اشتمل علي كلمات كثيرة تفيد هذا المعني. وأستطيع أن أقول إن كل ما يعني الدفع بقوة مع شيء من معني الدخول قد أنه في (القاموس) من بين ماانصرف إليه، إلي معني (الجماع)... ولا أدري لم اتضح هذا الانصراف فيه، في حين لم نجد من هذا إلا القليل في المعجمات التي سبقت (القاموس المحيط) ولعل من المفيد أيضاً أن نشير إلي أن طائفة من الكلم صرفت من بين ما صرفت إليه إلي (الذكر) و(الفرج). ويبدو أن الكثير من هذا هوكنايات أكثر منها المتماجنون في العصور المتأخرة.

٦ـ ياقوت، معجم البلدان (صبر).

٧ـ المفيد في أخبار صنعاء وزبيد (تاريخ اليمن) لعمارة اليمني بتحقيق القاضي محمد ابن علي الأكوع ص.

٨ـ انظر (الإكليل) في أجزائه المختلفة مما طبع في بغداد وبيروت وغيرهما، ومانشر فيها القاضي محمد بن علي الأكوع وكأن اليمنية القديمة كانت قد عفا أثرها في القرن السادس الميلادي، وأن آخر نقش قد وصل إلينا قد كتب في أواخر هذا القرن (انظر كنوز الملكة بلقيس ص٢٧٣، فيليبس ترجمة عمر الديراوي، بيروت ١٩٦١ علي أن من العلم أن نقول: لابد أن تكون قد بقيت من الحميرية(السبئية) مخلفات في عربية اليمن، وهي التي سجلها الهمداني، وأفاد منها الدرس الحديث.

٩ـ (ضياء الحلوم) لمحمد بن نشوان الحميري (مخطوطة الجامع الكبير بصنعاء).

١٠ـ ما نشر من (شمس العلوم) في ليدن، وهي أشتات يسيرة، ومانشره الجرافي منه في مجلدين، القاهرة ١٩٢٤م.

١١ـ لسان العرب (حمر، ظفر) المستقصي ٣٥٥/٢ علي أننا نجد شيئاً يسترعي النظر هو أن الشاعر العباسي ابن الدمينة قال:

مللت بصنعاء الأحاديث والمنـي
وأبغضت قصرا فوق قصر مشيدا
وأبغضت أصواتـا بهـا أعجمية
وزرقـا لـرايـا الإمـارة ذودا

١٢ـ لسان العرب (تار).

١٣ـ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون ص٩٥.

١٤ـ الإكليل (تحقيق الأكوع) ٣١٥/٢ هامش.

١٥ـ انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص٣٨٩ وخزانة الأدب ١٤٩/٤.

١٦ـ لسان العرب (بقي، فني).

١٧ـ طيفور، بغداد ص١٤٩-١٥٠، (جمع الجواهر) للحصري ص٢٠.

١٨ـ تأثر العرب باللغات اليمنية القديمة ص٢٢.

١٩ـ لسان العرب(علا)، وانظر (النوادر) لأبي زيد ص٥٨، والصاحبي ص٢٠.

٢٠ـ لسان العرب(ط صادر) ٦٤/١٠، ١٦٣/١٩، ٢٢٦/٢٠.

٢١ـ تأويل مشكلة القرآن لابن قتيبة، والصاحبي ص٢٠.

٢٢ـ همع الهوامع ٤٠/١.

٢٣ـ لسان العرب (ابن).

٢٤ـ عن القراءات واللهجات لحمودة ص٢٣.

٢٥ـ البحر المحيط ٢٧٢/٦ في كلامه علي قراءة من قرأ (فكان أبواه مؤمنان).

٢٦ـ الكامل من ٥٨١ وانظر مثل هذا في البيان والتبيين ٢١٢/٣-٢١٣.

٢٧ـ عجالة المبتدي للحازمي الهمداني ص١٠٥.

٢٨ـ انظر (لسان العرب) (غمغم).

٢٩ـ المزهر ٢٢٢/١.

٣٠ـ انظر (عجالة المبتدي) ص١٠١، وأمالي أبي على ٧٥/٢، و(الصاحبي) ص٢٥.

٣١ـ المزهر ٢٢٢/١.

٣٢ـ غريب الحديث لأبي عبيد (ط حيدرأباد) ١٣/٤.

٣٣ـ العربية لبوهان فك ص١٥٦ وسألحق بهذا البحث ما ورد في (العربية) مع المصادر التي في الهامش.

٣٤ـ المزهر ٢٢٣/١.

٣٥ـ الخصائص ٣٩٨/١.

٣٦ـ مختصر البديع لابن خالويه ص١٢٥.

٣٧ـ البيان والتبيين ٣٩٨/١.

٣٨ـ الصاحبي ص٢٥، وأنظر العربية ليوهان فك ص١٩٣.

٣٩ـ المصباح المنير (الهاء، ولسان العرب (ظفر، حمر).

٤٠ـ الخصائص ٢٥٨/١.

٤١ـ الدر اللوامع للشنقيطي ٢٣/١.

٤٢ـ همع اللوامع ٦١/١، ١٧١/٢ وانظر الدرر اللوامع ٣٧/١، ٣٨، ٢١٦/٢ وانظر اللسان هو.

٤٣ـ الخصائص ١٣٤/١، ٣٧٥.

٤٤ـ تاريخ العرب قبل الإسلام (ط. بغداد) ٣٨/٧.

٤٥ـ أخبار النحو بين البصريين (ط. الحلبي) ص٥٩ ،وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص٩٨.

٤٦ـ تاج العروس (زريق).

٤٧ـ البارع لأبي علي القالي معجم لغوي حققه الدكتور هاشم الطعان رسالة للدكتوراه، طبعته مكتبة النهضة ببغداد.

٤٨ـ تأثر العربيةباللغات اليمنية القديمة، بغداد ١٩٦٨م.

٤٩ـ جاء في مصادر أبي عمر الزاهد من النحاة أنه كان معروفاً بالوضع. وذكر في هذه المصادر أن تلامذته اتفقوا علي سؤال يسألونه وقد وضعوا سؤالاً ليس له جواب، وهو أنهم عكسوا لفظ «القنطرة» وهي درب يسلكونه للذهاب إلي حلقته فكانت «هرطنق»، حتي إذا وصلوا الحلقة، بادره أحدهم: ما الهرطنق فقال فمن فوره: هو الياقوت الأحمر، وذكرته في كتابي«اليواقيت».

٥٠ـ العربية ليوهان فك (ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار) القاهرة سنة ١٩٥١م.

٥١ـ صفة جزيرة العرب.

٥٢ـ ص١٣٥ س٤ وفي كلمة: المتعقدة انظر الفهرس اللغوي الذي عمله: ذى غويه للكتاب.

٥٣ـ انظر الهمداني ص٩٢س٢٢ (وأصلهم حميري وهم يمذحجرن اليوم).

٥٤ـ يؤخذ من ص١٣٥ س١٩ أن هؤلاء هم: عذر، مطرة، نهم، مرهبة، بيان وهو يخالف لما ذكره في س١٢ من الصفحة نفسها. وانظر في هذه القبائل:

J.Schleifer,

El 11302 B.

٥٥ـ يعد هذا من خصائص لغة اليمن: انظر ابن يعيش علي المفصل ص١٢٢٠؛ العيني ج١ ص٤٦٥؛ ووردت أيضاً في مسند أحمد ج٥ ص٣٤٣ في الحديث: (ليس من أمير امصيام في أمسفر) (وفي البخاري: بأداة التعريف المعتادة أي الألف واللام)؛ ويسميها آخرون لغة حمير، وهي التسمية المشهورة.

٥٦ـ ذكر ابن جني أن هذه لغة بلحارث؛ انظر:

O. Rescher, ZA 23 S. 23

٥٧ـ انظر الهمداني ص٩٠ س١.

٥٨ـ انظر الهمداني ص ١٣٤ س٢١ (ويجرون في كلامهم ويحذفون).

٥٩ـ انظر ص ١١٩ س٧.

٦٠ـ كرر الهمداني في ص١٣٥ س١٨ أن «الأشعر وعك وبعض حكم.. فصحاء».

٦١ـ ص ٥٣ ص٢٥.

٦٢ـ ص ٥٣ س٢٠.

دلالة الألفاظ اليمانية
في بعض المعجمات العربية(*)

هذا كتاب يشير إلي مادته ما وسم به من عنوان، وهو يشتمل علي «مقدمة» ثم «نسبة دلالة الألفاظ القرآنية إلي القبائل اليمنية»، ويلي ذلك سبعة فصول هي:

١ـ دلالة الألفاظ اللغوية من الصفحة ١٩ إلي الصفحة ٩٧.

٢ـ الأحياء اليمانية، والقبائل والبطون، من الصفحة ٩٩ إلي الصفحة ١٢١.

٣ـ مواضع اليمن، بلدانها، مدنها، جبالها، وديانها، مخاليفها، وقراها، من الصفحة ١٢٣ إلى الصفحة ٢٣٩.

٤ـ الأعلام اليمنية، من الصفحة ٢٤١ إلي الصفحة ٢٧٥.

٥ـ البرود اليمانية، من الصفحة ٢٧٧ إلي الصفحة ٢٨٢.

٦ـ الحيوانات والحشرات في اليمن، من الصفحة ٢٨٣ إلي الصفحة ٢٨٨.

٧ـ حصون اليمن وقلاعها، من الصفحة ٨٩ إلي الصفحة ٣٠٨.

٨ـ الخاتمة، من الصفحة ٣٠٩ إلي الصفحة ٣١٠.

والكتاب في حقيقته جمع لما ورد في المعجمات العربية وغيرها من المصادر اللغوية والتاريخية، ولم يقف المؤلف في مادة الكتاب علي شيء يقتضي النقد، ولم يسع إلي التثبت مما ورد، وكأنه أراد أن يكون أميناً على ما ورد في «مصادره»، وله أن يفعل ذلك.

وقد تعلق المؤلف بكل ما هو يمني ولو كان هذا علي سبيل الظن. وقد كان الفصل الأول في «الألفاظ اليمنية»، وقد سبقه إلي هذا الدكتور هاشم الطعان الذي جمع في رسالة لا تتجاوز المئة من الصفحات[1]، الألفاظ اليمنية كما أشير إليها في «المعجمات» وغيرها.

(*) (من منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء) للدكتور هادي عطية مطر الهلالي.

(١) تأثر العربية باللغات اليمنية القديمة للدكتور هاشم الطعان (مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٩٦٨م).

وكأن المؤلف الدكتور هادي.... الهلالي أحب أن يتوسع فيتجاوز القصد الذي وجدناه في كتاب الدكتور هاشم الطعان ـ رحمه الله ـ وزاد عليه فصولاً ستة نثر فيها مادة وافية حبسها علي الأحياء اليمنية والقبائل والبطون، ثم مواضع اليمن من البلدان والمدن والجبال والوديان والمخاليف والقري، ثم الأعلام اليمنية، ثم البرود اليمانية، ثم الحيوانات والحشرات، ثم الحصون والقلاع، ثم الخاتمة.

أقول: وسيكون لي وقفات علي مواد هذا الكتاب في مقدمته وفصوله وخاتمته وأثبت ما رأيته مفيداً أرمي به خدمة الكتاب، وأساعد به الأخ المؤلف الفاضل وأقول:

كأن المؤلف وقد وسم كتابه بـ «دلالة الألفاظ اليمنية» وهو موضوع الفصل الأول، قد جَرَي علي ما جري عليه القدماء من تسمية الكتب باسم الباب الأول أو الفصل الأول كتسمية الخليل كتابه بكتاب «العين»، والعين أول حرف بدأ فيه «الكتاب»، وكما صنع أبو تمام في كتابه «الحماسة»، و «باب الحماسة» أول باب في كتابه.

أقول هذا لأن مادة «الدلالة» تتضح في الفصل الأول من كتابنا هذا، وأما سائر الفصول فهي ذكر الألفاظ في مواد مختلفة كنا قد ذكرناها.

وليس في هذا ما يحمل الضيم علي الكتاب، ولكنه مما يجب أن يقال.

ولابدّ من وقفة علي «المقدمة» التي جاء فيها قول المؤلف (ص٩):

«... وكان اختلاف الدلالة للألفاظ اللغوية بين القبائل العربية اليمانية وبين القبائل العربية الشمالية دافعاً لتأليف هذا الكتاب، ودوافع أخري أهمها إغفال جهود الخليل بن أحمد في ذكر دلالات الألفاظ اليمانية، ونسبتها إلي تلميذه الليث من قبل الأزهري ومن نقل عن كتابه «التهذيب». إضافة إلي اختلاف الدلالة للألفاظ وتصحيح مانسب إلي الليث خطأ نذكر ما فات الدارسين من ألفاظ....».

أقول درج المؤلف علي القول في كتابه حين يرد ذكر الليث وما جاء في كتاب العين: والصواب أن صاحب النص هو الخليل بن أحمد، والنسبة إلي الليث خطأ.

إن ما نسبه الأزهري إلي الليث هو قول الخليل وهذا هو الصواب، ولكن الأزهري وغيره قد وجدوا أن مكان الليث في عمل الخليل في «كتاب العين» له حساب، ويجب أن ينظر إليه، فقد ذهب غير واحد من اللغويين الأقدمين إلي أن الليث روي الكتاب عن الخليل، وعاد

إليه يصلح ما فات الخليل، ولذلك دأب غير واحد علي جمع «فائت الخليل» في كتاب العين. ولم يكن من قصد الأزهري أن ينال من الخليل، وليس له أن يفعل هذا وقد اتفق أهل العلم علي أن الخليل من القمم العالية، وأنه معدن خاص أصفي من الجوهر وأغلي من الذهب كما قال سفيان بن عيينة أحد التابعين.

وقال المؤلف بعد إشارته إلي «التهذيب» وأنهي جملته: «إضافة» بالنصب، ولا أدري كيف جاز له أن يبدأ هذه الجملة علي هذا النحو. إن استعمال «إضافة» منصوبة في هذا السياق، هو عربية معاصرة، ومن الضروري والمناسب أن تكون اللغة قوية سديدة في الكلام علي «المعجم التاريخي» وأن تكون بمنأي عما يدرج به الناس ويكتبونه في الصحف ودراساتهم الحديثة.

ثم إن «الإضافة» في العربية الفصيحة القديمة كانت تعني «النسبة» فكان يقال مثلاً: إن هذا أقل ما نعرف بالإضافة إلي الخليل بن أحمد، أو نقول: إن هذا بالإضافة إلي ذلك قليل.

لا أقول: إن استعمال «إضافة» في اللغة المعاصرة بمعني الزيادة من الخطأ، ولكني لا أري أن تبدأ بها جملة، ولم يكن تقديمها لما يقتضي باب التقديم، وهو العناية بالشيء.

وأتحول إلي الصفحة (١٣) فأقرأ فيها:

«... وسبب اختيارنا لرواية أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه «أزاد» علي رواية ابن حسنون وغيره...».

أقول: لم نعرف في العربية أن الفعل «زاد» تزاد فيه الهمزة، ذلك أن الفعل «زاد» هو متعدّ بنفسه، قال تعالي: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾.

والشواهد كثيرة من الآيات الكريمة، والفعل لم يكتف بالمفعول الأول بل اقتضي مفعولاً ثانياً. كما يأتي الفعل «زاد» لازماً، كأن تقول: زاد المال زيادة مباركة.

كأن المؤلف قد أخذ يدرج به المعربون في عصرنا من الخطأ فغلب عليه.

وجاء في هذه الصفحة قول المؤلف:

«... ونحن هنا نثبت جدولاً اعتماداً علي ما رواه أبو عبيد منسوباً لابن عباس: أقول: كان ينبغي أن يكون المؤلف حذراً فيما ينسب إلي ابن عباس، ولو رجع إلي سؤالات نافع ابن

الأزرق لابن عباس عن طائفة من ألفـاظ القرآن، لوجد فيها شيئاً لايمكن أن ينسب إلي ابن عباس، ذلك أن شواهد الشعر فيها من المنحول المصنوع، والسؤالات مثبتة في «الإتقان» للسيوطي.

والفعل «نسب» يصل إلي مدخوله بالحرف «إلي» وليس اللام كما ورد في قول المؤلف: «منسوباً لابن عباس».

وأنت تشعر بضعف القول بالنسبة إلي القبائل اليمنية فيما نسب الي ابن عباس من أقوال، ومنه «أساطير الأولين» بمعني كلام الأولين بلغة جرهم، وهو شيء عام لدي مجموع العرب. ومنه أيضاً مما نسب إليه «خلاله» من قوله تعالي: ﴿فتري الودق يخرج من خلاله﴾[1]، وأنت واجد فيما أثبته مما نسب إلي القبائل اليمنية تجوّزاً لايمكن أن يكون لغة خاصة تنسب إلي قبيلة ما، وإليك بعض هذه الألفاظ علي سبيل المثال:

فباءوا بغضب يعني استوجبوا، بلغة جرهم.

لفي شقاق بعيد يعني في ضلال بعيد، بلغة جرهم.

تعضلوهنّ يعني تحبسوهنّ، بلغة ازدشنوءة.

تفشلا يعني تجبنا، بلغة حمير.

من حَمأ مسنون، الحمأ: الطين، والمسنون: المنتن، بلغة حمير.

أجتزئ بهذا القدر وأقول: إن هذا الذي نسب إلي جرهم وحمير وغيرهم هو مما عرف لدي سائر القبائل العربية بلهَ اليمنية، وكتب القرآن والتفسير تشهد بهذا.

(١) ٤٨ سورة الروم، فقالوا: معناه السحاب.

من أصول العربية اليمنية
سعة الفعل فيها

أقول: «عربية يمنية» لأنها اشتملت على مواد لغوية أول ما عُرفت فيها علي النحو الذي عرفت فيه من الذيوع والوضوح. ومن هذا مادة «الفعل» التي تفيد الثبوت والدوام، وأعني بها ما اصطلح عليه في مصنفات النحاة المتأخرين «الفعل المضارع».

إن العناية بـ «مادة الفعل» و «الجملة الفعلية»[1] من الخصائص البارزة التي اتصفت بها مجموعة ما أسموه «اللغات السامية». غير أن العربية اليمنية من هذه اللغات قد اتضح فيها «الفعل» وما كان منه توسّعاً واستعارة.

ولم يصل الينا من العربية اليمنية[2] الشيء الكثير، وربما يكون لي أن أثبت هنا ما ورد في «الإكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني بصفة خاصة، وشذرات أخري من المصادر المتفرقة في كتب اليمن وغيرها. وأما كتاب «شمس العلوم» لنشوان الحميري فهو كتاب جامع لتأخّر صاحبه في الزمان. إنه كتاب يجمع من العربية المشهورة مما ورد في كتب اللغة وفيه الكثير من العربية التي لاتتصل باليمن.

---

(١) أريد بـ «الجملة الفعلية» غير ما ذهب إليه النحاة وأثبتوه في كتبهم ومازال عليه طلاب الدرس النحوي إلي يومنا هذا. إن الجملة الفعلية ما كان فيها المسند فعلاً، وعلي هذا يكون قولنا: «اقام زيد» و «زيد قام» جملة فعلية، وليس من فرق إلا في تقديم المسند وتأخيره لغرض يرمي إليه المعرب مما يقتضيه الكلام.

(٢) أقول: «العربية اليمنية» ولا أقول «الحميرية» التي شاعت لدي اللغويين العرب وهي اليمنية التي بقيت بقاياها في القرنين الأول والثاني الهجريين، والتي لم يتقبلها اللغويون بقبول حسن، فقد أثر عن أبي عمرو بن العلاء قوله:
«ما لغة حمير بلغتنا ولا لسانها بلساننا».
وقالوا: «من تجاوَز ظفار «حمّر».

ثم إنا لانستطيع أن نثق بجميع ما ورد في مصادرنا العربية من معجمات وغيرها منسوباً إلي اليمن، ذلك أن أصحاب هذه المصادر، ورواة اللغة الذين ذهبوا إلي أن الكلمة يمنية لم يكونوا علي قدر من الثقة التي يتطلبها العلم بما قيل فيه إنه يمني. ولك أن تدرك هذا اذا استقريت «جمهرة اللغة» لابن دريد ووقفت فيها علي ماقيل إنه يمني الذي ذُهب فيه إلى الظن والحدْس وليس في ذلك صفة لعلم أكيد[1].

ومن المفيد أن أشير إلي أن بين العربية الشمالية وبين العربية اليمنية وشائج رحم، وهو ما يكون بين أفراد الأسرة الواحدة، ونحن واجدون في كتب اللغة ما يشير إلي هذا. غير أننا ملزمون أن نتحرّز في كل ما يُنعَت أنه يمني في معجمات العربية، ذلك أن كثيراً منه لم يكن من العلم، وكان سبيل اللغويين فيه الظن، كما هي الحال في «جمهرة اللغة» لابن دريد كما قدمنا.

غير أننا نقف علي مواد نجد صدقها في المصادر اليمنية، وهي في مصادرنا القديمة معزوّة إلي اليمن، ومن هذه:

«ذو» الطائية التي استشهد لها النحاة وغيرهم بقول حنبل بن اسحاق:

فإنّ المـاء مـاء أبـي وجـدّي وبئري ذو حفَرتُ وذو طَوَيتُ

وهي موصول بمعني «الذي».

ومنها ورود الميم في آخر «ابن»، وظنّوا أن هذه «الميم» زيدت في «ابنُم» كما زادوها في «شَدْقَم» و «زُرْقُم» وغيرهما، وجعلوا هذه الزيادة للمبالغة. لقد فاتهم أن هذه «الميم» في «ابنُمْ» حرف يقابل «نون التنوين» في العربية الشمالية.

ولجهلهم حقيقة هذه الميم في «ابنم» ألحقوها بنون رُسِمت خطأً فقالوا:

«ابنُمُن»[2]، وكأن هذه كلمة أخري غير «ابن». وقد وردت هذه مع الأسماء التي قالوا:

(١) ومن المفيد أن أشير إلي مبحث للأستاذ القاضي اسماعيل بن علي الأكوع موسوم بـ «الأفعول» وما جاء علي وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن، نشر في المجلد ٦١ الجزء الثاني من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٦-١٩٨٦.

(٢) ولي أن أجتهد فأقول: إن «أيْمُن» ليست مع هذه الأسماء التي ألفها «همزة وصل»، ذلك أنها جمع «يمين»، ولما كثر استعمالها في القسم سهّلت الهمزة التي هي همزة جمع فقالوا: «أيمن الله»، ثم قالوا: «وايمن الله» و «ويم الله».... =

ان الألف فيها «همزة وصل» وهي: ابن، وابنمن، واثنان واثنتان، واسْت، واسم، وامرؤ، وامرأة...

ولجهل المعربين بهذه «الميم» حسبوها أصلاً كما في قول حسّان:

وَلَدنا بني العنقاء وابنَي محرِّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ «ابْنَما»

وكقوله الآخر:

ولم يَحْمِ أَنْفاً عند عِرْسٍ ولا «ابْنَمِ»

ولابد من الإشارة إلي أن مادة الفعل في العربية قد شغلت مساحة واسعة تظهر في طائفة من الكلم في أبنية واشتقاقات كثيرة. وأنت تجد ذلك فيما دُعي لدي الصرفيين بـ «المشتقّات» وفي غيرها من الكلم.

ثم إن العربية تصرَّفت في الكلم الجامد فأخذت منه الفعل والمصدر، ويُتَبَيَّن هذا فيما أخذ من الأصول الحسيّة.

وأعود إلي العربية اليمنية فأجد الفعل حاضراً في أسماء المواضع والأحياء وأعلام القبائل وأعلام الرجال والنساء وغير ذلك. وسأستقري ما أجد ومن ذلك في «كتاب»:

١ـ الإكليل للهمداني «في الأجزاء المنشورة منه».

٢ـ صفة جزيرة العرب للمؤلف نفسه.

وأبدأ بالجزء الأول من «الإكليل»[١] فأجد فيه ما ورد علي «أفعَل» من أعلام الرجال، وأذكر ما هو يمني دون غيره[٢]، وهو:

= وقد طُويت الهمزة في القولين الثاني والثالث لكثرة الاستعمال، وهو حيِّز القسم. وتردّد النحاة الأقدمون في هذه الهمزة، ومنهم سيبويه أوَصل هي أم همزة بناء الجمع «أيمن»؟
وعندي أن هذه المسألة قد جاء لها التصحيف، وذلك أن «أيمن» في الرسم والخطّ مثل «آبنُمن» التي معناها «ابن» فذهبت معها، وقد رأينا أن «أيمن» جمع «يمين».

(١) حققه وعلّق حواشيه محمد بن علي الأكوع (مطبعة السنة المحمدية ١٣٨٣-١٩٦٣).

(٢) سأذكر من الأعلام التي جاءت علي وزن الفعل ما اختص منها باليمن فأما الأعلام التي عرفت في اليمن وفي غيره نحو: يحيي ويزيد وغير ذلك فلا أذكرها في هذا الاستقراء، وقد استبعدت الأعلام التي جاءت بزنة أسماء الفاعلين وأسماء المفعولين، والصفات، وأسماء الزمان والمكان وأسماء الآلة علي قربها من المادة الفعلية.

١ـ آوَي بنت أكلب ١/٣٥٥.

٢ـ أخزَم بن أخزم الطائي، جد حاتم بن عبد الله الطائي الذي قيل فيه أجود من حاتم ١/٩٨.

٣ـ أزمَع بن خَولان، جاء ذكره في الكلام علي سعد بن خولان وإخوته ١/٢٠٣، ٢٠٩، ٣٢٥، ٣٤٨، ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٦.

٤ـ الأصبع بن حجر، وذكر في أخبار «بني سعد بن خولان»، انظر ١/٢٢٨.

٥ـ الأصهب بن خولان، وذكر في «نسب خولان بن عمرو»، انظر ١/٢٠٣ كما ذكر في «نسب خولان العالية» انظر ١/٣٤٥.

٦ـ أعرم بن الأصحر، وذكر في أخبار «بني سعد بن خولان»، انظر ١/٢١٨، ٢٧٤.

٧ـ أعرم بن عمرو بن سعد بن الليث، وذكر في أخبار «بني سعد بن خولان»، انظر ١/٢٧٤.

٨ـ أعنق بن سعد بن الربيعة، وذكر في «أنساب رازح بن خولان»، انظر ١/٣٢٣.

٩ـ أعلي بن يغنم بن الربيعة، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/٣٥٥.

١٠ـ أغرب بن الأسووق، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/٣٥٣.

١١ـ أفلح بن سبأ، وذكر في «نسب قحطان بن عامر»، انظر ١/١٢٦، ١٣٣.

١٢ـ أفلح بن اليعبوب المشجعي، وذكر في «باب تصحيح نسب قضاعة»، انظر ١/١٦٦.

١٣ـ الأقدم بن الأسووق، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/٣٥٥.

١٤ـ أنوَف بن حي، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/٣٤٨.

١٥ـ تَزيد بن الحاف الأكبر، من قضاعة، انظر ١/١٨١، ١٨٢.

١٦ـ وتزيد بن حلوان، وتزيد بن حيدان، وتزيد بن عمرو، وكلهم من قضاعة، انظر ١/١٨١، ١٨٩، ١٩١.

١٧ـ وتَغلب بن حلوان، وتغلب بن وائل، وتغلب بن وبرة، وكلهم من قضاعة، انظر ١/١٨١، ١٨٤.

١٨ـ يامَن بن قحطان، وهو ممن ذُكر في الكتب القديمة، وكتب الأنساب أنه من ولد قحطان، ١/١١٩.

١٩ـ يَثرِب بن قاينة، وذكر في حشو مبحث عن أولاد سام بن نوح، انظر ٨١/١.

أقول: و«يثرب» مدينة رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ والتسمية يمنية. ولما نزلها سماها طيبة وطابة، كراهية التثريب، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها (ياقوت ٤٢٠/٥).

٢٠ـ يَحْنَن بن حسريت، وذكر في نسب مهرة بن حيدان، انظر ١٩٢/١، ١٩٤، ١٩٨.

٢١ـ يريم بن كثير، وذكر في نسب عنز بن وائل، انظر ٢٩٤/١.

٢٢ـ يرسم ذو معار، وذكر في نسب عمرو بن يزيد بن مسعود بن عروة بن مسعود، في حاشية المحقق وهي مفيدة لاشتمالها علي فوائد تخص هذا العلم، انظر ١٨٩/١ الحاشية (٣).

أقول: واستعمال «ذو» في صدر الأعلام خاص باليمن، وأذواء اليمن معروفة، ولابد أن يكون «ذو»[1] من هذا بمعني اسم الموصول «الذي» وهو الذي ذكره النحاة في «ذو الطائية»، وقد سيق الكلام عليه. ثم إن البحث في النحو المقارن في اللغات السامية يشير إلي أن مادة هذا الاسم هو حرف الذال مع صوت المدّ بعده وأما الألف واللام فزيادة في العربية لزيادة بناء الكلمة.

٢٣ـ يشجُب بن سَبَأ، وذكر في باب فرق ما بين عدنان وقحطان، ورد في أبيات لحسّان جاء فيها:

فمن يكُ عنّا معشر الأزد سائلاً ... فإنا بنو الغوث بن نبْت بن مالكِ

ابن زيد بن كهْلانِ نَمَي سَبَأً له ... إلي يشجُبٍ فوق النجوم الشوابكِ

ويَعـرُب ينميه لقحطـان ينتَمي ... لهـودٍ نبـيّ اللـه فوق الحبائكِ

يمانون عاديـوّن لم يلتبـس بنـا ... مناسِبُ شابت من أولَي وأولئكِ

انظر ١٠٥/١ـ١٠٦، ١١٤، ١٢٧، ١٣٣.

---

(١) «ذو» تسبق الأعلام للرجال والمواضع ونحوها، وهو معروف في التراث اليمني، وقد عرفنا ذلك في المصادر اليمنية، وغيرها من المصادر العربية.

ومن هذا: ذو نواس، من ملوكهم الأقدمين، وسيف بن ذي يَزَن، وفي المصادر اليمنية الكثير.

ولعل «ذو» بمعني «صاحب» في العربية العدنانية من هذا الأصل اليمني.

وهو لا يبتعد عما عرف في مصادرنا بـ «ذو الطائية».

٢٤ـ يشجُب بن قحطان، ذكر في «نسب حمير بن سَبَأ»، انظر ١/ ١٣٠.

٢٥ـ يشكر بن وائل، وذكر في «نسب هود عليه السلام» في الحاشية (٢) ١/ ٨٩ وقد جاء: أن الحارث بن حلِّزه الشاعر الجاهلي، ينتهي نسبه إلي يشكر بن وائل...

٢٦ـ يعجب بن الأسووق، وذكر في «نسب خولان»، انظر ١/ ٣٥٣، ٢/ ١١٣.

٢٧ـ يعرب بن قحطان، وذكر في تتمة حاشية المحقق، انظر ١/ ٧٣.

٢٨ـ يعلَى بن يزيد: بن مالك بن زيد بن أسامة، وذكر في نسب «بني سعد بن خولان ١/ ٢٧٢.

٢٩ـ يعلى بن رازح، وذكر في «أنساب رازح بن خولان»، انظر ١/ ٣٢٣ كما ذكر في «نسب خولان العالية» ١/ ٣٤٨.

أقول: ومن المفيد أن «رازح» مدينة لاتزال حيّة، كمايقول المحقق في الحاشية (١)، وتقع غربي مدينة صعدة بمسافة يومين، ورازح أيضاً: وطن وقبيلة من عتمة من حمير.

٣٠ـ يعلى بن سعد بن عمرو المالكي، وذكر في «نسب حيّ بن خولان، انظر ١/ ٢٠٩

أقول وقد ورد هذا في مدح بني حي، وهو المادح لهم ويذكر مخرجهم إلي مصر، يقول في:

ذهب الزمان لملك آل محرّقٍ ورَمَـي صَفاتهم بيومٍ قَمطـرِ

قال المحقق في الحاشية (٤): لم أعثر لهذا الشاعر علي ترجمة.

٣١ـ يعلى بن عمرو بن زيد، وذكر في نسب «بني سعد بن خولان»، انظر ١/ ٢٢٦.

أقول: وقد خلط المحقق في «فهرس الإعلام» بين يعلي بن عمرو هذا وبين يعلي ابن عمرو بن يزيد بن معود بن عروة بن مسعود المذكور في ص ٢٨٤ من هذا الجزء وص٢٨٩.

٣٢ـ يعلى بن عمرو بن يزيد، ذكر في يعلي بن عمرو بن يزيد.

٣٣ـ يعلى بن غالب، وذكر في «نسب غالب بن سعد بن سعد بن خولان»، انظر ١/ ٣١٤.

٣٤ـ يعلى بن هاني، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/ ٣٤٨.

٣٥ـ يعنق بن الربيعة، وذكر في «نسب خولان العالية»، انظر ١/٣٥٥.

٣٦ـ يغنم بن ربيعة، وذكر في أخبار بني سعد بن خولان، انظر ١/٢٧٧.

٣٧ـ يغنم بن سعد بن الربيعة، وذكر في «أنساب رازح بن خولان»، انظر ١/٣٢٣.

٣٨ـ يمني بن قحطان بن هود، وذكر في «نسب حمير»، انظر ١/١٣٢.

الأعلام فى الجزء الثانى من «الإكليل»[1]

٣٩ـ أبدَر بن مسوَر، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٢/٨٢.

٤٠ـ أبرش بن الحارث، وذكر في «بنو حَجر بن يريم ذي رُعَين»، انظر ٢/٣٥٧.

٤١ـ أبو الأغر الكلالي، صاحب معني بن زائدة، انظر ٢/٣٦٦.

٤٢ـ أبيَن بن زهير، وذكر في «نسب أبي نصر»، انظر ٢/٣.

٤٣ـ أحسس بن جُعشُم، وذكر في «نسب جعشم الخير»، انظر ٢/٢٠.

٤٤ـ أحصن بن الحارث، وذكر في «آل سخيم من الكلاع....»، انظر ٢/٢٧١، ٢٧٦.

٤٥ـ احنَي بن ثَوَي، وذكر في «نسب جدام بن الصدف»، انظر ٢/١٨.

٤٦ـ الأخنس بن أخنس بن حجر، انظر ٢/٦٨، ٧٣، ٣٥٦، ٣٦٠.

٤٧ـ الأخنس بن زيد، ذكر في «نسب شرحبيل بن عمرو»، انظر ٢/٧٣، ٧٤.

٤٨ـ الأخنس بن كَبر إلي، انظر ٢/١٣٩.

٤٩ـ أرعد بن شرحبيل، وذكر في «آل ذي رعين الأكبر»، انظر ٢/٣٤٦، ٣٤٧.

٥٠ـ أسعد بن أبي يعفر الحوالي، وذكر في «بنو يحصب»، انظر ٢/١٩٥، الحاشية (١).

٥١ـ أسعد تبع بن ملكيكرب، ذكر في «آل الصوار»، انظر ٢/٥٨، ٥٩، وذكر في «بنو صيفي بن حمير بن كعب ص١١٠، وذكر في «نسب آل ذي يزن ص٢٥٦، وفي «آل عمرو ابن ناكور ص٢٧٧.

٥٢ـ أسعد بن الشمرذل الجهني، ذكر في «آل الصوار»، انظر ٢/٥٥.

---

(١) سيرد في هذا الجزء شيء قليل من الأعلام التي وردت في الجزء الأول، وقد اقتصرت علي ما أوردته في الجزء الأول، ذلك أن قصدي التنبيه علي الأعلام اليمنية المأخوذة من الفعل وجاءت علي بنائه ووزنه.

٥٣ـ أسعد بن عمرو، ذُكر في «نسب آل الحضرمي»، انظر ٢/٣٥.

٥٤ـ أسلم بن ذي أصبح، ذكر في «الأصابح»، انظر ٢/١٤٤.

٥٥ـ أسلم بن زيد بن الغوث، ذكر في «بنو صيفي بن حمير بن كعب»، انظر ٢/١١٠، وذكر في «آل الغوث بن سعد» ص ٢٤٩.

٥٦ـ أسلم بن شرحبيل بن الحارث... وذكر في «نسب الحزافر»، انظر ٢/٣١٥.

٥٧ـ أسلم بن يُكرب، وذكر في «نسب قطن»، انظر٢/٩٥، ٩٦.

٥٨ـ الأسود بن ياسر، وذكر في «نسب ذي مناخ» انظر ٢/٩٣.

٥٩ـ الأسود بن عمرو الكلاعي، وذكر في «آل الكلاع»، انظر ٢/٢٦٥.

٦٠ـ الأسود بن كعب العنسي، وذكر في «نسب سَدد بن زرعة بن سبأ بن كعب»، انظر ٢/١٦١.

٦١ـ الأسود بن المعترف، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٢/٧٥.

٦٢ـ الأسود بن يعفر النهشيلي، وذكر في «باب الأسماء المتفقة في الحروف المتخالفة في البنية من أسماء حمير وغيرها»، انظر ٢/٤٤٠، ٤٥٧.

٦٣ـ أشغم برك بن الصوار، وذكر في «نسب الغوث»، انظر ٢/٩١.

٦٤ـ أشمر بن زرعة، وذكر في «نسب آل ذي يَهَر»، انظر ٢/١٩٠.

٦٥ـ أصبح بن زيد بن قيس، ذكر في «أولاد قيس بن صيفي»، انظر ٢/١٣٧.

٦٦ـ أصبح بن عمرو، ذكر في «الأصابح»، انظر ٢/١٤٦.

٦٧ـ أصرّ بن حَمُل، وذكر في «آل ذي حسان ذي الشعبَين»، انظر ٢/٣٨٢.

٦٨ـ الأعصم بن عمرو الحميري الذي قال في ياسر النعم الذي رد الملك علي حمير بعد سليمان [سليمان بن داود عليهما السلام]:

وياسر الخير ومنعامه ومدعم الملك علي كل حال

انظر ٢/٦٩

٦٩ـ الأعصم بن عمرو بن سامة، ذكر في «نسب علاق بن عمرو بن ذي أبيَن»، انظر ٢/٧٦.

٧٠ـ أعلل بن ذي حولان، ذكر في «بنو مالك بن سهل بن زيد»، انظر ٣٨٣/٢.

٧١ـ أغلس بن علقمة ذو جدن، ذكر في «آل جَدَن»، انظر ٢٩٦/٢.

٧٢ـ أفلح بن عبد كُلال بن عربب، وذكر في «بنو مثوّب بن يريم ذي رعين»، انظر ٣٦٢/٢.

٧٣ـ أكلب بن سهل بن زيد، وذكر في «نسب جُشم بن عبد نغمس»، انظر ١٠٥/٢.

٧٤ـ أُلَي بن مالك بن الصدف، ذكر في «بطون الصدف»، انظر، ١٧/٢، ٣٧، ٣٨، ٣٩.

٧٥ـ آمَن، وهو هامَن بن ذي أصبح، إلا أن حمير قد تبدل الهاء مكان الهمزة، وقد يفعل ذلك العرب، قال ذو الرمة:

عشية فـرَّ الحارثـون فأمعنـــوا ... وغودر منهم ملتَقي الجيد هَوْبَرُ

يريد أوبر الحارثي، والقتيل يزيد بن هَوبَر (انظر ١٣٨/٢).

٧٦ـ أوتر (في شعر تُبَّع)، انظر ٣٨٩/٢.

أقول: سقط من النص المطبوع أثناء صف الملازم من ص٣٨٥ إلى ص٤٠١، وهو ملزمة كاملة وحل محلها ملزمة أخري هي من ١٤٥ـ١٦٠، وقد كررت هذه في الذي أثبته من «فهرس الأعلام».

٧٧ـ الأهجر بن شهران، ذكر في «نسب ينكف بن عبد شمس»، انظر ٦١/٢.

٧٨ـ أيفع بن عمرو الميتمي، ذكر في نسب «بني مثوة بن يريم ذي رُعين»، انظر ٣٥٦/٢.

٧٩ـ أيمن بن الحارث بن شرحبيل، ذكر في نسب «آل ذي رعين الأكبر»، انظر ٣٣٦/٢، ٣٣٨، ٣٤٨.

٨٠ـ أيمن بن الهميسع، وذكر في أول هذا الجزء، انظر ١/٢، ٣، ٧، ٤١.

٨١ـ تجيب بنت ثوبان المذحجية، ذكرها محمد بن علي الأكوع في الحاشية (٥) من الصفحة ٢٩ فقال: هي أم عديّ وسعد ابني الأشرس بن شبيب بن السكون بن كندة فنسبوا إلي أمهم المذكورة...

٨٢ـ تُخلي بن عمرو بن معدي كرب، وذكر في «نسب عِلاق بن عمرو [بن ذي أبيَن]»،

انظر ٢/٨٠، ٨٢.

قال الهمداني: تُخلي علي وزن تولي، فاذا نسبت العرب الفصحاء إليه قالوا: فلان التَخليّ فيفتحون التاء.

٨٣ـ تدمُر ابنة حسان بن أذينة بن السميدع، وذكر في «نسب السميدع»، انظر ٢/٩٠.

٨٤ـ تُراحبب بن صُهابة، وذكر في نسب «صهابة بن خُوار»، انظر ٢/٢٣، وانظر ٢/٢٨٣.

٨٦ـ تَريم بن حضر موت، وذكر في «نسب حضر موت بن سبأ الأصغر»، انظر ٢/٣٦٩.

٨٧ـ تعود بن أصبح، وذكر في «الأصابح»، انظر ٢/١٤٦.

٨٨ـ تَليد بن باقل، وذكر في «نسب حُريم»، انظر ٢/٢٦.

٨٩ـ تمضُر بن سَمُرة، وذكر في «نسب خُوار بن الصدف»، انظر ٢/٢٠.

٩٠ـ تَنأد بن أبرش، وذكر في «بني حَجْر بن يريم ذي رُعَين»، انظر ٢/٣٥٦.

٩١ـ تنأد بن ذي أشرس، وذكر في «نسب علاق بن عمرو بن ذي أبيَن»، انظر ٢/٨٢.

٩٢ـ تنأد بن ذي عرار، وذكر في «نسب علاق بن عمرو بن ذي أبين»، انظر ٢/٨٢.

٩٣ـ تُناعِم بن ذي مكارب، وذكر في «نسب نُعاتة»، انظر ٢/٣٦٨.

٩٤ـ تُنعِم بن حضر موت، وذكر في «نسب حضر موت الأصغر»، انظر ٢/٣٦٩.

٩٥ـ تنوخ بن ثابت، وذكر في «آل ذي حسّان ذي الشعبين»، انظر ٢/٣٨١.

٩٦ـ تُوحِم بن وائل، وذكر في «نسب مُقري»، انظر ٢/٢٥٤.

٩٧ـ توحم بن مقري، وذكر في «نسب مقري» انظر ٢/٢٥٤.

٩٨ـ توعر بن يوعس، وذكر في «آل ذي أقبان بن سبأ»، انظر ٢/١٠٩.

٩٩ـ هامَن بن ذي أصبح = انظر: آمَن[1].

١٠٠ـ يامَن بن حسان[2]، وذكر في ٢/١٣٨.

١٠١ـ يامَن بن الهميسع، وذكر في «نسب أبي نصر»، انظر ٢/

---

(١) آمَن الذي أصله «هامن»، والهاء في الحميرية تقابل همزة «أفعل».

(٢) يامَن هو من وزن الفعل، وهو يقابل «يأمَن».

١٠٢ـ يجرح بن شمر ذي الجناح، وذكر في «نسب علاق بن عمرو بن ذي أبين»، انظر ٧٨/٢.

١٠٣ـ يُحبس بن ذُخار، وذكر في «نسب علاق بن عمرو بن ذي أبين»، انظر، ٨١/٢.

١٠٤ـ يَحصان بن القَفاعة، وذكر في نسب «بني عبد شمس بن وائل»، انظر٩١/٢.

١٠٥ـ يحصُب بن دهمان، وذكر في «بني يحصُب»، انظر ١٩٣/٢.

١٠٦ـ يحضب بن إلي شرح بن الصوار، ذكر في «نسب إلي شرح يحضب»، انظر ٨٦/٢، ٨٧.

أقول: وهو بالصاد أيضاً «يحصب»، ذكر ذلك الهمداني.

١٠٧ـ يحبُر بن الحارث، ذكر في نسب «آل ذي رعين الأكبر»، انظر ٣٣٦/٢، ٣٤٧، ٣٤٨.

١٠٨ـ يُحمد بن أسعد بن عمرو، ذكر في «نسب آل الحضرمي»، ٣٥/٢.

١٠٩ـ يُحمد بن خَنفر، وذكر في نسب «بني صيفي بن حمير بن كعب»،انظر ١١٤/٢.

١١٠ـ يُحمد ذو الأنواح بن يريم، وذكر في نسب «بني سُليم بن شرحبيل»، انظر ٣٢٨/٢.

١١١ـ يدرص بن عامر ذي حوال، وذكر في «نسب آل يُعفِر الحوالي»، انظر ١٧٧/٢.

١١٢ـ يَداع بن ذي خولان، وذكر في «بني مالك بن سهل بن زيد»، انظر ٣٨٣/٢.

١١٣ـ يَدَع بن مهرة، وذكر في نسب «آل ذي يَزَن»، انظر ٢٦٣/٢.

١١٤ـ يدوم بن جرح، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٧٨/٢.

١١٥ـ يَرسُم بن الغوث الكبري، وذكر في أول هذا الجزء ٢/٢.

١١٦ـ يرسم بن جُشَم بن عبد شمس، وذكر في ٣/٢.

١١٧ـ يريس بن حضور، وذكر في «نسب حضور بن عدي»، انظر ٢٨٣/٢.

١١٨ـ يريم ذو رُعين بن سهل، وذكر في «نسب جُشم بن عبد شمس»، انظر ١٠٥/٢، ٣٣٥.

١١٩ـ يريم بن ذي مقار، وذكر في نسب «آل ذي مقار»، انظر ١٦٢/٢.

١٢٠ـ يريم بن زرعة، وذكر في نسب «بني صيفي بن حمير بن كعب»، انظر ١١٦/٢.
١٢١ـ يريم بن سفيان ذي حرث، وذكر في نسب «آل ذي رعين الأكبر»، انظر ٣٤٥/٢.
١٢٢ـ يريم ذو عَذران بن زيد، وذكر في نسب «بني جيدان بن الحارث بن زيد بن ذي رعين»، ٣٥٥/٢.
١٢٣ـ يريم الأكبر بن لهيعة بن عبد شمس، ذكر في ٩٣/٢.
١٢٤ـ يريم بن ذي مأذن، وذكر في «نسب بني جيدان بن الحارث»،انظر ٣٥٢/٢.
١٢٥ـ يريم بن ذي مَرع، وذكر في «نسب ينكف بن عبد شمس»، انظر ٩٩/٢.
١٢٦ـ يريم بن معدي كرب، وذكر في نسب «الأصابح»، انظر ١٤٨/٢.
١٢٧ـ يريم بن ودد بن يوسف، وذكر في نسب «بني سليم بن شرحبيل» انظر ٣٢٤/٢.
١٢٩ـ يزأن بن الحارث، وذكر في «نسب علاق بن عمرو» انظر ٧٨/٢.
١٣٠ـ يعتب (في شعر تبع) هذا في «الملزمة» الساقطة من هذا الجزء الثاني، وأثبته في فهرس الأعلام.
١٣١ـ يعرام[1] بن وهب ودّ بن كوكبان، وذكر في نسب «آل ذي أقيان بن سبأ بن كعب»، انظر ١٠٦/٢.
١٣٢ـ يعرُب ينكف بن جيدان، وذكر في «بني مثوّب بن يريم ذي رُعَين»، انظر ٣٦١/٢.
١٣٣ـ يعرب بن ينكف، وذكر في «بني جيدان بن الحارث.... » انظر ٣٥١/٢.
١٣٤ـ يعرِم بن وهب ودّ بن كوكبان، وذكر في «آل ذي أقيان بن سبأ بن كعب»،انظر ١٠٧/٢.
١٣٥ـ يعفر بن ابراهيم بن شرحبيل، ذكر في «الأصابح»، انظر ١٥٤/٢
١٣٦ـ يعفر بن أخنس، وذكر في ١٣٩/٢، ١٤١.
١٣٧ـ يعفَر (في شعر تبع) في الجزء الساقط من هذا الجزء، وأثبته في فهرس الاعلام، ٣٨٩/٢.
١٣٨ـ يعفر بن الأسود، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٧٥/٢.
١٣٩ـ يعفر ذو يهر بن الحارث، وذكر في «نسب ال يهر»، انظر ١٨٩/٢.
١٤٠ـ يعفر بن الحارث بن شمر ذي الجناح، ذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٧٨/٢.

(١) صرفت بناء «يفعال» إلى وزن الفعل القديم الذي سبق «يفعَل»، كما صرفت بناء «يفعول» الى الفعلية وسيأتي ذكره.

١٤١ـ يعفر بن زيد بن النعمان، وذكر في «نسب الكلاع»، انظر ٢٦٤/٢.

١٤٢ـ يعفر بن سعد بن شرحبيل، وذكر في «نسب غنم بن عمرو بن ذي أُبين»، انظر ٨٤/٢.

١٤٣ـ يعفر بن السميفع بن يعفر، وذكر في «نسب الكلاع»،انظر ٢٦٦/٢.

١٤٤ـ يعفر بن عجرد، وذكر في «بني سليم بن شرحبيل»، انظر ٣٢٤/٢.

١٤٥ـ يعفر بن عبد الرحمن، وذكر في ٧١/٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ٢٧٤.

١٤٦ـ يعفر بن عمرو مثل يحمدُ ويمجد ويُخلُد وينجُد، وليس يعفر بضم الياء وكسر الفاء إلا في قحطان والعماليق....، انظر ٧١/٢، ٧٢.

كذا ذكر الهمداني.

١٤٧ـ يعفر الثاني بن عمرو بن يعفر، انظر ٧٢/٢.

١٤٨ـ يعفر بن عمرو بن ديسع، ذكر في «نسب سبب بن شرحبيل»، انظر ٣١٤/٢.

١٤٩ـ يعفر بن عمرو بن زيد بن علاق، ذكر في «نسب علاق بن زيد»، انظر ٧٤/٢.

١٥٠ـ يعفر بن فهد ذو عُلْم، ذكر في «جيدان بن الحارث بن زيد بن ذي رعين»، انظر ٣٥١/٢.

١٥١ـ يعفر بن مُرّة بن حضر موت، وذكر في «نسب حضرموت بن سبأ الأصغر»، انظر ٣٦٩/٢، ٣٧٠.

١٥٢ـ يعفر بن ميتم، وذكر في «بني مثوة بن يريم ذي رعين»، انظر ٣٥٦/٢.

١٥٣ـ يعفر بن ناكور، وذكر في «نسب الكلاع»، انظر ٢٦٥/٢.

١٥٤ـ يعلي بن منبّه، وذكر في «نسب حبشم بن عبد شمس»، انظر ١٧٠/٢.

١٥٥ـ يغنم بن الحارث بن شرحبيل، ذكر في «بني مثوّب بن يريم ذي رعين»، انظر ٣٦٧/٢.

١٥٦ـ يغوث بن علقمة، وذكر في «آل ذي جدن»، انظر ٣٠٠/٢.

١٥٧ـ يفاع بن جبل، وذكر في «نسب الراتع بن عمرو بن ذي أُبين»، انظر ٨٤/٢.

١٥٨ـ يكار بن جَهران، وذكر في «بني يحصُب»، انظر ١٩٤/٢.

١٥٩ـ يكسوم بن يدوم، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٧٨/٢.

أقول: يكسوم، بناء «يفعول» وأراه أصل بناء «يفعُل» بضم العين الفعل الكثير في العربية. وقد فطن الصاغاني لهذا البناء فجمع ما عُرف منه العربية في «كتاب يفعول»، وقد نشرته منذ سنوات.

١٦٠ـ يُمجد بن معاهر، وذكر في «أزال من المصانع ذي رياش»، انظر ٦٨/٢.

١٦١ـ

١٦٢ـ ينأر بن جُرهُم بن الغوث، وذكر في «نسب الغوث»، انظر ٩١/٢.

١٦٣ـ يناع بن السميدع، وذكر في «نسب السميدع»، انظر ٨٧/٢.

١٦٤ـ يُنعم تاران أكلب، وذكر في «آل الصوار»، انظر ٥٢/٢.

١٦٥ـ يُنعم بن ضيعان، وذكر في «نسب علاق بن عمرو»، انظر ٨٣/٢.

١٦٦ـ يُنعم شراحبيل ذو رعين، وذكر في «نسب الأخنس»، انظر ٣٦٦/٢.

١٦٧ـ ينكف بن زرعة بن يعفر، وذكر في «نسب الكلاع»، انظر ٣٧١/٢.

١٦٨ـ ينكف بن شعران أوتر، وذكر في ٦٩/٢.

١٦٩ـ ينكف بن عبد شمس، وذكر في «الثوجم»، انظر ٤٤/٢.

١٧٠ـ ينكف بن قاول، وذكر في «آل ذي رعين الأكبر»، انظر ٣٣٩/٢، ٣٤٤.

١٧١ـ ينكف بن مُرّ ذي سخيم، وذكر في «آل سخيم من الكلام مُرّ بن يعفر»، ٣٧١/٢.

١٧٢ـ ينكف بن ينوف بن شرحبيل، وذكر في «الأصابح»، ١٤٨/٢.

١٧٣ـ يُهبر بن ذي فائش، وذكر في «بني يحصب»، ١٩٥/٢.

١٧٤ـ يهبلط (في شعر تبّع)[1] في الجزء الساقط من الجزء الثاني، ٣٨٩/٢.

١٧٥ـ يُهبر ذو المُرّ بن ينكف، وذكر في «نسب قطن بن عبد شمس»، انظر ٩٧/٢، ١٠٠.

١٧٦ـ يهسع بن الهميسع، وذكر في «نسب أبي نصر»، ٥/٢.

١٧٧ـ يُهصدق بن هامن، وذكر في ١٣٨/٢.

---

(١) يهبلط: أقول: والهاء في هذا العلم اليمني ومثله من أحرف الزيادة، وهو يقابِل همزة «أفعل» الزائدة، وقد ثبت هذا الهاء في بناء المضارع، ومنه بقي في العربية الشمالية: أهراقَ يهريق، قال امرؤ القيس:

وان شفائي عبرة مُهراقة . . . . . .

١٧٨ـ يهمجد بن الفياض، وذكر في «قول ابي نصر»، انظر ١٤١/٢.

١٧٩ـ يهفرع الذي ذكره تُبّع في شعره في ٢٥٢/٢

وكان يُهفرع لا ينثني اذا جنّه الدرعُ والمِغفرُ

١٨٠ـ يهكر بن ذي ذرانح، ذكر في «نسب قطن بن عبد شمس»، انظر٩٩/٢.

١٨١ـ يهكار بن ذي ذرانح، ذكر في «نسب قطن بن عبد شمس»، انظر٩٩/٢.

فوات هذا الجزء:

أزأد بن جرهم وأزأن بن جرهم، وينهب بن منياف، وذكر الأول والثاني في «نسب الغوث»، ٩١/٢، وذكر الثالث في نسب قطي بن عبد شمس ١٠/٢.

الأعلام فى الجزء الثامن من «الإكليل»[1]

١٨٢ـ الأجدع بن سودان من ملوك همدان وفيه يقول علقمة:

وذا رئـام وبنـي فـارسٍ وأجدع القيل أخا يشحما

١٨٣ـ أرحب، انظر ٨٤/٨، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في الجنّة:

. . . .

ومن أرحب الشم المعاطس بالقنا ونِهْمٍ وأحياء السَّبيع ويامِ

وانظر ٩١/٨، ٩٣، ١٠٥.

١٨٤ـ يُحابر، قال فروة بن مُسيك:

أحَدٌ يُحابر جدّي غطيفاً مَعين الملك في بين البنينا

انظر: ١٠٦/٨، وانظر: معجم البلدان ط أوروبا ٥٣٥/١ وفيه «يجاجر» وهو غلط، وانظر كتاب الاشتقاق ص٢٣٨، ٢٤٦، وشمس العلوم ص٩٧ (ليون ١٩١٦) وفي أبيات للحارث بن مضاض الجرهمي:

وبدلت منها أوجها لا أحبها وبُدِّل منها حمير ويحابرُ

الإكليل ١٦٨/٨

(١) حقق هذا الجزء نبيه أمين فارس، ونشرته دار العودة ببيروت ودار الكلمة بصنعاء. وكان الأب أنستاس ماري الكرملي قد نشره قبل هذه النشرة ببغداد، وطبعته مطبعة السريان. وسأذكر الأعلام فيه التي لم ترد في الجزأين الأول والثاني.

١٨٥ـ يرقم، انظر ٩٤/٨.

١٨٦ـ يريم، انظر ٩٦/٨.

١٨٧ـ يسحم، قال علقمة:

وذا رئـام وبنـــي فـــــارسٍ وأجدع القيـل أخـا يسحمـا

انظر ٩٣/٨

١٨٨ـ ينوف: جاء في ٥٣/٨:

شحرار قصر بقُصوي مشيد ببلاط أحمر للقيل ذي مُعاهر، وفي بعض مساندها هذان البيتان بحرف المسند:

شحـرار قصـر العـلا المنيـــفُ أسَّسـه تُـبَّــع ينـــــوفُ

. . . . . .

الأعلام فى الجزء العاشر من «الإكليل»[1]

١٨٩ـ أبرش بن ذي القفا، انظر ٢٤٧/١٠.

١٩٠ـ أبرش بن مخدر، انظر ٢٤٧/١٠.

١٩١ـ أبزي بن حذيق، انظر١٠٦/١٠.

١٩٢ـ أثعل بن منبّه بن شهر، انظر٢٤٨/١٠.

١٩٣ـ الأجدع بن شهر، انظر ١٤٨/١٠.

١٩٤ـ أجدع بن جعفر، انظر٢٠٢/١٠.

١٩٥ـ اجدع بن حي وابش بن دهمة، انظر ٢٤٤/١٠.

١٩٦ـ أجدع بن سعيد بن أجدع المرهبي، انظر ١٣٩/١٠.

١٩٧ـ أجدع بن سعيد بن مسعود، انظر١٣٩/١٠.

١٩٨ـ أجدع بن شهر بن نهم، انظر ٢٤٨/١٠.

١٩٩ـ أجدع بن صريم بن مالك، انظر ٨٤/١٠.

٢٠٠ـ أجدع بن علي بن أجدع بن علي، انظر ٢١٣/١٠.

---

(١) الجزء العاشر حققه محب الدين الخطيب (المطبعة السلفية).

٢٠١ـ أجدع بن علي بن عتير، انظر ٢١٣/١٠.
٢٠٢ـ أجدع بن مالك المعمري، انظر ٦٥/١٠، ٧٦، ٧٨، ٨١ـ٨٣.
٢٠٣ـ أجرع القيل بن سوران، انظر ١٠٩/١٠، ١٢٧.
٢٠٤ـ أجم بن الأحنف بن عصاصة بن نهم، انظر ٢٤٧/١٠.
٢٠٥ـ آل الأجهر (من حمير بن مالك الفائشي) انظر ١٢١/١٠.
٢٠٦ـ أحور بن أبي جيد المرهبي، انظر ١٤٠/١٠.
٢٠٧ـ أحور بن المعاور بن أدهم، انظر ١٩٥/١٠.
٢٠٨ـ أخرف بن زبير بن الخارف، انظر ٥٥/١٠.
٢٠٩ـ أخرم بن عصاصة بن نهم، انظر ٢٢٤/١٠.
٢١٠ـ أخنس بن أزهر بن يأس بن حجل، انظر ١٧٨/١٠-١٨٦.
٢١١ـ أخنس بن البختري بن هرين، انظر ١٨٧/١٠.
٢١٢ـ أخنس بن عامر بن منبه بن أمير، انظر ٢٤٣/١٠.
٢١٣ـ أخنس بن محمد بن أزهر بن أخنس، انظر ١٨٦/١٠.
٢١٤ـ آدرم بن باري بن باري، انظر ٢٣٥/١٠.
٢١٥ـ أرحب بن الدعام الأصغر وبنوه، انظر ٥٩/١٠، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٨٢، ٨٨، ١٢٣، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٥ ـ ٢٣٧.
٢١٦ـ أرحب بن الدعام بن ابراهيم، انظر ١٨٥/١٠.
٢١٧ـ أرحب العراف، انظر ٢٣٥/١٠.
٢١٨ـ أرحب بن عليان بن الدعام، انظر ١٨٥/١٠.
٢١٩ـ أرحب الكرام (اسم أرحب في الجاهلية)، انظر ٧٤/١٠.
٢٢٠ـ أرحب بن معاوية بن سليمان، انظر ٢٢٨/١٠، ٢٢٩.
٢٢١ـ أرقم بن توبة بن شرحبيل، انظر ٨٦/١٠.
٢٢٢ـ أزمع بن أبي نبيتة بن عبد الله الوادعي، انظر ٨٠/١٠.

٢٢٣ـ أزهر بن أخنس بن أزهر بن يأس، انظر ١٠/١٨٦.

٢٢٤ـ أزهر بن أفلح بن أدهم بن حميد، انظر ١٠/١٩٤.

٢٢٥ـ أزهر بن تميم بن طارق (من صبارة)، انظر ١٠/٢٣٤.

٢٢٦ـ أزهر بن تميم بن طارق (من صبارة)، انظر ١٠/٢٣٤.

٢٢٧ـ أزهر بن ثمامة بن سعد بن عميرة، انظر ١٠/١٧٨.

٢٢٨ـ أزهر بن جزيل بن أزهر وبنوه، انظر ١٠/١٩٦، ١٩٩.

٢٢٩ـ أزهر بن جميل بن عبد الله الأزرق، انظر١٠/٢١٣.

٢٣٠ـ أزهر بن شر ح بن ذي الجراب، انظر ١٠/١٢٧.

٢٣١ـ أزهر بن عبدالرحمن بن العباس بن طارق، انظر١٠/٢٠١.

٢٣٢ـ أزهر بن عبد الرحمن بن العباس بن حميد، انظر ١٠/٢٠١.

٢٣٣ـ أزهر بن عمرو بن طارق بن أدهم، انظر ١٠/١٩٥، ١٩٦.

٢٣٤ـ أزهر بن قيس بن نمران الكباري، انظر ١٠/٥٢.

٢٣٥ـ أزهر بن موسي بن أزهر بن أخنس، انظر ١٠/١٨٦.

٢٣٦ـ أزهر بن يأس بن حجل بن عميرة، انظر ١٠/١٧٨.

٢٣٧ـ أزهر بن يعقوب بن أزهر بن شرح، انظر ١٠/١٢٧.

٢٣٨ـ أسعد بن حبُشم بن حاشد، انظر ١٠/٢٨، ٩٢.

٢٣٩ـ أسعد بن رئام بن يؤوب، انظر ١٠/١١٢.

٢٤٠ـ أسعد أبو كرب (التبّع)، انظر ١٠/٦، ١٩، ٢٤، ٢٦، ٣١، ١٢٠، ١٨٠.

٢٤١ـ أسعد بن نمران بن محلم، انظر ١٠/١١١.

٢٤٢ـ أسعد بن يعفر بن إبراهيم الحوالي، ١٠/ ١٨٣، ١٨٥.

٢٤٣ـ أسفح بن أجدع بن شهر بن نهم، انظر ١٠/٢٤٨.

٢٤٤ـ أسفع بن أوبر بن عوذ بن علوي، انظر ١٠/٨٢، ١٦٣، ١٦٧، ٢٤٨.

٢٤٥ـ أسلم بن عامر بن موله بن حجور، انظر ١٠/٩٨.

٢٤٦ـ أسلم بن عليّان بن زيد بن عريب بن جشم، انظر ١٠/٩٧.

٢٤٧ـ أسوق بن ذي راحم، انظر ١٠/٢٠.

٢٤٨ـ أشرس بن أفوه بن جيش الوادعي، انظر ١٠/٨٩.

٢٤٩ـ أشرس بن حسّان البكري، انظر ١٠/١١٥.

٢٥٠ـ أشرس بن قاسم بن مرهبة، انظر ١٠/١٥٣.

٢٥١ـ أشرس بن كندي بن عفير، انظر١٠/٥٠٤.

٢٥٢ـ الأشرم (قائد الفيل)، انظر ١٠/٢٥.

٢٥٣ـ الأشعر بن أود، انظر ١٠/٢.

٢٥٤ـ أشوع (نقم) بن نمران بن محلّم، انظر ١٠/١١١، ١١٢.

٢٥٥ـ أشيع يمتنع بن ذي بتع ينوف، انظر ١٠/٢٤، ٣١.

٢٥٦ـ أصبيَ بن دافع بن مالك بن جشم، انظر ١٠/٦٠-٥٦.

٢٥٧ـ الأصبحيّون، انظر ١٠/١٦٣.

٢٥٨ـ أصحر بن جدي بن عبيد الحجوري، انظر ١٠/٩٨.

٢٥٩ـ أصهب بن مجلّد بن عليان، انظر١٠/٢١٦، ٢١٧.

٢٦٠ـ الأصيد بن سلمان بن عميرة، انظر ١٠/٧٦، ٢٢٥-٢٢٧.

٢٦١ـ أظلم بن النعمان بن ذي لعوة الأصغر، انظر ١٠/١١٥.

٢٦٢ـ أعبس بن عبس بن يزيد بن مالك بن الأقفع، ١٠/٢٠٥.

٢٦٣ـ أعشب بن قدم بن قادم، انظر١٠/١٠٢.

٢٦٤ـ أعشم بن نثام بن الأهنوم، انظر ١٠/١٠٧.

٢٦٥ـ الأعلم (عمرو) بن الحارث بن منبه، انظر ١٠/٢١١، ٢١٣.

٢٦٦ـ الأعنّ (من ملوك كندة)، انظر ١٠/١٦٧.

٢٦٧ـ أفتل (خثعم) بن أنمار، انظر ١٠/٥.

٢٦٨ـ أفدع بن أمين بن عصاصة، انظر ١٠/٢٤٦، ٢٤٧.

٢٦٩ـ أفدع بن عصاصة بن نهم، انظر ١٠/٢٤٤.

٢٧٠ـ أفرك بن عريب الوادعي، انظر١٠/٨٩.

٢٧١ـ أفلح بن أدهم بن حميد، انظر ١٠/١٩٣، ١٩٤.

٢٧٢ـ أفلح بن شرحبيل بن ناعط، انظر ١٠/٣٠.

٢٧٣ـ أفلح بن عمير ذي مران الأوسط، انظر ١٠/٣١.

٢٧٤ـ أفلم بن قحطان بن عبيد الحجوري، انظر ١٠/٩٨.

٢٧٥ـ أفوه بن حبيش بن ناشج بن وادعة، انظر ١٠/٨٦، ٨٩.

٢٧٦ـ الأقب بن عبيد بن وازع بن عصاصة، انظر ١٠/٢٤٧.

٢٧٧ـ أم الأقرن (شمس بنت ينوف)، انظر ١٠/٢٤.

٢٧٨ـ أقفع (عبد الله)بن قيس بن ربيعة، انظر ١٠/١٩٢، ١٩٣.

٢٧٩ـ أقمر بن أفوه بن حبيش الوادعي، انظر ١٠/٨٩.

٢٨٠ـ أقمر بن عتبان بن مالك الوادعي، انظر ١٠/٨٠.

٢٨١ـ أقمر بن مالك بن أقمر الوادعي، انظر١٠/٨٩.

٢٨٢ـ أكرم بن سعيد بن أزهر (من صبارة)، انظر ١٠/٢٣٤.

٢٨٣ـ ألغز من الشعشع بن عمران بن ضياف، انظر ١٠/٢٣٠.

٢٨٤ـ ألغز بن مذكر بن يأم، انظر ١٠/٧١.

٢٨٥ـ ألغز بن وائلة بن شاكر، انظر ١٠/٢٣٧.

٢٨٦ـ الأنحر بن بلع بن أسنا بن عذر، انظر ١٠/٦٠.

٢٨٧ـ أنعم (مري) بن مالك الخارف، انظر ١٠/٥٤، ٥٥.

٢٨٨ـ أنكف بن ريام، انظر ١٠/١٩.

٢٨٩ـ أنوَف ذو همدان بن ذي بتع ينوف، انظر ١٠/٢٤، ٢٥.

٢٩٠ـ أنيب، انظر ١٠/٧٣.

٢٩١ـ أهدم (أسعد) بن نمران بن محلم، انظر ١٠/١١١.

٢٩٢ـ أوبر بن عوذ بن علوي، انظر ١٠/١٦٣.

٢٩٣ـ أوجل (يريم) بن نمران بن محلم، انظر١١١/١٠، ١١٢.

٢٩٤ـ أيفع بن الصائد بن شرحبيل، انظر ٩٦/١٠.

٢٩٥ـ أيفع بن منهم بن الجابر، انظر ١٠٣/١٠.

٢٩٦ـ أيهم بن عمران بن ضياف، انظر ٢٣٠/١٠.

٢٩٧ـ تغلب، انظر ٤٢/١٠، ٩١-٩٥.

٢٩٨ـ تملك (أم عمرو جدّ الأعن الكندي)، انظر ١٦٧/١٠.

٢٩٩ـ يحبر بن أخرم بن عصاصة، انظر ٢٤٧/١٠.

٣٠٠ـ يحتل بن عبد بن عليّان بن أرحب، انظر١٧٧/١٠.

٣٠١ـ يخبث بن شاحذ بن حذيق، انظر ١٠٧/١٠.

٣٠٢ـ يرأم بن أعشب بن قدم بن قادم، انظر ١٠٢/١٠.

٣٠٣ـ يربوع بن عبد الله بن مرّ بن الحارث بن سعد، انظر ٨٠/١٠.

٣٠٤ـ يرقم بن رئام بن نهفان بن بتع، انظر ١١٢/١٠.

٣٠٥ـ يرقم بن هوجين بن يشيع بن رئام بن نهفان، انظر ٢٠/١٠.

٣٠٦ـ يَسار بن أبي حرب الفقيه الناعطي، انظر ٢٩/١٠.

٣٠٧ـ يسير بن عريب بن حبيش الواعي، انظر ٨٩/١٠.

٣٠٨ـ يشيع بن رئام بن نهفان، انظر ١٩/١٠، ٢٠.

٣٠٩ـ يُطاع بن تألب بن شهران الملك، انظر ١٨/١٠.

٣١٠ـ يعوق (الصنم)، انظر ٥٦/١٠.

٣١١ـ يعيش بن عبد الله بن حبيش الوادعي، انظر ٨٦/١٠.

٣١٢ـ اليقشب بن الحارث بن حرب بن عبدود، انظر ٨٣/١٠، ٨٤.

٣١٢ـ يكلي بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرّة، انظر ٣/١٠.

الاعلام المصدرة بـ «ذو» (الأذواء)
فى الأجزاء الأربعة[١]

٣١٣ـ ذو يَزَن [ورد في بيت من قصيدة طويلة في ٤٠٠/١].

٣١٤ـ ذو يهر، انظر ٩/١، قال الهمداني: أحد أذواء مير القُدَمى.

٣١٥ـ ذو أبين بن ذي يقدم، وذكر في «آل الصوار»، انظر ٤٧/٢، ٥١.

٣١٦ـ ذو أصبح الأصغر، وذكر في «الأصابح»، انظر ١٤٦/٢-١٤٧.

٣١٧ـ ذو أصبح بن الحارث، وذكر في «آل الفياض»، انظر ٢٥١/٢.

٣١٨ـ ذو أفرع ينوف بن زرعة، وذكر في «ولد سبأ الأصغر»، انظر ١٠٦/٢.

٣١٩ـ ذو ترخم بن ذي الرمحين، وذكر في «بني سليم بن شرحبيل»، انظر ٣٢٤/٢.

٣٢٠ـ ذو يامَن بن ذي ذرحان، وذكر في «بني السلف بن زرعة بن حمير الأصغر»، انظر ٣٣٠/٣، ٣٩٠.

٣٢١ـ ذو يقدم بن الصوار، وذكر في «آل الصوار»، انظر ٤٦/٢، ٤٧، ٤٨، ٨٦.

٣٢٢ـ ذو ينوف، [أثبته من فهرس الأعلاق، وهو في القسم الساقط من هذا الجزء] انظر ٣٩٠/٢، وجاء في «الجزء العاشر» من هذا.

٣٢٣ـ ذو أهرم بن دومان بن بكيل، انظر ١١٩/١٠.

٣٢٤ـ ذو ينوف (حجر) بن عمرو الناعطي، انظر ٣١/١٠.

أعلام المواضع والبقاع[٢]

١ـ تريم، من الحواضر والمواضع، ذكرها محقق الجزأين محمد بن علي الأكوع في حاشيته في ص١٢٣ من الجزء الأول.

٢ـ تعز، حاضرة مشهورة معروفة.

٣ـ تنعم، انظر ٣٤٧/١.

٤ـ يثرب: مدينة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، مدينة يمنية الأصل.

٥ـ يحصب: اسم موضع، انظر ١٢٢/١، ١٠٨، ١٨٩.

٦ـ يحزف: موضع، انظر ٣٥٢/١.

٧ـ ينبُع: مدينة في الحجاز (يمنية الأصل)، انظر ٢٨١/١، ٢٩/٢، ٣٠٠.

---

(١) وقد رأيت أن تضم هذه المجموعة أعلام الرجال وأعلام المواضع.

(٢) وأما القبائل فتدخل في الأعلام للرجال المشهورين.

٨ـ تدمر: معروفة، انظر ٢/ ٩٠.

٩ـ تفيش: من قري حضر موت، انظر ٢/ ١٧، ٣٧.

١٠ـ تلغم: قصر يقابل قصر ناعط، انظر ٢/ ٩٨، ٩٩.

١١ـ تنادح: موضع جاء ذكره في ٢/ ١٦٣، ١٦٤.

١٢ـ تنعم: مدينة بحضر موت، انظر ٢/ ٣٧٥.

أعلام المواضع فى «صفة جزيرة العرب»[1]

١ـ تريم: مدينة عظيمة، انظر ص ١٧٤.

قال المحقق: تريم، بفتح التاء المثنّاة من فوق وكسر الراء، ثم ياء مثناة من تحت..

٢ـ تريس: مدينة عظيمة ص ١٧٣.

ولم يزد المحقق في حاشيته علي قول المؤلف.

٣ـ تُزخم: انظر ص ٣٤٣.

٤ـ تَزيد: ماءة ص ٢٩١.

٥ـ تضرُع: موضع ص ٣٣٤.

٦ـ تَلغَم: قصر مشيد ذكره علقمة بن ذي جَدَن:

وذا لعـوة المشهـور من رأس تلغم أزَلّنَ وكان الليث حامي الحقائق

ص ٩٦

٧ـ تُناضب: موضع، ص ٣٣٤.

٨ـ تناعم: موضع، ص ١٨١، ٢٣٧.

٩ـ تنضب: موضع، ص ٣٩٤.

١٠ـ تبدد: موضع، ص ٣٢٠.

١١ـ ذو يحبش: موضع، ص ١٧٩.

١٢ـ ذو يدوم: موضع ص ٣٣٢.

١٣ـ ذو يزن: موضع ص ٣٤١، ٣٦١.

---

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني، حققه محمد بن علي الأكوع الحوالي، في منشورات دار اليمامة (الرياض ـ المملكة العربية السعودية).

١٤ـ ذو يعزز: موضع، ص ٢١٧.
١٥ـ ذو يقن: موضع، ص ٢٩١.
١٦ـ يبرين: موضع، ص ٦٥، ٦٧، ٨١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٠١، ٣١١، ٣٦٥، ٣٦٦.
١٧ـ يترب: موضع، ص ١٧٣.
١٨ـ يثرب: معروفة.
١٩ـ يثقب: موضع، ص ٢٧٢، ٣٢٤، ٣٢٨.
٢٠ـ يثلث: موضع، ص ٣٩٥.
٢١ـ يجنب: موضع، ص ٣٩٩.
٢٢ـ يحال: موضع، ص٣٢٠.
٢٣ـ يحبس: موضع، ص ١٧٩، ٢٣٢.
٢٤ـ يحصب: موضع، ص ٢١٥، ٢١٧.
٢٥ـ اليحصبان: موضع، ص ٢١٤.
٢٦ـ يحير: موضع، ص ٣١٧.
٢٧ـ يخصب: موضع، ص ٢٧٨، ٣٧٢.
٢٨ـ يحكش: موضع، ص ١٦٢.
٢٩ـ يحمد: موضع، ٦٥، ٣٨٠.
٣٠ـ يخار: موضع، ص ٢٣٧.
٣١ـ يداع: موضع، ص ٢٣٧.
٣٢ـ يديع: موضع، ص ٣٨٣.
٣٣ـ يذبل: جبل، ص ٢٦٨، ٢٩٢، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٩٥.
٣٤ـ يراحب: موضع، ص ٢٤٣.
٣٥ـ يرامس: موضع، ص ٦٧، ١٤١، ١٨٧، ٢٠١.
٣٦ـ يرسم: موضع، ص ٢٦٥.

٣٧ـ يرشلم: موضع، ص٤٣.
٣٨ـ يري: موضع، ص ١٨٤.
٣٩ـ يريس: موضع، ص ٢٣٠.
٤٠ـ يريص: موضع، ص ٣٩٥.
٤١ـ يريم: موضع، ص ١٢١، ١٤٠، ٢١٥.
٤٢ـ يسقي: موضع، ص١٨٥.
٤٣ـ يسلح: موضع، ص ٣٤٤.
٤٤ـ يسنم: موضع، ص ١٦٥، ٢٤٩.
٤٥ـ يسوم: موضع، ص٦٠، ٢٦٦، ٢٦٧، ٤٣٩، ٤٤٠.
٤٦ـ يشيم: موضع، ص ٢٠٠.
٤٧ـ يشور: موضع، ص ٢٤١.
٤٨ـ يشيع: موضع، ص ١١٣، ١١٥، ٢٤٥.
٤٩ـ يصاع: موضع، ص ٢٦٣.
٥٠ـ يعري: موضع، ص ٣٤٩.
٥١ـ اليعمل: موضع، ص ٣٤٩.
٥٢ـ يعموم: موضع، ص ١٥٥.
٥٣ـ يفد: موضع، ص ٢٣٧.
٥٤ـ يقاوم: موضع، ص ٢٦٤.
٥٥ـ يكلي: موضع، ص ١٤٩، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٤، ٢٣٨، ٢٦٦، ٣٤٣.
٥٦ـ يمح: موضع، ص ٢٦٥.
٥٧ـ يناع: موضع، ص ٢٣٠.
٥٨ـ ينبع: مدينة، ص ٣٢١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٨٣، ٣٩٣.
٥٩ـ يند: موضع، ص ٢٤٨.
٦٠ـ ينغم: موضع، ص ٣١٨.

٦١ـ الينكير: موضع، ص ٢٩٧، ٢٩٨٢.

٦٢ـ ينوف: موضع، ص ٣٣٠.

٦٣ـ ينوفة: موضع، ص ٢٨٨، ٣٠٠.

٦٤ـ يهبر: موضع، ص ٣٨٥.

٦٥ـ يهر: موضع، ص١٧٦، ١٧٧.

أعلام الرجال والنساء

١ـ ذو ترخم: ص ٢١٨.

٢ـ يريم ذو مقار: ص ٢٥٥.

خاتمـــة:

أردت في هذا العرض الوافي للأعلام اليمنية أن أظهر أصالة مادة «الفعل» فيها، وأن أبرز أن اليمنية العربية القديمة التي تظهر فيها خصوصية سامية قديمة وهي التزام هذه اللغات بالفعل والجملة الفعلية.

وقد تبين لنا أصالة هذه الخصوصية في العربية القديمة في اليمن. إن هذه الأصالة فرضت في سعتها نفسها علي مواد ليست من الأفعال، فدخل الفعل بقوته حيز الأسماء فكان منه هذا القدر من التوسع التاريخي في العربية.

وقد رأيت أن يكون بناء «أفعَل»، وهو بناء يقوم علي الفعل، داخلاً في هذه الخصوصية، ذلك أن بناء «أفعل» في الأعلام اليمنية لا يراد به معني التفضيل، بل إنه صير إليه لإثبات الوصف الذي ينبئ عنه البناء الفعلي.

وأما بناء «يفعل» وأخواته، فهو شديد الصلة بـ «الفعلية» التي أريد بها الدوام والتجدد، ومن هنا استفيد منه في هذه الخصوصية في باب «العَلَمية».

مع اليمن في بقايا لغوية

لقد وقفنا في الدرس النحوي علي بقايا لغوية عرفتها «العربية» اليمنية، ومن ذلك ما ذكره النحويون من إبدال لام التعريف ميماً وذهبوا إلى أنه لغة حميرية. وبهذه اللغة خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وفد اليمن رداً على سؤالهم: أمن امبِّر امصْيام في امسفر، فقال: «ليس من آمبِّر امصيام في امسفر».

وقد أيّد النحويون هذه المسألة بشاهد من شواهدهم، وهو قول الشاعر:

ذاك خليلي وذو يُواصلني برمي ورائي بامْسَهْمِ وامسَلِمَهْ[1]

أقول: والبيت مما لم ينسب إلي قائل في الكتب النحوية، غر أن ابن برّي قد نسبه إلي بُجير بن عَنَمة الطائي. وكأن النحويون قد لفّقوه من بيتين هما:

وإنّ مولايَ ذو يعاتبني لا إحْنَةٌ عنده ولا جَرَمَهْ
ينصرني منكَ غيرَ مُعْتَذِرٍ يرمي ورائي بامْسَهْمِ وامسَلِمَهْ[2]

وقد ركّبوا صدر البيت الأول بعد تغيير في بعض كلماته علي عجز البيت الثاني. وقد جاء في البيت الأول «ذو، يعاتبني»، و «ذو» هذه هي الطائية التي استدل عليها النحاة بقول الشاعر:

فإن الماء ماءُ أبي وجدي وبئري ذو حَفَرتُ وذو طَوَيْتُ[3]

ولغة طيِّئ يمنية.

---

* ماجاء بين حاصرتين فهو من إضافات المجلة.

(١) شرح الأشموني ١٧٢/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) والبيت من قول سنان بن الفحل الطائي «من شعراء الحماسة»، وقد استشهد به ابن هشام في «أوضح المسالك» ٣٦/١.

علي أن هذا وغيره هو من البقايا الحميرية التي بقيت في «عربية» أهل اليمن، وهي ليست بشيء[1].

لقد أقبل اليمنيون علي العربية فكانت لغتهم، ولم يبق من الحميرية البائدة إلا شذرات أشار إليها الهمداني في (صفة جزيرة العرب)، ونشوان في (شمس العلوم)، كما سنري.

لقد كان جهد اليمنيين بارزاً في الإقبال علي العربية، والرحلة في طلبها إلي الحواضر العربية، ومنها مكة والمدينة، والبصرة والكوفة، كماكانت حواضر اليمن ومنها صنعاء وحضر موت وعدن وزبيد وغيرها من البلاد التي قصدها علماء العربية وأخذوا عن رجالها.

وكان أبو عمرو بن العلاء ممن قصد اليمن في رحلته، فقد روي عن الأصمعي أنه قال: قال أبو عمرو بن العلاء: سمعت أعرابياً يمانياً يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت تقول: جاءته كتابي، فقال: أليس بصحيفة؟ فقلت له: ماللغوب؟ فقال الأحمق[2].

ومما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع رجلاً من خولان يقول: وقد مات لهم باليمن سيد: أيّ عَيرٍ انقَعَر منا، أي أيُّ سيد[3].

وقد أشار أبو عمرو إلى ما سمعه في اليمن فقال: «كنت باليمن فأتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل، فقال لي رجل منهم: اسمكْ في الرِّيم، أي اعلُ في الدار»[4].

(١) وذهب الهمداني إلى أن أهل (خيوان) فصحاء، وبهم (حميرية) كثيرة إلي صعدة.
أقول: كأن الهمداني استثني «الحميريين» من الفصاحة. وقد جعل الهمداني إبدال لام التعريف ميماً من الآثار الحميرية، كما عدّ لزوم المثني للألف منها، وإن بقي هذا في بعض فصيح العربية كما في قوله تعالي: ﴿إن هذان لساحران﴾.
قال الهمداني: «فقد تؤثر لغتهم [أي الحميريين] في بعض الفصحاء، فبلد سفيان بن أرحب فصحاء، إلا في مثل قولهم: أم رجل، وقيّد بعيراك، ورأيت أخواك. ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير وما أشبههما «الأشعر» و «عكّ» وبعض «حكَم» من أهلت هامة» (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨).
(٢) جمهرة اللغة ٢١٩/١، ٢٤٩/١، وانظر الخصائص ٢٤٩/١ [جمهرة اللغة ٣١٩/١].
(٣) المصدر السابق ٢٩٨/٢، وأمالي القالي ١٦٠/١ [جمهرة اللغة ٢: ٣٩٢].
(٤) المصدر السابق ٤١٩/٢ [جمهرة اللغة ٢:٤١٩، وأمالي القالي ١٦٠/١].
[ونص أمالي القالي: «قال أبو عمرو بن العلاء: أتيت دار قوم باليمن أسأل عن رجل، فقال لي رجل منهم: اسمك في الرِّيم، أي اعل في الدرجة».
ونص الجمهرة «... أخبرنا أبو حاتم قال: أخبرني الأصمعي قال: قال أبو عمرو بن العلاء: كنت باليمن فأتيت دار رجل أسأل عنه، فقال لي رجل في الدار: اسمكْ في الريم، أي اصعد الدرجة»]

ومن هذا أيضاً قوله: «رأيت باليمن امرأة ترقصُ ابنها وهي تقول:

يا ربَّنا مَن سرَّه أن يكبُرا فسُقْ لـه يـاربَّ مـالاً حَيَّـرا[1]

علي أننا نجد أن أبا عمرو قد أشار إلي ما بقي من الحميرية في «العربية» اليمنية وأنكرها. فقد قال: «مالسان حمير في أقاصي اليمن لساننا، ولا عربيتهم عربيتنا»[2]. وقد أراد بقوله: «عربيتهم» تلك العربية التي خالطتها الحميرية في «أقاصي اليمن»[3].

وكما قصد أهل العلم بلاد اليمن للطلب، قصد أهل اليمن مراكز العلم في مكة والمدينة والبصرة والكوفة، وكان من هؤلاء الشاعر ابن مناذر الذي أخذ العلم في عدن، ثم بدا له أن يستكمل ماكان له في عدن فقصد البصرة[4].

وقد عرفت البصرة أهل صنعاء، وإننا نتبين هذا مما ورد في (الإكليل) في حديث من عرف البصرة، قال الهمداني: «وحدثني محمد بن أحمد الفهمي [القهبي] السمسار، قال حدثني إبراهيم بن اسماعيل الفهمي [القهبي]، قال كنت بالبصرة قبل سنة الخمسين ومئتين، فرأيت في مسجدها الجامع حلقة من الناس كثيفة. فقلت ما هذه الحلقة؟ فقيل: حلقة غلام جليل، فتقدمت فسمعت من كلامه، وهو يعظ الناس، ثم أقبل علي الجماعة فقال: يا أهل البصرة عوّدوا نساءكم الخفاء، وكأنّي أسمع قعقعة خلاخيلهن علي أقتاب الإبل. ثم أقبل علي جماعة من أهل البصرة كان يعرفهم يتّجرون بصنعاء، ويقيمون بها، فكانوا يسمّون بالبصرة الصنعانيين»[5].

---

(١) المصدر السابق (ط. بيروت) ٥٢٦/١ [الجمهرة ١٤٧:٢].

وقد ورد في «التنبيه والإيضاح»: هذا الخبر والرجز:

..... فسـق إليـه ربَّ مالاً حَيَّـرا

والرجز في «اللسان» (حير):

..... فهب لـه أهلاً ومالاً حَيَّـرا

(٢) المزهر ١٧٤/١، وانظر طبقات فحول الشعراء ص ١١.

(٣) وفي الأثر: وفد علي النبيّ ـ صلي الله عليه وسلم ـ وفد اليمن فقال: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرقّ أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية (لسان العرب: يمن).

أقول: وفي هذا الحديث إشارة ضمنية إلي عربيتهم التي وردوا عليها.

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩ـ١٢١، وبغية الوعاة ٢٤٩/١، والأغاني ١٦٩/١٨-١٧٢، ومعجم الأدباء ١٠٧/٧ - ١١٠ [٥٥/١٩-٦٠].

(٥) الإكليل ٥/٨ [٧-٨].

وقد أشار القفطي إلي صلات الهمداني بأهل العلم في العراق وكان يكاتبهم ويعاشرهم، ومنهم «أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري الذي كان يختلف بين صنعاء وبغداد، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية، وأشعار العرب وأيامها. وكذك أبوه القاسم علي ما ورد في أخبارهم» وكان يكاتب أبا عمر النحوي صاحب ثعلب، وأبا عبد الله الحسني بن خالويه، وهو تلميذ أبي بكر بن الأنباري.

وزاد القفطي فأثبت «أن الهمداني سار إلي العراق واجتمع بالعلماء واجتمعوا به فيما قيل»[1].

علي أن الشيخ حمد الجاسر قد أثبت في «مقدمته» لصفة جزيرة العرب أن الهمداني لم يكن له رحلة إلى العراق، وأنه يجهل طريق العراق ولو سلكه لما جهل ذلك[2].

علي أننا نجد في «الإنباه» للقفطي، و «بغية الوعاة» للسيوطي مايفيد أن لأهل العراق في القرن الثالث الهجري صلات بأهل اليمن، وكان من هؤلاء سليمان بن معبد المتوفي سنة ٢٥٧هـ، وأبو داود النحوي الذي سمع من النضر بن شميل والأصمعي في البصرة، وقد سمع من عبد الرزاق بن همّام في اليمن[3].

ونفق في (صفة جزيرة العرب) علي قدم إفادة اللغويين في اليمن من علماء العراق، قال الهمداني: «ولهم (أي كتّاب صنعاء) خط المصاحف الصنعاني المكسّر، والتحسين الذي لايلحق به، ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل»[4].

وعرفت اليمن العربية وسادت فيها، والإشارات القليلة إلي صلات أهل كل من البلدين بعضهما ببعض دليل علي ذلك. وإن ما ذكره أبو عمرو بن العلاء عن «الحميرية»، والذي أثبتناه آنفاً، دليل آخر علي فشو العربية، وإن «الحميرية» المشار إليها لاتعدو أن تكون شذرات وبقايا. وطبيعي أن تعرف عربية اليمن هذه البقايا، وليس من العلم أن يزول الشيء دون أن يخلّف. فيما يليه أثراً يدلّ علي وجوده القديم.

---

(١) إنباه الرواة: [١: ٢٨٠].

(٢) مقدمة صفة جزيرة العرب، ص ١٣ «وفي كتب الهمداني مايدل علي جهله بمواضع طريق العراق، ولو سلكه لما جهلها، كقوله في الجوهرتين....].

(٣) إنباه الرواة ٢٠/٢، وتاريخ بغداد ٥٢/٩، والبغية ٦٠٣/١.

(٤) صفة جزيرة العرب ص ٨٢-٨٣.

لقد أثبت الدكتور هادي الهلالي[1] ما أفاده من الهمداني من أن «الحميرية سائدة في عصر الهمداني (أي القرن الرابع)[2]، وهذا غير سديد، ذلك أن آثار الهمداني نفسه تشهد بغير هذا الذي ذهب إليه صاحبنا الهلالي. إن كتاب (الإكليل) وكتاب (صفة جزيرة العرب) وكتاب (شرح الدامغة) غيرها جاءت بعربية سليمة خلت من ألفاظ حميرية. وهذا يعني أن ما سجله الهمداني من الحميرية في «قتاب» وغيرها من الحواضر إلي «ذمار» لغة دارجة عامية حفلت فيها الحميرية بنصيب، وليس لنا أن نقول إن هذا قد طغي علي العربية، لانعدام الدليل المادي، وكتبُ اليمنيين الذين تقدموا الهمداني تشهد بتلك العربية الفصيحة العالية التي وقف عليها الهمداني في (رسائل) البلوي[3]، وهي الرسائل الأدبية التي توجه بها إلى جملة من معاصريه.

وقد أشار الهمداني باطراء بالغ إلي هذه «الرسائل»[4].

ومن هنا كان فشو (الحميرية) في عربية صنعاء الدارجة، وكذلك فشوّها في «شيبام» [شبام][5]، وفي «خيوان»[6] كما أشار الهمداني. وقد يكون شبه هذا مانجده في عصرنا في عامية أهل اليمن في القري والبوادي من آثار لغوية (حميرية)، وهي في الحقيقة العلمية كلمات (سبئية) نجد أصولها في لغة الخطوط التي استُقريت، فكان منها مادة (المعجم السبئيّ)، غير أن اللغويين العرب قد أطلقوا عليها (الحميرية).

ونظير هذا حاصل في كل لغة عربية دارجة، ألا تري أن عامية أهل العراق وسطه وجنوبه قد حفلت بمواد أكدية وأخري سابقة علي ذلك سومرية[7].

وإلى شيء من هذا أشار الهمداني في كلامه علي لغة أهل عدن، فوصفها بأنها مولّدة

---

(١) نشأة الدراسات النحوية واللغوية (ط. دار آفاق عربية ١٩٨٤) ص ٩٢.

(٢) ولد الهمداني سنة ٢٨٢هـ، وتوفي سنة ٣٣٤هـ، انظر ترجمته في (الأعلام) للزركلي: (الحسن بن أحمد... الهمداني).

(٣) البلوي: بشر بن أبي كبار من الأدباء الصنعانيين . انظر (الأعلام) للزركلي.

(٤) صفة جزيرة العرب، ص ٨٧.

(٥) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩.

(٦) المصدر السابق ص ٢٧٨ [خيوان فصحاء، وفيهم حميرية كثيرة إلي صعدة].

(٧) انظر سلسلة مقالات في مجلة (سومر) لطه باقر.

ورديئة[1]، ومثل هذا قوله في (المهرية) و (الشحرية) إنهما تشاكلان المعجم، لأن الناطقين بهما قوم لاينطقون نطقاً فصيحاً فقال: «أهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء، مهرة غُتم، يشاكلون العجم، وحضر موت ليسوا بفصحاء، وربما كان فيهم الفصيح، وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف. وسَرو مذحج، ومأرب، وبيحان، وحريب، فصحاء، ورديء اللغة منهم قليل[2]. ويمضي الهمداني فيقول:

«سروُ حمير وجعدة ليسوا بفصحاء، وفي كلامهم شيء من (التحمير)»[3].

ولنمض مع الهمداني فنستوف ما أفاض فيه وهو:

«ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون: «يا ابن معَمّ» في «يا ابن العمّ» و «سمَعْ» في «اسمَعْ»، و (لغة)[4] لحج وأبين ودثينة أفصح. والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم. وعدن لغتهم مولّدة رديئة، وفي بعضهم نوك وحماقة، إلا من تأدب. وبنو مجيد وبنو واقد والأشعر لا بأس بلغتهم. وسافلة [المعافر] غُتم، وعاليتها أمثل. والسكاسك وسط بلد الكلاع نجدية «مثيل» (كذا) مع عسرة من اللسان الحميري سراتهم فيهم تعقّد[5] (كذا).

و (سخلان) و (جيشان) و (وراخ) و (حَضِر) و (الصهيب) و (بدر) قريب من لغة (سَروحمير). و (يخصب) و (رُعَين) أفصح من (جُبْلان) و (جُبلان) في لغتهم تعقّد[6]. وحقل (قَتاب) فإلي (ذَمار) الحميرية القحة المتعقدة[7]. و (سراة مذحج) مثل (رَدْمان) و (قَرْن) ونجدها مثل (رَادع). و (إسبيل) و (كومان) و (الحدا) و (قائفة) و (دِقْرار) فصحاء، و (خَولان) قريب من ذلك[8].

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ [عدن: لغتهم مولدة رديّة].

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق. والمراد بـ (التحمير) الحميرية.

(٤) سقطت من الأصل ص ٢٧٧، والسياق يقتضيها.

(٥) أقول: كأن الأصل: تعقيد، ولكني وجدت الصيغة تتكرر.

(٦) كأن الهمداني يتتبع مواطن الفصاحة للعربية ليميزها عن (الحميرية).

(٧) وهذه العبارة جعلت الدكتور هادي عطية مطر الهلالي يذهب إلى انتشار الحميرية بين «قتب» و «ذمار» كما أشرنا إلي ذلك.

(٨) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٨ (خولان العالية قريب من ذلك).

أقول: وكأن الهمداني في سرده هذا أراد أن يضبط القبائل والجهات التي عرفت بالفصاحة كما يضبط الجهات الأخري التي عرفت فيها (الحميرية).

ونمضي في هذا الضبط وكأننا ننظر في خارطة لغوية علي نحو ما يفعل الغربيون في الأطالس اللغوية، ونجد المصنف يقول:

(سحْمَر) و (قَرْد) و (الحبَلَة) و (مُلح) و (لَحِج) و (حمض) و (عُتمة) و (وتيح) و (سَمحْ) و (أَنس) و (أَلهان) وسط، وإلي اللكنة أقرب.

(حَراز) و (الأُخروج) و (شم) و (ماضح) و (الأحبوب) و (الجَحدب) و (شَرَف أقيان) و (الطرف) و (واضح) و (المعلل) خلَيطَي من متوسط بين الفصاحة واللكنة، وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة، لاسيما (الحضورية)[1] من هذه القبائل.

(بلد الأشعر) و (بلد عَكّ) و (حَكَم بن سعد) من بطن تهامة وأحوازها لا بأس بلغتهم، إلا من سكن منهم القري.

(همدان) من كان في سراتها من (حاشد) خلَيطَي من فصيح مثل (عُذَر) و (هَنْوَم) و (حَجُور)، وغُتم مثل بعض (قُدَم) وبعض (الجبر).

نجديّ (بلد همدان البون) منه المشرق والخشب عربيّ يخلط حميرية ظاهر همدان النجديّ من فصيح[2]. ودون ذلك (خيَوان) فصحاء، وفيهم حميرية كثيرة إلي (صَعْدة). وبلد (سفيان بن أُرحب) فصحاء إلا في مثل قولهم: أم رجل، وقيّد بعيراك، ورأيت أخواك[3]..... و (عُذَر مَطِرة) و (نَهم) و (مُرهبة) و (ذبيان) و (سكن الرحبة) من بلحارث فصحاء. و (صناف) بالجوف الأعلي دون ذلك (خرفان) و (أثافت) لا بأس بفصاحتهم. و (سكن الجوف) فصحاء، إلاّ من خلطهم من جيرة لهم تهاميين.

---

(١) لعل المراد: لغة الحواضر.

(٢) لم يتوقف محقق «صفة جزيرة العرب» فيشير إلي عدم انتظام النص، واضطراب السياق، وكأن الكلام مستقيم.

(٣) كنا ذكرنا هذا الموضع من كلام الهمداني في أحد التعليقات من هذا المبحث (التعليق رقم ٤). ولابد أن نشير إلى أن إبدال الميم من لام التعريف قد نسب إلي عامة اليمن، وإن التزام المثني للألف قد عزي إلي لغة بلحارث بن كعب في مصادرنا النحوية. (ويشركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير وما أشبهه الأشعر وعكّ وبعض حكم من أهل تهامة).

وقابل (نهم) الشمالي و (نعمان مرهبة) فظاهر بني عَلِيان و (ظاهر سفيان) [و] شاكر فصحاء.

و (بلد وادعة) بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم و (بنو سعد) أفصح.

ومن (ذَمار) إلى (صنعاء) متوسط، وهو بلد (ذي جُرَة).

و (صنعاء) في أهلها بقايا من العربية المحضة، ونبذ من كلام حمير.

و (مدينة صنعاء) مختلفة اللغات واللهجات، لكل بقعة منها لغة، ومن يُصاقب (شَعوب) يخالف الجميع[1].

و (شِبام أقيان) و (المصانع) و (تخلي) حميرية محضة.

و (خولان) صعدة، نجديُّها فصحاء، وأهل (قدَّها) وغورها غُتْم.

ثم الفصاحة من (العَرْض) في (وادعة) فجنب (فيام) فزُبيد فبني الحارث فيما اتصل ببلد شاكر من نجران إلي أرض (يام) فأرض (سنحان)، فأرض (نهد) وبني أسامة، فعنَز، فخثعم، فهلال، فعامر بن ربيعة، فسراة الحَجْر، فدَوْس، فغامد، فشكَرْ[2] فَفَهْم فثقيف فبجيلة فبنو علي، غير أن أسافل سروات هذه القبائل، مابين سَراة خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة. وأما العروض ففيها الفصاحة ماخلا قراها، وكذلك الحجاز، فنجد السفلي فإلي الشام وإلي ديار مضر وديار ربيعة فيها الفصاحة إلا في قراها، فهذه لغات الجزيرة علي الجملة دون التبعيض والتفنين»[3].

ولنعرض لشيء من مادة «الإبدال» مما هو داخل في لغة اليمن كما أشارت مصادرنا اللغوية، ودونك هذا:

١- بين الفاء والباء:

يبدل أهل اليمن الفاء باء فيقولون في (الفداء) (البداء)[4]، وفي (الخزف)

---

(١) علّق المحقق فقال: هي كذلك إلى اليوم (صفة جزيرة العرب ص ٢٧٩).

(٢) قال المحقق في تعليقه: في الأصول «فيشكر» وتقدم، أقول: و «يشكر» أولى، والنسبة إليها فاشية.

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧-٢٧٩.

(٤) انظر التاج (بدي).

(الخَـزب)[1]، وفي (شخف) (شخب)[2].

أقول: إذا كنا قد وقفنا على هذه الكلمات الثلاث، ولو استوفينا استقراءنا لوجدنا كلمات أخري، فهل يكون ذلك أن في لغة أهـل اليمن تتعاقب الفـاء والبـاء، وأن كل فاء تكون بـاءً؟

هذا ما أشك فيه وأنكره، وإبدال اليمنيين لا يتجاوز جملة ألفاظ ليس غير، وهو كسائر الإبدال في لغات القبائل الأخري. وقد نستظهر علي مانقول بما يعرض من الإبدال في لغاتنا الدارجة في عصرنا، واختلاف البلدان فيه، ألا تري أن بعض أهل بلادنا يقولون: (عمبر) في حين أن غيرهم في بلاد أخري يقولون (عنبر)، ومثل هذا (اسماعيل) و (اسماعين)، والأمثلة كثيرة. فهل لنا أن نقول: إن نماذج هذا الإبدال مطردة في كل كلمة فيها ميم أو فيها لام....؟

٢- بين الميم والباء:

وهم يبدلون الميم باءً فيقولون في (الصِّرام) (الصِّراب)[3] ويقولون في (الكحب) (الحكم)[4].

٣- بين السين والتاء:

يبدلون السين تاء فيقولون في (الناس) (النات)[5]، وفي (لباس) (لبات)[6].

---

(١) في المخصص ١٢٥/٢: (الخزب) يمانية، وهي (خزف) وانظر الجمهرة (بخز) [جاء في الجمهرة ١ :٢٣٤ والخزب: الخزف المعروف في بعض اللغات].

(٢) الشخاف ككتاب، قال الليث: هو اللبن لغة حميرية (تاج العروس/ شخف) [في الجمهرة ١ ٢٣٥ والشخاب: اللبن، لغة يمانية لأهل الجوف].

(٣) صرب الزرع: أي صرمه، بلغة بعض أهل اليمن، ويسمون (صرام) (الصراب).
وحمير تسمي «أيلول» «ذا الصراب» لأنه فيه صرام الزرع. انظر: منتخبات من كتاب شمس العلوم (صمور دار الفكر بدمشق) ص٦٠، وانظر: التاج (صرب).

(٤) الكحب والكحم هو الحصرم، لغة يمانية عن ابن دريد، وعن الليث: الكحب بلغة أهل اليمن: النورة، انظر: التهذيب (كحم) وكذلك اللسان (كحم) والقاموس، وانظر الجمهرة (حكم).

(٥) المزهر ٢٢٢/١ والصاحبي ص ١٣٩، والنوادر (لأبي زيد) ص١٠٤، واللسان ٤٠٧/٢.

(٦) التهذيب ١٠٩/١٣، واللسان (لبات).

٤ـ إبدال أول الحرف المشدد نوناً:

وهم يقولون في (حظّ) (حنظ) وفي (إجاص) (انجاص)، وفي (إجّار) (إنجار) وفي (إجّانة) (إنجانة)[١].

٥ـ بين الزاى والشين والسين:

ويبدلون الزاي شيناً فيقولون في (الخزف) (الخشف)[٢]، وفي (مزع) (مشع)[٣].

ويبدلون الشين سيناً فيقولون في (أكباش) (أكباس)[٤].

ويبدلون السين زايا فيقولون في (الأسد) (الأزد)[٥].

٦ـ بين الدال والراء والذال:

ويبدلون الراء دالاً فيقولون في (الشكر) (الشكد)[٦]، ويبدلون الدال ذالاً فيقولون في (ذحج) (دحج)[٧].

٧ـ بين الغين والجيم:

ويبدلون الجيم غيناً فيقولون في (المجداف) (المغداف)[٨].

---

(١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ص ١٢٩–١٣٠ [جاء في الاقتضاب (ط ١٩٨٢) ٢:١٨١: «قد حكي اللغويون أن قوماً من أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدد نوناً، فيقولون: حنظ، يريدون حظاً، وإنجاص، وإنجانة. فإذا جمعوا رجعوا إلي الأصل. وهذه لغة لاينبغي أن يلتفت إليها، فإن اللغة اليمنية فيها أشياء منكرة، خارجة عن المقاييس].

(٢) الجمهرة ٢/٢٣٣، واللسان (خشف).

(٣) المزع، لغة يمانية: نفش القطن بالأصابع، مزعت القطن أمزعه مزْعاً، الجمهرة ١/٥٢ [٣:٨] والمِشع، لغة يمانية ذكرها الخليل: مشعت القطن أمشعه مشعاً إذا نفشته بيدك، والقطعة منه مشعة ومشيعة (الجمهرة ٣/٦١).

(٤) ثوب أكباش، وهي ضرب من برود اليمن، قال: ود صح الآن أكباس (بالسين)/ اللسان (كبش).

(٥) اللسان (أزد).

(٦) التهذيب ١٠/٨ ومنتخبات من شمس العلوم ص٥٦، واللسان (شكد).

(٧) دحجه يدحجه دحجاً: أي عركه يعركه عركاً كعرك الاديم، يمانية في «الجمهرة» (جحد) وانظر اللسان (جحد).

(٨) الغادف: الملاّح، الغادف والمِغدَفة، والغادوف، والمِغدَف كله المجداف، يمانية. انظر: اللسان (غدف) والجمهرة (دغف).

٨- بين الطاء والضاد:

ويبدلون الطاء ضاداً فيقولون في (الحطب) (الخصب)[١].

٩- بين العين والغين:

ويبدلون الغين عيناً فيقولون في (أصغَى) إليه (أصعى) إليه[٢].

١٠- بين الحاء والخاء والعين:

ويبدلون الحاء خاءً فيقولون في (القفح) (القفخ)[٣] وفي (رحمته) (رخمته)[٤].

ويبدلون العين حاءً فيقولون في (زَلَعَ) جلده بالنار (زلح)[٥].

١١- بين الكاف والشين:

ويبدلون الكاف شيناً فيقولون في (لبِّيك) (لبِّيش)[٦]، وهو الذي أطلق عليه (الشنشنة).

١٢- بين التاء والكاف:

ويبدلون التاء كافاً فيقولون في (عَصَيتُ) (عَصَيك)[٧].

١٣- بين الهمزة والواو والياء:

ويبدلون الهمزة واواً تارةً وياءً تارة فيقولون في:

(آتيتُه) علي الأمر، (واتيته) على الأمر[٨].

---

(١) الخصب والحطب بلغة أهل اليمن، انظر اللسان والتاج (حضب)، وكذلك «الصحاح»، وفيه أن «الخصب» لغة في «الحصب» وفيه قرأ ابن عباس ﴿ حضب جهنم ﴾.
قال الفرّاء: يريد الحصب، قال: وذُكر لنا أن «الحضب» في لغة أهل اليمن الحطب، وكل ما هيجت به النار وأوقد...

(٢) منتخبات ص ٦٢.

(٣) الجمهرة ١٧٥/٢-١٧٦.

(٤) المصدر السابق ٢١٤/٢ [وأهل اليمن يقولون: رحمته: أي رققت عليه].

(٥) المنتخبات من «شمس الشموس» ص٤٦.

(٦) المزهر ٢٢٢/١.

(٧) الصحاح ١٤١/٥، والإبدال للزجاجي ص ١٠٦، والنوادر ص ١٠٥.

(٨) تاج العروس (أتي)، والصحاح ٨٢٦/٢، واللسان (أتي).

وفي (آسيته) (واسيته)[1].

وفي (أُكلتُ) (واكلت)[2].

وفي (آمرت) (وامَرت)[3].

وفي (آخيت) (واخيتُ)[4].

وفي (آخُذُ) (واخُذُ)[5].

وفي (بدأنا) (بدينا)[6].

وفي (المُزاب) (الميزاب)[7].

ويبدلون الياء همزة في بعض الكلمات فيقولون في (رثيت) الميّت (رثأته)[8].

أقول: وجملة هذه المواد التي عرض لها الإبدال قد تحدث أو يحدث نظائرها في عربية يمنية. وفي كتب الإبدال مادة وافية تتصل بلغات القبائل[9]. وليس لنا أن نتخذ من هذه

---

(١) المصباح المنير ١٩/١، والصحاح (أسو).

(٢) اللسان (أكل).

(٣) المصدر السابق (أمر).

(٤) المصدر السابق (أخو)، والمصباح ١٢/١، والمزهر ٤٦٢/١.

(٥) المصباح (أخذ).

(٦) الجمهرة ٢٠٢/٣، واللسان (بدي) ومثله في «التاج» و «الصحاح».

(٧) التهذيب ٢٦٢/١٣، والمعرّب للجواليقي ص ٣٧٤ [ص ٣٢٦].

(٨) الجمهرة ٢٨٢/٣، وكذلك اللسان (رثأ).

(٩) إن مواد «الإبدال» في أي لغة (لهجة) قديمة أو حديثة يندرج في باب «التغير التركيبي» في الكلمات، ذلك أن الأصوات يتصل بعضها ببعض تجاوراً واقتراباً فيلتقي الصوت بما يجاوره من غير أن يصل بينهما صوت لين. وقد يتصل صوت اللين بنظيره فيكون من هذا التجاور بين الصوتين الساكنين «تماثل» وهو ما يدعي Assimilation، أو يكون تغاير dissimilation. فأما (التماثل) فيكون فيه ظاهرتان، الأولى غلبة الصوت السابق على اللاحق، والثانية علي العكس، وهكذا يتحول المهموس إلى مجهور أو العكس، وهكذا يتحول الصوت إلى صوت آخر قريب إما في المخرج أو الصفة. وأما (التغاير) فكثيراً ما يكون في الصوت المشدّد الذي يفكّ فيكون الأول واواً أو ياء، أو مدّاً أي صوت لين طويل، وقد يتحول الصوت الأول إلى صوت من الأصوات المائعة liquide وهي اللام والميم والنون والراء.

لبقايا أو الشذرات مواد علمية في درس لغات القبائل، وهو ما ندعوه في عصرنا بـ (اللهجات).

لا أدري كيف يسوغ لباحث في عصرنا أن يدعي أنه درس لغة هذيل أو لغة ميم أو لغة أهل الحجاز، وهو لايستطيع أن يعرف علي وجه من التحديد مواطن هذه المجامع القبائلية. وكيف يتأتّي لدارس أن يقول فيما يقول: هذه لغة تميم معتمداً علي شذرات صوتية تدخل في باب الإبدال، وعلي مواد صرفية تختلف في الفتح والضم والكسر، وعلي طائفة من كلم لها دلالات خاصة لدي هؤلاء، ودلالات أخري لدي أولئك.

لقد أدرك اللغويون القدامي ومعهم النحاة وجوه الاختلاف في هذا الموروث من التراث اللساني، فأشاروا إليه علي أنه خارج عن المطرد العام من مواد العربية. وربما وقفوا علي نماذج فريدة أدرجوها في باب (المذموم) من اللغات[1].

لقد عني الغربيون بدراسة ما ندعوه (اللهجات)، ولكنهم لم يتعدوا عن العلم، ذلك أنهم درسوا لغات معروفة في هذا العصر في بيئة محدودة معروفة فقد درس الفرنسيون لغة منطقة (بريتاني) في شمال غرب فرنسا، ولغة الباسك في جنوب غرب فرنسا. لقد واجه الدارسون هذه البيئات وسمعوا منهم، فكان من ذلك درس للنظام الصوتي، ودرس للنظام النحوي كما كان درس للمعجم الذي يدخل في باب الدلالة.

وهكذا فعل الإنكليز والروس وغيرهم. ولم يكن من هؤلاء الدارسين أن تصدوا للغة قديمة عفّي عليها الزمن، ولم يبق منها إلا شذرات تندرج في باب الأصوات وباب الدلالة. وأنت قد يأخذك العجب في صنيع أصحابنا في هذا العصر، يتصدي أحدهم للغة تميم أو هذيل أو لغة قبيلة أخري فيحاول أن يدرس مسألة (النبر) و (النغمة) وما أشبه هذا مما يستحيل إدراكه، لأن الدارس يفتقر إلي الناطق بهذه اللغات القديمة. ثم إن الموروث من تلك اللغات شيء بعيد عن الأصل القديم كل البعد.

إننا نعرف أن الصوت وحده يتطور تطوراً كبيراً، ألا تري أن صوت الضاد في عربيتنا المعاصرة قد تحول إلي ظاء. وإن العرب في عصرنا يختلفون من بلد إلى بلد في إخراج أصوات الحلق، فكيف يذهب إخواننا في الظلام فيصنفون الرسائل في موادّ قديمة طغت

(١) انظر «اللغات المذمومة» في «الصاحبي» أو «المزهر».

عليها عربية موحدة نحواً وصرفاً ودلالة. وقد يكون المشرفون علي هذه الرسائل من أساتيذ الجامعات أحق أن يوجّه إليهم هذا النقد.

يأتي نفر من هؤلاء الأساتيذ فيزعم أحدهم: أن المبرر الصوتي لانقلاب السين تاءً هيّن واضح، لأنهما يكادان يكونان متماثلين في المخرج، كما أن كلاً منهما صوت مهموس، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكماً، به ينحبس النفس حتى إذا انفصلا انفصالاً مفاجئاً سمع ذلك الصوت الانفجاري الذي نسميه بالتاء، في حين أنه في حالة النطق بالسين نلحظ أن انحباس النفس لايكون حكماً، بل هناك فراغ ضيق من طرف اللسان وأصول الثنايا ليتسرب منه الهواء[1].

أقول: هذه الفائدة الصوتية صحيحة وأنت تنظر في إخراج السين والتاء، ولكني لا أرى ذلك سبباً بل أراه شرحاً لما هو واقع، إذ لو كان سبباً لتحقق في كل كلمة على وزان (الناس)، فلم يؤثر هذا الإبدال في البأس والرأس والفأس ونحو ذلك، ولم يسمع ذلك في هذه الألفاظ ونظائرها حتى في تسهيل الهمزات في كل قول من يقول: باس وراس وفاس.

ثم قال: إن القبائل التي تقلب السين إلى التاء هي القبائل البدوية التي تميل إلي الأصوات الشديدة في نطقها كقبائل خثعم وزبيد[2].

أقول: هل استقري هذا الأستاذ ما يكون في نطق القبائل البدوية الأخري، وكيف اهتدى إلي أن القبائل البدوية تؤثر الأصوات الشديدة. إن أصحاب هذه الأقوال يفسرون الظواهر الصوتية فيهتدون إلى أي سبب يخيل إليهم أنه سبب حقيقي، لذلك نراهم يتناقضون في أقوالهم، فقد رأينا أحدهم يفسر الفتح في تميم في طائفة من الكلمات الثلاثية لأنها بدوية، تميل إلى السهولة، في حين كانت لغة الحجاز[3] تميل في تلك الألفاظ إلى ضم فاء الكلمة. ثم يبتعد بهذا الباحث الشوط فيجد الفتح في لغة الحجاز، والضم في لغة تميم فينطلق ملتمساً سبباً آخر لهذا فيجعل البداوة تؤثر الضم.

أقول: كأن العلم اللغوي لدي هؤلاء صنعة وافتعال، بعيد عن سماحة الطبع التي جبل عليها المعربون بدواً كانوا أم أهل حواضر.

(١) اللهجات العربية لإبراهيم أنيس ص ١٠٥ [ص ٩٤/ ط٢].

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر الكلام على لغة الحجاز في كتابنا هذا.

وإذا كان طبع أهل البادية علي ما وصف هذا الأستاذ، فلِمَ اختص بهذه الكلمة (الناس) ولم يتجاوزها إلي غيرها مما ينتهي بسين مثل نبراس، وقرطاس، وقياس، وغيرها؟

ولننظر فيما قالوا في الدال والذال:

لقد قالوا بقرب مخرج الدال من مخرج الذال، إذ أن مخرج الدال من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا، ويتحد الصوتان في صفة الجهر، ويختلفان في أن الذال صوت رخو بينما الدال صوت شديد[1].

أقول: وهل لنا أن نفسر ما نُسب إلي أهل اليمن أنهم قالوا: (ذحج) والأصل (دَحَج)، وإذا كان هذا فلم لم يؤثر عنهم (ذحرج) والأصل (دحرج).

وتفلسف آخر فقال: إن مسوّغ الإبدال بين الصوتين هو انتقال مخرج الذال إلي الوراء قليلاً فيصادف الدال، كما تتغير صفة الذال من الرخاوة إلي الشدّة فتصير دالا[2].

أقول: وهذا التحول أو الإبدال يشيع في العامية، ألا تري أن الفصحاء قد قالوا في بعض المعرّب: أستاذ، والعامة تقول استاد، ونقول: فولاذ، والعامة تقول بحسب الأصل الأعجمي (بولاد) والباء أعجمية نظير الحرف (P) اللاتيني، وغير هذا كثير، ولا نعدم أن نجد في عامية أهل مصر قولهم في الأعلام: مندور ومدكور، وفصيحهما منذور ومذكور.

على أن شيئاً من هذا قد أثر في فصيح العربية فجاء في قوله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بعد أُمَّة﴾[3]، ونقول (ادَّخر)، وهو أكثر من (اذدخَرَ) أو (اذَّخَر).

وزعم اللغويون القدامي، أن أهل اليمن يبدلون الحرف الأول من الحرف المشدّد نوناً فيقولون في (إجاص) (انجاص)، في (إجّانة) (إنجانة)، وفي (حظّ) (حنظ)، وفي (اجّار) (إنجار) وغيرها.

وزعم أحدهم في تفسير هذا في ضوء قانون المغايرة (dissimilation) فقال: (حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة الواحدة، ويحدث هذا الاختلاف في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعّفين إلى صوت لين طويل.. أو إلى أحد

(١) الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص ٤٧-٤٨.

(٢) اللهجات العربية في التراث لأحمد الجندي ص ٣٣٨.

(٣) ٤٥ سورة يوسف، وعكس هذا قراءة ابن عباس ﴿فشرِّذ بهم من خلفهم﴾ ٥٧ سورة الأنفال.

لأصوات الشبيهة بأصوات اللين، وهي المسماة بالأصوات المائعة وهي اللام والميم والنون والراء)[1].

أقول: إذا عرف هذا الإبدال في لغة أهل اليمن كما زعم المتقدمون، فلِمَ لم يشيروا أيضاً إلي غير أهل اليمن الذين عرفوا هذا الإبدال وفشا في لغتهم؟ ولِمَ لم يطّرد هذا الإبدال في الكلمات الكثيرة المضعفة مادام قائماً علي علة صوتية؟

ونستطيع أن نذهب في سائر المواد التي حصل الإبدال فنقول: إنها أفراد سجلتها العربية في كلمات بعينها لايمكن أن تكون ظاهرةً لغوية يسبّبها عامل صوتي. غير أن الذين هرعوا إلي هذا اللون من الدرس أرادوا أن يقيموا من هذه (الأشتات) هياكل فأتي العلم بنيانهم من القواعد.

كيف نعتمد على أن (آسيته) تتحول إلي (واسيته) وعلى نماذج معه أخري معدودة فنتخذ منها ظاهرةً لغوية تنسب إلي أهل اليمن، وتنسب إلي غيرهم، وربما غلبت الواو فكانت اللغة الوحيدة. كما في عربيتنا المعاصرة[2].

وكيف نعتمد علي (أصغي) التي تحولت إلي (أصعَي) بالعين المهملة كما زعم اللغويون القدامي، وعلي نظائرها فنقول إنها ظاهرة يمنية، وهلي الذي قرأ (عشاوة) في قوله تعالي: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[3]. كان على لغة أهل اليمن؟

ومن العجيب أن ما استبعده الأقدمون وأنكروه وحسبوه (مذموماً) منكراً عاد إليه المعاصرون فأعملوا فيه علمهم فزعم أحدهم: «إن شنشنة اليمن ليست إلا كشكشة ربيعة ويجب أن تنسب هذه الظاهرة إلي القبائل البدوية اليمنية كما نسبت الكشكشة إلي تلك القبائل من ربيعة التي توغلت في البداوة»[4].

أقول: لو لم يحتفل هؤلاء المعاصرون بما نبذه القدماء واستنكروه لوجدوا أن هذه الأشتات

---

(١) لحن العامة لعبد العزيز مطر ص ٢٢٨.

(٢) أقول: لقد غلبت الواو في هذه الكلمات فأعارتها إلي الألسن الدارجة، فالعامة يقولون، واستيه وواكلته وواخذته وغيرها.

(٣) ٢٣ سورة الجاثية.

(٤) اللهجات العربية ص١٢٤ (ص ١١٢ بتصرف).

اللغوية لم تصح نسبتها إلى اليمن أو ربيعة، بل نسبت إلي أقوام آخرين، وأنت تدرك هذا إذا استقريت المصادر القديمة لترى ما ورد في هذه (الأشتات)، واختلافها في نسبتها إلى أصحابها.

ويحسن بنا أن نقف علي الأشتات اللغوية في المصادر اليمنية ولاسيما (الإكليل) و (صفة جزيرة العرب) للهمداني، و(شمس العلوم) لنشوان الحميري، ومن هذا:

قال الهمداني في «الإكليل»: (وبالمتوكّل) سمّوا أكيلاً وهم (الأكيليّون)[1] كأنه اسم مصغّر لأن تصغير متفعّل يصير إلي فعيل[2].

ومنه: النسبة إلي (صنعاء) صنعاني، ومثل ما أشار إليه بالنسبة إلى «بَهْراء» بَهْراني... وقال: خَولانُ لا تنسب إليها إلا علي بنية الأصل (صنعاوي)، وإجماع أهل خَولان علي أنهم يقولون في ساكن الكدراء (كدراوي) ولا يقولون (كدراني)[3].

وفي اللسان: أن النون بدل من الهمزة في «صنعاء» حكاه سيبويه[4]. وذهب ابن خلكان إلى أنها نسبة شاذة كما قالوا في بهراء (بَهراني)[5].

وقال:

«وينسب إلى حي بني (بن) حَوْلان (حيوانيّ) وأشار إلي أنها أصبحت هكذا فراراً من اجتماع ياءين أحدهما (كذا) ثقيلة مع ياء النسبة[6].

وذكر أن النسبة إلي (مَهْرة) عند الكلام علي اضطري بن مهرة فقال مَهْريّ[7]....

والنسبة إلى مرّان الرعاء (رعاويّ) والى شمر (شمراني)...

والنسبة إلي «الأخضوض» هي (خضّي) والقياس أخضوضي[8].

(١) في الاكليل ٣١١/١ أثبت المحقق «الأكلون»، وقال في تعليقه: وصوابه الأكيليون.
(٢) المصدر السابق.
(٣) صفة جزيرة العرب ص٨٢ وانظر اللسان ٨٠/١٠-٨١.
(٤) اللسان (صنع).
(٥) وفيات الأعيان ٢١٦/٣-٢١٧، واللسان ٨٠/١٠.
(٦) الإكليل ٢٩٧/١.
(٧) المصدر السابق ٢٦٧/١.
(٨) المصدر السابق ٤٢١/١-٤٢٢.

والنسبة إلي (الأبقور) (باقري)، والي (البقراء) (بُقري).

ثم مضي في هذه الخصوصيات في باب النسب مما عُرف في عربية اليمن.

ومن هذه الأشتات الخاصة باليمن ما ذكره الهمداني فيما يعرض من الحذف لبعض الكلمات فهو حين ذكر الملطاط بن عمرو أولد «إلى شدد»[1] بن الملطاط أشار إلى أن قسماً من العرب يخفّفونه فيقولون: اليشدَد مثل اليحمد، كما أنهم يحذفون فيقولون: يشدَد أي يحذفون الهمزة واللام من الكلمة تخفيفاً، ويبدلون الألف من آخر كلمة (إلى) ياء. ثم قال: إنهم يبدلون الياء يبدلون من «يشدد» فيقولون: شداد، أو يحذفون الألف الذي أبدلوه من الياء فيقولون: شدَد.

وأشار إلي «المشتبه» بين «شدد» و «سدد» فقال: كلمة «سدد» هو سدد بن زرعة بن زرعة بن سبأ الأصغر..

وعرض لضرب من البدل غريب، وهو إبدال التاء نوناً في أبيات أنشدها إياه بض حمير، والمذحجي، وذلك للتكثير، مستشهداً بقول العجاج، وقول الشاعر:

لأنت جلبتَ الخيل من أرض حِمْيَر غرابين دهماً حالكاتٍ وكُتماتا

قال الهمداني: كأنه أراد التكثير في «كُتمن» فأبدل لتاء منها[2]. وقد وردت النون في الكلمة ولم تبدل في قول العجاج:

والكُمْتُ تَبري كُمتُها لكُتمان

والوُرْق تَبري للرِّعال الوُرقانْ

أقول: وهذا من الغريب، ولا أدري كيف يكون «الكُتمان» أكثر من «الكُمْت»، ذلك أن شيئا مما جمع بألف وتاء في العربية ينصرف إلي أدني العدد. إن (سنبُلات) و (بَقَرات) في قوله تعالى: ﴿إني أربع سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر..﴾[3]، ينصرف إلى أدنى العدد، ولذلك وردا مع العدد «سبع».

---

(١) الإكليل ٢/٦٤.

(٢) المشتبه من أسماء عرب الجنوب للهمداني ٣٢-٣٣.

(٣) ٤٣ سورة يوسف.

وذكر الهمداني أن «برئ آل» لما اجتمعت فيه ثلاث همزات خُفِّفت فقيل «بريل» وقد جاء هذا حين ذكر «بريل ذو بتَع»[1].

ومن هذه الأشتات اللغوية الخاصة بعربية اليمن قوله: وكثير من قبائل حمير يأتي علي الأفعول». ومن أمثلته لهذا الوزن الأيفوع والأوسون، والآخرون، ومثله الأهبوب[2].

وأشار إلي ورود ما هو علي (فَعالات) في لغة هَمْدان نحو الخضارات، كما أشار إلي ما ورد علي (فعيلات) نحو (الحديعات) و (والعُيينات) و (الأصيلات). وما ورد علي وزن (الفَعَلات) مثل (اليَجَدات) و (العَبَلات)، وما ورد علي (فُعول) نحو (الصُقور) و (النسور) و (الغفور)[3].

ومنها قوله:

وأولد ذو يقدَم (ذا أبين) وبه سُمِّيت: «أبين عَدَن، بقول أبي نصر». وأتى بقول شيخه أبي نصر وهو «أنه لايمكن إلا أن يضف إلى اسم قد سُمِّي قبله. وإلا كانت تضاف إليه «ذات» فيقال: «ذات أبين».

ثم قال: قال أبو محمد [يعني نفسه] وذهب إلى أنها سميت «أبين» بأبين بن الهميسع لإنشادهم قول الرائش بهذه الروية التي رواها مستدلاً بها على ما ذهب إليه، وهي:

واذكُرْ بـه سيِّدَ الأقـوام ذا إنـسٍ

ابن القـدام وعمراً والفتي الثانـي

فقال: «فجعل (ذا يقدَم) كما جعل عبد المطلب قدم» مستظهراً بقول بعض من قُبل قولهم من أهل اليمن: «إنه لا يضاف (ذو) إلي الأعلام، فلا يقال: ذو زيد، ولا ذو عمرو، ولا ذو مالك. وعلى هذا يجب أن يكون «ذو إنسٍ» زنة «إثم» وهو جبل البقران[4] باليمن.

---

(١) الإكليل ٢/٢٧١.

(٢) انظر مقالة «الأفعول وما جاء علي وزنه من أسماء الأعلام والقبائل والبلدن في اليمن» للقاضي اسماعيل بن علي الأكوع: مجلة المجمع (مج: ٦١ ص ٣٠٥-٣٤٧) / المجلة].

(٣) المشتبه من أسماء عرب الجنوب ص ٤٢.

(٤) جاء في معجم البلدان (بقران): «بقران، بثلاث فتحت وقد تكسر القاف وربما سكنت، من مخاليف اليمن لبني نجيد (مخلاف بني مجيد، في أحسن التقاسيم: ٩١، وفي المسالك والممالك لابن خرداذبه: ١٤٠، ١٤٨، ١٩٢، وفي كتاب البلدان لليعقوبي: ٨٠) يجتلب منه الجزع البقراني، وهو أجود أنواعه...]

ثم أشار إلى أن أبا نصر قد أبى ذلك وأبطله، وهو يرى أن البيت:

واذكُـر بـه سيّـدَ الأقـوام ذا بَيَـنِ

وقال: إن (حميرَ) تحذف مثل هذه الألف في كلامها فتقول: إذا أردت أن تقول للرجل: اسمَعْ واذهَبْ، سِمَعْ/ وذِهَبْ، وغِضَبْ، وشِرَبْ في اغضَبْ واشرَبْ[1].

وقد قال بما قال به شيخه أبو نصر.

ثم قال: «والوجهُ ما ذهب إليه قدماء الرواة أنهم سمعوا بـ (أناس بن الغوث) من الصوار، فظنوا أنه لايكون اسم انسان بجماعة أسماء النس مثل أناس بن الغوث، ورجال بن جَحْدب بن ذي يزن... وأنه ذو أناس، وأنه يصلح أن ينقص في الشعر فيقال «ذو أنس»، والأُنْس والأَنَس واحد. يقال: قربت من الأُنْس والأَنَس» ثم قال: ولو أنشدوا:

واذكُـرْ بـه سيّدَ الأقـوام ذا بَيَنِ

لكانت العربية تجيزه[2].

الحميرية وما بقي منها ومصادرها

كنا قد أشرنا إلى قول أبي عمرو بن العلاء في الحميرية، وقد أشرنا إلى أنه رحل إلى اليمن وسمع من أهل اليمن وقد قال: ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا. وكأنه وجد بقايا الحميرية معروفة متداولة، ولعل شيئاً منها قد دخل العربية. ومن أجل ذلك أشار علماء القرآن من أهل العربية إلى وجود ألفاظ يمنية في لغة التنزيل.

قال أبو عبيد في قوله تعالى: ﴿متكئين فيها علي الأرائك﴾[3]، فالأريكة عند أهل اليمن الحَجَلة فيها سرير[4]. وفي قوله تعالى: ﴿ولو ألقَي معاذيره﴾[5]، وأهل اليمن [يسمون] السِّتر: المِعذار، فمعاذيره معناها ستوره[6].

---

(١) الإكليل ٢/٦٠-٦١.

(٢) الإكليل: ٢/٦١.

(٣) ٣١ سورة الكهف.

(٤) الصاحبي ص ٤٢ [حكاه أبو عبيد بإسناده عن الحسن].

(٥) ١٥ سورة القيامة.

(٦) الصاحبي ص ٤٢ [حكاه عن الضحاك بن مزاحم].

وروى الكسائى عن القاسم بن معن في قوله تعالي: ﴿اسكُن أنت وزوجُك الجنّة﴾[1] أنها لغة لأزد شنوءة، وهو أهل اليمن[2].

ونقل بن السكيت عن الأصمعي أن حميريا يقول: أنا أعرف تزبرتي[3]. قال ابن السكيت: وزبرت الكتاب اذا كتبتُه[4].

وكما أثر كل هذا عن هذه اللغة القديمة، فقد أثر عنهم ما يفيد أن الحميرية تفتقر إلى فصاحة العربية، وأن فيها عجمة، فقد أشار ابن جني إلى رواية عن الأصمعي من أنّ رجلاً من العرب دخل على ملك ظفار، فقال له الملك: ثبْ، ومعناها في الحميرية اجلسْ، فوثب الرجل فاندقّت رجلاه، فضحك الملك، وقال: ليستَ عندنا عربية، من دخل ظفارَ حَمَّر، أى تكلم بكلام حمير.

وقد اشار ابن جني الى أن الحميرية عربية قديمة لاترقي الى فصاحة لغة التنزيل[5].

ويبدو أن الحميرية عاصرت العربية، فقد ذكر الهمداني أن «مهرة» غُتْم يشاكلون العجم[6].

وأن أهل اليمن الذين تكلموا بالعربية استعملوا ألفاظاً كثيرة حميرية.

وقد أشار محمد بن علي الأكوع إلى جهد الهمداني في «الإكليل» وشرحه للألفاظ الحميرية التي بعد العهد بها عنا[7].

كأن الهمداني قد رسم الخارطة اللغوية في اليمن، فقرأنا فيها مواطن اللغة الحميرية

(١) ٣٥ سورة البقرة.
(٢) الصاحبي ص ٤٢.
(٣) الإبدال ص ١٤١.
(٤) الإبدال ص ١٤١ [وجاء في أمالي القالي ٢:١٧٢: «وقال الأصمعي: زبرته: كتبته، وذبرته: قرأته قراءة خفيفة. وقال: قال أعرابي حميري: أنا أعرف تزبرتي: أي كتابتي». وجاء في الاقتضاب (ط٢، ١٩٨١) ١:١٦٥: «وقد فرق بعض اللغويين بين: زبرت وذبرت فقال: زبرت بلزاي: أي كتبتُ، وذبرتُ بالذال: أي قرأت»].
(٥) الخصائص ٢٨/٢، وقد أشار ابن جني إلي لغة أهل اليمن فذكر قول الأصمعي عن أبي عمرو ابن العلاء في ٢٤٩/١، وفي ٤١٦/٢.
(٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧.
(٧) الإكليل ٧/١.

وانتشارها من قتاب الي ذمار. وفي أهل صنعاء وغيرها بقية منها، فتوجد في (شِبام)، وفي (خَيوان)[1] وغيرها.

وقد جاء في أحد أبواب «الإكليل» بيان لحروف المسند، وذكر أنه كتاب حمير ومثلاته في حروف أ.ب.ت.ث وغيرها[2].

وقال: «أكثر ما يقع بين الناس الخلف فيما يقولونه من «مساند» حمير من اختلاف صور الحروف؛ لأنه ربما كان للحرف أربع صور وخمس، ويكون الذي يقرأ لا يعرف إلا صورة واحدة.

فلما وقع الخلل في هذا الموضع رأينا أن نثبت تحت كل حرف من حروف ألف، بـاء، تـاء صور جميعها. وإنما كان اختلاف صور الحروف علي سبيل اختلاف الكتاب العربي»[3].

وقد أشار الهمداني إلى ما يحذف في الكتابة من الكلمة فقال: وكانوا يطرحون الألف إذا كانت بوسط الحرف مثل ألف «همدان»، وألف «رِئم» فيكتبون «رِئم»، و«همدن»، وكذلك تبع كتّاب كتب المصاحف في رسم الحروف في مثل «الرحمن»، وألف إنسان، ويثبتون ضمة الآخر واواً «عليهمو»[4].

ونبّه الهمداني علي أن الحميريين يفرزون كل سطرين بخط، ويفصلون بين كل كلمة وكلمة في السطر بخط قائم مثل ذلك في أول مسند ناعط، ومثل لصورة مانبّه عليه. وبعد أن فسر ما صوّره قال: «فذهبت الألف المتوسطة، وثبتت الواو للضمة التي عليها» ثم ذكر ا.ب.ت.ث وسائر الحروف[5].

وكنا قد أشرنا إلى قول الهمداني في الأمر من الأفعال لدى الحميريين وأنهم كانوا يطرحون الألف من الأفعال في الأمر فقال: إذا أردت أن تقول للرجل: اسمَعْ، واذهَبْ،

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧ـ٢٧٩.

(٢) صفحات من التاريخ الحضرمي لسعيد عوض باوزير (م السلفية ـ القاهرة ١٣٧٨) ص١٦.

(٣) الإكليل ١٢٢/٨ [١٤١].

(٤) المصدر السابق [١٤١، وجاء فيه: «ويثبتون ضمة آخر الحرف، وواو عليهم].

(٥) انظر صورة الحروف في مسند ناعط وتفسيرها في «الإكليل» ١٢٢/٨ـ١٢٣ [١٤١ـ١٤٢].

تقول: «سمَعْ» و «ذهَبْ»، و «غضَبْ» في اغضَبْ، و «شرَبْ» في اشرَبْ، أي أنها [اي حمير] تحذف همزة الوصل من أمر الثلاثي فذَهَبَ أمره «ذِهَبْ» في لغة حمير[1].

ويشير الهمداني إلى الأشتات الحميرية التى بقيت في العربية اليمنية، فهو يورد قول فروة بن مسيك المراديّ:

والله لولا معمر وسلمان ابنا عروان ووفيًا هَمْدانْ (كذا)
إذن توردن حوالا نَوفانْ يحملننا وبيضنا والأبدانْ

قال الهمداني: (حوالا) لعغة لهمدان ومن جاوره، ثم قال: تقول: حلّ بعيراك، وخذ دينارك بمعني حلّ بعيريك، وخذ دينياريك[2].

ويورد قول علقمة الذي جاء فيه «تُلْفُم»:

وتُلْفُماً فاندبي وابكي لما خلا أهله فساحوا[3]

وقوله أيضاً:

ألم ترنا عطا أمسى خرابا وتُلْفُمَ بادَ عامرُه فجابا

ويقول إن «تلفم» اسم من «تَلَف» زيدت فيه «ما» فقيل: «تلفما» ثم حذفت الألف فقيل «تُلْفُم» بالحميرية[4]، ولم يكتف برأيه في تركيب هذه الكلمة وحذف الألف منها، بل أورد كلمات أخري قالها الحميريون محذوفة الألف كقولهم: «مأذِنم» و «رئامَم» يريدون «مأذنا» و «رئاما».

ثم ذكر تخفيفها قولهم: «تُلْفُم» وأشار إلي أن العرب رأته كالأعجمي فقيل: تلثم بالثاء المثلثة، وشاهده قول الهمداني[5]:

---

(١) الإكليل ٦١/٢، وقد مرّت الإشارة إلى هذا. وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٧٧.
(٢) الإكليل ٩٣/٨ وانظر صفة جزيرة العرب ص ٢٨٧ [ابنا عروان، لعلها محرفة عن: ابنا عرار].
(٣) المصدر السابق. [لو قيل: (وبكي) بدل (وابكي) لاستقام الوزن، فالبيت من مخلع البسيط].
(٤) جاء في معجم البلدان (تلقم) بالقاف، وقال: «تلقم: جبل باليمن فيه ريدة والبئر المعطلة والقصر المشيد، وقال علقمة ذو جدن:

وذا القوة المشهور من رأس تلقم أزلن وكان الليث حامي الحقائق

وقد صحّف ياقوت، ولكنه عاد فذكره على الصواب بالفاء في رسم (ريدة).
(٥) الإكليل ١٠٣:٨ [١٢٢].

وثُلْثما لو سألناه يخبرّكم قد عفاه من أبواس وأنواس (كذا)

ومما أورده الهمداني من الألفظ الحميرية كلمة «الكردي» بمعنى العجين، ذلك أن (كرد) بلغة حمير بمعني (عَجَن).

وقل: (الفحمي) النار والجمر خاصة[1].

وقال: (الهَجَر) القرية بلغة حمير والعرب العاربة[2]، ومنها هَجَر البحرين وهَجَر نجران، وهَجَر جازان، وهَجَر حَصِبة من مخلاف مأذن، وفيها جاء المثل:

الهَجَران كفّة بكفّة النخل والذَّبْر بها مُحِفّة

والذَّبْر هو الزرع[3].

ومما أورده الهمداني «التبع» قال: تسمّي حمير ما تبع الشمس من الفيء «التُبَّع» قالت سعدي بنت الشمردل الجهنية ترثي أخاها وتنعته[4]:

يرد المياه حضيرةً ونفيضةً ورد القطاة إذا اسمألَّ التُبَّعُ

ونصّ علي أن «حمير» تبدل الهاء من الهمزة في «هشوع»، والأصل «أشوع»[5]. كما كانوا يبدلون الواو من الألف، وقد جاء هذا عندما ذكر أولا شمانر بن ذي ماور «ملهو» وتار يهنعم[6]، وذو سنافة ابني شُمانر».

فالأصل في «ملهو» «ملها» لكن بعض حمير يبدل الألف إذا كانت في ذوات الواو فيقول: ملهو في ملها، ومسنو في مسنا، وهي النضاحة، ورجُو ومرْجُو في رَجَا البئر[7].

(١) المصدر السابق ٦٥/٨ [٨١-٨٢].

(٢) صفة جزيرة العرب ص١٧٠، وعلق المحقق فقال: «ولازالت(الهجر) بالتحريك تطلق علي القرية الكبيرة إلي هذا العهد كما تطلق على آثار وأنقاض المدينة الجاهلية.

(٣) المصدر السابق ١٧١.

(٤) الإكليل ٦٨/٢.

(٥) المصدر السابق ٢٤/٢ وقد علق محقق الكتاب فقال: هذا يدل علي معرفة المؤلف للقلم الحميري، ويؤيده ما جاء في النقوش التي عثر عليها المستشرقون.

(٦) أقول: ووجود الهاء حشواً في الفعل، وهو حرف زائد يقابل الهمزة في العربية كما في (أكرم)، ولكن هذه الهمزة تحذف بعد حرف المضارعة خلفاً للحميرية، ولعل من هذا مابقي في العربية الشمالية الفصيحة كما في قول امرئ القيس:

«وأنّ شفائي عبرةً مُهراقةً».

(٧) الإكليل: ٨٢/٢.

وجاء في الجمهرة لابن دريد أن اليمانين يبدلون الألف واوا قال: «وسمعت رجلاً يقول: أم شيخ أم كبُار ضرَبَ رأسه بالعَصُو، أي بالعصا[1].

ويمضي الهمداني في ذكر الخصائص اليمنية الحميرية في الأعلام للناس والمواضع.

أقول: ومن هذه (الأشتات) التي عرضنا لها يتضح لنا أن (الحميرية) بقايا ألفاظ وصيغ وجدت مكانها في العربية لفصيحة اليمنية.

ونستطيع أن نقول: إنها أوفر حظا في الألسن السائرة الدارجة في الحواضر اليمنية والقري.

الخاتمة:

ربما فات الهمداني كما فات من خلفه من المصنفين اليمنيين كنشوان بن سعيد الحميري في كتابه (شمس العلوم) أن يشيروا إلي غلبة الصيغة الفعلية وهي «يفعل» أو «تفعل» في أسماء الرجال وأسماء المواضع نحو: يشجب ويعرب ويحصب، ويحمد ويثرب وينبع وتريم وتعز، وتبوك[2]، وطائفة كبيرة أخري من نحو هذا الذي قدمت.

وهذا من خصائص اللغة اليمنية القديمة، وأري أن (يمن) تندرج في هذا فهي من مادة (م ن ن)[3]، وليس من (يمين) كما ذهب المؤلفون العرب الذين قالوا إنها يمين مكة، كما أن بلاد (الشام) سميت كذلك لأنها شمال الكعبة.

وبعد فهذا موجز إن لم يكن كافياً فهو مفيد لوقوفه علي نماذج اللغة اليمنية عربية وحميرية تقوم مقام المقدمة لعمل آخر مبسوط كل البسط.

---

(١) الجمهرة ١/٢٧٤-٢٧٥.

(٢) وإني لأميل إلي يمانية الحجاز سكانا ولغة، فالناس هم الأوس والخزوج وقبائل أخري قحطانية، وأسماء الحواضر والمواضع هي كذلك تتضح في: يثرب وينبع وتبوك وغيرها.

(٣) المعجم السبئي، انظر مادة (MNN).

رسم الحرف وحديث «التصحيف»

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأستعينه وأستغفره، وأصلى على صفوة خلقه أبى القاسم النبى الرسول الأمين بعثه الله بالحق لهداية الخلق كافة.

مقدمة

لقد كان لى وقفات في طائفة من الكتب مما نشر وحقق في الأدب واللغة والتاريخ، وقد بدا لي أن آفة التصحيف قد اعترت النصوص فكان فيها مما يبين، وكان شيء آخر قد استغلق فصار خطباً لأنه أساء إلي المعني فجاء منه ما هو عجيب.

وقد رأيت أن ذلك مما أدى إليه رسم الحرف، وماكان فيه من تشابه لابد أن يؤول إليه زخرف هذه الرسوم التي لم ينجح فيها قول القدماء مثلاً: بالباء الموحدة التحتية أو التاء المثناة الفوقية أو العين المهملة أو الغين المعجمة.

وأنت مع هذا كله تقع على الهفوات الفاشية في المواد القديمة، ولم يكن ذلك حافزاً لنا ولاسيما أهل التعليم للصغار، إلى أن نعالج هذه الآفة. ولم ينهض بالأمر أولو العلم في العربية الى وقف هذا الخطب.

لقد جعلنا كتب الدراسة الابتدائية للسنوات الثلاث مضبوطة بالشكل، حتى إذا تحوّل المتعلّم المبتدئ إلي السنة الرابعة وجد كتابه غفلاً من «الحركات» التي هي علامات الضبط. وكأن هذا المبتدئ المتعلـم أتقن هذه العربية، فهو يدرك أن الفعل هو «يلمَس» بفتح الميم كما هو شائع، وربما لـم يكن معلّـمه على علم بهذا، ولايدري كلاهما أن الصحيح «يلمُس» بضم الميم، وأن صواب «يقدِم بمعني يجيئ هو «يَقدَم» بفتح الدال، وعامة المعربين جارون علي ما هو خطأ وتجاوز.

لو أدرك أهل العلـم أن «الحركات الثلاث» أصوات قصيرة لسارعوا إلي إدخالها مع الأصوات الأخري في الألفباء العربية.

وإني لأعرض في هذا الكتاب الذي شاركت فيه بما كان وضممت إليه ما أدركه أهل العربية في مادة التصحيف ليكون هذا مجموعاً لفيفاً بين أيدي الدارسين.

فـى أصـــــول
رسـم الحـرف (الإمـــلاء)

رسم الحرف أو ما يُسَمَّى «الإملاء»

أقول: «رسم الحرف» وهو المصطلح الذي عرفناه في «رسم المصحف» في كتب «القراءات»، غير أننا عدلنا عن هذا مستبدلين به مصطلحاً جديداً هو «الإملاء»، وليس هذا «الإملاء» الجديد شيئاً من «أمالي» القدامي على طلبتهم، بل إنه أخذ وابتدع مما يمليه المعلـم في المدرسة الابتدائية في عصرنا علي تلامذته الصغار من قطعة نثرية أو شعرية ليختبر معرفتهم برسم الحروف، وهو يسعي إلى أن يتقن هؤلاء طريقة رسم الهمزة مثلاً، والتمييز في الكلـم التي يكون الضاد أو الظاء أحد أحرفها، ومعرفة ما يوصل وما يفصل، وما يكتب ألفاً قائمة أو يرسم على هيئة الياء ومسائل أخري.

وقد فطن المعاصرون لهذه المشكلات في الرسم التي يخطئ فيها التلامذة والطلاب،وقد يكون الخطأ مما يعرض لغير هؤلاء كأهل العلـم وغيرهم. وقد سَمَّى هؤلاء المعاصرون «مختصراتهم» كتب الإملاء، لأنهم توجّهوا بها إلى التلامذة والطلاب وغيرهم من ذوي الحاجة، فأخذوا المصطلح من حصة «الإملاء» في المدرسة الابتدائية الحديثة.

ولقد رأيت أن الحاجة تقضي أن أشارك في هذا الدأب من العمل فأقول شيئاً فيما سُمّي «قواعد الإملاء»، ولكني لا أرمي مما سأبسطه أن أضع كتيباً أو موجزاً بين أيدي التلامذة والطلاب يهتدون به في معرفة «شكل الرسم»، بل سأقول ما بدا لي في بعض ما اشتهر من هذه القواعد مما تواضع عليه أهل الصنعة علي تراخي العصور.

وسأتابع في عملي ما صنعه الأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله في كتيّب له وسمه بـ «قواعد الإملاء»[1]، وما صنعه الدكتور نايف معروف[2] في موجز آخر وسمه بـ «تعلّـم الإملاء وتعليمه».

(١) قواعد الإملاء (مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٨٥) ٧٩ صفحة.

(٢) تعلّـم الإملاء وتعليمه (دار النفائس ـ بيروت ١٩٨٦) ١٢٤ صفحة.

ونتابع «قواعد الإملاء» فنجد في «الباب الأول» الهمزة التي قال فيها الأستاذ هارون: «الهمزة (أو الألف اليابسة): حرف مخصوص يقبل الحركة؛ بخلاف الألف اللينة التي لاتقبل الحركات. (ص ٧).

فالحرف الأول من (أَمَرَ) همزة تقبل الحركة، والحرف الأخير من (الفتَى) الألف لينة لا تقبل أيّ حركة.

أقول: هذا هو قول المتقدّمين، والأستاذ عبد السلام هارون يعيدقولهم ولا يري فيه ما ينبغي له أن يردّه أو يقف منه موقف الناقد.

إن في قول الأستاذ هارون عدة مسائل:

الأولى: قوله: الهمزة ألف يابسة، وهو في هذا يقابل «الألف» التي وضعت «لينة». وقد مثّل لهذه الهمزة (الألف اليابسة) بالهمزة المرسومة على ألف كما في «أَمَر»، وللألف الليّنة بالألف المقصورة في «الفتَى».

أقول فكيف نقول في الهمزة المضمومة في «تؤُمَ»، والهمزة المكسورة في «بئس»، أهما ألف يابسة أم شيء آخر؟

إن الألف غير الهمزة مخرجاً وحيِّزاً وصفةً، وإذا كنا قد عرفنا أن الهمزة الساكنة تكون ألفاً كما في «رأس» و «راس»، وتكون ياءً كما في «بئر» و «رئم» (بير وريم)، وتكون واواً كما في «شؤم» و «شوم»،وهو ما نطلق عليه «التسهيل» أو شيئاً آخر، فذلك ضرب من الإبدال، فلم تُسهَّل الهمزة ولا تُلِّين، ومن العرب من يهمز ومنهم من لا يهمز، والقراءات شاهد على هذا.

وقالوا: قريش لا تنبُر، أي لا تهمز، فأين «التسهيل» المزعوم؟

ثم نتابع المسيرة في هذا الكتاب في (ص ٧-١٠) فنقرأ:

«الهمزة أول الكلمة»

«وترسم هذه الهمزة ألفاً سواءً أكانت همزة وصل أم همزة قطع».

وهمزة الوصل: هي التي تثبت نطقاً في الابتداء وتسقط في الدَّرْج. ولها مواضع معروفة، وهي:

١ـ الأسماء العشرة: اسْم، واشت وابْن وابنة وابنُم، وامرؤ، وامرأة، وكذا مثنّي هذه الأسماء السبعة ـ واثنان، واثنتان، وايمُن الله.

٢ـ «أل» بجميع أنواعها، نحو: الرجلُ، العبّاس، الضاربُ، الذي.

٣ـ أمر الفعل الثلاثي، نحو: اكْتُبُ، افهَمْ [اضْرِبْ].

٤ـ ماضي الخماسيّ والسداسيّ وأمرُهما ومصدرُهما نحو: انطَلَقَ، انْطَلِقْ، انطلاقاً؛ استَخْرَجَ، استَخْرِجْ، اسْتِخراج.

ولا توضع الهمزة علي هذه الألفات البَدَلية ولا تحتها، فرقاً بينها وبين همزة القطع الواجبة الاثبات». انتهي الكلام علي همزة الوصل.

أقول: إن تسمية هذه الألف التي تُرسَم في أوائل هذه المواضع، «همزة وصل» هو من باب التجوّز، وقد يكون لي أن أقول: هو خطأ قال به القدماء فجرينا عليه على أنه علم ورثناه.

إن هذه «الألف» ليست همزة، وليس فيها شيء من صوت الهمزة، اللهم إلا إذا بُدئ بها الكلام فقلنا مثلاً:ابن مالك قال، أو انطَلَقَ محمد، فالابتداء يفرض على المعرب أن يبدأ بصوت فيه القليل القليل من الهمز، وكأننا ننطلق بالباء الساكنة من «ابن»، وبالنون الساكنة من «انطَلَق». ولم يشر القدماء ولا المحدثون إلى هذا الموضع الذي يبتدئ به المعربون فتكون الكلمات الأولى من هذه المواضع التي قالوا فيها: إن ألفاتها الأولى هي همزة وصل. وجعلوا ما كان من هذه الكلمات عند الابتداء بهاكحالها في درج الكلام، وكل ذلك همزة وصل.

ثم إن كلمة «الوصل» تعني في حقيقتها أن الكلمة توصل بسابقتها وصلاً يجمعهما من غير واسطة كما يوصل الجزء من الكلمة بما يسبقه في تفعيلات الشعر في علم العروض، فإذا قلنا مثلاً: «قلتُ له انْطَلِقْ» فالهاء من «له» بضمتها توصل بالنون، ولم يكن من وجود صوتي لما رُسِمَ ألفاً، وسُمِّي خطأ «همزة وصل».

أقول: ومن هنا سقَطَت ألف «ابْن» إن كانت بين عَلَمَين في قولنا: محمد بن زيد». إن هذه الألف في هذا الموضع لا حاجة بها وليس لها من وجود صوتي، وأنها سقطت لفظا وخطّاً لأن الباء الساكنة من «ابْن»قد وُصِلت بضمة الدال من «محمد».

وقد أشار الخليل بن أحمد الي ألف «ابْن» ولم يُسمِّها «همزة وصل»، وقال: هي سُلَّم يرتَقَي به إلي الساكن بعدها وهو الباء من «ابْن»[1].

ومن أجل هذا لايمكن أن ندعو هذه الألف في المواضع التي ذكرت في «همزة الوصل»، «همزة وصل إذا بدئ بأي من هذه الكلمات، لان «الابتداء» لا يعني وصلاً، ولكن الابتداء في أي موضع من هذه المواضع يقتضي قليلاً من الهمز مع حركة مناسبة يقتضيهاالموضع.

فإذا قلنا: «انْطَلَقَ محمد» فإننا نسبق النون الساكنة بقليل من الهمز مع الكسر، وإذا قلنا: «انْطُلِقَ به»، فإننا نسبق النون الساكنة بقليل من الهمز مع الضمّ.

وعلي هذا لاتكون الألف من أداة التعريف «همزة وصل» إن بدأنا بها فقلنا: «الرجلُ جاءَ»، لأننا مضطرون أن نبدأ بالهمز، وإما أن تكون هذه الألف «وصلاً» في درج الكلام كقولنا: «جاءَ الرجلُ».

أما قول الأستاذ عبد السلام وغيره، وكذلك القدامي في «همزة القطع» فهو صحيح يؤيده النطق[2] ومواضع هذه الهمزة هي:

الاسم المفرد نحو: أخ وأخت، والمثني كأَخَوَين وأُختَيْن، والجمع نحو: الإخْوة والأَخَوات. وكذا مصدر الثلاثي والرباعيّ نحو: أَسْر وإسْرار، وفعلهما الماضي، نحو: أَسَرَ وأَسَّرَ، وهكذا.

الثانية: أن يتحرك ما قبلها وليس واواً مشدّدةً مضمومةً، فتُكتَب علي حرف من جنس حركة ما قبلها، نحو:امرؤ، لُؤْلُؤ، تَهيُّؤ، ونحو: امرئ، مُتَهَيِّء، مُبْرِئ، يُهيِّء، مَهَيَّأ، مبْرِئاً؛ ونحو: مُهيَّأ، مُبْرَأ، يُهيَّأ، يُبْرَأ، يَقرأ.

أقول: ذكر الأستاذ هارون في حالة الهمزة «الأولي»:

«الأولي: أن يُسَكَّن ما قبلها.....» ومثَّل لشيء من هذه الحالة بالألفاظ الآتية:

ناءٍ (اسم فاعل من نأَي)، ونحو: جاء، شاء، ونحو: رداء، كساء، ونحو: وضوء، قروء».

(١) أقول: وكانت هذه العلة الصوتية في قولنا أيضاً: «قال ابن مالك»، وهذا يقتضي حذف الألف لأن الباءالساكنة اعتَمَدت على فتحة الفعل«قال»، ولكن أهل الرسم جروا على خلاف العلة فأثبتوا الألف، وقصروا الحذف على وقوع «ابن» بين علَمين.

(٢) أقول: النطق، وهو وجود صوتي، ولذلك هي همزة لا ألف تثبت في الابتداء والوصل.

أقول أيضاً: لم يسبق الهمزة في هذه الألفاظ سكون، وقد عدَّ الأستاذ هارون أن الألف قبل الهمزة هو سكون، وحقيقة الألف (وهي حرف مدّ) هي فتحة طويلة.

ثم أمضي مع الأستاذ هارون في (ص ١٣) فأجد «الهمزة وسط الكلمة» جاء فيها:

«للهمزة في وسط الكلمة خمس حالات:

الحالة الأولي: تُرسَم ألفاً في موضعَين:

١ـ أن تُسكَّن أو تُفتَح ولو مشدّدة بعد مفتوح ولو مشدّداً، نحو: يأْمُر، آخِر، ونحو: مَلْجَأ، مَنْشَأ، تَدَأْب، سأل، تَبَوَّأها. ونحو: قَرَأَ، لم يَقرَأ،يَقْرَأان،

أقول: وقد علق الأستاذ هارون علي آخر كلمة «يقرأان» فقال:

«وأجازوا اجتماع الألفين هنا لئلا يلتبس بالمسند إلي الواحد في الماضي، والمضارع المحذوف النون نصباً أو جزماً، أو بالمسند لنون النسوةبالنسبة للمضارع المثبت النون رفعاً. وكأن القدماء يحذفون الألف الثانية، ثم عُدِل عن ذلك خوف الإلباس».

أقول: إن هذا الذي كان القدماء يتبعونه مخالفاً لما أثبته الأستاذ هارون مازال متبعاً، فكثير من أهل العلم يكتبون: قَرَءا، ويقرآن، ولعل هذا هو أشهر مما أثبته الأستاذ المؤلف.

وهذا يعني أن رسم الهمزة في كثير من أحوالها مسألة مواضعة، وليست القواعد التي أثبتها أهل «رسم الحرف» [الإملاء]، ثابتة سائرة لدي جميع أهل الصنعة المعنيين.

ثم إننا لو عدنا إلي طريقة «الرسم» في المخطوطات القديمة وجدنا عجباً فكثيراً ما وجدناهم يرسمون «رؤس» وهم يريدون «رءوس» مثلاً.

ونعود إلي كلام الأستاذ المؤلف في الموضع الثاني من «الحالة الأولي» فنقرأ:

٢ـ «أن تُفتَح بعد ساكن صحيح وليس بعدها ألف المثنَي أو الألف المبدلة من التنوين نحو: يَسْأَل، تَسْأَل، دَفْأَن، جُزْأَه، جُزْأَين، مسألة».

أقول: وقد علّق الأستاذ المؤلف علي قوله: «وليس بعدها ألف المثنّى أو الألف المبدَلة من التنوين» فقال: «أما التي بعدها ألف المثني، نحو: جزءآن، وكذا التي بعدها الألف المبدلة من التنوين، نحو: جُزْءا سيأتى حكمها في رقم ٣ من الحالة الرابعة».

ثم قال الأستاذ هارون (ص ١٠):

«وهمزة القطع فوق الألف البَدَلية إن كانت حركتها الفتحة أو الضمّة، نحو: أَمَرَ، أُمِرَ، أَكْرَمَ، أُكْرِمَ؛ وتحت الألف إن كانت مكسورة، نحو: إيمان والإيمان».

أقول: هذه أمور لا تستحق أن يُشار إليها فتدخل في «كتاب» علي أنها «قواعد» في رسم الهمزة. ثم إني لا أعرف هذا المصطلح الجديد، وهو «الألف البَدَلية»، ولم أقف عليه في المصطلح النحوي لدي القدماء ولدى المحدثين. ولم أدرك معناه ومغزاه!!

ومن هذه «القواعد المزعومة» التيوردت في هذا «الكتاب» قول الأستاذ هارون:

«وهناك حروف تدخل على الهمزة ولا تخرجها عن أوّليّتها، وهي:

١ـ أل التعريف نحو: الأمير، الأُبّهة الإجلال...

٢ـ لام القسم الداخلة علي الفعل نحو: لأسْعَيَنّ..

٣ـ اللام الجارة التي لم يَلِها أن المدغمة في لا، نحو: لأنّك، لإحسانه، لأُسرته...

٤ـ اللام الداخلة على المبتدأ أو الخبر، نحو: لأنتَ الصديق، إنّ الصديق لأخوك.

٥ـ باء الجرّ، نحو: بأمر اللّـه، بإرادته، بألوهيّته.

٦ـ همزة الاستفهام المفتوح ما بعدها، نحو: أأخرجُ...

٧ـ حرف التنفيس، نحو: سأقرأ...

٨ـ الفاء والواو، نحو: فإنَكَ أخي، وإنّك صديقي».

أقول: انتهت هذه «القواعد» في رسم همزة القطع، وإن المبتدئين الشداة ليصلون إلي هذا وهم يقرؤن أيّ نصّ مضبوط بالشكل فيه هذه المواضع، ولايخطئون بها دون أن يشار إليهم أن هذه «قواعد لرسم همزة القطع».

ثم نأتي إلى رسم «الهمزة آخر الكلمة» ص ١٢-١٣، قال الأستاذ هارون:

لهذه الهمزة حالتان:

الأولي: أن تُسَكَّن ما قبلها، أو يكون واواً مشدّدة مضمومة، فتُكتَب حينئذٍ همزة مضمومة

مفردة نحو: جُزْء، بُرْء، مِلْء، دَرْء، مَلُء، مُنْءٍ «اسم فاعل من أنأى»، ناءٍ (اسم فاعل من نأى)؛ ونحو: جاءَ، شاءَ؛ ونحو: رداء، برآء، ونحو: وُضوء قروء.

ومثال ما قبله واو مشدّدة مضمومة: التَّبوُّء.

أقول: قلت: ان كثيراً من مواضع رسم الهمزة حكمته «المواضعة» فأنت تجد من يكتب «مسئلة» في كثير من المخطوطات والمطبوعات التي نشرت قبل نصف قرن، كما تجد شيئاً آخر في المخطوطات وفي المطبوعات الأخري التي طبعت في الحقبة نفسها.

غير أني أقول: لو أن للهمزة صورة ثابتة في جدول حروف الهجاء فيكون عدد الحروف تسعة وعشرين بدلاً من ثمانية وعشرين لكان على من يكتب أن يضعها مفصولة أو موصولة بما قبلها أو بما بعدها، وبذلك نتخلص من هذا التردّد في رسمها على ألف أو واو أو ياء.

أقول: ودون هذا خرط القتاد، فكيف يتمّ ويُنجَز شيء من هذا؟!

وأقول أيضاً: ان صورة «الهمزة»، وهي رأس صورة العين، أي بعد قطع دورة العين أو ذَنَبه كانت من صنع الخليل بن أحمد، وكأن الخليل نظر إلي مخرج الهمزة وقربه من مخرج العين فاجتهد فوضع هذه الصورة. ولكن الكتَبَة طوال العصور كانوا يتخفّفون من رسمها، فانك قلما تجد صورتها في المخطوطات حتي ما كان من ذلك في القرون المتأخرة.

ومن هنا برزت مشكلة رسمها وكيف توضع، وكثر الاختلاف في ذلك.

ونمضي مع الأستاذ المؤلف في الصفحة (١٤) فنقرأ:

«الحالة الثانية: تَرسَم واواً في ثلاثة مواضع:

١ـ إذا كانت مضمومة بعد ساكن غير واوٍ أوياءٍ، وليس بعدها واو مَدّ، نحو: أرؤُس، أفؤُس، التفاؤل؛ ونحو: جُزْؤُه، سَماؤُه. ومنه: هؤُلاء، فإنّ ما قبلها في النطق ألف ساكنة، وإن كانت حُذِفت في الخطّ تخفيفاً».

أقول: نعم، هذا هو الجاري الكثير، وإن كنت تجد من يكتب: جزءُه وسَماءُه.

ثم، أليس لي أن أقول: أين التخفيف الذي هو علّة حذف ألف «هؤلاء» خطّاً؟

ليس من تخفيف، ولكن الكتبة جروا على خط المصحف، وخطّ المصحف قديم، وربما كان للقِدَم أثر في عدم التفكير بتغييره،حتي قال أهل العلم:

«خطّان لايقاس عليهما خطّ المصحف وخطّ العَروضيّ».

ولو أن أهل العلم رجعوا إلي هذه الألفات التي حذفت من هذا وهذه وهؤلاء وأولئك، والسموات وغيرها، فأثبتوهاخطّاً في عصرنا لأفادوا. أفادوا المتعلم الطفل الناشئ، وأفادوا غير العربي من المسلمين وغيرهم الذين يتعلّمون العربية. وقد وجدت في الكتب التعليمية التي يتعلم بها الغربيون العربية شيئاً من هذا، فقد ردّوا هذه الألفات المحذوفة.

ولست أجد في الحذف تخفيفاً كما قيل.

ونمضي مع الأستاذ المؤلف فنقرأ الموضع الثاني من «الحالة الثانية» الذي جاء فيه:

«٢ـ اذا كانت [أي الهمزة] مضمومة بعد فتح غير واقعة بين واوَين من الكلمة، ولا قبل واو الجمع وهي متطرّفة علي ألف[1]؛ نحو: يَملؤه، يرزؤه، يَقرَؤه، يَكْلؤكم، يرْزؤكم، «أُلْقِي الذكرُ عليه».

أقول: هذا حَسَن، ولكن كم يتّبع أهل العلم هذا؟ ألم نجد من يكتب: أقرأُه مثلاً؟

ونمضي في (ص ١٥) ونقرأ الموضع الثالث من «الحالة الثانية» وهي رسم الهمزة واواً:

«٣ـ اذا ضُمّ ما قبلها وهو غير واو مشدّدة بشرط أن تكون هي غيرمكسورة، نحو: جُؤجُؤَان، لُؤْلُؤَان، لُؤْلُؤك، يُؤاخذُ، مُؤاخذة، سُؤّال (جمع سائل)، وضُؤت، وضُؤْتَ، يوضُؤان، يوضُؤون. ومنه: اؤْتمنَ الرجلُ (مبنيّاً للمجهول).

أقول: هذا مقبول، ولكنك قد تجد من يكتب «موآخذة»، ويَوْضؤون»، ومثل هذا في الخطّ القديم الكثير. وسنجد من المواضع مما ذُكِر فيه وَجْهان أو ثلاثة أوجه.

ومضي الأستاذ هارون فقال في هذا «الموضع الثالث»:

«وأما نحو: رُءُوس وفُئوس، فالمشهور فيه حذف الواو الأولي لكثرة استعمالها مخفّفةً؛ إذ تقول: فؤس ورؤس، وللقاعدة المشهورة:

«كلّ همزة مضمومة ولَيها حرف مَدّ كصورتها تُحذَف صورتها».

---

(١) علّق الأستاذ هارون فقال: أمّا الواقعة بين واوين نحو: وءول، والتي قبل واو الجمع وهي متطرّفة على ألف، نحو: يلجئون، فسيأتي حكمها في رقم ٤ من الحالة الرابعة.
أقول: وسيكون لي تعليق على هذا عند الكلام علي الحالة الرابعة.

أي تُرسَم مفردة، إلا اذا أمكَنَ وصل ما بعدها بما قبلها، نحو: فئس».

أقول: قول الأستاذ هارون «إذ تقول فُوس ورُوس» هو شيء لم يرد في الفصيح المشهور، بل هو من اللسان العامي الدارج الذي يتخفَّف فيه من الهمزة. وليس شيء منه إلا في بعض شواذّ القراءات (انظر: مختصر البديع لابن خالَوَيه، والمحتسب لابن جنّي).

ثم إن الكاتب أو القارئ حين ينظر إلي «فئوس» أو «شئون» كما هو جارٍ لدي إخواننا المصريين، يستشعر ما يشبه الياء، وكأن الحرف السابق للهمزة مكسوراً، وهذا غير صحيح، لأننا لا نعلم في أبنية جمع التكسير «فِعول» بكسر الفاء.

ونمضي مع الأستاذ هارون في كلامه علي «رُءوس» و «فئوس» فيقول:

«وفيها مذهب آخر: أنها تُرسَم بواوَيْن: رُؤُوس، فُؤُوس.

ومذهب ثالث: أن تُرسَم علي الواو الثانية بعد حذف الأولي. فُؤُس، رُؤُس».

أقول: قوله: «أن تُرسَم بواوَيْن» شائع كثير، ولكن كيف لنا أن نفهم المذهب الثالث، وهو: «أن تُرسَم علي الواو الثانية بعد حذف الأولي» ؟!

كيف السبيل الى معرفة أن الكاتب حذف الأولي ورسم الهمزة علي الواو الثانية ؟!

ثم ما هذه «القواعد المزعومة» التي تكون في ثلاثة مذاهب ؟

أعود فأقول: لو أن أهل العلم من أعضاء المجامع اللغويةوغيرهم اجتهدوا فوضعوا للهمزة صورة بين حروف الهجاء، ورسمت كالحروف الأخري مفصولةً أو موصولة بما قبلها أو بما بعدها، لأصبنا كثيراً وتجنبنا هذا العلم الذي يقول بثلاثة مذاهب في رسم صوت هو كسائر الأصوات لا يختلف عنها قيد أُنملة.

ثم نأتي إلى «الحالة الثالثة» (ص ١٦–١٨) من الحالات الخمس التي نصَّ عليها المؤلف فقال:

«الحالة الثالثة: تُرسَم ياءً في أربعة مواضع:

١ـ إذا كانت مكسورة بعد متحرّك، نحو: سَئِمَ، يَئِسَ، مَلِئَه، تَتَوَضَّئِين، تَوْضئِينَ، تَقْرَئِين، لم تَقْرَئي، القارِئين. وكذلك يومَئِذٍ (ومثل كَل ظَرف أُضيف إلى «إذ»، نحو: حينَئِذٍ، وساعتَئِذٍ).

وكذلك كل كلمة أوّلها همزة استفهام وثانيها همزة قطع مكسورة، نحو: أَئِفكاً، أَئِن، أَئِذا، أَئِنّا.

٢ـ إذا كُسِرَتْ وسُكِّنَ ماقبلها، نحو: صائم، قائم، وُضوئه، هُدوئه، جُزْئه، جُزْئي، أَسْئِلة.

٣ـ إذا سُكِّنَت وكُسِرَ ما قبلها، نحو: بَرِئْتُ، بُرِّئْتُ. ومنه الماضي والأمر والمصدر المهموز الفاء من باب الافتعال، نحو: ائْتَزَر، ائْتِزاراً، ائْتَزِرْ. ونحو: ائْتَمَنَ، ائْتِماناً، ائْتَمِنْ.

ويُستثْنَي من هذا الأخير ما إذا تقدَمَت فاء أو واو داخلة على الكلمة وأُمِنَ اللَّبْس. ففي هذهالحالة تحذَف الألف الأولي وترسَم الثانية ألِفاً، لوقوعها ساكنةً إثْر مفتوح، نحو: فَأْتَزَر، فَأْتَزار، فَأْتَزِرْ، وأْتَمَنَ، وأْتَمِنْهُ.

وإذا تقدَّمَت (ثمّ) جرَت قاعدة الأصل، نحو: ثم ائْتَزَر. وكذا إذا لم يُؤْمَن اللَّبس جرَت قاعدة الأصل، نحو: فَائْتَمَّ، من الائْتِمام، لأنّه لو خرَج عن القاعدة لالتبَس بأَتَمَّ من الإتْمام.

٤ـ إذا تحرَّكَتْ بغير الكسر وقد كُسِر ماقبلها، نحو: رِئَة، سيِّئة،طارئة، ناشئون، بُرَّئا، يُهيِّئانه، مئون، لئلا.

أقول: عرفنا في هذه الحالة أن الهمزة المكسورة أو التي كسر ما قبلها أنها تُرسَم ياءً، فكيف جاز لنا أن نكتب «شئون» جمع شأن، و«مسئول» هذه الكتابة، وأن «النبرة» التى سميت لدي المعاصرين تسمية عامية «كرسي» هي كرسي الياء؟

ونأتي الي «الحالة الرابعة» (ص ١٩–٢٠) التي أشار إليها المؤلف فقال:

«الحالة الرابعة: تُرسَم مفردة في أربعة مواضع:

١ـ إذا وقعت مفتوحة بعد ألِف، نحو: تَساءَلَ، تَضاءَل، عَباءة، رِداءَيْن، راءَي، شاءا، ردائين.

٢ـ إذا وقَعَت مفتوحةً أو مضمومة بعد واو ساكنة، أو بعد واوٍ مشدَّدة مضمومة، نحو:أسبَغَ وضوءه، ضَوْءُه شديد، إنّ تبوّءَكَ تبوّءَه، ضوْءان.

٣ـ إذا وقعت مفتوحة بعد صحيح ساكن، وقبلَ ألف التنوين أو ألف التثنية، نحو: جُزْءاً، جُزءان. (وأمّا إذا تلَتها ياء المثنّي فإنها تكتَب علي الألف نحو: جزأين، وترأين كما سبق).

وفي هذه الحالة إذا أمكن وَصْل ما قبلها بما بعدَها رُسِمت علي نَبرْةٍ، نحو: دِفْئاً،دِفْئان، شيْئاً، شيئان.

٤ـ إذا وقعت مضمومةقبل واود مَدٍّ في نحو زِنةَ مفعول أو فَعول، أو كانت قبل التوسّط مرسومة على ألف أو مرسومة مفردة، وذلك نحو: مرءوس، موءودة، دءوب، وءول (مبالغةمن وأّل بمعني لجأ)، قَرءوا، جاءوا.وفي هذه الحالة أيضاً اذا أمكن وصل ما قبلها بما بعدها رُسِمت على نبرة، نحو: مسئول، سعول، قئول.

أقول: أكثر هذه القواعد مسألة مواضعة وإلا فهل من علة مانعة أن لا نرسم الهمزة على واو في حال كونها مضمومة وقبلها واو ساكنة، نحو: ضوؤه، ولِمَ بحسب القاعدة هذه التي تقدمت قبل أسطر أن ترسم مفردة.

ثم إن النبرة التي ترسَم عليها الهمزة تشعر أنها ياء كما في قولنا سُئِل، ورسمها علي الياء لا علاقة له بضم ما قبلها، إذا كان هذا فكيف أفهم رسمها في «مسئول» و «سَئول» علي نبرة؟

إن القرئن الصوتية تدعو إلي رسمها علي واو يليها واو الصيغة فأقول: مسؤول وسَئول كما أقول: شؤون، والهمزة في كل ذلك علي واو تليها واو الصيغة.

وأعود إلي الأستاذ المؤلف في «الحالة الخامسة» هي ٢٠-٢١ فأجده يقول:

«الحالة الخامسة: تُرسَم علي نبرة إذا كانت مسبوقة بياء ساكنة نحو: هيئة، جيْئَل، بيْئَس، بيئَة، شيْئُكَ، فيْئُه، باشيئِه، فيْئِه.

وكذا اذا كان حقها أن ترسم مفردة وأمكن وصل ما قبلها بما بعده، كما في ٣، ٤ من الحالة الرابعة.

أقول: انتهي الكلام علي أحوال رسم الهمزة، وقد رأينا التردّد في رسمها وأن الذي قيل في أكثر هذه القواعد لم يقم على أساس من العلم الصوتي أو غيره، ولذلك وجدنا من يذهب إلى غير هذا الرسم، كما وجدنا أن في بعض المواضع ثلاث طرائق في الرسم.

ومن هذا ما ذهب إليه نفر من أعضاء المجمع العلمي العراقي في كتابة «هيأة» ورسم الهمزة فيها علي ألف خلافاً لما في القاعدة التي مرّت في الحالة الخامسة، وليس لنا أن نقول

في جملة هذه الطرائق ولا أقول «قواعد» إنها شيء من علم قد استقرت أصوله وقواعده.

إن القول بمصطلح «رسم الهمزة» مفيد، وذلك لأن الهمزة لا مكان لها في الحروف الهجائية، وتبقي المسألة على الاجتهاد الفردي إلا مسائل محدودة وهي المواضع التي ترسم فيها مفردة.

وإني لأفيد من الهمزة التي تُرسَم مفردة فأعدُّها حرفاً كسائر الحروف الهجائية، ولا أعتبر ما قيل فيها لورودها مفردة، كأن تكون متطرّفة قبلها ساكن أو ألف. أو شيء آخر.

ولورود الهمزة محمولة على ألِفٍ أو واوٍ أو ياءٍ أو ورودها تحت الألف مكسورة ظن الكتبة من الشُداة وغيرهم، وقد يكون من هؤلاء أهل علم، أن الهمزة في نحو: «شيء» و «بريء» و «جريء» محمولة على الياء، فكتبوا: شئ وبرئ وجرئ. ومثل هذا يكون في الكتب المطبوعة خاصة.

أخلص من هذا كله أن رسم الهمزة علي ما قيل فيه من ملاحظات وضوابط بقي فيه الأمر مختلفاً. ثم إن هذه الضوابط لايسلم كثير منها من الضعف، ولو أننا أفرغنا للهمزة مكاناً بين الحروف العربية سواءً بسواء لخلصنا إلى ضبط وصحّة ولتجنبّنا هذه المسائل التي تقف في عملية التعلّم حائلاً.

ثم آتي إلى الباب الثاني من هذا الكتيّب (ص ٢٢-٣٤) فأجد المؤلف يقول في «الألف اللينّة»:

«وهي التي لا تقبل الحركة. ولها موضعان: الوسط والطرف».

أقول: قلت في مصطلح «اللينة» شيئاً في أوّل هذا الموجز، وأشرت أنها وصفت بـ «اللين» لأن أهل العلم من القدامى وتبعهم المحدثون قد قابلوا بها الهمزة التي عدّوها «ألفاً يابسة».

وقلتُ: إن هذا مستبعد في العلم كما أدركه أهل الصنعة من المحدثين، وأن الهمزة غير الألف مخرجاً وحيّزاً وصفة.

وأقول أيضاً: إن «الألف» حركة طويلة، وهي فتح طويل، فليس لنا أن نصفها بعدم الحركة، ولا تقبل الحركة، وأنها ساكنة.

إن نفراً من أهل العلم القدماء قد أدركوا هذه الحقيقة الصوتية في قولهم: «الحركات أبعاض حروف المدّ» (انظر «الخصائص» لابن جنّي).

ثم قال المؤلف في «الألف الليّنة وَسَطاً»:

«تَرسَم ألفاً مطلقاً سواء أكان توسّطها بالأصالة أم كان بغيرها، فالمتوسطة بالأصالة نحو: قالَ، قامَ، صامَ، نامَ».

أقول: لا أدري لِـمَ لم يأت بفعل يائي نحو: باعَ، والألف فيه كالألف في الأفعال المذكورة، و«الأصالة» متوفرة؟

ثم إني أقول: إن قول المؤلف في هذه الألف المتوسطة هي بالأصالة، وهو يريد بذلك أن أصل قالَ وصامَ، ونحوهم: قَوَلَ وصَوَمَ، وكذلك أقول في «باعَ» إن أصلها بَيَعَ، علي هذا النحو بحسب أقول أهل العرف الأقدمين.

غير أني أقول: إن هذا الأصل قد صاروا إليه بالنظر، ذلك أنهم وجدوا الواو في المصدر وهو قَوْلٌ، وصَوْم فحكموا بهذا الأصل وجعلوه بفتح الأول والثاني، فاهتدوا إلي قولهم: تحرّكت الواو، وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفاً.

وكذلك يقال في «باعَ» وأصلها «بَيَعَ»: تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفاً.

وإلي أن أصيف «خاف» وأصلها «خَوِفَ» فأقول بحسب هذا: تحركت الواو (أي بالكسر) وانفتح ما قبلها فقُلبت ألفاً.

أقول: إن هذا الأصل لهذا الفعل واو كان أم يائياً أي قَوَلَ، و «بَيَعَ»، شيء قرّرْناه بالنظر، ولم نقف عليه في تاريخ العربية وإن كان في المصدر واو وياء.

أقول: والذي ينبغي أن يقال: إن الألف في «قالَ» و «باعَ» أصل بدأت به العربية.

ونعود إلي المؤلف فنقرأ:

«والـمتوسّطة عَرَضاً نحو: فَتاهُ لَيْلاايَ، بمُقتَضاه.

ونحو: يخشاه، يرضاه، يخشاني.

ونحو: إلامَ، عَلامَ، حَتّامَ».

أقول: إن هذه الألف ليست متوسطة، وهي متطرفة، ولكنها توسطت بسبب ما أضيف إلي الكلمة كما في: فَتاهُ، ليلايَ، بمقتضاه.

وبسبب ما لحق الأفعال من ضمائر المفعول به كما في: يَخشاهُ، يَرْضاهُ، يخشاني. وبسبب مدخول الأحرف كما في: إلامَ، عَلامَ، حتّامَ.

إن الألف في هذه الموادّ كانت ياءً في: فَتَي، لَيْلَي، مقتَضَي، يَخْشَي، يَرضَي، إلى، علَى، حتّى، وهذا هو مسألة رَسْم، والألف باق علي حقيقته الصوتية سواء رُسِمَ أَلفاً قائمة كما في «عَصَا» أو ألفاً بصورة الياء كما في «فَتَى» وكلاهما ألف مقصورة، والمسألة لا تتجاوز حدّ الرسم.

ومن هنا ليس لنا أن نقول إنها متوسطة بسبب ما جاء بعدها من ضمير أو غيره.

ونعود إلي المؤلف في «الألف اللينة طَرَفاً» فنجده قائلاً:

«ترسَم ياءً في سبعة مواضع، وفي غير هذه المواضع تكتب بالألف.

وهذه هي المواضع السبعة التي تكتَب فيها بالياء:

١ـ في كل اسم ثلاثي ألفه منقلبة عن ياء.

حاشية هنا للمؤلف هي: «أما المنقلبة عن واو كالقفا والعصا والعُلا والحجا، فترسم ألفاً. وكذلك الألف المجهولة الأصل كالدّدا (اللهو واللعب)، والخَسَا؛ (الفرد من العدد)، والزَّكا: (الشفع من العدد)، إذ لم يعرف لتلك فعل ولا مشتق آخر.

وهذه هي طريقة البصريين، وأما الكوفيون فيستثنون من هذه القاعدة كلّ ما كان وزن فُعَل (بضمّ ففتح) أو فِعَل (بكسر ففتح)، فإنهم يكتبونه بالياء، واويّاً كان أو يائيّاً، نحو: العُلا، الحجا، العدا، يكتبونها جميعاً بالياء: العُلي، الحِجي، العِدَى مع أن أصلها الواو من العلوّ والحَجْو والعُدوان.

وهناك مذهب ثالث يكتبها وهي ثالثة بالألف مطلقاً، سواء أكانت منقلبة عن واو أم عن ياء». انتهت الحاشية.

أقول إن الألف هي ألف سواء رُسِمت قائمة أم على صورة الياء فلا تختلف الألف في «عَصَا» عن الألف في «فَتَى».

ثم ان ما أثبته المؤلف في حاشيته في مسألة الرسم هذه يثبت أن القدماء قد تخبّطوا في اختلافهم بصريين وكوفيين فزادت المسائل، وكان حقها أن تكون شيئاً واحداً. وأما الأصول فإن المتعلّم يصل إليها من معرفة المشتقات.

٢ـ في كل اسم عربيّ زائد على ثلاثة وليس قبل آخره ياء، نحو: صُغْرَي، كُبْرَي، حُبْلَي، حجْلَي، ضِرْبَي، صرْعَي، قَتْلَى، عَذارَى، سُكارَى، حيارَى، مُرْتَضَى، مصطَفَى، تَتْرَى، وحاشَي التنزيهية نحو: «حاشَي للّه».

وقد علّق المؤلف على «تَتْرَى» و «حاشي» فقال في الأولي: قيل ألفها للتأنيث فلا تُنَوَّن. وقيل للإلحاق بنحو جعفر فتُنَوَّن، وعلى الحالين تكتب ياءً، وأصلها وَتْرَي، أبدلت واوها ياءً.

وقال في الثانية: لأنها اسم على الصحيح، بدليل تنوينها في قراءة أبي السمّال: «حاشا لله» وإضافتها في قراءة ابن مسعود: «حاشَ للّه».

أقول: إن هذه الأقوال لاتمس الألف في حقيقتها بل تبقي ألفاً، والمسألة مسألة رسم أطالت الطريق على الـمتعلّم.

وأضاف المؤلف تكملة لما ورد في الفقرة الثانية قوله

وإن كان قبل آخره ياءٌ رُسِمت ألفاً مطلقاً نحو: دنيا، قضايا، رَيّا، مَحيّا، ثُرَيا، إلاّ «يَحْيَى» علماً فإنها تُرسَم بالياء.

أقول: وقالوا في «يحيى» العلم إنه خالف طريقة الرسم فلم تُرسَم ألفه قائمة للتمييز بينه وبين الفعل «يَحْيا».

أقول: هذا القول كأنه مُوَجّه إلي غير العرب من الأعاجم فلابد أن تكون علامة فارقة ليهتدي الأعجمي إلى أن هذا اسم، وهذا فعل. إن معرفة الاسم من الفعل مستغنية عن هذا كله الذي يشبه ما يوضع في الطرق في عصرنا من إشارات تنبئ المارة أن هذا الطريق لا يُطرَق، وان الآخر مباح فيه المشي.

ثم إن هذه الضوابط مسألة رسم وأي ضير أن تكون «دنيا» وسائر المواد بعدها تكتب بالياء «دُنْيي» بحسب ما ذكر من القاعدة، وإني أعكس القضية فأقول: أي ضير أن ترسم الألف في «صغري» والكلمات التي ذكرت بعدها ألفاً قائمة «صُغْرا» ونتجنّب هذا الإشكال.

وقال المؤلف في الفقرة الثالثة:

٣ـ في أربعة أعلام أعجمية، وهي: مُوسَى، كِسْرَى، بخارَى.

أما غيرها من سائر الأعلام الأعجمية فيرسم بالألف نحو: دارا، زَليخا، يافا، بِنْها، سَبْرا.

زقول: إنها مسألة مواضعة واتفاق، وإلا فأي علة في هذا التمييز، وكل الأسماء أعجمية؟

٤ـ في خمسة أسماء مبنية، وهي: لَدَي، أَنّي، مَتَي، أُولَي (اسم إشارة)، الأُلَي: (اسم موصول)، أما غيرها من الأسماء المبنية فترسَم ألفاً نحو: مهْما، أنا، إذا.

٥ـ في كل فعل ثلاثي ألفه منقلبة عن ياء، نحو: سَعَى، مَسعَى، رَعى، رَمَى.

فإن كانت الألف منقلبة عن واو رُسِمت ألفا، نحو: دَعَا، عَزَا، عَفا.

أقول: كان ينبغي أن يقول: رسمت ألِفاً «قائمة» وهذه الصفة مقتضاة لأن الألف في سَعَي ورَمَي كالألف في دَعَا وعَفَا، ولا عبرة بالرسم.

وقال المؤلف: وبعضهم يكتب هذا النوع كله بالألف، وليس بشيء.

أقول: لم يُسمِّ الـمؤلف «بعضهم» وهم غير واحد ضرورة، وأراد بـ «الألف» الألف القائمة «لا المرسومة ياءً».

٦ـ في كل فِعلٍ زائدٍ على ثلاثة إذا لـم يكن قبل الألف ياء نحو: أَهْدَى، اهتَدَى، آتَى، خلَّى، صلَّى.

ومنه: تَمطَّى، وتسرَّى، وتَقَضَّى الطائر، أي انفَضَّ، وأصل هذه الثلاثة: تَمطَّطَ، وتَسرَّر، وتَقَضَّضَ، ألِفاتها مُبدَلة من حرف صحيح.

واذا كان قبل ألفه ياء رُسِمت ألِفاً، كراهةَ اجتماع صورتَين، كيَحْيا، استَحْيا،و تَبيًّا، تَزيًّا.

٧ـ في أربعة أحرف هي: إلى، علَى، حتى، بلَى.

وأما سائر الحروف فتكتب ألِفاً، نحو: لا، هَلاَّ، خلَا، عَدا، حاشا.

وقال المؤلف:

وهناك قاعدتان كُلِّيَّتان:

١ـ ما كانت فاؤه أوعينه واواً كُتِبَ بالياء نحو: وَعَي، وَقَي، الجَوَي، الهَوَي.

٢ـ ما كانت عينه همزة كتب أيضاً بالياء، نحو: بأى (من البأو، وهو الفخر)، وشأى (من الشأو بمعنى السبق)، وفأى (من الفأو بمعنى الضرب) وذلك لأنهم كرهوا في هذا اجتماع الألفين.

أقول: وأخلص من هذا في هذه المسائل السبع إلى أن المسألة تتصل بالمواضعة، وهي مسألة رسم تتصل بصاحب الخطّ الكاتب، وليس المعرب المتكلّم.

ثم آتي إلى ضرب من «اللعب» في هذا الأمر المتصل بالرسم فقد ذكر المؤلف في «تنبيه» له:

ذهب بعضهم إلي أن اليائى يكتب ألفاً [أراد قائمة] في سبعة مواضع:

١ـ في السجع، مشاكلة لكلمة أخرى مرسومة بالألف [أراد القائمة] نحو:

سامِح أخاك إذا هَفَا، وأنْجِدّه اذا (هَوَا).

أقول: كأن الأمر يتصل بالقارئ وحده، وكأن صاحب هذه القاعدة المزعومة قد قصده دون غيره من قائل أو سامع. أليس هذا من الألاعيب!!

٢ـ في القافية، وذلك في القصائد المقصورة كمقصورة ابن دريد:

إمَّا تَرَي رأسيَ حاكيَ لونُهُ ... طُرَّةَ صُبْحٍ تحتَ أذيال الدُّجا

واشتَعَلَ المبيَضُّ في مُسْوَدِّه ... مثل اشتعال النار في جمر الغَضَا

كأنّه الليلُ الهيمُ حلَّ في ... أرجائه ضوءُ صباحٍ فانْجَلا

أقول: وهذا شئ آخر من الألاعيب، كأن صاحب القول راعَى عينَي القارئ!!

وعلل الأستاذ هارون ذلك فقال: وذلك لتستوى القوافي في الصورة الخطيّة!!

٣ـ في المشاكلة بقصد الجناس، كقوله:

يا سيِّداً حازَ رِقيًّا ... بما حَباني و (أوْلا)

أحسنْت بِرّاً فقُلْ لي ... أحسَنْتَ في الشكر أوْلا

أقول: أليس هذا من العبث؟

٤ـ في المشاكلة بقصد التورية، كقوله:

بروحَي بَدْراً في الندَي ما أطاعَ مَن ... نَهـا وقـد حـازَ المعالي وزانَهـا
يُسائلُ أن ينْهَـي عن الجود نَفْسَـه ... وها هو قد بَـرَّ العُفـاةَ (ومانَهـا)

معناه القريب من «مانَه يمونه، إذا قام بكفايته من النفقة؛ لمناسبة البِرّ، ومعناه البعيد أنّه لم يَنْهَ عن الجود نفسه.

٥ـ قصد المعاياة والإلغاز، كقوله:

أقولُ عبد الله لـمّا سناؤُنا ... ونحن بوادي عَبْد شَمْس وَهاشِم

قصده «وَهَي» يَهي، أي ضعُفَ، و«شم» أمَر، من شامَ البرقَ أو السحاب، إذا نظره. ولكنه يرسُم «وهاشم» مجانَسة لعَبْد شَمْس؛ ليحمِلَه علي اللُّغْز.

أقول: أليس هذا كله في الجناس والتورية والإلغاز ضربا من العَبَث؟ فهل يقيم على هذا علماً في «الرسم»!!

٦ـ ما ورد مقصوراً وممدوداً بلغتين: كالحَلْوَي والحَلْواء، والزانَي والزِّناء، يصحّ أن يكتب الحَلْوا، والزَّنا بالألف.

٧ـ ما ورد مهموزاً مُجرَّي مَجْرَي المثل، كقَرَيْتُ بمعني قَرأْت، يصحّ أن يكتب في حال تجريده من الإسناد، قرأ، وحقّهُ في هذه اللغة أن يُكتَب قَرَي، وكذلك أبْطَيْتُ في أبْطأْت، يصحّ أن يكتب في حال تجريده، أبْطَا، وحقّهُ أن يُكتَب أبْطَى.

وجاء في (ص ٣١) قول المؤلف في «معرفة الواويّ واليائيّ»:

«يُعرَف ذلك:

١ـ بالتثنية: كعَصَوَين وفَتَيَين، في عَصاً وفتىً.

٢ـ بالجمع، كمَهَوات ورَحَيات في مَهاً ورَحى.

أقول: إن «مَهَا» اسم جمع، واحدها «مَهاة».

٣ـ بالمصدر، كالغَزْو والسَّعْي في غَزَا وسَعَى.

٤ـ اسم المرّة، كالعَدْوَة والسَعْية من عَدا وسَعَى، أو اسم الهيئة كالرِّعْية من الرَّعْي.

٥ـ بالمضارع، كيَغْزو في غَزا، ويَقْنى في قَنَى.

٦ـ بالاسناد لضمير الفاعل، كسَمَوْتُ وهَدَيْتُ في سَما وهَدَي، وكسَمَوا وهَدَيا فيهما أيضاً.

وجاء في «الألف المبدلة من ياء المتكلم» (ص ٣٣):

تكتب ألفاً على الأرجح، نحو: يا حَسْرَتا، وأَسَف «ورسمت في المصحف ياءً».

«والألف المُبدَلة من نون التوكيد الخفيفة»

مذهب البصريين كتابتها بالألف، وهو رسم المصحف، نحو: «وليَكونا من الصاغرين»، «لَنَسْفَعاً بالناصية»، وقول الأعشي:

ولا تَعبُدوا الشيطانَ واللّهَ فاعْبُدا

ومذهب الكوفيين كتابتها بالنون، وذلك في غير المصحف.

أقول: ومذهب الكوفيين أحقّ لأن الالف بدل، والأصل نون.

«والألف المُبدلة من نون إذَن»

يكتبها البصريون ألفاً «إذاً»، وهو رسم المصحف.

وكتبَها المازنيّ والمبرّد بالنون: «إذن».

وقال الفراء: إن أُعملَتْ كُتبت بالألف، وإلا كُتبَتْ بالنون.

والذي عليه المعاصرون الآن كتابتها بالنون مطلقاً.

أقول: وفي هذا إحقاق لـما يُلفظ به.

ويُروَى عن المبرّد أنه قال: أشتَهي أن أكوِيَ يدَ من يكتب «إذَن» بالألف؛ لأنها مثل أنْ ولَنْ.

أقول: انتهى هذا الباب بخيره وشرّه وفيه مواضعة لاتخلو من تعسُّف خلقت اضطرابا في هذا العلم اللغوي.

وهذا هو الباب الثالث (ص ٣٥–٣٨) في «الحرف التي تزاد، وأشهرها الألف والواو» جاء فيه:

«زيادة الألف:

تزاد الألف وسطاً في كلمة (مائة) مفردة أو مركبة لخمسمائة وتسعمائة».

أقول:

هذا ما ورد في الكتاب، ولم يذكر المولف ما يردّده غير واحد من أن زيادة الألف كانت للتفريق بين العدد «مئة» وبين حرف الجر «من» مع لضمير الهاء في «منه» في الحقبة التي سبقت النّقْط، فالعدد من دون الهمزة هو «مـه» مع إهمال التاء أيضاً، وهو في هذه الحال مثل «مـه» وهي «من» الجارة مع مدخولها.

أقول: إذا كان هذا صحيحاً من الناحية التاريخية فهل صنعوا مثل ذلك في الكلمة «فئة» وهي التي تلتبس بـ «فيه» بعد إهمال الأولي من الهمزة ونقطتي التاء، وإهمال الياء من الثانية؟

لم نقرأ شيئاً من ذلك، وأظن أن ما قيل في «مئة» حديث ملفّق. ولكني أقول أن زيادة الألف في «مائة» ليس أمراً عامّاً، ذلك أنك تجد من النساخ من كتب «مئة».

وجاء أيضاً: «وتزاد طَرَفاً في موضعين:

١ـ بعد واو الجماعة، نحو: خَرَجُوا، وذَهَبُوا، واخرُجَوا واذْهَبُوا. لا بعد الواو التي هي جزء من الفعل، نحو: يدعُو الـمُصلّون، ونحن نَدْعُو، وأنتَ تَدْعُو.

أقول: قوله: تزاد بعد واو الجماعة مستشهداً بالفعل الماضي المسند إلى جماعة الذكور، وكذلك الفعل الأمر المسند لجماعة الذكور، مُستغنٍ عن إضافة المؤلف اللاحقة وهي قوله: لا بعد الواو التي هي جزء من الفعل...

فهذه الزيادة المضافة حشو لا فائدة فيه، والعبارة الأولى كافية.

ثم إني أقول: ما معنى هذه الزيادة؟، وكأن المؤلف عَجَز أو قل لم يهتد إلى علّةٍ، ولو كانت ضعيفة، تشرح وتفسّر هذه الزيادة.

وأذكر أن دعوة قديمة أوصت بحذف هذه الواو التي لا تدلّ على شيء، أطلعتها بعض أهل اللغة منذ نصف قرن ونشرت في مجلة «الرسالة» المصرية، ولكن الدعوة لم تلقَ القبول.

ولم يكتف الـمؤلف بإضافته غير المفيدة التي توجّه بها إلي التلامذة الشداة دون أن يصرّح بذلك، بل أضاف ثانية ما هو أكثر منها مما يدخل في الإخلال والفضولة، وهو قوله:

«ومن الخطأ كتابتها بعد واو الجمع اللاحقة لجمع المذكر السالم وملحقاته، نحو: مسلمو المدينة، فلاّحو القرية، بنو الوَطَن، فهذه واو جمع لا واو جماعة. كما أن من الخطأ إهمال كتابتها بعد واو الجماعة في المسنَد إليها لتعظيم الـمفرد في نحو: «تَفَضَّلُوا» في خطب الـمفرد العظيم، فلا يصحّ إهمال كتابة الألف في مثل هذا».

أقول: هذه إضافة أخرى هي من قبيل الحشو، وليس «حَشْو اللوز أينج» الذى عرفه اللغويون. والقول الأول كاف ومستغنٍ عن هذه الزيادات.

ثم إن قوله في الواو فى «خَرَجواَ و «اخْرُجوا» هي واو جماعة لا واو جمع» ما معنى هذا؟

وهل حاجة أن نقول ما قال المؤلف في قوله: «تَفَضَّلُوا» في خطاب المفرد للتعظيم!! إن الواو هنا واو جماعة، وإن كان المخاطب مفرداً.

ثم إني أقول: ما العلة في زيادة الواو في «خَرَجوا»، وعدم زيادتها في «مدرسو المدنية» ولو أن أحد الشداة زادها هنا كان خطأً؟

إنها «مواضعة» ولِمَ كانت هذه المواضعة التي فرقت بين الفعل والاسم في مسألة لا تتصل بسبب لغوي مقنع؟

وجاء في الموضع الثاني قول الـمؤلف:

«٢ـ في آخر بيت الشعر إذا كانت للإطلاق نحو قول عمرو بن كلثوم:

قِفي نَسْأَلْكِ هل أَحْدَثْتِ صَرْماً لوَشْكِ البين أم خُنْتِ الأمينا».

أقول:

وألف الإطلاق تعني إطلاق فتحة النون من «الأمين» المنصوب على أنه مفعول به. وإطلاق الفتحة هو مدُّها فترسَم ألفاً.

وكان على الـمؤلف أن يضيف نظير هذه الألف التي وردت في قوله تعالى:

«وبلَغَت القلوب الحناجر وتظنونّ باللّه الظُّنونا» ١٠ سورة الأحزاب.

فالألف في «الظنونا» هي من إطلاق فتحة النون.

وجاء في «زيادة الواو (وسطاً) في قول المؤلف:

«١ـ (أولي) الإشارية، وممدودها (أولاء) ومثله (أولئك).

وعلّق المؤلف على (أولاء) فقال: إلا إذا كانت مسبوقة بـ «ها» للتنبيه نحو: هؤلاء، فلا تزاد بعدها الواو.

وقال المؤلف: ولا تزاد في (الأُلى) الموصولة، نحو قول المجنون:

مَحَا حُبُّها حُبَّ الأُلَي كُنَّ قبلها وحلَّتْ مكاناً لم يكُنْ حُلَّ من قَبْلُ

ولا في ممدودها (الأُلاء) كقول كُثيِّر:

أَبَي اللّهُ للشُّمِّ الأُلاءِ كأنَّهُمْ سُيوفٌ أجادَ القَيْنُ يوماً صقالَها

٢ـ أولو وأولي بمعنى أصحاب، نحو «وأولُو الأرحام»، «لآياتٍ لأولي النُّهَى».

٣ـ أولات بمعنى صاحبات، نحو: «وأولات الأحمال».

أقول:

وزيادتها في هذين الموضعين مواضعة فقد جروا على هذا، فان زيادتها في «أولى» الاشارية و«أولاء» المحدودة تثبت هذا، وذلك لأن ضمة الألف الأولى تغني عنها، ولكنها مع ذلك ترسم.

وقال المؤلف: «وتُزاد (طرّفاً) في موضعين:

١ـ كلمة (عمرو) بشرط أن يكون عَلَماً غير مضاف لضمير، وغير مصغّر ولا مقرون بأَلْ أو منسوب أو منصوب مُنوَّنٍ. فإذا فَقَدَ شرطاً من هذه الشروط الستة لم تلحق به الواو.

٢ـ بعد ميم الجمع التي أُشبِعَت ضمَّتُها نحو: إلَيكُمو وعلَيكمُو، وبعضهم يحذفها».

أقول: إن لزيادة الواو في «عمرو» سبأب تاريخيـًا وهو أن ما ندعوه «الشكل» في الكلمة أي الضبط بالحركات لم يكن معروفاً، وبقي غير معروف حتي بعد حقبة أبي الأسود الدؤليّ

الذي إليه ينسب وضع الشكل، فكانوا لا يميّزون بين «عُمَر» و «عَمْرو» إلا بوضع شيء أو علامة فارقة، وهي الواو التي اهتدوا.

وقد بقيت هذه الواو أثراً لا قيمة له بعد شيوع «الشكل».

وأما إشباع ضمة ميم الجمع فهي غير لازمة كما أفاد المؤلف، ولكنها لازمة في لغة العروضيين.

ثم آتي إلى «الباب الرابع» وهو في «الحروف التي تُنقَص في (ص٣٩-٥٣) جاء فيه:

«الحروف التي تُنقَص أشهرها: الألف، وأل، والواو، والياء والنون.

نقص الألف أوّلاً

١ـ نقص ألف «ابن» و «ابْنة»:

(٢) إذا وَقَع أحدهما مفرداً نَعْتاً بين عَلَمَين مباشرين أوّلُهما غير منوّن، وثانيهما مشهور بالأُبُوّة ولو ادّعاءً، بشرط ألا يكون أوّل سطر. ويشمل العلم الاسم الموضوع للعلمية كمحمّد وعليّ، والكناية عمّن لا يُعرَف، نحو: فلان بن فلان، وهَيّ بن بَيّ، والكنية النحويّة المصدّرة بـ «أب» أو «أمّ»، وكذلك اللقب كزيْن العابدين.

وذلك نحو: عيسي بْنُ مريم، مريم بْنَة عِمران، أبو بكر بن أبي قُحافة، عبد الله بْنُ أمّ مكتوم».

أقول:

قال المؤلف: «إذا وقع أحدُهما [أي ابن أو ابنة] مفرداً نعتاً بين عَلَمَيْن مباشرين أوّلُهما غير مُنَوّن، وثانيهما مشهور بالأُبُوّة ولو ادّعاء....».

أسأل هنا: ما معني مباشرين، والجواب: أن كلمة «ابن» النعت لابدّ أن تقع بين علمين الثاني منهما أبٌ للأوّل ولو ادّعاءً.

أقول: إن هذا الشرط ينفي أن يكون حذف الألف قد صير إليه لعلة صَوتية، وهي الوصول إلى الباء الساكنة من كلمة «ابن» حين نقول: جاء محمدُ بن عليّ، فالضمة في «محمد» لا تصل أو تجاور سكون الباء في «ابْن» إلاّ بعد حذف الألف.

وهذه العلة توجب حذف الألف من «ابن» إن كانت بين عَلَمَين أيّاً كانت علاقة الأول مع الثاني من حيث القرابة.

إن هذا الشرط باطل لِـما بيّناه.

ثم إن قوله: «... أوّلهما غير مُنوّن» ممّا لا أعرفه ولم أجده، وهو إن وُجِدَ فهو باطل أيضاً بسبب ما كان من العلة الصوتية في حذف ألف «ابن»، والألف لابدّ من حذفها سواء كان العَلَم الأول منّوناً أم غير مُنوّن، فأنت تقول: جاء محمدُ بن عليّ كما تقول: جاء أحمدُ بن عليّ.

وأما قول الـمؤلف: «بشرط ألا يكون [أي ابن] أول سطر» فهو شيء كان ينبغي ألا يكون في هذا الكُتيّب، وذلك لأن هذا الأمر شيء يتصل بالاتفاق والمصادفة. وهو أن ينتهي السطر بالعلم «محمد» مثلاً، ثم تكون كلمة «ابن» في أول السطر التالي، وهذا يقتضي أن تكون كلمة (ابن) بالألف.

وقال الـمؤلف: «ولا تحذف [أي ألف ابن] من نحو: رحم الله الحسن والحسين ابنَي عليّ، لأنّه مثنّى، ولا من نحو: قال محمد هو ابن مالكٍ لعَدَم المباشرة.

أقول: هذا صحيح لأن التركيب قد تغيّر، مع وجود العلّة الصوتية.

وقال المؤلف:

(ب) إذا وَقَعا [ابن، ابنة] بعد (يا) التي للنداء، نحو: يا مَنْ الذي دانَ له المشرقات»، يابْنَةَ عبد اللّه.

(ج) إذا دَخَلَت عليهما همزة الاستفهام، نحو: أَبْنكَ هذا (وكذلك تحذَف كل همزة وصل دخل عليها همزة الاستفهام نحو: ﴿اصطَفَى البنات على البنين﴾. انطلاقك الآن؟

أقول: وهذا كله (أي حذف الألف من ابن) أمر تقتضيه الخفّة التي تكون بوصل الكلمة بأخري بحيث تكون الجملة بعضها آخذ برقاب بعض كما قيل.

وقال الـمؤلف:

«٢ـ تنقص ألف (رسم) في البسملة الكاملة: بسم الله الرحمن الرحيم، وأما «باسْمِكَ اللهُمّ» فتبقى معها الألف».

أقول: إن هذا الحذف للألف لم يتمّ إلا في هذا الموضع، وذلك كما قيل لكثرة ترداد عبارة البسملة، فهي تقال في أوائل السور، ومنهم من عَدَّها آية.

إن كثرة الترداد لهذه العبارة غير موجبة للحذف، وإن الذي قد يسّهل الحذف أنها ساقطة لفظاً فسقطت خطّاً في رسم المصحف بادئ ذي بدء، ثم سقطت خطّاً في غير رسم المصحف في قول الناس وكتاباتهم حين ترد حيث يجب أن ترد.

وإذا كانت الألف قد سقطت هنا فذلك أيضاً لعلة صوتية، وهي أن الألف ترسم هنا في أوّل لفظ «اسم» وذلك من مواضع وجود ما سُمّي «همزة الوصل»، وهذا السِّياق يوجب أيضاً حذفها في قولنا: «باسمك اللهم» ولكن العادة احتملت رسم الألف فلم تحذف، ومثل هذا أننا قلنا في «ابن» الذي لم تحذف ألفه في قولنا مثلاً: «قال ابن مالك» مع وجود ما يدعو إلى الحذف.

وقال المؤلف:

«٣ـ تنقص ألف (أَلْ).

(أ) إذا دَخَل عليها اللامُ، نحو: «إنَّه لَلْحقُ، لَلْعَمَل الصالح أبْقي، يا لَلْرِجال، لِلَّذيِ، لِلَذَين».

أقول:

وحذف ألف (أَلْ) هنا أمر يستر موقع «أَلْ»، وهو أن الكلمة المحلاة بهذه الأداة واقعة في دَرْج الكلام، و«أل» قالوا في همزتها إنها «همزة وصل» فهي لابد أن تسقط في الدرج لان المعرب لا يخرجها في نطقه، وحيث سيقت باللام للتوكيد، أو اللام للجرّ تخففوا من هذه اللام خطّاً كما تخفّفوا منها نطقاً.

(ب): إذا كانت [أي أَلْ] مسبوقة بكلمة (عَلَى) المحذوفة اللام والألف في لغة لبعض العَرَب، نحو: عَلْماءِ بنو فلان، أي عَلَى الماء».

أقول: وهذا الحذف لم يرد إلا مع كلمة الماء، وقد حذفت ألف «عَلَى» الجارة، وقد وردت في الشعر:

«غداة سَرَت عَلْماء .....».

وكأنّ المؤلف قد توجّه في كتابه هذا إلى الطلاب والتلامذة مع غيرهم ممن يمارس الكتابة فعلّق بعد قوله: «المحذوفة اللام» فقال:

«أي الألف التي تُرسَم ياءً»

أقول: وهذا تعليق لا أقرّه، لأن المؤلف يتوجّه به إلى التلامذة الصغار.

وقال الـمؤلف:

«(ج) إذا كانت [أي الألف] مسبوقة بكلمة (مِن) المحذوفة النون في لغة لبعض العرب، نحو: مِلآن، أي من الآن، قال أبو صخر:

كأنهما ملآن لم يتغيّرا وقد مرّ للدارين مَن بعدِنا عَصْرُ

أقول: وهذه لغة لبعض العرب كما أشار المؤلف، ومثلها وردت: مِلأسْياء.

(د) إذا كانت مسبوقة بكلمة (بَنون)، أو (بنين)، وقد حُذفت الواو والنون، أو الياء والنون منهما في لغة لبعض العرب، نحو: بَلْعَنبَر فى بَنُو العَنْبَر، أو بَنِي العَنْبَر، وبَلْقَيْن في بَنُو القَيْن أو بني القَيْن».

أقول:

وهذا موضع آخر وهو لغة لبعض العرب، ولا يتصل ألام إلا به «بنو» و «بني».

وقال الـمؤلف:

«٤ـ تنقص ألف (أُمّ) في قولهم: وَيْلُمّه، ونحو قول علقمة:

وَيْلُمّ لَذّات الشّباب معيشةً مع الكُثْرِ يَلقاهُ الفتَى الـمُتْلِفُ النّدي

أصلهما وَيْلُ أُمّه، دوَيْل أُمّ لذّات الشباب».

أقول: وهذا موضع آخر يتصل بعبارة «وَيْل أُمّ» وحدها، وقد وردت كثيراً في الشعر، وجاء منها قول المتنبي في داليّته في هجاء كافور:

وَيْلُمّها خُطّةً وَيْلُمّ قابلها . . . . . .

وجاء قول الـمؤلف في «نقص الألف وسطاً»:

«تُنقَص من لفظ الجلالة (اللّه)، ومن كلمة (الرحمن)، و(الحَرَث) عَلَمَيْن مقرونَيْن بـ «أل»، ومن «طه»، و«يس» ومن «إله» و «الإله» و «السموات».

أقول: وحذف «الألف» في جميع هذه الألفاظ شيء أتى إلينا من رسم المصحف فشاع ما عدا كلمة «الحرث». على أن من المعربين من يرسم «الرحمان» و «السماوات».

وقال الـمؤلف:

«وكذا ألف (لِكْن) و (لكنّ) و (أولئك)، و (ثلاث) من (ثَلَثمِائة).

أقول:

هذا ما جَرَينا عليه، ولعل ذلك من تأثير رسم المصحف.

وقال الـمؤلف:

وكان القدماء يُنقصونها[1] من كلِّ عَلَمٍ مشهور زائد على ثلاثة كإبْرهيم، واسمعيل، وإسحق، وهرون، وسُلَيمن، وعُثمن، وسُفين، ومُعوية، والمحدثون يثبتونها في كلّ ذلك».

أقول:

وهذا شيء لابد أن يكون من آثار رسم المصحف، وقد زال هذا الحذف. وقال المؤلف في «نقص الألف آخراً»:

«تُنقَص الألف آخراً ممّا يأتي:

١ـ (ما) الاستفهاميّة المسبوقة بجارٍّ حَرفيّ أو اسّميّ نحو: فيمَ؟ عَلامَ؟ حتّامَ/ بمقتضامَ/ ومَن أثبتَها في النطق أثبَتَها في الكتابة، كما في قراءة عِكرِمة وعيسى، ﴿عَمّا يتَساءَلون﴾.

أقول: وهذا الحذف مازال معروفاً في العربية المعاصرة.

وقال الـمؤلف:

«٢ـ آخر كلمة (طه):

أقول: وهذا من أثر خط المصحف، وشاعَ في الكتابة الأخري، وهو من باب فواتح السور، وهو حرفان (طاء هاء) ثم استعمل عَلَماً كما هو في رسم المصحف.

وقال الـمؤلف:

---

(١) أقول استعمل الـمؤلف الفعل الـمزيد (أنقَصَ) ليأتي به متعدّياً، وفاته أن الفعل المجرّد (نَقَصَ) الثلاثيّ يكون متعدّياً ويكون لازماً.

«٣ـ (يا) النداثية الداخلة علي:

(أ) كلّ عَلَم مبدوء بالهمزة لم يحذَف منه شيء، نحو: يأَحْمَد، يأَسْعَد، بخلاف آدَم وآزَر، يكتبان: يا آدم، يا آزر.

أقول: وهذه عادة قديمة في الرسم زالت في الرسم الحديث.

وقال الـمؤلف:

«(ب) الداخلة علي كلمة (أَهْل) أو (أَيّ) أو (أَيّة)، نحو: يأَهْل الصلاح، يأَيُّها الرجلُ، ﴿يأَيَّتُها النفسُ المطمئنّة﴾».

أقول: وهذا شيء من رسم المصحف، وقد تابعه في عصرنا إخواننا في مصر في حين لم يكن شيء من هذا في رسم غير المصريين من العرب فأهل الشام والعراق مثلاً يكتبون: يا أيها الناس.

وقال المؤلف:

«٤ـ (ها) التنبيه الداخلة علي:

(أ) اسم إشارة ليس مبدوءاً بتاء أو هاء وليس بعده كاف، نحو: هذا، هذه، هؤلاء. بخلاف هاته، ها هنا، ها ذاك، أيُّهاذا».

وقد علّق الـمؤلف علي «أيُّها ذا» فقال:

«لأن (ها) ليست داخلة علي (ذا)، بل هي لاحقة لأي عوضاً عمّا فاتها من الإضافة».

أقول:

أعود إلي قول الـمؤلف في «نقص الألف آخراً» في الرقم (٤) وهو (ها) التنبيه الداخلة علي اسم إشارة ليس مبدوءاً بتاء أو هاء...

فأجد أن الألف المحذوفة ليست آخراً، كما أثبت الـمؤلف، بل هي ألف «ها» التنبيه كما في «هذا» و «هذه».

وقال المؤلف:

«(ب) الداخلة علي ضمير مبدوء بهمزة نحو: هأَنا، هأَنتُم».

أقول: وكان ينبغي أن يدرج هذا في الكلام السابق.

وكذلك ما ورد بعد ذلك في كلمة (أنا) إذا تقدّمتها (ها) وتلَتها (ذا) الإشارية، نحوا: هأَنَذا.

وقال الـمؤلف: «٦ـ (ذا) الإشارية المقرونة بلام البعد، نحو: ذلك، ذَلكُما، ذَلكُنَّ، بخلاف التي تتلوها لام الجر نحو: ذا لَكَ، ذا لَكُما».

أقول:

قول الـمؤلف: «بخلاف التي تتلوها لام الجر» لا حاجة به وهو زيادة وفضول، وذلك لأنّ كلا من المثالَين وهما: ذا لَكَ، وذا لَكُما، جملة من مسند ومسند إليه، فلا تدخل في هذه المسألة.

وجاء في (ص ٤٦) مسألة «نقص أَل» فقال الـمؤلف:

«تحذَف (أَل) إذا وَقَعَت بعد لامٍ وكان بعدها لام نحو: أصغَيْت الجميل، للّحن الجميل غذاء للروح.

ومن ذلك الاسم الموصول الذي يُرسَم بلامَيْن، (وهو المثنّي: اللذان واللتان، اللّذَيْن واللّتَيْن. والمجموع بالواو: اللذون، وجمع المؤنث: اللاتي واللّواتي، واللائي واللاءِ)، نحو: لَلّذانِ فَعَلا الخير مستحِقّانِ للإكرام، لَلّلاتي فَعَلْنَ الخير مستحقات للتعظيم».

أقول:

إن المسألة هنا هي «نقص أَل» والذي أراه هو نقص «الألف» من «أَل» وأما اللام فقد ضُمّت الي المدغَمتَين في المثالين اللذَيْن ذكرهما الـمؤلف.

وأما قوله المحصور بين قوسَين، فإن وجود اللامَين في اللذان واللّتان وما يليهما فأمر تواضعوا عليه، وإلا فما الخلاف في مسألة اللام المشدّدة بين الّذين واللّذَين؟ إنهما لامان أَدغَمَت الأولي في الثانية.

وكذلك «نقص الواو» في نحو: داود، طاوُس، هاوُن.

إقول: إنها مواضعة، وعندي ان رسم الواو بعد الواو الأولي ضرورة يقتضيها العلم الصوتي، والرجوع عن هذا حق واجب.

ومثل هذا «نقص الياء» المتولّدة من إشباع، نحو الـميم المكسورة في الشعر، مثل: «حظِّهِمِ».

أقول: إن هذا يعرض للغة الشعر بسبب الوزن، وليس من «نقص».

وكذلك «ياء» المنقوص المعرَّف بـ «أل» الموقوف عليه بإسكان ما قبل الياء في لغة، نحو: الـمُتَعال، الدّاع، التّناد، التَلاق، في: المتعالي، الداعي، التنادي، التلاقي».

أقول: ليس هذا في لغة فقط، بل إنه ورد في لغة التنزيل بحكم فواصل الآيات في السورة كما في:

وقال الـمؤلف أيضاً في مسألة «نقص الياء»:

«وياءِ المهموز الآخر الذي أُجري مُجرَي المعتَلّ ثم حذفت ياؤه، نحو: طارٍ، مبتَدٍ، تَبَرٌّ، في: طارئٌ، مبتدئٌ، تَبَرُّؤٌ».

أقول: ليس في المهموز (طارئٌ) ياء، ولكنه بعد أن تحول إلي معتلّ ناقص تولّدت الياءِ في «طاري» وحذفها في هذه الحال حذف ياءالمنقوص. ومثل هذا «هارٍ» في قوله تعالى: «جرف هارٍ» والأصل «هائر» مهموز، وكذلك شائك وشاكي وهذا من باب تحوّل الأجوف المعتل إلي ناقص فيصبح المهموز منقوصاً.

وقال الـمؤلف في «نقص النون»:

١ـ تحذَف (أي النون) من كلمة (مِن)، و (عَن) إذا دَخلَتا على (ما)، أو (مَن)، نحو: مِمّا، مِمَّن، عَمّا، عَمَّن.

٢ـ ومن (إن الشرطية) إذا وقع بعدها (ما) الزائدة، كقوله تعالي: ﴿إما يبلُغَنَّ عندكَ الكبرَ أحدُهُما أو كلاهُما﴾، أو وَقَع بعدها (لا) النافية كقوله تعالي: ﴿إلا تنصروه فقد نَصَرَه اللهُ﴾، وقول الأحوص:

فطلّقْها فلَسْتَ لها بكُفءٍ وإلا يَعْلُ مَفرقَكَ الحُسامُ

٣ـ ومن «أنْ المصدرية الناصبة إذا وَقَع بعدها (ما) كما في نحو: أمّا أنتَ مُنطلقاً انطلَقتُ. أو وَقَع بعدها (لا) سواءٌ أكانت نافية، نحو: عَسَي ألا يمرَضَ، أم زائدة كقوله تعالي: ﴿لئلا يعلَمَ أهل الكتاب﴾ أي لأن يعلم؛ «ما منَعَكَ إذْ رأيتهم ضلّوا ألا تتّبعَنِ» أي أن تتّبعَنِ.

انتهى كلام الأستاذ الـمؤلف.

أقول:

لم تحذَف النون من كلمة «مِن» وكلمة «عَن» إذا دَخلَتا على (ما)، أو (مَن)، وإنما أُدغمَت النون في الـميم، وإدغام النون في الـميم كثير في العربية ويسوغ ذلك صلة النون بالميم من حيث الصفة ، ومن صلة «الأنفية» تجمعهما.

وكذلك «النون» في «إن» الشرطية فلا تحذَف إن وليتها (ما) الزائدة، بل إنها تُدغَم فيها فتكون (إمّا)، وكذلك تدغَم النون في (لا) النافية كما في الآية والبيت.

وكذلك «أن» المصدرية الناصبة، فإن نونها تدغَم بالـميم في (ما) وباللام في (لا) كما جاء في مثالي المؤلف.

ثم آتي الي الباب الخامس وفيه «الفصل والوصل» (ص ٥٤-٦٥) قال الـمؤلف:

«القاعدة (في الفصل والوصل) أنّ ما صحّ الابتداء به والوقف عليه فُصلَ، وما لا فلا. فيُفصَل الاسم الظاهر من الضمير المنفصل، ويفصَل كلاهما ممّا عداه اسماً كان أو فعلاً، أو حرفاً زائداً على حرف، ﴿يوم هُمْ على النار يُفتَنون﴾، ﴿إنْ هُمْ إلا كالأنعام بَلْ هم أضَلُّ﴾.

وقال في الوَصْل: «بناء على القاعدة السابقة يجب فصل ما يأتي:

١ـ ما لا يصحّ الابتداء به كنوني التوكيد، وتاء التأنيث، وكاف الخطاب، وعلامات المثنّي، وجمع المذكّر السالم والمؤنث السالم، والضمير البارز المتصل.

٢ـ ما لا يصحّ الوقف عليه،وهو:

(أ) صدر المركب المزجي، مثل: بَعْلَبَكٌّ، قاضيخان[1]، معديكرب[2] وكذا ما رُكِّب من الأسماء المعرَّبة أو الدخيلة، نحو: سكباج، خُشكنان، سَكَنْجَبِين، تَرَنْجَبين، دَسْتَنْبَند، شاهنشاه.

(ب) مارُكِّب مع المئة من الآحاد، نحو: أربعمائة، خمسمائة. بخلاف ما أُضيف إليها من الكسور، نحو: ثلث مائة، خُمس مائة.

---

(١) قاضيخا: اسم مركب، وقد يفصل فيكون: قاضي فإن.

(٢) معديكرَب: مركب مزجيّ، وقد يفصل فيكون: معدي كَرِب.

أقول: وهذا لايعني أن فصل «أربعمائة» وكتابتها أربع مئة خطأ، بل إنها الأصل الصحيح.

(ج) ماركب من الظروف مع إذٍ المنوّنة كحينئذٍ، ساعتئذٍ. بخلاف ماركّب مع إذْ غير المنوّنة، نحو: حين إذ حدث.

أقول: إن الفرق بين «إذٍ» المنوّنة و«إذْ» غير المنوّنة، هو أن الأولى اضيفت إلى جملة حذفت تفهم من سياق ماقبلها، في حين أن الثانية قد أُضيفت إلى الجملة المذكورة بعدها.

(د) حَبَّ مع ذا، نحو: حبّذا، لاحبّذا.

أقول: القول بتركيب «حبّذا» و «لاحبّذا» هو قول النحويين، لأننا لم تقف في الآثار الأدبية واللغوية إلا على صورة «حبّذا»، ومعناها أو دلالتها تبعد عنها مفصولة إلى كلمتين.

ولعل بسبب ورودها منذ أن كانت علي صورتها هذه «حبذا» هو الذي دَفَع المعربين الي توليد الفعل منها «حبّذ يحبّذ».

(هـ) الحرف المفرد وضعا كاللام والكاف، أو عَرَضاً كالباء في بَلْحارث، بَلْقَيْن.

(و) لفظ (أَلْ) ومثلها (أَم) الحميرية، نحو: «ليس من امْبِرّ امْصيام في امْسَفَر».

أقول: وقد بقي شيء من(أم) هذه في بعض الألسنة الدارجة، ومنه: «امبارِح» و «امبارحة» بمعنى: البارح والبارحة.

وجاء في الصفحة (٥٧).

«وصل (مَن) بما قبلها، فقال المؤلف:

تُوصَل (مَن) الاستفهاميّة والموصولة بـ «من» و «عَن» و «في»، نحو: ممَّن علمت هذا؟ عمَّن تسأل؟ فيمن ترغَب؟ علمت الخبَرَ ممَّن علمت منه، سألت عمَّا تسأل عنه، رغبت فيمن ترغَب فيه.

أقول: هذا يدخل في باب إدغام النون بمَن (استفهامية أو موصولة) قبل الكلام على الوصل، إلا الحرف «في» فإنه يوصل بـ «ما» بعده.

ومثل هذا ما قيل في وصل (ما) الاستفهامية الاسمية و (ما) الموصولة، فالاستفهامية التي وصلت بالاسم قبلها نحو: بمقتضامَ، وقد تقدمت، والتي وصلت بالحروف: منَ، عَنَ،في، اللام، إلى، على، حتىَ، كي، فيكون من ذلك: مِمَّ؟ عَمَّ؟ فيمَ؟ إلامَ؟ علَامَ؟ حتّامَ؟.

والـموصولة توصل بالكلمات أحرُفاً وأسماء هي: من، عَن، في، سيٍّ، نعمٍّ، نحو: سألت عمّا سألت عنه، رغبت عمّا رغبت عنه، أفكرٌ فيما تفكّر فيه، لاسيّما يوم بدَارة جُلْجُل، ﴿إنّ الله نِعمّا يعظُكم به﴾ دقَقْتُه دقّاً نِعمّاً.

أقول: وهذا كله يدخل في باب الإدغام قبل الوصل، إلا ما كان من أمر «في» الجارّة وسِيٍّ فإنهما يوصلان بـ «ما» بعدهما.

وأما قوله: دقَقْتُه دقّاً نعمّاً فلا أراه من باب وصل «نعمٍّ» بـ «ما»، بل إنه دَقٌّ ناعم أي دَقّ يصيرّ الشيء المدقوق صغير الاجزاء «ناعماً».

وأما (ما) الحرفية فهي علي ثلاثة أضرب: مصدرية، كافّة، زائدة.

١ـ المصدرية وتوصل بـ «حين»، «ريث»، «أين»، «كلّ» المنصوبة علي الظرفية[1]، نحو: كرمتُه حينما جاءني، أينما صنَعْتَ (اي أين صُنعُكَ).

وتوصل بكلمة «مثل» جوازاً كقول بعض العَجَم للعرب: «أَسْلَمْنا مثلَما أَسْلَمْتُم».

٢ـ الكافة وتوصل بـ «طالَ»، و «قَلَّ»، و «بيْن»، و «قَبْلَ»، و «أربٌ»، و «كَي»، وبـ «إنّ» وأخواتها[2]، نحو: طالَما، قلَّما، بينما، قَبْلما، رُبّما، كيما، إنما، كأنّما، لكنّما، لعلّما، ليتَما.

٣ـ (الزائدة) وتوصَل بـ «حيث»، و«كيف» و «كَي»، و«أيّ» و «من»، و«عَن»، و«إنْ» الشرطية، و «أين» الشرطية، وبكل اسم وَقَع مضافاً إلى ما بعدها، نحو: حيثما، كيفما، كيما، أيُّما الأجَلَيْن، مما خطيئاتهم، عمّا قليل، إمّا تَخافَنّ، أينما تكونوا، فيا حُسْنَما عَينٍ.

أقول: ووصل «مِن» و«عَنْ» بـ «ما» الزائدة يدخل في باب الإدغام، وكذلك «إن» الشرطية.

وأما وصل «لا» بـ «إنْ» الشرطية، نحو: ﴿إلاتنصروه فقد نَصَرَه الله﴾ فهو أيضاً يندرج في باب الإدغام.

(١) بخلاف «كلّ» المرفوعة أو المجرورة أو المنصوبة علي المفعولية، نحو: كلٌّ ما جاز بيعُه جاز رَهْنه، «ما كلٌّ ما يتمنّي المرء يدركه» رضينا بكلّ ما قضيته، استَحْسَنْتُ كلّ ماقلْتَه.

(٢) وأما «ما» الموصولة فلاتوصَل بشيء من هذه الأحرف الناسخة، تقول: إن ما فعلْتَه حَسَن، لكنّ ما ما فَعَلَه أخوك غير حسن. وهكذا.

وكذلك وصل «لا» بأنْ المصدرية الناصبة، ولا فرق في ذلك بين أن تكون (لا) نافية، نحو: ينبغي ألاّ تُهمِل، أو زائدة، نحو: ﴿لئلا يعلَمَ أهلُ الكتاب﴾، ﴿ما منَعَكَ إذْ رأيتَهُم ضلّوا ألا تتّبعَنِ﴾.

وهذا أيضاً يدخل في باب الإدغام. علي أن أبا حيّان أثبتَ نون «أن» الناصبة كالمفسّرة والمخفّفة.

و«أن» المفسّرة والمخففة من الثقيلة فتفصلان وتثبت فيهما النون، ولم يسمع الإدغام، نحو: أشَرتُ عليه أنْ لا يفعَل، ﴿أنْ لا تخافوا ولا تحزَنوا﴾.

ثم عقد الأستاذ هارون فصلاً في «هاء التأنيث»، وقد تكلّم في آخره على «تاء التأنيث» أقول:

نعم، هي «هاء التأنيث» وكذلك ذكر النحاة القدامى، وكذلك في كتاب سيبويه، ويدلّ على هذا ما هو معروف في اللغات السامية.

وفي العربية أن «هاء التأنيث» هي الحرف الذي اختصّ بالاسم ومنَعَه الصرفُ مع العَلَمية، أو جاء فارقاً بين مذكّرِ الأسماءومؤنّثها بحَسَب الأصل[1]، فتح ما قبله حقيقةً أو تقديراً. نحو: فاطمة، امرأة، قَناة[2]، مجاراة، قُضاة، سعاة.

ومن علاماتها أن تُبدَل في الوقف هاء».

---

(١) علّق المؤلف فقال: ولا يمنع من تسميتها هاء التأنيث أن تكون عوضاً عن (الصواب من) حرف كعدة وثقة وإجازة وإقامة، أو فارقة بين المفرد واسم الجنس كشجرة ونملة، أو المبالغة كراوية أو لتأكيد المبالغة كعلامة، أو للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالخديفة، ففي جميع ذلك تسمى هاءالتأنيث.

تعليق: أقول:

قال المؤلف: «ففي جميع ذلك تسمي هاء التأنيث» هذه خلاصة حسنة ولكني كيف أسلب حقيقة الأداة التي هي أصيلة في التأنيث وأجعلها عوضاً عن حرف محذوف كعدة وثقة وإجازة وإقامة، بمعنى أن الواو قد حذفت منها. إن «الهاءلا يمكن أن تكون عوضاً كما قال النحاة، لأن هذه الهاء في «عدة» والكلمات الأخري كالهاء في: وَحْدة ووصْلة، ووفرة وغيرها، والهاء فيها مع بقاء الواو. وحذف الواو غير محتاج إلى عوض، والاسم في «عدة» ولو أنه حرفان مع إنها ثلاثة.

(٢) أشار المؤلف إلى أن الألف في قناة أصلها واو، والكلمات بعدها الألف فيها أصلها ياء، وهذا مفهوم.

أقول: كان علي المولف أن يجعل عنوان الفصل «تاء التأنيث» وبذلك يتفق كلامه وهو «ومن علاماتها أن تبدَل في الوقف هاءً» مع العنوان.

ولكني أقول: إنها «هاء التأنيث»، وهذه الهاء تُبدَل تاءً في غير الوقف أيضاً وذلك إذا وقعت الكلمة المختومة بها في الدَّرْج كأن تقول: فاطمةُ امرأةٌ قلَّ نظيرها. وقد أثبت سيبويه في «الكتاب» مصطلح «هاء التأنيث».

وقال المؤلف:

وتُرسَم مربوطة مالم تُضَف لضمير، نحو: امرأتُه، مجاراتُه، سُعاتُهم.

أقول: وهذا، وإن كان صحيحاً، معروف ربما لا يحتاج إلي هذه الإشارة.

والغريب أن يذكر المؤلف كلاماً كأنه وجَّهه إلى الأعاجم، فهو يقول:

ويجب نَقْطها ما لم يكن في موضع وقف!! من شعر أو نثر مسجوع، كقوله:

ومُوجَب الصداقة المساعَدة ومقتَضَى المودّة المعاضَدَه

وحديث: «أعوذ بكلمات اللّه التامّة، من كل شَيطانٍ وهامّه، ومن كلّ عَيْنٍ لامّه».

ثم قال: ومن الخطأ نَقْط هذه الهاء!!

وقال:

وأما تاء التأنيث فعلامتها أن يوقف عليها بلفظها ولا تُبدَل هاءً، وتلحق جميع أنواع الكلام.

ـ تلحق الاسم، نحو: بِنْت[1] وأُخْت، ومنه تاء جمع المؤنث السالم وملحَقاته، كمسلماتٍ وصلات وبنات، ولو كان هذا الجمع صفةً لمذكّر، مثل: ثِقات[2].

(١) قال المؤلف: أما (ابنة) فآخرها هاء تأنيث يوقف عليها بالهاء.

تعليق: أقول: ان تاء «بنت» هي كالتاء في «ابنة» غير أن الأولى رسمت مبسوطة، ولا يوقف عليها بالهاء لأن الكلمة ناقصة فهي ثنائية أصلها ثلاثي، والحرف الثالث يُرَدّ اليها في النسب كما يُرَدّ إلى «أخت» في الجمع «أخوات» وبسببٍ من الثنائية كان الحرف الثاني ساكنه، فأما «ابنة» فهي ثلاثية بوجود الألف، فلم يسكن النون ووقف عليها بالهاء.

(٢) وقد نبّه المؤلف علي خطأ وهو أن المعربين يرسمونها تاء مربوطة، توهماً منهم أنها مثل قُضاة، جمع تكسير لقاضٍ، أو انها مثل ثقاة اسم المصدر من التقوي.

وأشار أيضاً إلى أن طيّئاً تقف علي جميع المؤنث السالم بالهاء، يقولو: مسلماه وزينَباه، ويقفون علي المفرد المؤنث بالتاء، خلافا لجميع العرب، وينسب اليهم: واللا إنجاك بكَفيٍّ مَسْلَمَت.

وقولهم: «دَفْن البناه، من المكرماه».

وقال الـمؤلف:

كما تلحق أربعة حروف، وهي: ثُمَّت، رُبَّتَ، لَعَلَّت، لاتَ، وتكتب جميعها بالتاء المبسوطة.

أقول:

والتاء في ثُمَّت، و رُبَّتَ، ولَعَلَّتَ، لايمكن أن تكون تاء تأنيث، وإنما هي تاء رُسِمت مبسوطة، ثم إنها فُتحت خلافاً للتاء التي هي للتأنيث. والذي أراه أنها زيدت تكثيراً للكلمات التي هي حرفان، لأن الحرف المضعف الأخير قد يُتوهَم واحداً، وقد وردت «رُبَ» من غير تضعيف.

أما «لات» فقد قال النحاة واختلفوا في تائها فمنهم من ذهب إلى أنها للتأنيث، وهذا مردود لفتحها.

ومنهم من قال: إنها للمبالغة، ومنهم من ذهب إلي أنها للتأنيث والمبالغة.

أقول: والنظر إلى اللغات السامية يشير إلى أن التاء بعض كلمة حُذفت، وهي مركبة وأصلها لا أيت أي لا أَحَد، و «أيت» في الآرامية هي «أيش» في العربية التي قُلبت فكانت «شيء».

وهذه لا تختلف عن «ليس» التي قال الخليل بتركيبها وهي لا أيس في الأصل.

و«أيس» كلمة صُماتة، وزعم الليث عن الخليل أنها سُمِعت في قولهم: جيء به من حيث أيس ولا أيس، أي من كل مكان.

انتهي كيتب «قواعد الإملاء» للأستاذ عبد السلام هارون ـ رحمه الله ـ وكأنه وجده قليل عدة صفحاته مع صغر الصفحة، فأضاف إليه «نماذج وتعليلات» وهي في الحقيقة تلخيص لأكثر مادة الكتيّب، فلا حاجة من ذكرها.

وأعود إلى الكتاب الثانى، وهو «تعلّم الإملاء وتعليمه» الذي ذكرته في الصفحة الأولى فأقول:

صاحب الكتاب هو الدكتور نايف معروف، وقد أعلن أنه «الموجّه الفنّي لتدريس اللغة

العربية في مدارس الأونروا ـ اليونسكو في لبنان». فهو إذاً من أهل التربية وأصول التدريس أو قل أصول تدريس العربية.

وقد أراد الـمؤلف أن يكون كتابه تعليمياً (مدرسياً) فقال في «التمهيد»: فقد وضعت هذا الكتاب بطريقة ينتفع بها المعلّم والمتعلّم معاً.

ثم قال: وقد حاولت أن أقدّم هذه القواعد الإملائية ـ عرضاً وتطبيقاً ـ من خلال عبارات جميلة هادفة[1]، متجاوزاً الخلافات الطفيفة بين الكتّاب العرب في رسم بعض الحروف العربية.

أقول: وسأعنَى في وقفاتي في هذا «الكتاب» بغرض الـمؤلف في التأليف، وهيئة الكتاب.

وقال المؤلف: بدأت بعرض مفصل لـموضوع الإملاء ـ هدفاً ونوعاً وأسلوباً ـ لأتيح للمدرّس أن يختار ما يراه أكثر ملاءمة لتلاميذه وواقع حاله وبيئته المدرسية.

---

(١) أقول: لابد من الوقوف علي هذه العبارة التي ورد فيها قول المؤلف المحصور بين خطين أو شارحتين كما يقال، وهو ـ عرضاً وتطبيقاً ـ

إن الخطين الصغيرين أو الشارحتين مما اعتاد أهل العربية في عصرنا، والأستاذ نايف من أهل العربية، أن يضعوهما فى الجملة الاعتراضية، وما ذكره المؤلف محصوراً بين الخطين ليس جملة اعتراضية، بل إنه كلمتان لا جملة، وهما من بعض لوازم الجملة المذكورة وتليهما. وقد تكررت هذه الألفاظ المحصورة في «التمهيد» وكلها من لوازم الكلام.

ان «الجملة الاعتراضية قد أسيء فهمها لدي المعاصرين، فهي شيء يعترض به إرادة الدعاء والمدح فيقال مثلاً: محمد ـ رحمه الله ـ رجل فاضل، وزيد ـ لعنه الله ـ رجل سوء، ونحو هذا. إن هذه الجمل المعترضة كانت من وجوه تحسين الكلام؛ ولذلك أطلقوا عليها «حشو اللوزينج»، فأنت من غير شك تستحسن قول زهير:

إن الثمـانيـن ـ وبُـلِّـغـتَـهـا ـ قد أحوَجَتْ سمعي إلي تَرجُمانْ

والدعاء يقضي أن يكون بالخطاب «وبُلِّغتَها»، وليس كما تقال خطأً «وبُلِّغتُها» وجعل الضمير للمتكلم، وفي ذلك يزول الدعاء.

وقول الـمؤلف «هادفة» لغة معاصرة، أي ذات هَدَف، ولم يكن لنا في العربية «هَدَفَ يهدف». وهذا الجديد شيء حسن لنا به حاجة غير أن الذي ليس بنا حاجة إليه ما ورد في قول الـمؤلف: «..... وتموينات تغطّي الحالات المتنوعـة»، أن الفعل «تغطي» مما تُرجم من الإنكليزيـة أو الفرنسية.

ثم بدأ الكتاب (ص٧-١٧) بمواد تتصل بـ «الإملاء» و «مفهومه» و «أهداف تدريسه» و«أنواعه»، كالإملاء المنسوخ، والمنظور وغير المنظور والذاتي والاختباري. ثم إرشادات في تعليم الإملاء وتصحيحه (أي فحص الغلط فيه)، وتصحيحه علي السبورة.

وجملة هذه المواد صنعة تربوية شقي فيها المدرسون والطلاب والتلاميذ. ومما ينبغي أن يقال في أصحاب هذه الصنعة الفنية، أصحاب الاختصاص، أن جُلّهم يأتي إلي هذه الصنعة وليس نه من اللغة العربية بضاعة وفيرة، فالذي يعقد عليه في صنعته التربوية ما كان له في دراسته في المدارس الابتدائية والثانوية، وتلك بضاعة مزجاة لو كانوا يدركون.

ونبدأ مادة الكتاب، بالكلام علي اللام الشمسية واللام القمرية [كذا].

أقول: إن صوت «اللام» يندرج في الأصوات الشمسية، وليس لنا لام «قمرية» كما أثبت الـمؤلف إلا أن المصطلحَين «شمسية وقمرية» قد وُلّدا من أن «اللام» في أداة التعريف تُطوَي في النطق وتُدغَم بالشين من كلمة «شمس» علي عكس اللام في أداة التعريف تظهر في النطق مع القاف في كلمة «قمر». ومن هنا سُمّي كل صوت يشبه الشين شمسيّاً، وكل صوت يشبه القاف قمريّاً. والقياس في هذا إلى ظهور لام أداة التعريف، وإلى إخفائها وإدغامها.

وهذه المسألة قد جُبِل عليها المعربون منذ صباهم وطفولتهم، وليس فيها من إشكال إلا في صوت الجيم، وهو قمريّ، وحقّه أن يظهر بإظهار لام التعريف. غير أن من العرب في مختلف الأعمار من يجعل الجيم من الأصوات الشمسية، وذلك خطأ، فيقولون: «الجَمَل» ولا يظهرون اللام.

وأستطيع أن أقول أن كثيراً من العراقيين ولا سيما أهل الجنوب، وكثير من بلدان الخليج والجزيرة العربية، ممن يخطئ هذا الخطأ.

قلت: إن «الكتاب» تعليمي مدرسي، ومن أجل ذلك يتوسع في مسائل طفيفة لا تستحق أن تذكر، ومن ذلك قوله (ص٢٢):

فائدة: ما كان مبدوءاً بلام في الأصل، ثم دخلت عليه (أل) يصبح بلامين، نحو:

لغة + أل ← اللغة. فإذا دخلت عليه ـ حينذاك ـ لام الجرّ، يجتمع بدخولها ثلاث

لامات. وتجنباً لذلك، تدغَم لام التعريف في اللام الأصلية، ويُعوّض عنها بالشدّة التي توضع فوق اللام الثانية، كما تحذف (ألف) لام التعريف نحو:..... لَبَن + أل + ل = للَّبن.

أقول: هذا تزيّد، والمسألة هيّنة، ولو كانت موجهّة إلي المتعلم الناشئ.

ولكني أقول: حين تجتمع ثلاث لامات، تدغم لام التعريف في اللام المشدّدة وهي لامان لام التعريف ولام الأصل (أي لام لَبَن)، فإذا دَخلَت لام الجر فإنها تدخل على اللام المشدّدة ولا تدخل علي اللام الأصلية. وليس في المسألة تعويض، والشدّة لا تكون تعويضاً، ولم أعرف حسب علمي في «الأصوات» أن الشدّة تكون تعويضاً[1].

ثم تأتي «تدريبات تطبيقية» وهذا ضروري في تعليم التلامذة.

وأتحوّل إلى مادة جديدة في (ص٢٣-٢٦) هي:

التاء المبسوطة (المفتوحة).

أقول: «التاء المبسوطة» مصطلح مسموع ومقبول، وهي التاء الطويلة لدي بعض الدارسين، ولكني لم أعرف «المفتوحة» هذا المصطلح الذي وضعه المؤلف بين قوسين، وكأنه أراد أن يقول ويُفهم التلامذة الصغار أن هذه «مفتوحة» لا «مربوطة» كما في «شجرة» مثلاً، وهذه التاء التي سميت «مربوطة» هي أيضاً «معقودة» وهي غير «مفتوحة» علي رأي المؤلف.

وقال:

[تكتب التاء مبسوطة (ت) في الحالات التالية:]

التاء الأصلية في الفعل: سَكَتَ، يسكُتُ...

أقول: تزيّدَ وأكثر من التعليمات، وهذا مفهوم لا حاجة أن يُنَصَّ عليه.

ولما قال: إن هذه التاء أصلية كان عليه أن يضم إليها التاء الأصلية في الاسم نحو: بيْت، وصوت، وليس أن تُجعَل هذه حالة أخري.

ثم قال: تاء (جمع التكسير) إذا كان مفرده منتهياً بتاء مفتوحة (كذا) وقت← أوقات.

أقول: سامَحَك الله أخي الأستاذ الدكتور نايف المعروف.

---

(١) قول المؤلف: «يعوّض عنها» صوابه يعوّض منه.

لا توجد «تاء جمع التكسير» مصطلحاً في العربية. إن «تاء أوقات» كان ينبغي أن تدرج في التاء الأصلية كما في «بيّت» وتاء الفعل «سكَت». ثم أتي الـمؤلف بمواد من هذه التاء لم تخطر في بال أصحابه الذين قمّشوا كتباً في «الإملاء».

ومن ذلك تاء جمع المؤنث السالم، وتاء كلمة «بنات» و «أولات» الملحق بجمع المؤنث، وتاء «كبريت» و «بيروت» و «هيهات» و «هاتِ» وفي الحروف: لات، رُبَّتَ وثُمّة، ولَعلّت.

وتاء الأعلام نحو: مدحت وشوكت. إن هذه التاء جاءت في هذه الأعلام التي أصولها عربية فاستعارها الأعاجم وأبدلوا تاءها المعقودة بتاء طويلة تظهر في النطق.

أقول: كان على المؤلف في كلامه علي التاء المبسوطة أن ينبّه على الخطأ الذي يرتكبه أهل المعرفة بلغة الشداة المبدئين، وهو رسم «الثقات» جمع مؤنث مفرده «ثقة» بتاء معقودة فيكتبون في نثرهم «الثقاة» وهو خطأ.

ثم أتي الـمؤلف الي «التاء المربوطة» فأطال فيها وقال:

في آخر الاسم (غير الثلاثي الساكن الوسط) الذي ينتهي بتاء مفتوح ما قبلها (شجرة) ثم قال: (في آخر الاسم غير الثلاثي.....) الذي ينتهي بتاء قبلها ألف ساكنة (حصاة) في نهاية الصفة المؤنثة (فاضلة).

في نهاية جمع التكسير... قضاة.

في آخر كلمة (ثَمّة) الظرفية للتمييز بينها وبين العاطفة (ثُمّتَ).

تاء المبالغة ... علاّمة، فهّامة...

أقول: هذا كله تزيد، ولو قال الـمؤلف أن التاء المربوطة هي التاء التي تلحق الأسماء وصفاتها، وهذه التاء للتأنيث كثيراً وغير التأنيث قليلاً.

وإلا ما معني التفصيل والتمييز بين «شجرة» و «حصاة»؟

ثم كيف يقول دارس حديث أن ألف «حصاة» ساكنة، والألف كما هو معروف مشهور فتحة طويلة!!

وقال أيضاً:

فائدة: التاء المربوطة ليست تاء أصلية، بل هي (هاء) حُوِّلت إلى (تاء) وذلك بوضع نقطتين فوقها...

أقول: والله إن هذا العلم ليضحك الثكلَى، فلا يكتفي الـمؤلف بقوله: «إن الهاء حُوِّلت إلى تاء» بل زاد ليُبصِّر الطلاب الأعاجم أن «التاء» تستحق أن يوضع فوقها (كذا) نقطتان!!

وقال: «وإذا كان يجوز تنقيطها (كذا أي نَقْط التاء) وإهمالها، إلا أنه يفضَّل تنقيطها للتفريق بينها وبين الهاء.

أقول: وهذا كلام لا يقال للعرب بل يُتَوجَّه إلي الأعاجم.

ثم إن جملة الـمؤلف شرطية بُدئت بـ «إذا» فهل يكون جواب الشرط قوله: إلا أنه يُفضَّل.....!!

أقول: وسأمضي في «وقفاتي» هذه في مواد الكتابة فأذكر ما لم أكن قد ذكرته في كلامي على ما ورد في «كتيِّب» الأستاذ عبد السلام هارون، وربما وقفت على شيء ذكره الأستاذ هارون، ولكنه في كتاب الأستاذ نايف غير مستوفي أو كان فيه ما يدعو إلي وقفة خاصة كتصحيح خطأ أو الردّ علي نظر اجتهد فيه الـمؤلف.

وآتي الآن إلي «النون» (ص ٢٧-٢٨) وقد جاء في حذفها:

تُحذَف نون (إنْ) الشرطية اذا وقع بعدها (ما) الزائدة، وقد مرَّ بنا هذا في الكلام علي ما صنعه الأستاذ هارون، وقلت:

إن نون «إن» الشرطية لا تحذف إن وليتها (ما) الزائدة، بل الصواب: إن النون تدغم في الـميم كما في قوله تعالي ﴿إمّا يبلُغنَّ عندك الكبر.....﴾.

والشدّة دليل الإدغام.

ثم قال:

وتحذَف (نون) إن الشرطية إذا وَقَع بعدها (لم) النافية وتُدغَم بلامها، نحو:

إنْ + لم ← (إلَّم تدرس فلن تنجح).

أقول: من قال هذا قبل أن يقوله أخي الأستاذ نايف معروف، ألم تقرأ، أخي نايف، قوله تعالي: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان﴾، ٢٨ سورة البقرة.

فإن تصدَّيت لـمشكلات العربية فما لك إلا أن تقرأ لغة التنزيل مسلماً كنت أم غير مسلم.

إن (نون) إن الشرطية لا تُحذَف بل تدغم في اللام في النطق لا في الرسم، ولم تُرسَم «إلّـم» إلا في بعض المصاحف القديمة بحسب قراءات غير مشهورة.

ثم أتي إلى حذف النون من «إن الشرطية» إذا وَقَع بعدها (لا).

وكنت قد ذكرت هذا في كلامي في الجزء الأول من هذا الموجز، وقلت: الصواب: إن النون لم تحذف بل أُدغِمت في اللام من (لا) كقوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نَصَره الله﴾ ٤٠ سورة التوبة.

ثم ذكر حذف نون (عن، مِن) الجارَّتَين اذا جاء بعدهما (مَن) الـموصولة، نحو: عَمَّن، مِمَّن.

وكذلك نون (هاتين الجارَّتَين) إذا جاء بعدهما (مَن) الاستفهامية، نحو: عمَّن تسأل، ومِمَّن أخذتهما؟ وكذلك تحذف هذه النون إذا جاء بعدهما (ما) الموصولة، ممّا أعطاك الله، سَلْ عمّا تريد.

أقول:

وهذه المواضع الثلاثة تندرج في باب الإدغام أي إدغام نون الحرفين في الميم بعدهما، وليس من حذف.

وأضيف هنا ما لم يذكره الـمؤلف، ولم يذكره الأستاذ هارون من قبل: وهو إدغام نون «مِن» الجارّة بالـميم من «ما» الزائدة، وذلك في قوله تعالي: ﴿ممّا خطيئاتهم أُغرِقوا﴾ ٢٥ سورة نوح، وليس من حذف للنون.

ثم قال الأستاذ نايف معروف: تُحذَف (نون) الأفعال الخمسة إذا كانت منصوبة أو مجزومة.

أقول:

وهذا وإن كان حذفاً، هو شيء من موادّ النحو، والتلميذ الصغير يعرفه في درس النحو، ولا أراده يذكر في كتب «رسم الحرف» أو «الإملاء».

ثم قال:

تُحذَف (نون) كل كلمة منتهية بالنون إذا دخلت عليها نون الإناث، نحو: رَكَنَّ...

أقول: هذا يندرج في باب الإدغام وليس حذفاً للنون.

وهنا تحلُّ الطامَّة الكبري في قول المؤلف:

«وتُحذَف (نون) الوقاية، نحو: تَهِنُ + ن + ي ⟵ تَهِنّي (لا تَهِنّي فأنا لا أحتمل الإهانة).

نعم: إن الـمؤلف لا يحتمل أن يقال له: أسأتَ، وأنت المعلّم للتلامذة والطلاب.

إن هذا الذي جئت به من حذف نون الوقاية في المثال الذي مثّلت به خطأ كبير، فالفعل «وَهَن يَهِنُ» فعل قاض (لازم) لا يتطلب مفعولاً به هو الياء للمتكلم كما في الـمثال، وأما الذي يتطلّب هذه الياء فتأتي نون الوقاية، فهو الفعل: «أهانَ يُهين» فيكون المثل على هذا: «لا تُهنّي (بضم التاء لأنه رباعيّ) فأنا لا أحتمل الإهانة».

ثم إن الأمر مسألة إدغام نون الفعل الأصلية بنون الوقاية، وليس من حذف.

وكذلك قول المؤلف في «نا» ضمير المتكلمين، فليس من حذف لنون الفعل «آمَنَ» إذا أُسند لضمير المتكلمين، بل إنه إدغام، وقد كررّت هذا غير مرّة.

ثم نأتي إلي طامّة كبري ثانية هي ما ورد في التنوين (ص ٢٩)، قال الـمؤلف:

«النون حرف أصلي من بنية الكلمة، بينما (التنوين) حركة طارئة، تقع في آخر الاسم، لتظهر حالة إعرابه (رفعاً ونصباً وجرّاً).

أقول: لا أدري من أين أخذ الأستاذ نايف المعروف هذا العلم؟! من قال: إن التنوين حركة طارئة....

لم نجد هذا لدي القدماء ولا الـمحدثين ولا العرب ولا الأعاجم.

إن «التنوين»، أخي الأستاذ الـمؤلف، ليس «حركة طارئة»، بل هو «نون ساكنة» تلحق الاسم لفظاً لا خطّاً، فكيف صار «حركة طارئة»!

ثم من قال: إن التنوين «يظهر حالة إعراب الاسم رفعاً ونصباً وجرّاً»، وهل الإعراب يخفى على القارئ والسامع فيكون التنوين مظهراً له؟!

هذا علم لم نسمع به، وليس لهذا الكتاب أن يكون بأيدي الدارسين، وهو يشتمل على هذا الذي قمّشه الأستاذ نايف كما أدرك هو وفهم.

ثم قال:

«ولتمييز النون» من «التنوين» في آخر الأسماء، يسكّن آخر الاسم، فإذا بقيت النون بعد التسكين، كانت حرفاً أصلياً، وكُتبت (نوناً)، أما إذا فقدت النون عند التسكين فتكون حركة (تنوين) طارئة وتُرسم تنويناً».

أقول: لو أن الـمؤلف قد توجّه إلى دارسين أعاجم لم يكن له أن يجتهد في التوضيح علي نحو ما فعله في هذا الشرح، ولو أنه خصّ عمله هذا بالطلبة الشداة، ما كان له أن يصنع ما صنَعه.

ثم إننا لو عدنا إلى هذا الشرح لوجدناه باطلاً، فما معنى «تسكين آخر الاسم» فينظر الـمتعلم أبقي بعد السكون شيء هو النون ليعلم أنه حرف أصليّ، فإن فُقدت النون، كان حركة «تنوين» طارئة.

والله لا أدري ما أقول، أوصل بنا العبث إلى أن نفتعل ونحسب ما نشقى به علماً، وهو صنعة كاذبة وبضاعة مُزجاة.

ثم فصل الأستاذ نايف فقال:

«تنوين النصب: تضاف (ألف) تنوين النصب في آخر معظم الأسماء، بهدف وضع (تنوين) النصب فوقها، نحو: اشتري الطالب كتاباً مفيداً.

أقول:

تنوين الاسم المنصوب، ولا أقول: «تنوين النصب» لأنّ النصب حالة إعراب كالرفع والجرّ، وليس لنا «ألف» خاصة بالنصب، بل إن الاسم المنصوب النكرة يُنوّن وعلامة التنوين فتحتان كما أن علامة التنوين للاسم المرفوع ضمّتان، وعلامته في الاسم المجرور كسرتان.

أما الألف في الاسم الـمنصوب فهي من مَطّ الفتحة علامة النصب، فإذا وُقِفَ عليه كانت ألف إطلاق، وإذا لم يوقف على ذلك الاسم المنصوب كان حقّه فتحتين علامة للتنوين.

لم يقل هذا أو شيئاً مثل هذا الـمؤلف، وراحَ يُبصِّر الدارس كأنه ضعيف البصر قائلاً: «وضع تنوين النصب فوقها» أي فوق الألف.

ثم عاد المؤلف إلى تفصيله غير المفيد فقال:

«وتُزاد ألف تنوين النصب بعد الاسم الواقعة همزته على ياء، نحو: هَنيء ← هَنيئاً، مَريء ← مَريئاً. وكذلك بعد الاسم الواقعة همزته على الألف المقصورة، نحو: شاطئ ← شاطئاً، دافئ ← دافئاً.

أقولك ولنقف وقفة قصيرة لنرى هذا العلم الذي لا يعرفه غير الـمؤلف.

أراد أن يقول: إن «هَنيء ومَريء، يكونان «هنيئاً ومريئاً» في حالة كونهما منصوبين نكرتين حقهما التنوين.

ثم تأتينا ثالثة الأثافي في زعمه أن همزة «شاطئ» و «دافئ» على ألف مقصورة!! أين الألف الـمقصورة في هاتين الكلمتين؟

إن الهمزة فيهما رُسمت على ياء، والياء صورة ليس غير بسبب الكسرة قبلها.

سامحك الله ـ أخي الـمؤلف ـ ...

ولا أعرف هذه الدار التي تولّت نشر هذا «الكتاب» وأعجبُ أن صاحبها قد اختار اسم «النفائس» وأين «النفاسة» في هذا «الكتاب»!!

وأقول: لو أن الـمؤلف من أهل العربية لعرف أن محمد بن مالك ناظم الألفية قد قال في مسألة علامات الأسماء:

بالجرِّ والتنوين والنِّدا وأَلْ ومُسنَدٍ للاسم تمييزاً حَصَلْ

فالتنوين من علامات الاسم المنكّر[1].

ولابد أن نستوفي هذه الـمسألة من علم الـمؤلف، فقد ذكر:

لاتزاد (ألف) تنوين النصب في آخر الأسماء الـمنوّنة التالية:

---

(١) أقول: إن التنوين يلحق النكرة، وأما المعرفة فلا يلحقها إلا عند ضرورة موجبة كما في قوله تعالى: ﴿وتظنّون بالله الظنونا﴾، وهذه الضرورة الموجبة هي أن فواصل سورة الأحزاب كلها تنتهي بألف الإطلاق، فلحقت بذلك «الظنونا» لـمراعاة التناسب.

الاسم المنتهي بتاء مربوطة، نحو: شجاعة، نادرة.

الاسم المنتهي بألف: مقصورة (فَتى) أو طويلة (عَصا).

أقول: ليس بي حاجة إلى أن أعلق على«الاسم المنتهي بتاء مربوطة» فهو أمر معروف لايحتاج إلي التنويه به.

غير أني أقف علي الاسم المنتهي بألف مقصورة (فَتَى) أو طويلة (عَصَا)، وقفة خاصة يأخذني فيها العجب من علم الـمؤلف. أنه يعدّ الألف في «فتَي» مقصورة، وبحسب ألف «عَصَا» طويلة، القياس لديه في هذا التمييز أن الـمقصورة مارسمت ياءً، وعلى هذا تكون ألف «عصا» غير مقصورة، وسماها طويلة.

تعالي الله علوّاً كبيراً عمّا نرتكب في حق العلم. إن الألف في «فَتَي» والألف في «عَصَا» كلتاهما ألف مقصورة، والفرق بينهما ان الأولي رُسِمت ياءً لأنها من أصل يائيّ، والثانية رسمت ألفاً قائمة (ولا أقول طويلة) لأنّ أصلها واويّ.

إن هذا العلم أدركناه وحفظناه ونحن صبية شداة.

ثم أضاف الـمؤلف فقال:

الاسم الـمنتهي بهمزة مسبوقة بـ (ألف)، نحو: ماء (شاهدت ماءً يتسرّب من الجدار)[1].

الاسم الـمنتهي بهمزة فوق الألف، نحو: نَبأ (تلقّيتُ نَبأ).

أقول: وعبارة الـمؤلف الأخيرة عن الاسم الـمنتهي بهمزة، ثم قال (فوق الألف).

ليته ما قالها، إنها من رسم الهمزة، وما ينبغي له أن يقول: بهمزة فوق الألف!!

وقال الـمؤلف في مسألة «حذف الواو»:

---

(١) أقول: ليس في العربية من يقول: «شاهدت الماء يتسرّب من الجدار» وذلك لأن «التسرّب هو الاستخفاء، والذهاب في «سَرَب» في الأرض، والأولى أن يقال: ..... يتسرب في الأرض.
قال تعالى: ﴿ومن هو مُستَخفٍ بالليل وسارب بالنهار﴾ ١٠ سورة الرعد، وقال تعالى: ﴿فاتّخَذَ سبيلَه في البحر سَرَباً﴾ ٦١ سورة الكهف.

«تحذف (واو) الفعل المضارع المعتلّ الآخر في حالة الجزم، ويعوض عنها بالضمّة، نحو: لم يدنُ العاقل من الخطر».

أقول: هذه مسألة في النحو، والتلميذ والطالب درج عليها في كتب النحو. وليست الضمة في الفعل المجزوم في المثال الذي أورده المؤلف تعويضاً من الواو المحذوفة في «يدنو»، بل الضمة هي حركة الحرف السابق للواو المحذوفة للجزم، وهو النون، وكذا في جزم الفعل (يخشَى) يقال: لم يخشَ، والفتحة علي الشين حركة الأصل، وكذا الكسرة في «لم يرمِ».

وقال المؤلف في «هاء السكت»:

تزاد (هاء) السكت ويوقف عليها ساكنة في المواضع الآتية:

أقول: والمواضع التي ذكرها المؤلف جاءت كلها في غير الوقف، وهذا خطأ لأن الهاء للسكت، قال تعالي: ﴿ما أغنَى عنّي ماليَهْ، هلك عنّي سلطانيَهْ﴾ ٢٨، ٢٩ سورة الحاقة.

غير ان المؤلف ذكر المواضع فقال:

على آخر فعل الأمر من الثلاثي الذي فاؤه ولامه حرفاً علّه (اللفيف المفروق)، والذي يبقي على حرف واحد، نحو: وَعَي - يَعي - ع ⟵ عهْ.

أقول: ثم مثّل لهذا بقوله: (عهْ لما يُحيط بكَ من الأعداء)، فأين الوقف الذي يقتضيه هاء السكْت؟ إنّ المؤلف أتَي بقَولهَ: (عِهْ) في درج الكلام.

وأقول أيضاً: إن أفعال الأمر من الفعل الماضي الذي يبدأ بواو (فاء الفعل) وينتهي بألف (لام الفعل) من الأفعال التي نعرفها اشتقاقاً ونقرؤها في كتب الصرف، ولا نكاد نجدها في استعمالهم لضعف بنائها، وهو أنها علي حرف واحد. وهي إن وُجدت، كانت مُقوّاةً بضمير بارز أسنِدت إليه كقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسَكم وأهليكم﴾.

وكذلك قال في هذه «الهاء» مع (ما) الاستفهامية، ومثّل بقولـه: اجتهادَ مَـهْ اجتَهدتَ؟ لا أدري كيف نصب «اجتهاد»، ثم إن «مه» هي «ما» الاستفهامية التي حُذف ألفها لمجيء هاء السكت، وقد جاءت في غير الوقف!!

وقال كذلك: وكذلك مع (ما) الاستفهامية التي دَخَلَ عليها حرفا الجر (عن، اللام)،

نحو: عَمَّ ← عمَّهْ تسألُ في هذا الوقت من الليل؟

ولِـمَ ← لِمَـهْ تجحَدُ والحقُّ بيّن؟!

أقول: وقد جاءت الهاء للسكت في غير الوقف!

وقال: في آخر الـمبني على حركة ولم يشبه الـمعرب، نحو: أتدري ما هُوَهْ؟ كَلاَّ ماهِيَهْ؟

أقول: لا أعرف «الـمبني لم يشبه الـمعرب»!!

وقال: تزاد بعد ياء الـمتكلّم، نحو: زاد ماليَهْ، قرأت كتابِيَهْ.

ثم ذكر زيادتها في باب الاستغاثة والندبة.

ثم قال: وتزاد جوازاً في الشعر، نحو قول الأعرابي مخاطباً عمر بن الخطاب:

يـا عُمَرَ الخيـر جُزيتَ الجنَّـهْ اُكْـسُ بُنَيَّـاتـي وأُمَّهُنَّـهْ

أقول: وهاء السكت في الـمصراع الثاني من الرجز في «أُمَّهُنَّهْ» أمر يقتضيه الوزن، والقافية فليس مجيء الهاء جوازاً كما زعم الـمؤلف.

ثم تأتي مسألة تاء الافتعال التي تُبدَل دالاً كما في «ادَّعَي»، وزياً كما في «ازدَحَمَ» ودالاً أو ذالاً كما في «ادْدَكَرَ» و «اذَّكَرَ»، وصاداً كما في «اصطَلَحَ» وطاءً كما في «اضطَرَبَ».

ثم قال: وضاداً كما في «اضطَجَعَ».

أقول: وليس في «اضطَجَعَ» ابدال لتاء «افتَعَلَ» ضاداً، بل إن التاء ابدلت طاءً لأن فاء الفعل ضاداً هو في «ضَجَعَ»، فاختلط علي الـمؤلف الأمر وزاد خطأً على القاعدة الصرفية.

أقول أيضاً: وهذه الـمسألة حرفية لا تدخل في كتابٍ للإملاء، وكتب الصرف تثبت هذه الـمسألة الصرفية اللغوية، وكذلك جميع مسائل الإبدال فكلها حرفية كإبدال الواو من «وَصَلَ» تاء، وإبدال الياء من «يَسَرَ» تاءً إذا بُنيا على افتَعَلَ، يقال: اتَّصَلَ واتَّسَرَ.

ثم يتحوَّل الـمؤلف إلي مسألة «المدّ وأنواعه».

أقول: والعنوان يصرف ذهن القارئ إلى أنواع «المدّ» في التلاوة، وهو ضروب يعرفها أصحاب القراءات، وتدخل في تلاوة القرآن إحساناً للتلاوة والأداء.

غير أن الـمؤلف أراد بـ «المد وأنواعه» :

اجتماع همزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة فيتحول ذلك إلى مدّ نحو: آمَنَ، وأصلها: أأمَنَ.

وكذلك الهمزتان الأولى مضمومة والثانية ساكنة، والهمزتان الأولى مكسورة والثانية ساكنة فيتحولان: أُوثِر، والأصل أُؤْثِر، و«إيتَمَنَ» والأصل «إِئْتَمَنَ».

وهذه مواد صرفية لا صلة لها بالإملاء، ولكن أصحاب هذه الكتب وجدوا أن ما يتصل بـ «الإملاء» شيء قليل فراحوا يتزيّدون ليكون لهم كتبٌ لا كتيّبات.

لقد أضافوا إلى هذه الـمواد الإملائية مواد لغوية كالكلمات الـمنتهية بألف أصلها واو، والأخري المنتهية بألف أصلها ياء من الأفعال والأسماء.

خاتمـة:

وقد صرفت النظر عن كل مادة وردت في «قواعد الإملاء» للأستاذ هارون ولم أقف إلا على شيء قصّر فيه صاحب كتاب «تعلّم الإملاء وتعليمه»، وكان مذكوراً في كتاب الأستاذ هارون تجنباً للإعادة والإطالة.

وإني لأتحول إلى كتاب ثالث، بل كتيب صغير وسمه صاحبه ابراهيم عبد المطلب بـ «الهداية إلى ضوابط الكتابة».

وقد ذيل الـمؤلف هذا العنوان بنبذة معرِّفة تكاد تكون تلخيصاً لمواد هذا «الـموجز» فقال: «رسالة جامعة تبحث في شئون الهمزة والألف اللينة، وجميع الكلمات التي اصطلح علماء الإملاء علي كتابتها يحتاج إلها المعلّم والمتعلّم».

انتهى كلام الـمؤلف.

وقد أُثبت على جلد الكتاب أو غلافه عبارة «اعتمدته وزارة التربية والتعليم لـمكتبات مدارسها».

وهذه هي «الطبعة السادسة» الـمؤرخة في سنة ١٩٦٢، وقد كانت الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦.

وهذا يعني أن البضاعة رائجة، من حق صاحبها أن يثبت فيها عبارة «حقوق الطبع محفوظة» وقد قيل: كلُّ فتاة بأبيها معجبة.

ولي أن أبدأ كلامي من «النبذة المعرِّفة» فأقف قليلاً علي رسم الـمؤلف للهمزة في «شئون» فأقول: هذا هو رسم إخواننا المصريون عامّة مهتدين بما ورد في هذه الكتب التي خصّها أصحابها بالإملاء أي الرسم.

أيّة قاعدة هذه التي فرضت علي الطلاب والكتّاب وسائر أهل المعرفة أن تكون همزة هذه الكلمة، وما جاء علي وزنها أو ما هو قريب منها، مرسومة على ياء لم تُنقَط؟ إنها ياء مضمومة، ثم إن قبلها ضمّة، وهذا الرسم، وهو رسم الياء «الـمهملة» يشعر أن حركة ما يسبقها هي الكسرة، ولو كانت حركة الهمزة الضمة كما في: «أُهنِّئُكَ» وكما في الهمزة الأخيرة في بارِئ وطارِئ وطوارِئ.

فهل كان هذا من العلم ويُسمَى «قواعد»!

إن أصحاب هذه الكراريس «الإملائية» من إخواننا المصريين، وغير المصريين ممن تابعوهم، قد أفادوا علمهم من المتأخرين وهم القلقشندي في «صبح الأعشى» والسيوطي في «الهمع»،

والهوريني في «المطالع النصرية»، ثم خلف من بعد هؤلاء جماعة في آخر القرن الماضي، وأوائل هذا القرن ومازال نفر منهم يقمش في أيامنا هذه.

وظن هؤلاء أن ما انتهى إليه القلقشندي والسيوطي، والهوريني هو العلم الذي أخذوه عن ابن قتيبة والـمبرد والفراء وغيرهم.

ولم يكن لدي أولئك الـمتقدمين شيء من هذا.

ولنترك هذا فنقول: إن ما يرسم من هذه الكلمة على نبرة أو قل هي الياء بغير نقطتين نحتها (شئون) هو الـمتبّع في مصر، وقد وجدت أن أهل الكتابة خارج مصر رسموا الهمزة علي الواو، ثم أتبعوها بواو الصيغة للجمع (شؤون).

ثم كيف لنا أن نجيز همزة «مسئول» على نبرة أو ياء كما رسمنا وهو الرسم المتّبع في مصر؟

وغير الـمصريين يحسبون لحركة الهمزة، وهي الضم، حسابها فيرسمون «مسؤول». ولو أنك استقصيت هذا فيما ذكر الـمتقدّمون لم تجد شيئاً يمكن أن يسمّى «قواعد» في هذه المسألة.

ثم ورد في هذه «النبذة الـمعرِّفة» مصطلح «الألف اللينة»، وهذا مصطلح قديم أريد به ألف الـمدّ، مقابلاً لمصطلح آخر هو «الألف اليابسة» وهي الهمزة. و،قد كنت قد تكلمت على فساد هذين الـمصطلحين في وقفاتي في كتاب الأستاذ عبد السلام هارون.

ثم قال الـمؤلف في نبذته: «وجميع الكلمات التى اصطلح علماء الإملاء على كتابتها».

أقول: لا أعرف «علماء الإملاء» بين الـمتقدمين، ولكني أعرف النحاة اللغويين الذين تكلّموا علي مشكلات «الرسم» الكثيرة ومنها رسم الهمزة.

ثم قال: «الطبعة السادسة منقّحة ومذيلة بتصويبات لغوية وإملائية مفيدة».

أقول: إن هذه الإضافات ليست من «الإملاء» بل هي شيء في تصحيح الاستعمالات التي ظنّ فيها أهل الفن الخطأ، وهذه تشتمل على ما هو خطأ، وما قد توهم فيه الخطأ، وسنري ذلك.

ثم إني أقول: كيف عرف الـمؤلف أن «التصويب» يعني تصحيح الخطأ؟

ليس هذا معروفاً في استعمال الفعل «صوّب» لدى المتقدمين، بل هو شيء عرف في العربية المعاصرة.

إن «التصويب» هو الإقرار بالصواب، تقول مثلاً: أفاد محمد فيما ذكره، فصوَّبَه السامعون.

وكانوا يستعملون «التصحيح» كما ورد: «تصحيح الفصيح» لابن درستويه، وهو تصحيحه لما ورد في «فصيح» ثعلب.

وقالوا: «إصلاح المنطق»، وهو تصحيح أيضاً.

إن هذه الإضافات قد قصد منها الـمؤلف أن يكون الكتاب مشتملاً على صفحات يستحق فيها أن يُسمَّى «كتاباً، وإلا فهو كرّاسة لطيفة أي موجزة.

ثم أبدأ الكتاب الذي دعاه مؤلف، وهو علي حق، كتيّباً فقال: «..... فهذا كتيّب مختصر .....».

ثم أشار إلى طبعاته الكثيرة فقال: «وفي كل مرّة كان يصادف رواجاً يُربي على سابقه ويشهد بقيمته. ولعل ذلك راجع إلى أن جميع الكتب المتداولة آنئذ لم تكن تخلو من طول مُمل، أو قصر مُخل، يعسّر هضمها ويصعّب فهمها».

أقول: على رسلك ـ أيها الـمؤلف ـ فهل عرفت ما كتب وصنّف خارج مصر؟ ثم إن في الكتب التي أُلفت في هذا الباب في مصر شيئاً ذا قيمة، فلِم هذا الجحود؟

ثم قال: «إن الكتب في هذا الباب مستمدة من كتب المطالع النصرية» الذي هو أوّل كتاب جمع في هذا الفن.. حيث طبع لأول مرة[1] منذ أكثر من مائة سنة ....».

ثم قال: «والحق أن كتاب «الإملاء» للمرحوم الشيخ حسين وإلى من أضبط الكتب وأحسنها،.... لولا أن مؤلفه نحا فيه نحواً أقرب الي التعمق منه إلى البساطة والتيسير....»[2].

ثم قال: «ويكفي القول فيه إنه كان مقرّراً تدريسه لطلبة الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي».

أقول: فأين هذا من وصف الـمؤلف للكتب التى عُرفت قبل كتابه بالإخلال والإملال؟

---

(١) الفصيح أن يقال: أوّل مرّة، واللام زائدة في العربية الـمعاصرة، قال تعالي: ﴿وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة﴾، وكذلك في آيات أخري.

(٢) والبساطة كلمة جديدة لاتعني التيسير، بل تعني الامتداد والامتناع، ومن ذلك «المبسوط» في الفقه الحنفي للسرخسي، ان البَسْط هو المدّ، ولكن الـمعاصرين صاروا الى «البساطة» مصدراً آخر حاملين عليها دلالة لا تملكها، وهي التيسير.

ثم عاد الـمؤلف فتواضع قليلاً فأثني على تلك الكتب التي سبقت «كتابه» (ص٥).

غير أنه عاد فأثنى على كتابه وأطراه أيما إطراء فقال:

«ولولا صدق النية في الإخلاص والعمل، لما كتب الله النجح فيما قصدت وما أدّيت ـ ولهذا ولدت «الهداية» تمشي علي ساقين من أوّل يوم، لما امتازت به من مزايا التنسيق والترتيب وبسط القواعد بسطاً يسهّل فهمها.... مرتبّة... ترتيباً أبجدياً.....».

أقول: بخ بخ ـ أيها الأستاذ الـمؤلف، لقد تجاوزت فأقلّ الثناء والإطراء، ودع غيرك يقول مايشاء.

ثم إن الـمؤلف قد رتّب موادّه على حروف الـمعجم، وهي الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ث .....) وسمّي هذا الترتيب «أبجدياً»، والترتيب الأبجدي هو: أبجد هوّز حُطيّ....

وقال في (ص٦): لكنّي المرة أردت أن يكون الكتاب شاملاً.....».

أقول: كأنه أراد: «هذه المرّة» والعبارة قاصرة.

وهو يدعو إلى هذا «الـموجز» فيقول: «..... ومن هنا لا يستغني عنه قارئ ولا كاتب، في مكاتبة أو مراسلة أو تأليف أو تصنيف».

وكأنه أراد أن يحث جمهرة هؤلاء إلى اقتناء هذا العلق النفيس.

ثم قال:

«وفي سبيل التيسير، تحاشيت أن أتعرض[1] للمصطلحات التي تعرف بالبداهة، أو التي تدخل في نطاق قواعد النحو والصرف، أو التي اندثرت لعدم العمل بها....

من ذلك حذف لام «علي» الجارة ويائها، وألف أل في (عَلْماء) مثلاً وأصلها «على الماء».

أقول: أين الياء في «على» الجارّة، هي ألف، وقد رُسِمت ياءً، ودَرَج الكتّاب علي هذا الخروج، وكأنهم فرّقوا بين «عَلا» الفعل و«علي» الحرف، إن الفعل والحرف كلاهما ينتهي بألف، والـمسألة في هذا ما درج عليه أهل الكتابة في الرسم.

(١) أراد الـمؤلف: أن أعرض للمصطلحات، لأن التعرض والتعريض ينصرفان إلى الإساءة وإلى ما هو لا يرتضي.

وقال:

وحذف نون «مِن» الجارّة، وألف (أل) بعدها كذلك في «مِلْعَصُر، مِلْمال» وأصلهما: من العصر ومن المال.

ثم ذكر مسائل أخري هي استعمال (أم) بدل (أل)....

وقال: واعتبار همزة (الغلام والفرس) همزة قطع لكثرة الاستعمال...

أقول: مَن قال هذا؟

لقد قدَّمت في كلامي الذي سبق أن الكلمات المعرَّفة بالأداة إن بُدئ بها فالهمزة لابد أن تظهر فنقول: الرجل جاء. ونقول: الولد ذهب. وليس «الغلام والفرس» وحدهما، ولم يكن ذلك لكثرة الاستعمال، بل إن الهمزة تُطوَي في اللفظ من (أل) في درج الكلام، ومن هنا سميت همزة وصل كقولنا مثلاً: «جاء الولدُ». إن الفتحة في «جاءَ» تليها اللام الساكنة والألف مطويّة في النطق.

وقال في (ص ٧):

«ومما يجب الإشارة إليه في ختام هذه المقدمة، أن قواعد الإملاء قد اتفق على كتابتها كما هو الشأن في قواعد النحو والصرف....».

أقول: قوله «إن قواعد الإملاء قد اتفق على كتابتها» شيء حَسَن، وهو يعني أنها مواضعة، وليس الأمر «قواعد» اقتضتها علل صوتية وأخرى لغوية.

ولكن قوله: «كما هو الشأن في قواعد النحو والصرف» غير صحيح، لأن هذه «القواعد» لم تكن نتيجة «اتفاق» بل وُصِل إليها استقراءً وافياً للغة التنزيل وكلام العرب.

ثم قال في (ص ٨):

ولا يخفي أن هذا الاتفاق كان وليد آراء مختلفة ووجهات نظر[1] متضاربة شملت معظم القواعد الإملائية .....».

---

(١) أقول: «وجهات نظر» عبارة مترجمة، وليس في العربية هذا، وهذه من الفرنسية، وقد أشاعها النقلة المترجمون في الصحف والكتب في عصرنا.

أقول: لم يحدث اتفاق، والـمتقدمون اختلفوا بين بصريين وكوفيين، وقد تجد أن بعض كل فريق من هؤلاء اختلف مع غيره من الفريق نفسه، والكلام في هذا مثبت في كتب العربية.

ثم ختم المؤلف مقدمته فقال: ولعلي لا أذيع سراً اذا ذكرت أن ماحدا بي[1] إلي وضع هذه الرسالة هو ما رأيته من النقص الكتابي والخطأ الإملائي في الصحف والـمجلات والكتب...

ثم قال في (٠٩) في تقدمة الطبعة السادسة:

«وفي السنوات الأخيرة ازدادت الرغبة الي اقتناء ما فيه، وبخاصة[2] بعد أن شاعت الأخطاء.... حتى أن وزارة التربية في (مصر) زودت مكتباتها بآلاف النسخ منه تقديراً لـمادته واعترافاً بقيمته... وقد أبدى «مركز الشرق الأوسط» أن يُعد طبعة توزع في البلاد الشقيقة....».

وتكلم الـمؤلف على «نشأة الخط العربي وتطوره»، فعرض في كلامه لـما كان من أبي الأسود الدؤلي من نقط يتصل بالشكل ولـما كان من يحيى بن يعمر ونصربن عاصم من نقط يتصل بالإعجام، ولـما كان من الخليل بن أحمد الذي أقرّض هذا على النحو الذي وصل إلينا، كما وضع رسم الهمزة.

ثم نأتي إلى مادة الكتاب، وقد بدأها الـمؤلف بباب الهمزة في (ص١٦) فتكلم على «هدتي الوصل والقطع» في الأفعال والأسماء.

أقول: هذا الكتيب من الكتب التعليمية فهو موجّه للطلاب والتلامذة وغيرهم ممن يمارس الكتابة. وهو من أجل ذلك يعرض لـمسائل كثيرة فيها الـمشهورة وغيرها، فقد قال في «الهمزة في أوّل الكلمة بعد الكلام على همزتي الوصل والقطع:

«وفيما عدا ذلك فهمزة القطع لاتسقط أبداً (ويراعي وضع قَطعة الهمزة أسفل الألف إن كانت مكسورة، وإلا فموضعها أعلي الألف دائماً).

(١) أقول: الفعل «حدا» متعدٍّ، يقال: حداني، وليس حدا بي.

(٢) إن استعمال «بخاصة» ليس من أساليب أهل الفصاحة، قال تعالي: ﴿واتّقوا فتنة لاتصيبَنَ الذين كفروا منكم خاصّة».

وإذا دخل على الكلمة الـمبدوءة بالألف مطلقاً حرف بحيث يجعل همزتها متوسطة بقيت الهمزة على حالها ألفاً مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، مثل: سألزم الـمجتهد بأدبه وإحسانه.

.....

ويُستثنَى من هذا:

١ـ اللام المفتوحة الداخلة على (إنْ) الشرطية نحو: لَئِن.

٢ـ اللام المكسورة الداخلة على (أن) الناصبة المدغمة في (لا) نحو لئلاّ.

٣ـ همزة الاستفهام الداخلة علي كل كلمة همزتها مكسورة أو مضمومة، نحو: أَئِنَّكَ، أَوَلِقَى الذكر عليه.....

٤ـ الظروف الداخلة علي «إذ» المنوَّنة نحو: حينئذٍ، يومئذٍ.

٥ـ «ها» للتنبيه الداخلة علي «أولاء» نحو: هؤلاء.

أقول: الكثير من هذا مسألة عادة جري عليها الكتاب فتواضعوا عليها، وإلا كيف لي أن أُفرِّق بين قولي: أُلقِيَ، والهمزة مضمومة على ألف، وبين هذه الكلمة إذا سبَقَتها همزة استفهام وهي أُؤلقِي؟

ولي أن أجتهد فأقول: إن الاستفهام لم يغيّر من الفعل شيئاً، وليس من ضير أن أكتب: «أألقِي».

وأنت لو رجعت إلى أنماط الكتابة فى المخطوطات وجدت شيئاً من هذا ولا انتهيت إلى أن ما يُدعَى قواعد الرسم لم يكن شيئاً، والنساخون على اختلاف درجاتهم قد تحرّروا مما نحسبه في عصرنا قواعد.

أقول: وأري أن اجتهد فأقترح:

اقتـــــراح

لو أنا فرغنا مكاناً للهمزة في عدّة الحروف الهجائية وكان ذلك سابقاً للعَين مثلاً فكان عدد الحروف تسعة وعشرين حرفاً بدلاً من ثمانية وعشرين، لكان لنا أن نخص هذا الرسم

الذي ابتدعه الخليل بن أحمد (ء) بالحركات فتكون الفتحة والضمة فوقه، والكسرة تحته كسائر الحروف.

وبهذا نكون قد تخلّصنا من هذا الذي يسمى «قواعد الهمزة في الرسم» والذي لم نتفق عليه، ومازال العرب في مختلف بلادهم في خلاف من أمره.

وآني الآن إلى هذه المشكلات فأجد الـمؤلف في (ص١٧) يقول:

«إذا وجدت الضمة علي الهمزة أو على الحرف الذي قبلها كانت الغلبة للضمة، وحينئذ تكتَب علي واو».

أقول: إذا كان هذا فكيف نكتب: «أُهَنِّئُكَ»، والهمزة مضمومة وقبلها كسرة؟

وكيف أكتب «شئون ومسئول» والهمزة في كليهما مضمومة؟

وقال الـمؤلف: «واذا وُجدت الفتحة علي الهمزة أو على الحرف الذي قبلها كانت الغلبة للفتحة، وحينئذٍ تكتَب الهمزة علي ألف».

أقول: إذا كان هذا فكيف تكتب «هيئة» على الياء غير المعجمة أو ما يسمّى نبرة؟ ألم يكن على حق نفر من أعضاء الـمجمع العلمي العراقي الذين رسموا همزة «هيأة» على ألف؟

وكيف نكتب مثل هذه الهمزة في الفعل «يُسيئُه» وهي مضمومة؟ وتكتب، عِبْئَكَ في قولنا: حَمَلتُ عِبْئَكَ، وهي مفتوحة؟

ثم أليس من حق لـمن يكتب «حُطَيئة» فيعدل عن هذا الرسم، ويرسم الهمزة على ألف «حُطَيْأَه»؟.

وأنا أستطيع أن آتي ملاحظاً أو معترضاً إلى كثير مما اعتدنا رسمه وادّعينا أنه قاعدة.

ثم إن المطبعة في عصرنا قد انتهت إلى حمل الكتّاب على الخطأ في الرسم، ومن هذا ما نشاهد مطبوعاً من الكلم نحو: شيء، وعبء، وكُفْؤ، والهمزة في هذه ونحوها فوق الياء والباء والواو، والصواب رسمها مفردة بعد الياء والباء والقاف: شَيْء، عِبْء، كُفْء.

ولكن المطبعة ذهبت في هذا الخطأ فعمّ.

كما نجد فيما يطبع: بريء وجريء، وحقهما أن تلي الهمزة الياء: بريء وجريء. ومن مساوئ صنعة المطبعة أنهم اختصروا في الشكل فإني لو قدمت كتاباً ليُطبع، وجاء فيه مثلا: لا أذيع سِرّاً، وما أذَعتُ أيَّ سِرٍّ، لكانت الجملتان: لا أذيع سراً، وما أذعتُ من سرٍّ.

فأنت تري أن الشدّة ينبغي أن توضع على الراء، وأن فتحتي (النصب والتنوين) على الألف في الجملة الأولى. وأن كسرتي (الجر والتنوين) يوضعان تحت الراء في الجملة الثانية. ولكن المطبعة خالفت هذا توخيّاً للاختصار كما بيّنت.

وأعود إلى «الكتاب» وسأقف على كل أمر يتطلب الوقوف، وأعرض عمّا كنت قد عرضت له في الكلام على ما جاء في كتاب الأستاذ هارون، وكتاب الدكتور نايف معروف.

أقول: بعد كلام المؤلف على الألف اللينة شرع في بسط جداول تشتمل على الأفعال الواوية واليائية في الصفحات (٢٨-٣٢) وزعم أنها مرتبة «أبجدياً» وهى ليست كذلك بل كانت على حروف المعجم، وهو الترتيب الهجائي.

ثم بدأ باباً وسمه بـ «باب المصطلح على كتابته» ثم قال: مرتّبة أبجدياً، وهي ليست كذلك.

وجاء في هذا الباب المثبت علي هيئة جدول:

الكلمة	المحذوف	المزيد	البيان
الله	ألف	—	لكثرة الاستعمال.
إله	ألف	—	سواء في ذلك النكرة والمعرفة «إلهكم إله واحد».
الرحمن	ألف	—	ومثلها الحرث والسلم بشرط أن يكونا علمين ومعرَّفين بـ «أل».

أقول: إن حذف الألف في لفظة الجلالة لم يكن لكثرة الاستعمال، بل إنه خط المصحف الذي عمّ فشمل غير المصحف.

ثم إن «الرحمن» كذلك هو خط المصحف فعمّ فشمل غيره، وأما «الحارث والسلام» فهو خط قديم جري المصحف فيه في كلمة «السلام»، وجري المعربون في غير المصحف في «الحرث» في العصور القديمة، وقد عدل أهل عصرنا عن هذا فأثبتوا الألف في الحارث

والسلام، وليس من ضير أن تثبت الألف في «الرحمن» ومن الكتّاب في عصر من يثبتها فيكتب عبد الرحمان.

وكذلك حذف الألف في «السموات».

وقال المؤلف في «طه» و «يس» أن المحذوف في الأول ألفان، وفي الثاني: أ ي ن.

وقال فيهما: يجوز كتابتها بالألفين (طا ها)، وهم اختيار ابي عمرو ابن الحاجب.

ويجوز كتابة «ياسين».

أقول: إن «طه» حرفان، وهما من فواتح السور المبدوءة بالأحرف، ولم تعرف كتابتهما على التمام، وإن ذهب الي هذا ابن الحاجب.

ان المسلمين قد استعاروا الحرفين (ط ها) للعلمية فسمّوا الرجل (طه) تيمّناً بفاتحة السورة التي ذهب المفسرون الي أن الخطاب فيها للرسول الكريم ـ صلوات الله عليه ـ.

وكذلك «يس» فهما حرفان جاءا فاتحة السورة بهما، وقد استعيرا للعلمية فكان الاسم العلم علي التمام «ياسين» ولم يعرف الحرفان كتابة «يس» في العلمية.

ثم ذكر (هرون) والمحذوف ألف، ومثله معوية، وسفين، وعفّن، وعثمن، وسليمن، وإسمعيل، وإبرهيم، والقسم وغيرها.

أقول: وهذه كله رسم المصحف الذي ربما نجد شيئاً منه في المخطوطات والكتب القديمة، وقد ذهب هذا كله في الاستعمال الحديث وفي المطبعة الحديثة، وكتبت الأعلام على التمام.

ان هذا الباب اشتمل على الصفحات (٣٣-٥٢).

وفيه طائفة كبيرة من الأحرف المحذوفة في الرسم القديم والحديث. كألف هذا وألف هأنا، وألف «ابن» وألف «يا» للنداء قبل (أيّ وأيّة وأهل) مثل يأيها.... يأيتها... يأهل الكتاب...

أقول: هذا هو ما درج عليه إخواننا في مصر وأصله خط المصحف، ولانعرفه في البلاد العربية الأخرى.

ومضي الـمؤلف في ذكر الكلمات التي حذفت منها الألف أو الواو أو اللام أو الـميم أو النون أو الياء، وقد يزاد حرف على الكلمة فذكر ذلك الـمؤلف.

ثم أثبت «باب ما يوصل من الكلمات في الصفحات (٥٣-٦٢) ذكر فيه وصل «مَن» الاستفهامية والـموصولة والموصوفة والشرطية، ووصل «ما» الشرطية والتعجبية والاستفهامية والـموصولة.

فتوصل «مَن» بـ «مِن وعَن» قبلها وتحذف النون.

أقول: وقد مرّ بنا هذا عند الكلام على الكتابين وقلنا فيه ما بدا لنا أن نقول.

وكذلك وصل «ما» بأنواعها الـمختلفة من نافية ومصدرية وكافّة وزائدة.

ووصل «لا» بـ «أن» المصدرية و «إنْ» الشرطية.

وقد مرّ بنا هذا كله.

ثم قال الـمؤلف: مواضع استعمال «لا»، وهي ناهية ونافية... وزائدة... وغيرها.

أقول: وهذا لايدخل في أمر «الإملاء» أو «رسم الحرف» فهو مادة نحوية، وكأن الـمؤلف رغب في إكثار الصفحات.

ثم عرض لكلمات جرى فيها الوصل، وأخرى جرى فيها الفصل نحو «كي ـ لا» نحو: علمتك كي لا شيء اليك (كذا ذكر الـمؤلف).

وما قيل في وصل «حبذا» و «هلاّ» و «يومئذٍ» وغيرها.

قلت، وقال الـمؤلف أن كثيراً من هذا ليس موضع خطأ، وانما هو شيء اقتضته صنعة التأليف.

ولكون الكتاب «مدرسياً تعليمياً» اشتمل علي «تطبيقات».

ثم ذكر الـمؤلف مسألة ما دعاه «الترقيم» وأراد وضع الإشارات تحت باب «مزالق في اللغة والإملاء».

إن هذا «الترقيم»، وهو مصطلح جديد، قلّد فيه العرب ما عرف عند الإفرنج في كتبهم فقالوا:

الفَصلة (،) لتمييز بعض الكلام عن بعض.

والفصلة (؛) توضع بين الجمل الطويلة، ويقف عندها القارئ وقفة متوسطة.

والنقطتان (:)

وعلامة الاستفهام: (؟)

وعلامة التأثر (!)

والقوسان ( )

والشرطة (–)

وغير هذا مما لا نعرفه في العربية واضطرتنا إليه الحاجة، وكذلك صنع الأستاذ هارون مضيفاً إلي ذلك ما كان من الرموز التي أثبتها الـمجد في «القاموس» وغيرها.

ثم نحوّل إلى الاستعمالات الصحيحة وما عرض لها من الخطأ في العربية المعاصرة.

وأقول: إن هذا لايمكن أن يكون مادة في كتاب للإملاء.

نحو: أبدَلَ واستبدل ووجه استعمالها الصحيح.

وهاء التأنيث ولزوم نقطها في غير الوقف.

والكلام على استعمال «توفَّرَ» و «توافَرَ»

وخُطة بضم الخاء لا كسرها.

وجمع «فُعلة» بضم الفاء نحو «خُطوة» جمعاً مؤنثاً وصور الجمع.

وبحوث وأبحاث، ورياسة ورئاسة، واستعمال «لازال».

وغير هذا من مواد معروفة شائعة في كتب التصحيح والخطأ الشائع، وليس هذا كله مما يندرج في باب «رسم الحرف» أي الإملاء.

وقد استغرق هذا الباب أكثر من نصف «الكتاب».

أكتفي بهذا القدر من الملاحظات التي تتصل بـ «الرسم».

ملحق صوتى

فى الضاد والظاء.

ملحق صوتي في الضاد والظاء

اشتهرت عبارة «الناطقون بالضاد»، وزعم أهل اللغة أن الضاد خاصة بالعرب[1]، وليس شيء منها في لغات العجم، والضاد من الحروف المجهورة ومن الأصوات المستعلية، هكذا قالوا.

وذهب المعاصرون، ومنهم الدكتور ابراهيم أنيس وهو ينظر إلى نطق الضاد لدى المصريين إلى «أن لاتختلف عن الدال في شيء سوى أن الضاد أحد أصوات الإطباق، فعند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك، لأعلى متخذاً شكلاً مقعراً، كما يرجع إلى الوراء قليلاً».

وقال أيضاً: فالضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا بالعليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعا صوتاً انفجارياً هو الضاد كما نطق بها في مصر»[2].

إن هذا الذي أثبته الدكتور ابراهيم أنيس من نطق المصريين للضاد في ضوء ما أفاد من التجارب المعملية غير نطق الأوائل لها كما قال الخليل بن أحمد ومن نحا نحوه، وهو الذي نجده في المعجمات وفي كتب القراءات.

إن الضاد القديمة كما أثبت الأستاذ ابراهيم أنيس «أقل شدة مما ننطق بها الآن، إذ معها ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالاً بطيئاً نسبياً، وترتّب عليه أن حلّ محل الانفجار الفجائي انفجار بطيء نلحظ معه مرحلة انتقال بين هذا النوع من الأصوات وما يليه من صوت لين، فإذا نطق بالضاد القديمة وقد وليتها فتحة مثلاً، أحسسنا بمرحلة انتقال بين الصوتين، نميّز فيها كل منهما تميزاً كاملاً.

وقال: «إن الضاد كما وصفها القدماء كانت تتكون بمرور الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، غير أن مجراه في الفم جانبي ـ عن يسار الفم عند

(١) قال الخليل في كتاب العين: إن الظاء حرف عربي خص به العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم.

(٢) ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ١٩٧.

أكثر الرواة أو عن يمينه عند بعضهم أو من كلا الجانبين كما يستفاد من كلام سيبويه. ويظهر أن الضاد القديمة كانت عصية النطق على أهالي الأقطار التي فتحها العرب، أو حتى على بعض القبائل العربية في شبه الجزيرة، مما يفسر تلك التسمية القديمة «لغة الضاد» ....

وقال: والذي نستطيع تأكيده هنا هو أن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق مصر. وأن هذا التطور كما قد تم في عهد ابن الجرزي، أي في القرن الثامن الهجري. فهو يقول في كتابه التمهيد إن المصريين وبعض المغاربة ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة ....»[1]..

أقول: إن الذي خلص إليه الأستاذ أنيس من قدم ما أصاب الضاد في نطقها واختلاف أهل مصر عن النطق القديم كان قد بدأ في القرن الثالث الهجري بعد أن عرف شيء منه في آخر القرن الثاني كما دلّ على ذلك الاستقراء.

ثم إن «الضاد» قد ذهب بها في النطق إلى الظاء، وهذا هو الذي انتهينا اليه في عصرنا فأكثر العرب لا يفرقون بينهما اللهم إلا من ذهب بالظاء إلى قليل من الزاي كما في نطق من يقول: «عظيم» في ظاء مشوبة بالزاي.

ان عبارة «لغة الضاد» أصيلة، لكن هذه الأصالة لم يحتفظ بها العرب وإن التزموا بترادها حماسة وزهواً. وأن ما يردّده أهل العلم من الحديث الشريف «أنا أفصح من نطق بالضاد...» شيء لم يكن له هذه المنزلة لدي علماء الحديث، غير أن أهل اللغة لا يعنيهم أمر صحة الحديث. ومع هذا فإننا نجد رواية للحديث غير هذه الرواية وهي:

«أنا أفصح العرب بيدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد»[2].

وأعود إى «الضاد» فأجد أن نطقها في عصرنا غير نطقها الذي قال عنه سيبويه: «إنه ليس شيء من موضعها غيرها»[3]، وهذا يعني أن لها نطقاً فريداً يختلف عن نطق الظاء الذي ساد في نطق عامة العرب في عصرنا، وعن نطق المصريين القريب من الدال أو قل: إنها دال مفخّمة.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٨.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة «بيد» وانظر «لسان العرب».

(٣) الكتاب ٤٠٤/٢.

وقد أشار إلى هذا المستشرق الألماني «برجشتراسر» في كتابه «التطور النحوي»، فقال: «.... فالضاد العتيقة حرف غريب جداً غير موجود علي حسب ما أعرف في لغة من اللغات الـ العربية، ويغلب علي ظني أن النطق العتيق لا يوجد الآن عند أحد من العرب»[1].

وإلى مثل هذا ذهب اليازجي فقال: «وأما لفظ الضاد فإنّا لم نسمع من يحكمه لهذا العهد على ما رسمه علماء العربية من مخرجه، والظاهر أنه لكثرة اختلاط العرب بغيرها مع فقد هذا الحرف من لغات الأعاجم ضاع في موضعه من الألسنة ولم يبق من يحقق لفظه»[2].

أقول: لمح سيبويه بداية انحراف صوت الضاد إلى ما دعاه «الضاد الضعيفة».

إن هذه «الضاد الضعيفة» قد ورد في كلام ابن يعيش حيث قال:

«والضاد الضعيفة من لغة قوم اعتاصت عليهم فربّما أخرجوها ظاءً، وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربّما راموا إخراجها من مخرجها فلم يتأتّ لهم ذلك فخرجت بين الضاد والظاء»[3].

أقول أيضاً: لقد دلّ الاستقراء على أن الضاد صوت صعب فيه من الشدة ومن دقة الإخراج ما يمكن أن لايكون لدي كثير من المـعربين، وهذا إيذان بالانحراف والانزلاق إلى ما يقرب من صوت الظاء حتي كان الاختلاط. لقد حدث هذا كما أشرنا في عصر متقدم، وإن بقي الـمعربون يمتدحون بنطق الضاد، كما قال المتنبي:

وبهم فخر كلّ من نطق الضا دَ وعوذُ الجاني، وغوث الطريد

وذكر بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» أن لابن قتيبة أرجوزة في الضاد والظاء جاء فيها بطائفة من الألفاظ التي تكتب بالضاد، وأخري من التي تكتب بالظاء». وأنا استبعد أن تكون هذه الأرجوزة لابن قتيبية، وإن كان من رجال القرن الثالث[4]، ذلك أننا لم نجد شيئاً من هذا في ترجمته، وقد نشر الدكتور داود الحلبي هذه الإرجوزة[5].

(١) التطور النحوي ص١٠.

(٢) مجلة الضياء ٥٣/١.

(٣) شرح الـمفصل ١٢٧/١٠.

(٤) ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم الـمتوفي سنة ٢٧٦هـ. انظر ترجمته في إنباه الرواة ١٤٣/٢ وبغية الوعاة (الطبعة الأولى) ص ٢٩١ وفي مصادر عدة أخري.

(٥) مجلة «لغة العرب» لصاحبها أنستاس ماري الكرملي ٤٦١/٧-٤٦٣.

غير أننا نجد أن رجال القرن الرابع الهجري قد عرفوا هذه المشكلة الصوتية فصنّفوا فيها، وكان من هؤلاء اسماعيل بن عباد المعروف بـ «الصاحب»[1] فقد صنف كتيّباً في هذه المسألة دعاه «الفرق بين الضاد والظاء».

إن هذه الكتب إنما جدّت وزادت في القرن الرابع الهجري كان من أجل غرض تعليمي تربوي وهو تعليم الناشئة المتأدبين الذين فقدوا سليقتهم اللغوية لاختلاط المجتمعات التي اندمج فيها العرب بغير العرب. وقد زاد الاختلاط في القرون التي توالت بعد القرن الرابع. وكان من زيادة هذه المشكلة أن أهل العربية قد أشاروا إليها طوال العصور، وهذا هو ابن مكي الصقلي وهو من رجال القرن الخامس الهجري قد أشار إلى هذه المسألة، وإلى أن المسألة تتصل باختلاط الضاد والظاء فقال:

«هذا رسم قد طُمس، وأثـر قد دَرَس من ألفاظ جميع الناس خاصتهم وعـامتهم، حتي لا تكاد تري أحداً ينطق بضاد ولا يميّزها عن ظاء. وإنما يوقع كل واحدة منهما موقعها، ويخرجها من مخرجها الحاذق الثاقب إذا كتب أو قرأ القرآن لا غير، فأما العامة وأكثر الخاصة فلا يفرّقون بينهما في كتاب ولا قرآن»[2].

وعرض للألفاظ التي عرض لها هذا الخلط بين الصوتين، فذكر الألفاظ التي هي بالظاء، وهي خمسون كلمة، وقال: «وعلمت أن ما عداها مما يكثر استعماله فهو بالضاد».

وعلي هذا صار التصنيف في هذه المسألة يراد منه أن يكون المتعلّم علي بيّنة مما يكتب بالضاد وما يكتب بالظاء علي نحو ما صنع الصاحب بن عباد.

وكان من هذا مقامة للحريري اشتملت على الكلم على كثير من الكلم مما ورد في هذين الصوتين.

وكذلك صنع ابن مالك صاحب الألفية كتاباً له أسماه «الاعتضاد في معرفة الظاء والضاد».

ومن المفيد أن أشير إلي من لم يَر أن العرب قد اختصّت بالضاد وهو القول الذي شاع وأثبت في كثير من المظان، ومن هؤلاء ابن فارس في كتابه «الصاحبي»[3] إذ قال:

---

(١) انظر ترجمه في إنباه الرواة ٢٠١/١، ومعجم الأدباء ١٦٨/٦ ومصادر أخرى.

(٢) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان (تـ عبد العزيز مطر) ص٩١.

(٣) الصاحبي ص٧، وقوله: «وزعم ناس» يشير إلى أن هذا مما ادُّعي وشاع...

«وزعم ناس أن الضاد مقصورة على العرب دون سائر الأمم».

على أن أهل عامة قد أثبتوا أن «الضاد أصعب الحروف في النطق» وهذا هو ما أثبته السيوطي في «الهمع» وأضاف: إنه من الحروف التي انفردت العرب بكثرة استعمالها، وهي قليلة في لغة بعض العجم ومفقودة في لغة الكثير منهم»[1]. وسنري السيوطي في «المزهر» يثبت ما كان من الاختلاط بين الضاد والظاء فيذكر أمثلة من ذلك.

ولنستقر هذه الألفاظ التي تردّد فيها المعربون بين الصوتين فكان من ينطق بها ضاداً ومن ينطق بها ظاء.

ذكر السيوطي في «المزهر»[2]:

«الحُضَض والحُظَظ» وهو من الصمغ مثل الصَّبر وقيل الكحل. وقد أشار السيوطي إلى ورود هذا في «جمهرة» ابن دريد.

و«حَظِلت النخلة وَحضِلت»، إذا فسدت أصول سعفها.

وسمعت «ظباظِب الخيل وضاضبها» أي أصواتها.

و«العضّ والعظ» وأشار إلى كتاب «الفرق» للبطليوسي.

و«الأرظ والأرض» لقوائم الدابة، وقال: والأشهر فيه الضاد.

ويقال للجماعة من الناس إذا خرجت في الغزو «هيظلة وهيضلة»، وقال: والضاد أشهر.

و«ماء مظفوف ومضفوف»، إذا كثر عليه الناس، وقال: حكاه الشيباني بالظاء، وحكاه الخليل بالضاد.

وذكر: ويروي أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب: ما تقول في رجل «ظحّى بضبي»؟ فعجب عمر ومن حضره من قوله، فقال: يا أمير المؤمنين إنها «لغة» وكسر اللام، فكان عجبهم من كسر لام لغة أشد من عجبهم من قلب الضاد ظاء، والظاء ضاداً.

أقول: وفي «الصحاح»: «التقريظ» مثل «التقريض»، وفلان يقرّض صاحبه إذا مدحه أو ذمّه.

---

(١) همع الهوامع ٢٢٨/٢.

(٢) المزهر ٥٦٢/١.

وجاء فيه أيضاً «ضري» بالضاد، والكلمة بالظاء لدي آخرين، و«الظَّرَوْرَ»: الكيّس، وظَرِيَ يظرَي إذا كاس وحذق، واظرَورَي الرجل: أتخم فانتفخ بطنه، داوية ووبائية[1].

وجاء في كتب أيضاً، وكذلك في الـمزهر»:

«فاظت نفسه» وقالوا: هي لغة أهل الحجاز وطيّء، و«فاضت» وهي لغة تميم وقيس.

وقال أبو زيد وأبو عبيدة: فاظت نفسه بالظاء لغة قيس، وبالضاد لغة تميم.

وروي الـمازني عن أبي زيد: أن العرب تقول: «فاظت نفسه» إلا بني ضبّة فإنهم يقولون: «فاضت» بالضاد[2].

أقول: وقد تبين من هذا أن الاختلاف فيما هو ضاد أو ظاء في طائفة من الكلم أمر خاص بلغات القبائل[3].

أقول أيضاً: ومن لغات القبائل قولهم: «الضَّبِل» للداهية، ولغة ضبّة بالصاد.

وإذا عدنا إلى مادة «ضلع» وجدنا شيئاً منها في «ظلع» وهو معنى «الميل».

وقد نلمح هذا في «الظُّهر» و «الضُّهر».

ومن هذه الألفاظ التي عرض لها هذا الخلط أيضاً:

«جضّ» أي مَشَى، وقريب منها «جظّ» أي عدا.

---

(١) انظر «الصحاح» ضري، وانظر المعجمات الأخري.

ومن المفيد أن أشير أن الفعل «اظرَوَي» قد قال فيه الأصمعي «اطرَوْرَي» بالطاء المهملة، انظر: «طرا» في «لسان العرب»، وقد أشار ابن جني فيما ذكره صاحب «اللسان» إلى «ان الظاء لا يوجد في كلام النبط فإذا وقعت فيه قلبوها طاء». أقول: ومن هنا لابد أن يكون «الناطور» والفعل «نطر» من كلام النبط أي الآراميين وأضيف إلى العربية وشاع، والأصل «نظر».

ومن هذا قولهم: ذهب دمه طَلَفاً وظَلَفاً أي هدراً.

(٢) انظر «الـمزهر» ٥٦٢/١.

(٣) على أن رسم الضاد مثل رسم الصاد قبل أن يكون الفرق بالاعجام، وهذا مما أضاف إلى الـمسألة إشكالاً فقد قالوا: قضاقض، وقصاقص من أسماء الأسد. والـمنقاض والـمنقض و«الـمنقاص» للمنشقّ طولاً، و«انقاصت البئر وانفاضت أي انهارت. ومنه حصب وحضب وحطب، وبذلك قرئ بها في قوله تعالى: «حضب جهنم» انظر الآية في كتب التفسير عامة.

و«بهَضَه» الأمر: غلَبه وثقل عليه، وكذلك «أبهظَني».

و«بضَّ» أوتاره: حرّكها ليُهيّئها للضرب، و«بظَّ».

وجاء في «البيان والتبيين» ٢/٢١٥:

«كان رجل بالبصره له جارية تسمي ظمياء فكان إذا دعاها قال: يا ضمياء، بالضاد، فقال له ابن المقفّع: قل يا ظمياء، فناداها: يا ضمياء. فلما غيّر عليه ابن المقفّع مرتين أو ثلاثا، قال: هي جاريتي أو جاريتك!».

ثم آتي إلى قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ ٢٤ سورة التكوير.

أقول: وقرئ: «بظنين» بالظاء.

وكان ابن جرير الطبري في تفسيره قد أشار إلى أن هذه قراءة قليلة وهي خلاف المشهور: وقال: «وأولى القراءتين بالصواب عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة وذلك «بضنين» بالضاد»[1].

وذهب الزمخشري إلى أن الكلمة في مصحف عبد الله بن مسعود بالظاء وفي مصحف أبي باضاد. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما.

وقال الزمخشري: «وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب، ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارئ، فإن أكثر العجم لا يفرّقون بين الحرفين، وإن فرّقوا ففرقاً غير صواب وبينهما بون بعيد؛ فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، .... وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، وهي أحد الأحرف الذولقية.....»[2].

أقول: إن الذي أثبته في هذه الآية من القراءة المشهورة، ثم من القراءة الأخرى التي ورد فيها «ظنين» بالظاء على اختلاف الدلالة في «ضنين» و «ظنين»، مفيد، وذلك لأن الرسول الكريم قد سمعت منه القراءتان. إن هاتين القراءتين لهذه الكلمة تشيران إلى أن الاختلاط بين الصوتين كان قد عرف في تلك الحقبة المتقدمة من تاريخ العربية، وهي حقبة عصر القرآن. ثم إن ما عرفناه من أمر ما قيل من اختلاف القبائل في شيء من الألفاظ لابد أن كان

(١) تفسير الطبري ٣٠/٨١.

(٢) الكشاف (ط. الاستقامة ١٩٥٣) ٤/٥٧٠.

قد عرض لطائفة أخري كبيرة لم يصل إلينا من أمرها الكثير. إن هذا كله يعني أن الصوتين قد اختلطا، وذلك لصعوبة إخراج الضاد وعسره، وبسبب في ذلك انحرف هذا الاخراج شيئاً بعد شيء إلى مخرج الظاء.

أقول: وهكذا صار الضاد ظاءً مشالة في جميع بلاد العرب إلا مصر فإن المصريين ذهبوا بالضاد إلى دال مفخّمة وليس إلى الطاء كما يستفاد مما ذهب إليه الدكتور ابراهيم أنيس وإن لم يقطع بهذا مبيّناً قوله على نحو واضح.

إن الضاد وقد تحوّلت إلى الظاء في عصرنا أحدثت مشكلة تربوية للمتعلمين، والمعلم في المدرسة الابتدائية وغير المعلم في المدارس الثانوية والمعاهد العالية محتاج إلى أن يوضح هذا، وهو يملي كلامه مثلاً ويجيء فيه قوله: «تضافرت الجهود» إلى أن يقول: بالضاد أخت الصاد، وليست الضاد قريبة من الصاد إلا في الرسم، والفرق هو الإعجام والإهمال. ويقول في كلمة «الظفر» بالظاء أخت الطاء أيضاً.

هذا كله يدعوني إلى القول باستفهام فيه إيماء إلى إنكار قولتنا الشائعة وهي: «الناطقون بالضاد» فأين هؤلاء في عصرنا؟

وقد بدا لي أن أختم هذا الموجز بشيء كتبته منذ سنين وجدته مما يكمل ما أنا فيه.

أقول: لقد غبر عليّ زمان طويل أعالج فيه النحو القديم إفادة وتدريساً وتصنيفاً. وقد بدا لي وأنا في هذا الدأب القديم أن النحو صنعة قديمة قد تخرج كثيراً فيشرق لها وجه تأخذ ومن سماحة العربية وسعتها، غير أنه حبيس قوالب في الأعم الأغلب، وهو مصنوع موضوع. وكأنّ النحويّ لا يبالي بما هو موضوع، لأن هذا المفتعل الذي رُمّ بناؤه يفضي بالنحوي إلى القاعدة، وإلى ما يفتعله في صنعة[1].

والنحاة في هذا، سواء منهم المتقدم واللاحق المتأخر، وإن كان المتأخرون قد توسّعوا في

(١) ولنضرب لذلك مثلاً وهو ما ذهبوا إليه من «التوهّم» في بيت زهير:

بدا ليَ أنّي لستُ مدركَ ما مضَى ولا «سابـق» إذا كـان جـائيـا

وإيرادهم هذه الرواية بجرّ «سابق» على التوهم كما زعموا، أي أنه توهم معطوفاً على «مدرك» الذي من حقه الجرّ بإلياء الزائدة.

أقول: ورواية الديوان في صنعة تغلب وصنعة الأعلم: «ولا سابقاً» على الصحيح المأنوس البعيد عن هذا «التوهم» والتصوّر المفتعل، فأين علمهم هذا من السماحة والفصاحة؟ ومثل هذا كثير.

الصنعة وأحدثوا فيها ما ينأي عن الفصيح المأنوس، وكأنّي مع الإمام ابن حزم الأندلسي في «رسالة مراتب العلوم»[1] التي قال فيها: «واللغة هي ألفاظ يعبّر بها عن المعاني فيقتضي من علم النحو كل ما يتصرف في مخاطبات الناس وكتبهم المؤلفة، ويقتضي في اللغة المستعمل الكثير التصرف. وأقل ما يجزئ من النحو «كتابه الواضح» للزبيدي[2]، أو ما نحا نحوه «كالموجز» لابن السراج[3]، وما أشبه هذه الأوضاع الحقيقية، وأما التعمّق في علم النحو ففضول لا منفعة بها، بل هي مشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب والأهم. وإنما هي «تكاذيب» فما وجه الشغل بما هذه صفته؟

وأما الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط، فمن يزيد في هذا العلم إلي إحكام كتاب سيبويه فحسَن، إلا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضل، لأنه لا منفعة للتزيّد على المقدار الذي ذكرنا إلا لمن أراد أن يجعله معاشاً، فهذا وجه فاضل لأنه باب من العلم على كل حال».

وكأن في عبارة أبي عثمان الجاحظ في هذا الشأن إصابة للغرض دون النيل من النحويين الذين يعاشرهم ويعايشهم، فقد قال في إحدى رسائله: «وعويص النحو لا يجري في المعاملات، ولا يضطرّ إليه شيء، فمن الرأي أن يعمد به في حساب «العقد» دون حساب الهند....»[4].

أقول: لقد توسّع النحاة في أبوابهم، وقد أهملوا ما كان عليهم أن يباشروا الكلام عليه، وهو درس «أصوات العربية»، وعامة النحويين فدخلت مصنفاتهم في هذا الباب إلا ما كان من سيبويه في «الكتاب» إذ عقد باباً في «الإدغام»[5] تكلّم فيه على مخارج الحروف وأحيازها وعلى شيء من صفاتها، وفيه تضمين لأقوال الخليل مع إضافات كثيرة خالف فيها سيبويه

(١) رسالة مراتب العلوم في «رسائل ابن حزم الأندلسي» تحقيق إحسان عباس ص٦٦.

(٢) هو محمد بن الحسن، نحويّ الأندلس، صاحب «الطبقات» انظر: بغية الوعاة ٨٤/١.

(٣) هو محمد بن السري البغدادي، أخذ عن المبرّد، وتوفي سنة ٣١٦هـ، صاحب «أصول النحو»، انظر: كتب «طبقات النحويين» كافة.

(٤) رسائل الجاحظ (ط. الخانجي) ٣٨/٣.

(٥) الكتابة ٤٣١/٤.

أستاذه، وما كان من مشاركة ابن جني في كتابه «سرّ صناعة الإعراب»[1]. ولا ننسي «شرح المفصل» لابن يعيش، وفوائد صوتية نقف عليها في «تفسير» الفخر الرازي.

وعامة النحويين قد استغنوا عن هذا العلم، وكأنه ليس من النحو الذي شغلوا به[2].

والضاد يقتضينا أن نلحق به الظاء لأن كليهما صارا من المواد المشكلة منذ عصور متقدمة، ذلك أن الضاد قد ضيّعه المعربون فصار كالظاء سواء بسواء. إن الضاد والجيم والشين في حيّز واحد، وهذه الأحرف الثلاثة هي الحروف الشجرية[3] من الحروف المجهورة، وهي تسعة عشر حرفاً، وأما الظاء فقد روي الليث أن الخليل قال: الظاء حرف عربيّ خصّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم، وهو من الحروف المجهورة، والظاء والذال والثاء في حيّز واحد، وهي الحروف اللثوية لأن مبدأها اللّثة، والظاء حرف هجاء يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً[4].

وقد شُغل الأقدمون بالضاد فوصفه سيبويه في «الكتاب» وصفاً كان مادة من خلفه من أهل العربية، كما شُغل به المعاصرون ولاسيما المستشرقين الذين نظروا إلي الضاد العربية التي لا نظير لها في اللغات السامية غير العربية، عدا ما كان منها في النقوش إليمنية، وأثر قليل في بعض اللغات الأثيوبية كالجعزية مثلاً. وكأن هؤلاء الدارسين بنوا على وجود الضاد في العربية وبعض لغات جنوبي بلاد العرب وجودها في السامية القديمة الأم[5]، وهذا محض افتراض

(١) سر صناعة الإعراب (ط. دار القلم بدمشق).

(٢) جاء في معجم الأدباء ١٩٥/٥: «حضر مجلس الكسائي أعرابيّ، وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون ففارقهم وأنشأ يقول:

مازال أخذهم في النحو يعجبني ... حتي تعاطوا كلام الزنج والروم
بمفعل فعلٍ لا طاب من كلم ... كأنه زجل الغربان والبوم

(٣) لسان العرب (الضاد). وانظر: سرّ صناعة الإعراب ٢١٣/١-٢١٥.

(٤) المصدر السابق (الظاء)، وانظر: سر صناعة الإعراب ٢٢٧/١-٢٢٨، وفيه أن الظاء لا توجد في كلام النبط، فإذا وقعت فيه قلبوها طاءً، ولهذا قالوا: «البرطلّه»، وإنما هو «ابن الظلّ»، وقالوا: ناطور، وإنما هو ناظور.

(٥) C. Brockelmann, Semitische Sprachwissenshaft (Leipzig1906) P. 5t; W. I. eslau, The semitic phonetic system, in. Kaiser (ed). Manual of phonetic (Amesterdam 1959).

J. Cantineau, Le Consonnutisme du semitique. Etudes de Linguistique Arabe (Paris 1962) pp. 240-5.

S. Mosati, An introduction to the comparative Grammar al semitic languages Wiesbaden 1967 p. 27.

ذلك أنهم افترضوا أن العربية قد ورثت الضاد من السامية الأم، وأن في تلك الضاد شيئاً من صفات الظاء اللثوية، وكأنهم أخذوا هذا من ضياع صوت الضاد في العربية المعاصرة.

أقول: لعل ضياع «صوت الضاد الشجرية» كان قديماً، وأن نطق الضاد كما رسمه الخليل وسيبويه هو أوّل حافة اللسان وما يليه من الأضراس[١]. ويجوز نطقها من الجانب الأيمن أو من الجانب الأيسر، إلا أنّ نطقها من الجانب الأيمن أصح، وهذا يثبت أن الضاد صوت الخرافي. ومن جهة أخرى أنهم نعتوا الضاد بأنه حرف رخو مطبَق، وبأنه ليس له مقابل منفتح[٢]. وقد أضافوا إلى هذا الحرف صفة «الاستطالة» بسبب استطالة مخرجه[٣].

وزاد ج كانتنو[٤] فقال: إن هذا التجديد ليس كافياً تمام الكفاية إذ يجوز معه التردّد في نطق هذا الحرف بين دالٍ مفخمة ذات زائدة لامية وبين الظاء ذات الزائدة الانحرافية، وبين الزاي المفخّمة ذات الزائدة الانحرافية: إلا أن اتجاه تطور هذه الأحرف لا يترك لك أي شكّ في هذا الصدد، فالنطق القديم كان «ظْ لْ» أي ظاء ذات زائدة الخرافية، أي بتقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء، وبأن يجرى النفَس لا من طرف اللسان فقط بل من جانبيه أيضاً[٥].

أقول: كأن النطق العسير لصوت الضاد أعان على انحرافها وتغييرها، ومن هنا كانت الضاد الضعيفة عند سيبويه.

جاء في «الكتاب»[٦]: وتكون (أي الحروف) اثنين وأربعين حرفاً «بحروف» غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة مَن ترتضَي عربيته، ولا تستحسن في قرآءة القرآن ولا في الشعر، وهي: الكاف بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء.

---

(١) الكتاب (ط باريس ص ٥٤٣)، شرح المفصل ١٠/١٢٤-١٢٥.
(٢) الكتاب ٢/٤٥٤-٤٥٥.
(٣) النحو العربي لـ هوول Howell ٤/١٧٠٧-١٠٧٩.
(٤) دروس في علم أصوات العربية ص ٧٥-٧٦ (ترجمة صالح القرمادي). وينظر حاشية المؤلف التي أشار فيها إلي آراء أهل اللغة من المستشرقين.
(٥) الكتابة (طبعة هارون) ٤/٤٣٢.
(٦) المصدر السابق.

وعلى هذا يكون مصطلح سيبويه وهو «الضاد الضعيفة» هو بداية الانحراف نحو الظاء، ويدلّنا على هذا ما ورد في «شرح السيرافي»[1].

ولنعرض لقول الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد»، وفي رواية أخري: «أنا أفصح العرب بيدَ.....»[2].

أقول: والحديث يلمح إلي أن نطق الضاد عسير، وأنه ليس في طوق عامّة العرب. وإني لأستظهر على هذا الفهم بالرجوع إلى معني «بيدَ» وهو «غير»[3]، وعلى هذا يكون الوجه في الحديث: أني أفصح الذين نطقوا بالضاد غير أنّي من قريش. وهذا يعني أن لغة قريش لم تدرك غاية الفصاحة. وإني لأذهب إلى هذا أخذاً بمعني «بيد» التي لايمكن أن تذهب إلى شيء آخر، وهو الذي نصّ عليه الكسائي وغيره.

أمّا قوله: وقيل إن معناها في الحديث «على أنهم» فيشبه ما تأوّله علماء العربية الأقدمون والمعاصرون في الحديث الأول وهو أن معناها «لأنّي».

أقول: إن الذي ذهب إلى هذا الـمعني ممتحن بإيمانه من أن لغة قريش أفصح اللغات لأن الـمأثور عن الفرّاء قوله:

كانت العرب تحضر الموسم في كل عام، وتحجّ البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات للعرب فما استحسنوا من لغاتهم تكلّموا به فصارت لغتهم أفصح لغات العرب، وخلت من مستبشع اللغات ومستنقبح الألفاظ كالكشكشة والكسكسة[4].

أقول: إن هذا النظر إلى لغة قريش واستحسانهم لما أدركوا متأتّ من أن قريشاً قبيلة الرسول الكريم، ومن هنا كان إعظامهم لقريش وللغتهم. وقد يكون هذا واضحاً في قول ابن فارس:

---

(١) في «شرح السيرافي» أن هذه الضاد كانت تنطق كالظاء أو بين الضاد والظاء، وأقل من ذلك إبدال الضاد لاماً في نحو ما ذكروه من قول الشاعر منذور بن حيّة الأسدي في شطر:

مالَ إلى أرطاة حقف فالطَجَعْ

أي: فاضطجع، وانظر: شرح المفصل ١٠/٤٥-٤٦.

(٢) لسان العرب (بيد).

(٣) قال الكسائي: في الحديثين الشريفين قوله: «بيد» معناه «غير»، وقيل: «على أنهم» وهذا في الحديث الثاني.

(٤) الـمزهر ١/٢٢١.

«وأخبرني أبو الحسن أحمد بن سعيد مولي بني هاشم بقزوين، قال: حدّثنا ابو الحسن محمد بن عباس الحشكي، قال: حدثنا اسماعيل بن أبي عبيد الله قال: حدّثنا إسماعيل بن أبي عبيد الله قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالسهم أنّ قريشاً أفصح ألسنة وأسناهم لغةً، وذلك أن الله تعالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمداً»[1].

وقال ثعلب في «أماليه»: «ارتفعت قريش إلى الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجّع قيس»[2].

إن استحسانهم لقريش ولغتها جعلهم يذهبون إلى أن هذه اللغة نزل بها القرآن، وحقيقة العلم أن لغة التنزيل قد اشتملت على لغات القبائل المختلفة.

أقول: إن استحسانهم هذه اللغة الخاصة دفعهم إلى أن يفسروا «بيد» في الحديث الأول بمعني «لأن». وعندي أن لغة قريش لا يمكن أن تكون أفصح اللغات، ذلك أن قريشاً تقصدها جمهرة القبائل من كل مكان للحج والميرة، ومن العلم أن البلاد التي يلتقي فيها جمهور من الخلق لابد أن ينال الضيم لغتها، والدليل على هذا ما هو واقع في عصرنا، فلغة الحواضر الكبيرة لا يمكن أن تحتفظ بصفائها ونقائها. وهذا الفهم يفرض علينا أن نقول: إن «بيد» في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنّي من قريش» يكون معناها «غير».

ولو صحت رواية الحديث المتقدم وهي: «أنا أفصح من نطق بالضاد...» لكانت إخباراً منه ـ صلي الله عليه وسلم ـ بعسر نطق الضاد الذي رأيناه قد تحوّل إلى «الضاد الضعيفة» التي أشار إليها سيبويه.

وزاد هذا التحول وأشكل أمره حتي وجد أهل العلم أن المسألة تقتضي حصر الألفاظ التي يكون الضاد من أحرفها، وحصر الألفاظ التي يكون الظاء من أحرفها[3].

(١) الصاحبي (باب القول في أفصح العرب).

(٢) المزهر ٢٢١/١. أقول: ينبغي ألا يعول الباحث في عصرنا على أقوال المتقدمين كثيراً، ذلك أننا غالباً ما نجد فيها اضطراباً وتناقضاً. ومن هذا ما ورد في قول ثعلب هذا من أن لغة قريش ارتفعت عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء..... نقرأ هذا ثم نقرأ غيره مما أثر عن أبي عمرو بن العلاء وهو قوله: «أفصح العرب عليا هوازن وسفلي ثميم. الصاحبي ص٤١، فكيف نقول؟

(٣) لقد دلت الإشارات إلي ضياع الضاد في عصور العربية المتقدّمة. وقد اهتدي أهل الصنعة إلي هذه الفوائد التأريخية.

وقد رأينا بداية هذا الجهد اللغوي في القرن الرابع الهجري فراح نفر من اللغويين يستقري الألفاظ التي يكون الضاد من أبنيتها، وكذلك الألفاظ التي يكون فيها الظاء. ومن هذا كانت هذه المصنفات تشتمل على الطائفة الأولى من الألفاظ كما تشتمل على الطائفة الثانية.

على أننا لا نعدم أن نجد شيئاً من ذلك الدأب اللغوي قد اشتمل على دراسة المسألة الصوتية وكيف اختلط الصوتان فنجمت المشكلة.

وكنت قد شغلت بالضاد والظاء وما ورد فيه من كتب منذ أكثر من ربع قرن فكان لي من ذلك طائفة من المصنفات التي اضطلع بها السابقون على تراخي العصور.

إن مشكلة الضاد والظاء من المشكلات اللغوية في عصرنا، ولم تنل من عناية الدارسين قدراً كبيراً، وقد حذا المعاصرون حذو الأقدمين فأعادوا شيئاً من المصنفات لا تختلف كثيراً عما ورثنا من ذلك[1].

قلت: إن معرفة الضاد والظاء وتمييز الكلمة إن كان فيها ضاد أو ظاء لا يمكن أن يعرفه جمهرة المعربين إلا في المشهور من الكلم المتداول في الاستعمال. ولي أن أقول: ان الصوتين قد دخل أحدهما في الآخر.

ولي أن أثبت أن المشكلة قديمة والدليل على هذا أننا نجد من الكلم ما هو بالضاد، كما نجد من الكلم ما هو بالظاء، والدلالة متقاربة بين هذا وذاك، وهذا دليل على ان الاختلاط قديم حتي دخل ما هو بالضاد فيما هو بالظاء.

ومن هذا: «الضَلَع» وهو الاعوجاج خلقة يكون في المشي من الميل، قال محمد بن عبد الله الأزدي:

وقد يحمل السيف المجرّب ربّه على ضَلَع في متنه وهو قاطع

وقد يقرب من هذا «الظَلْع» بالظاء، وظَلَع الرجل والدابّة في مشيه يظلَع بمعني عَرِج وغَمَزَ في مشيه، قال كثير:

وكنت كذات الظلْع لما تحاملت على ظلْعها يوم العثار استفلّت[2]

(١) أقول: لعل المصريين في عصرنا ينفردون بين العرب في التفريق بين الصوتين، ولكن تمييزهم بينهما كما هو معلوم مسموع لا يعطي الضاد الفصيحة حقها الذي نص عليه أهل العربية. إنهم جعلوها دالاً مفخّمة كما جعلوا الظاء زاياً مفخمة. وهذا كله بعيد عن الأصل.

(٢) انظر: ضلع وظلع في «لسان العرب».

فأنت تري أن الفرق يسير بين الدلالتين، بل إن التقارب واضح.

وفي هذا مادة «مظظ» وفيها «المماظّة»، قال أبو عبيد: هي المخاصمة والمشاقّة والمُشارّة، وشدّة المنازعة مع طول اللزوم.

وقال أبو عمرو: وفيه «مُظاظة أي شدة خَلْق»[1].

أقول: من غير شك أن هناك فرقاً في الدلالة بين المادتين، ولكنك تلمح فيهما خيطاً ينتظمهما، وهو يتمثّل في الشدّة التي نلمحها في أشتات هذه المعاني. ومثل هذا موادّ أخرى.

خاتمـــة:

هذه نبذة يسيرة في صوت الضاد في العربية وما عرض له على تراخى العصور.

ثم لي أن أتساءل: هل لنا أن نقول: إننا أمّة الضاد!!

أقول وأنا أنهي هذا الـموجز في شيء من تاريخ العربية: إن هذا الدرس شاق، فكان لي منه أن عرضت لشيء من السيرة اللغوية التي بدأت في الفصيحة ما قيل الإسلام وفي العصور الأولي بعد البعثة النبوية.

وكان من هذا فشوّ «اللحن» وظهور مظاهر الضعف اللغوي الأخري، ودخول الغريب الدخيل في ملاك العربية ثم نشأة المعرّب.

وانتهيت إلى ملامح من العربية الـمعاصرة التي تجسدت في الـمصطلح الجديد، ثم شيوع ما نُسب إلي الخطأ، وكيف كان للمعاصرين في دأبهم.

---

(١) لسان العرب: مضض، مظظ.

في النحو العربي

ملخص

هذه مقالة تحاول التأصيل لمصطلح (النحو) العربي ولغيره من المصطلحات المرادفة، وتحاول التأريخ لبدء الأنظار النحوية ولبدايات التأليف في النحو، كما تحاول تصور العوامل التى حملت كل ذلك، وتعمل هذه المقالة كذلك على مناقشة ما قيل في كل هذا، وعلى الخروج بنتائج يطمئن اليها الفكر والنفس؛ كما تعمل على مناقشة النظريات القائلة بتأثر النحو العربي بالنحو اليوناني بفضل جهود السريان، أو عدم تأثره، وتتضمن هذه المقالة أخيراً مناقشة لأصلين من أصول النحو العربي، هما (القياس) و(السماع).

فهرس تفصيلي بمواد البحث:

دلالة «النحو» لفظاً واصطلاحاً.

نشأة «النحو».

أصول «النحو»: استقراء العربية (السماع والقياس).

مواد «النحو التاريخي».

المذاهب النحوية (النحاة الأوائل، البصريون والكوفيون).

النحو لدى المتأخرين.

النحو في الدرس اللغوي في عصرنا.

أقول: إن أول رؤية للنحو في الدرس التاريخي ما كان مما قيل في «وضع النحو» فقد ذكر أبو البركات الأنباري كما ذكر غيره ممن تقدمه أو خلفه: أن سبب وضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لهذا العلم ما روي أبو الأسود الدؤلي، قال:

دخلت على أمير المؤمنين فوجدت في يده «رقعة[1]»، فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين، فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسر بمخالطة هذه «الحمراء» يعني الأعاجم، فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقي إليّ «الرقعة» وفيها مكتوب: «الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّي، والفعل ما أُنبيء به، والحرف ما جاء لمعني....[2]».

ثم قال (أي أبو الأسود): وضعت بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب (إنّ واخواتها) ما خلا (لكن)، فلما عرضتها علي علي ـ رضي الله عنه ـ أمرني بضم «لكن» إليها وكنت كلما وضعت شيئاً من أبواب «النحو» عرضته عليه (ر) إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال: «ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت» فلذلك سُمّي «النحو»[3].

أقول: ومن هنا بدأت كلمة النحو تأخذ معناها الاصطلاحي.

إن دلالة «النحو» في العربية تشير إلي «الطريق» الذي ينحوه السالك، أي يسلكه وكأن هذا آت من المعني الأول، وهو المصدر للفعل «نحا» وانصراف المصادر في العربية إلى الأسماء كثير، ألا ترى أن «العِلم» ودلالته معروفة في «اسميته» قد جاء من «الحَدَث» الذى هو المصدر.

وهكذا أخذ «النحو» طريقه إلي المصطلح في القرون الثلاثة الهجرية، حتي إذا جاء القرن الرابع شاع وعُرف فنجد أبا الحسين أحمد بن فارس المتوفي سنة ٣٩٥هـ يقول في «المجمل»: «والنحو نحو الكلام، وهو قصد القائل لأصول العرب ليتكلم بمثل ما تكلموا به»[4].

وقد شارك مصطلح «النحو» هذا مصطلح آخر في الحقبة المتقدمة من تاريخ النحو وهو مصطلح «العربية».

جاء في ترجمة نصر بن عاصم الليثي: أنه كان فقيهاً عالماً «بالعربية» فصيحاً[5]، أقول: ونصر بن عاصم من النحويين الأوائل، مات بالبصرة سنة تسعين في أيام الوليد. وقيل ٨٩هـ.

وكذلك جاء في ترجمة أبي داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: «... أنه كان أحد القرّاء عالماً بالعربية....»[6].

وقال أبو البركات الأنباري في مقدمة «الإنصاف» إن كتابي هذا «أول كتاب صنف في علم العربية»[٧].

أقول: وأبو البركات من رجال القرن السادس (توفي سنة ٥٧٠هـ) وهو من النحاة المعروفين في عصره.

على أننا نجد الأندلسيين والمغاربة قد استعملوا «العربية» مصطلحاً لما هو «نحو» فقد وجدنا لدى الزبيدي في «طبقات النحويين» وهو أندلسي «العربية» بمعني النحو إلى جوار «اللغة» التي أراد بها الألفاظ اللغوية، قال الزبيدي في تراجمه: لقد جاء في ترجمة ابن الأغبس التجيبي: أنه كان عالماً، قد أتقن كل ما قاله فيه قائل من جهة التغيير و«العربية»[٨].

وجاء في ترجمة أحمد بن عبد الكريم: كان له حظ من علم «العربية» والشعر[٩].

وجاء في ترجمة مذحج المؤدب: كان له حظ صالح «بالعربية»[١٠].

وجاء في ترجمة أبي وهب بن عبد الرؤوف: أنه كان بصيراً «بالعربية»[١١].

وجاء في ترجمة «القلفاط»: أنه كان بارعاً في علم «العربية»[١٢].

قلتُ: إن «مصطلح العربية» قد ورد مع مصطلح آخر هو «اللغة» مراداً بالأول «النحو»، وبالثاني «ألفاظ اللغة»، وهذا نجده في تراجم هذا الكتاب من الأندلسيين كما في ترجمة «الشمر بن نمير» التي جاء فيها: من أهل العربية واللغة[١٣].

وفي ترجمة «ابن أرقم» التي جاء فيها: من أهل العلم بالعربية واللغة[١٤]، علي أن فشو مصطلح «العربية» في تراجم الأندلسيين التي اجتزأنا بشيء منها، يقابله ورود هذا المصطلح قليلاً في تراجم المشارقة الأوائل كما بيّنا، ثم شاع مصطلح «النحو» لدي هؤلاء كما ورد في كتاب «الحجة في القراءات السبع» لابن خالويه، وهو قوله «أهل صناعة النحو»[١٥].

وإذا كان مصطلح «العربية» مراداً به النحو فاشياً في تراجم «طبقات النحويين» للزبيدي، فقد ورد فيه مصطلح النحو قليلاً كما في ترجمة ابن الوزان النحوي التي جاء فيها: وانتهي من علم النحو في حداثته[١٦].

وقد أشرت في شيء من الكلام علي مصطلح «النحو» إلي بعض ما ذُكر في سبب وضع النحو، وأشرت هنا إلى استكمال ما قد بدأته فأقول: لقد أشرنا إلى ما كان من أبي الأسود

الدؤلي وحكاية أخذه أصول النحو ومبادئه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد جاء في تمام هذا الخبر قول الإمام علي لأبي الأسود بعد بيان حقيقة «أن الكلام اسم وفعل وحرف» : «انحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضد، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم»[١٧].

تعليق:

أقول: أنكر الدارسون في عصرنا أن يكون قد وقع شيء من هذا. وكان إنكارهم قائماً على استبعاد وجود هذه الألفاظ بمصطلحاتها التي ذكرت في عصر الإمام عليّ، وأن هذه لم يكن لها حضور في الدرس اللغوي في أوائل القرن الثاني للهجرة.

ولقد استفاض القول في وضع الإمام علي للنحو فذكر في عامة المصادر اللغوية[١٨]، علي أن شيئاً آخر قد أشار إلى رواية أخرى وهي ما رواه عاصم بن أبي النجود[١٩]، فقال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلي زياد، وهو أمير البصرة، فقال: إني أري العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعلْ، قال: فجاء رجل إلى زياد، فقال: أصلح الله الأمير، تُوفي أبانا وترك بنون. فقال له زياد: تُوفي أبانا وترك بنون!! ادعُ لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للناس ما كنت نهيتك عنه[٢٠].

أقول: ليس لنا أن نؤثر هذا الخبر علي الخبر الأول في أولية وضع النحو، ولكننا نذهب إلى أن أواخر القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثاني قد شهدت مولد النحو، ثم أفاضت مصادرنا في عزو سبب وضع النحو وأجمعت على أن النحو قد وصلوا إليه بسبب ما كان من شيوع «اللحن».

وكان من هذا ما ورد من قول الرجال لزياد: «توفي أبانا وترك بنون». وذكروا من هذا أشياء أخري لابد أن نأتي على شيء منها للفائدة فنقول:

إن هذه الأخبار على كثرتها مختلفة مضطربة، واختلافها واضطرابها لا يهديان الدارس إلى شيء من الثقة، وها أنا أبسط طرفاً منها فأقول:

قال الأنباري: وروي أن سبب وضع عليّ ـ رضي الله عنه ـ لهذا العلم أنه سمع أعرابياً يقرأ: «لا يأكلهُ إلا الخاطئين»[٢١]، فوضع النحو.

ومن هذه الروايات: أن أعرابياً قدم في خلافة عمر بن الخطاب فقال: من يُقرؤني شيئاً مما أنزل الله علي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: «إن الله بريء من المشركين ورسوله (بالجر)، فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال له: يا أعرابي تبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة، لأعلم بالقرآن فسألت: من يقرؤني، فأقرأني هذا سورة براءة فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله». فقلت: أو قد برئ الله تعالى من رسوله؟ إن يكن الله تعالى قد برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه[٢٢].

فصحح عمر القراءة للأعرابي وقال: لا يقرأ القرآن إلا عالم باللغة[٢٣]، ونجد في ذيل هذا الخبر: أن عمر أمر أبا الأسود أن يضع النحو.

أقول: وهذا كله يوضح ما ذهبنا إليه من اضطراب هذه القضية فبينما هي قد نسبت إلى علي بن أبي طالب إذا هي منسوبة إلى عمر بن الخطاب، كما نسبت إلي زياد بن أبيه.

وجملة هذا كله لا يمنح الباحث حظاً من الثقة فيعتمد على شيء منه، غير أني أقول: لابد أن يكون للحن أثر في هذه المسألة التاريخية، فقد كان شيوعه عاملاً حفز أهل العلم للمضي في هذا السبيل. على أني لا أجعل هذا السبب الوحيد الذي دعا إلى وضع النحو، وذلك لأن التطور العلمي الذي بدأ منتصف القرن الثاني الهجري واشتد في القرن الثالث، مع اتساع المعارف الجديدة كان كل ذلك داعيا إلى وضع شيء من «قوانين العربية». وقد يكون هذا بسبب ما رأوا لدى أهل البلاد المفتوحة من نظائر هذا.

أقول: لقد اختلف الدارسون في مسألة أصالة علم النحو في العربية فمنهم من ذهب إلى أنه من صنع العرب أنفسهم، وأنهم لم يقلدوا فيه، أو قل حاكوا اليونانيين فنسجوا على منوالهم وقلدوهم.

في حين هرع آخرون من عرب وأجانب إلى القول بأن النحو العربي قد أخذ العرب مادته وأصوله ومصطلحاته من اليونان.

لقد ذهب إبراهيم أنيس إلى هذا فقال: «ولعلهم (كذا) تأثروا بما رأوه حولهم من لغات كاليونانية ففيها يفرق بين حالات الأسماء التي تسمي Casses ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة»[٢٤].

أقول: ذكر الدكتور إبراهيم أنيس هذا دون علم منه أن اللغات السامية الأولى عرفت ما تدعوه «الأعراب» ومنه ما عرف في اللغة الأكدية القديمة التي سبقت التراث الإغريقي.

وقد كتب الدكتور إبراهيم مدكور مقالة في هذا وذهب إلى أن أقسام الكلمة في العربية قد حاكى فيها العرب ما عند اليونان من اسم وفعل وأداة أسموها «رابطة»[٢٥].

وكذلك قال الدكتور إبراهيم سلامة أيضاً[٢٦]:

وكأن الدكتور مدكور قد بسط هذا في مقالته التي أشرنا إليها وهي «منطق أرسطو والنحو العربي» التي جاء فيها:

١ـ اعتبار القياس أصلاً من أصول النحو وتحديده، ووضعه علي نحو ما حدد القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم سيبويه إلى اسم وفعل وحرف، وما جاء من تقسيمها عند أرسطو إلي اسم وفعل وأداة.

٢ـ ظهور النحو السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من النحاة العرب الأولين، ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو... ثم تلمذة بعض السريان للخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر في نقل علوم اليونان[٢٧].

أقول: وقد قرر الدكتور مدكور أن حنيناً قد عاصر الخليل وسيبويه، وليس الدكتور مدكور أول من ذهب إلى هذا فقد ذهب إلى مثله قدماء ومحدثون.

ومن القدامي ممن ذهب إلى هذا ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»[٢٨]، وأخذ بهذا القفطي[٢٩] في «إخبار العلماء بأخبار الحكماء».

وكأني أميل إلى أن جمهرة المحدثين من عرب وغيرهم لم يقفوا علي ما ذكره ابن أبي أصيبعة، وعندي أن قضية أخذ العرب عن اليونان في النحو مسألة ظنية أبعد ما تكون عن اليقين، والعرب الباحثون وغيرهم من الأجانب سواء.

وها أنا أعرض لهؤلاء وأبدأ بالعرب ممن لم يشيروا إلى أن المسألة قد اطمأنوا إليها وقام الدليل عليها.

ومن هؤلاء جرجي زيدان في كلامه على النحو العربي جاء فيه: «أن النحو اليوناني له تاريخ يشبه تاريخ النحو العربي»[٣٠].

أقول: هل لنا أن نفيد علماً من هذه العبارة غير الواضحة؟

وكأن جرجي زيدان اكتفي بهذه الإشارة التي تقرب من الإثبات لافتقاره إلى الدليل، وقد تبعه في هذه الإشارة جماعة آخرون ومنهم إبراهيم مصطفي الذي قال في معرض كلامه على وضع النحو وما كان فيه للخليل بن أحمد فقال: «وقد اتخذ ذلك عن اليونانية، وكان قد قرأها»[٣١].

أقول: أما عن معرفة الخليل لليونانية فليس ما يؤكد هذا، وهو لا يعدو أن يكون من أهل الحماسة من أصحاب التراجم الذين ابتدعوه مما عُرف عن ذكاء الخليل وسعة معارفه. وجاء في أخرة من هذا الأمر مازن المبارك فقال: «إن العصر الذي نشطت فيه الحركة النحوية ودُوِّنت فيه كتب النحو كان متأثراً بما نشط فيه من علوم الدين وحديث وفقه وعلوم العقل من جدل وكلام»[٣٢].

وكأن الأستاذ المبارك يلتقي مع إبراهيم سلامة في قوله: «ظهر الجدل وظهرت المعتزلة وهم أهل الرد وخصومه فاتصلوا بالمنطق وبالجدل...»[٣٣].

وللأستاذ أحمد أمين كلامه في كتابه «فجر الإسلام» و«ضحي الإسلام» فقد قال في الأول: «إن الثقافة اليونانية كانت منتشرة في العراق»[٣٤].

وكان أوسع في كلامه في المصدر الثاني إذ قال: «ومما زاد في أثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب تدوين العلوم العربية، وتسربت اليها صبغة خاصة كان لها تأثير كبير في الشكل والموضوع»، أما الشكل فيرجع إلى تأثير المنطق اليوناني، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة في قالبه، ووضعت على منهاجه»[٣٥].

ولأحمد أمين قول آخر جاء في المصدر نفسه (ضحي الإسلام ٢٩٣/٢) قال فيه[٣٦]:

«والذي يظهر أن تأثير اليونان والسريان في العصر الأول لوضع النحو كان تأثيراً ضعيفاً، وربما كان أكبر الأثر أثراً غير مباشر كاستخدام آلة القياس والتوسع بواسطتها في وضع القواعد النحوية، فلما نقلت الفلسفة اليونانية، واشتغل بها المتكلمون أولاً والفلاسفة ثانياً وعرفوا المنطق وما إليه، تأثر النحو بذلك في قواعده وعلله حتي قالوا ـ مثلاً ـ إن أبا الحسن الرماني الذي

عاش من سنة ٢٩٦-٣٨٤ كان متفنناً في علوم النحو واللغة والفقه والكلام على مذهب المعتزلة، وكان يمزج كلامه بالمنطق...» حتي قال أبو علي الفارسي: «إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان النحو ما تقوله فليس معه منه»[٣٧].

وقد يكون من المفيد أن نعرض لآراء من ذهب إلى وجود هذا الأثر الإغريقي في النحو وقرر ذلك على أنه حقيقة علمية، وقد أشار الي هذا «أنوليتمان» المستشرق الألماني في «محاضراته» في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول[٣٨]، وقد بسط الأمر لدى الباحثين من المستشرقين جاء فيها:

«اختلف العلماء الأوروبيون في أصل هذا العلم، فمنهم من قال: إنه نقل من اليونان إلى بلاد العرب». وقال آخرون: ليس كذلك، وإنما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب، وهذا هو الذي روي في كتب العرب من زمن، ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً، ونقول ما أثبته عالم اسمه Joseph Le Blanc، وهو أنه أبدع العرب علم النحو في الابتداء، وأنه لا يوجد في «كتاب» سيبويه إلا ما اخترعه هو والذين تقدموه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو، وهو النحو الذي كتبه أرسطوطاليس الفيلسوف، وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف. قال سيبويه: الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعني ليس باسم ولا فعل، وهذا تقسيم أصلي، وأما الفلسفة فيقسم فيها الكلام إلى اسم وكلمة ورباط، أي أن الاسم هو الاسم، والكلمة هي الفعل، كما يقال له في اللغات الأوروبية Verb، والرباط هو الحرف كما يقال له في اللغات الأوروبية Conjunction أي ارتباط، وهذه الكلمات ترجمت من اليوناني إلى السرياني، ومن السرياني إلى العربي، فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت ولا نقلت[٣٩].

أقول: إن ما جاء به هذا المستشرق الألماني هو بسط لآراء المثبتين للأخذ أو النقل وردّ عليه، أما من ذهب إلى حقيقة الأخذ فقد ذكرنا منهم من العرب الأساتذة إبراهيم مدكور وإبراهيم أنيس وإبراهيم سلامة، ولابد أن نضيف اليهم بعض الأعاجم من مستشرقين وغيرهم فنقول:

قال بروكلمان المستشرق الألماني المعروف عند كلامه على الخليل: «ويبدو حقاً أنه ابتكر شكل الحروف وعلامات القراءة، استناداً إلى نماذج سريانية»[٤٠].

أقول: ولم يشر إلى أقسام الكلام لدي سيبويه وإلى كونه مأخوذاً من تقسيم الكلمة لدى أرسطوطاليس.

وقال «ديبور»: وقد أثّر منطق أرسطو في علوم اللسان التي لم يكن شأنها جمع الشواهد والمترادفات ونحوها لأن هذه تتقيد بالموضوعات التي تعالجها[٤١].

أقول: كأن الدارسين العرب الذين أشرنا إليهم قبل أسطر ذهبوا في هذا الخصوص إلي أبعد مما ذهب إليه الأعاجم من المستشرقين وغيرهم.

وممن قال بالإثبات أيضاً الأب إسحاق ساكا فقد ذكر: إن نظام تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف في العربية هو نفس التقسيم الكلامي في اللغة اليونانية، وهذا التقسيم هو يوناني الوضع قائم علي المنطق[٤٢].

وقد أنكر نفر من الباحثين العرب وجود الأخذ لدي العرب مما ورد من تقسيم الكلمة لدي أرسطو، ومن هؤلاء مهدي المخزومي في كتابه «الخليل بن أحمد...»[٤٣]، كما أنكر ذلك عبد الرحمن السيد في كتابه «مدرسة البصرة»[٤٤].

أقول: ولنا أن نرد على من ذهب إلى أن الخليل عاصر حنين بن اسحاق السرياني، وأن هذا الأخير قد تلمذ له بأمر واحد هو أن «حنيناً» هذا لم يدرك الخليل، فقد توفي الخليل سنة ١٧٠هـ، ولما يولد حنين.

ولي في آخر هذه الجولة أن آتي على بحث مفيد قطع فيه صاحبه القول، وأثبت أن «النحو العربي أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول»[٤٥].

إنه المستشرق الفرنسي المعاصر «جيرار تروبو» أستاذ اللغة العربية في جامعة السوربون وقد جاء فيه عرض واف لآراء المستشرقين الغربيين الذين أقروا وجود الأخذ لدى العرب من اليونان، وهؤلاء هم: المستشرق الألمانيMerx، الذي نشر كتاباً في نهاية القرن التاسع عشر بعنوان «تاريخ صناعة النحو عند السريان»، زعم فيه أول مرة أن المنطق اليوناني أثر في النحو العربى.

ثم تبع هذا معظم من خلفه من المستشرقين ومنهم المستشرق الفرنسي Fleisch، والمستشرق الإنجليزي Carter، والمستشرق الألماني Versteegh.

ولنعرض الآن لما يتصل بـ «أصول النحو» فنقول: بحث اللغويون الأوائل في «أصول النحو» فكان لهم في ذلك شذرات وفصول وأبواب. وقد وصل إلينا شيء من هذا كله مما نجده أو قل نعثر عليه أحياناً في مصادر النحو واللغة.

ومن هذا رسالتان موجزتان لأبي البركات الكمال الأنباري وسُمت إحداهما بـ «لُمع الأدلة» كما وُسمت الأخرى بـ «جَدَل الإعراب»[٤٦]، وقد نشرهما في كتاب واحد الأستاذ سعيد الأفغاني في دمشق منذ أكثر من ربع قرن.

وقد اهتم الدارسون في عصرنا بهذه «الأصول» وحرروا فيها كتباً ودراسات كان منها شيء تقدم به أصحابه لنيل الدرجات العلمية، على أن ذلك كتباً تعليمية للطلاب، وكان من هذه «أصول النحو العربي» لسعيد الأفغاني.

وقد اعتمد الأستاذ الأفغاني علي كتاب «الاقتراح» للسيوطي، وهو بالأحري كتيِّب لطيف[٤٧] عرض فيه السيوطي «للأصول» وقد أتي السيوطي في هذه الرسالة على كثير مما ورد في «لمع الأدلة» للأنباري ومما جاء في «جَدَل الإعراب».

غير أن السيوطي في هذا الأخذ أو قل في هذا السلخ قد أخفى ما اعتمد عليه من صنعة الأنباري، وذهبت به حماسته إلى القول بنسبة هذه الصنعة الجديدة إلى نفسه، وكأنه خشي أن يدرك ما أقدم عليه فقال بعد أن أشار إلى أنه لم يسبق في هذا الفن: غير أني وجدت للكمال الأنباري رسالة موجزة فيه وسمت بـ «لمع الأدلة»، أقول: لم يُشر الأستاذ الأفغاني إلى مبلغ أخذ السيوطي في «الاقتراح» من كتاب الأنباري، إلا أن إشارة صاحب الاقتراح دفعته إلى أن يبحث عن أصول كتاب الأنباري فينشره كما بينا.

ثم جاء بأخرة أحد الباحثين المجتهدين، من طلاب الأستاذ الأفغاني وهو الدكتور محمد خير الحلوائي، فوضع كتاباً في «أصول النحو العربي»[٤٨]، يتصل في خدمة طلاب الدرس في الجامعات عرض في مقدمته للجهود التي بذلت في هذا الباب فذكر كتاب الأفغاني وكتاباً آخر لحنا ترزي وهو «أصول اللغة والنحو» ووصفه بأنه مواد خصت للطلاب.

غير أنه أطال الكلام على كتاب «أصول النحو العربي» للدكتور محمد عيد وردَّ عليه ما كان من حماسته في الاحتفال بنظريات علم اللغة الحديث، وما كان من هجومه على منهج

النحاة العرب وما كان من تأثرهم بـ «المنطق» الذي أفسد عليهم الفهم الصحيح للمشكلة اللغوية.

أقول: ونستطيع أن نجمل أصول النحو في بابين كبيرين هما: السماع والقياس.

ونبدأ بـ «السماع»، ولابد أن نعرف ما أريد به لدي النحاة الأقدمين.

أقول: هو المسموع الكثير مما قيل من العربية، ويخص بهذا المقول ما قاله الفصحاء من أهل العربية من الأعراب وغيرهم، ومما دوّنه أهل العلم من النصوص الفصيحة شعراً ونثراً.

على أن لغة القرآن هي في المقدمة التي وقف عندها أهل السماع وأفادوا منها. ومن هنا كان على هؤلاء أن يستقروا الكلام الفصيح استقراءً وافياً مع نظر ثاقب وفكر متأمل ليصلوا من ذلك إلي القواعد العامة.

ولم يصلوا إلي هذه القواعد العامة أو ما يقرب منها إلا بعد نظر ومراجعة. وكان أحدهم لا يفتأ مستشيراً صاحبه ممن درج في هذا المسعي العلمي، وكان من هذا الاتصال أن اطمأنوا إلى قدر متفق عليه من القواعد، وربما استغرق هذا حقبة طويلة، فأنت تستطيع أن تدرك مدى ما استغرقه هذا المسعى إذا عرفت طول الحقبة بين وفاة أبي الأسود الدؤلي (سنة ٦٩هـ) وبين وفاة سيبويه التي كانت بعد سنة (١٨٠هـ).

لقد شغل النحاة الأوائل بهذا السماع الذي كان ضرباً من الاستقراء المضني، ولكنهم على شقائهم بهذا التتبع لم يكونوا علي هدي واضح كما سنري.

لقد عرفنا من أخبار عيسى بن عمر (المتوفي سنة ١٤٩هـ) أنه جاء إلى أبي عمرو بن العلاء وقال: «ما شيء بلغني أنك تجيزه؟» فقال له أبو عمرو: «وما ذاك؟» قال: بلغني أنك تجيز: ليس الطيب إلا المسك»، فأجابه أبو عمرو: «ذهب بك يا أبا عمر، نمتَ وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع»[٤٩].

أقول: وهذا يشير إلى أن استقراءهم للنصوص يختلف بينهم، فمنهم من ذهب فيها فاستوفي ما أمكنه، فعرف الأقوال واختلاف القبائل فيها، ومنهم من لم يدرك هذا الحد، وكان بسبب هذا أن تفرد بعضهم برواية خاصة استفيد منها بعض ما يتصل بقواعد العربية.

وكان عيسى بن عمر قد صنف كتابين في النحو أحدهما «الجامع» والآخر «الإكمال»، وقد اطراهما الخليل بن أحمد[٥٠]، ولم يصل إلينا شيء عنهما.

قال الأنباري: وهذان الكتابان لم نرهما ولم نر أحداً رآهما[٥١].

أقول: وهذا يعني أن قد تهيأ لعيسي بن عمر في النصف الأول من القرن الثاني الهجري أن يصنف كتابين، وذلك يفيد أن ما كان له من مواد نحوية كافية قد استحقت التصنيف.

فإذا تجاوزنا هذه الحقبة ووصلنا إلى عصر الخليل وسيبويه وجدنا العلامة البارزة في تاريخ النحو وهي ظهور «الكتاب» أي كتاب سيبويه[٥٢].

وقد وقفنا في هذا «الكتاب» على خمس وتسعين وثلاث مئة آية من أي القرآن، كما وقفنا على تسع وأربعين وألف من شواهد الشعر، وفيه غير هذا من كلام العرب، وهو قدر عظيم.

أقول: ولابد لي من وقفة قصيرة هنا أعرض فيها أن الاستشهاد بلغة التنزيل لم يكن بالقدر الذي حفلت به شواهد النثر من كلام العرب، وكما ينبغي أن يكون الأمر على عكس ذلك، إذا سلّمنا بما قيل من أن السعي إلي وضع النحو كان بسبب ما عرض من لحن في لغة التنزيل، ثم إن لغة التنزيل بإقرار اللغويين والنحاة الـمثل العالي للعربية، ومن هنا كان لابد أن يكون لهذه اللغة أساس في وضع هذا النحو.

إن قلة استشهاد النحويين بلغة التنزيل بالقياس إلى استشهادهم بالشعر وكلام العرب يجعلني ألا أتقبل أن يكون النحو قد صير إليه ليكون علاجاً لدفع غائلة اللحن كما قالوا، بل إنه علم فطن إليه العرب كما فطنوا إلى سائر علوم العربية في تطورهم وتقدم الزمن بهم، واطلاعهم على ما عند الأمم الأخري من أهل البلاد التي فتحها الـمسلمون.

ثم إن استشهاد النحاة بلغة الحديث الشريف يكاد يكون مما لا نحس معه شيئاً من اهتمام به، فهو شيء قليل، ولم يستطع الباحثون في هذا السبيل أن يحملوا الدارسين على أن النحاة قد عنوا بهذه اللغة الشريفة.

وأنت تشعر من قراءة في «كتاب» سيبويه أن «السماع» لم يكن استقراءً وافياً، بل إنه ضرب من اختيار يرمي إلى أحد مما وسم بالفصاحة في حدود معينة تتصل بأهل العربية والبيئة.

لقد قصر اللغويون الأخذ من البداة الفصحاء وكان لبادية نجد اختصاص هؤلاء اللغويين الذي قصدوها، وكأن النحاة الذين لم يكن لهم ما كان للغويين من سعي ورحلات قد اعتمدوا علي ما وصل إليهم من هذه الرواية، وما كانوا يلقونه في حاضرتهم البصرة التي لم ينفصل أهلها عن أهل هذه البوادي، بل كان أهل البادية يأتون إليها من أجل حاجاتهم للاختيار وغيره.

ومن أجل ذلك ردّد سيبويه في «الكتاب» عبارة «أنه سمع ممن يوثق بعربيته»، ومن هذا كلام سيبويه على نصب المصدر المفيد للدعاء نحو: سقياً لك فأشار إلى أنه قد يرد مرفوعاً في الشعر، قال: «وهذا شبيه رفعه ببيت سمعناه ممن يوثق بعربيته يرويه لقومه، قال:

عذ يرُك من مولى إذا نمتَ لم يَنَمْ يقول الخنا أو تعتريك زَنابرُه[1]

وقال في موضع آخر: «ومما جاء في النصب أنا سمعنا من يوثق بعربيته يقول: «خلق الله الزرافة يدَيها أطولَ من رجلَيها»[54].

كما أشار إلى نصب المصدر الذي لا يفيد الدعاء نحو: حمداً وشكراً، فقد أجاز الرفع اعتماداً على ما سمعه عن شيخه يونس بن حبيب، فقال: «وزعم يونس أن رؤية بن العجّاج كان ينشد هذا البيت رفعاً، وهو لبعض مذحج:

عَجَبٌ لتلك قضية وإقامتي فيكم علي تلك القضية أعجب[55]

أقول: هذا شيء من «سماع» النحاة الذي كان جلّه على ما كان من جمع اللغويين الذين قصدوا مواطن الأعراب.

لقد جمع هؤلاء اللغة من كلام العرب أحاديثهم وأمثالهم وأشعارهم، وكان اهتمامهم بالشعر وسيلة لمعرفة اللغة وتدوينها بعد ذلك، ثم إنه كان مادة لفهم ما استغلق على المسلمين الأوائل من لغة التنزيل. لقد قيل أن عمر بن الخطاب قال: «عليكم بديوانكم لا تضلّوا، فقال: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم»[56]، وقد كان عمر ـ رضي الله عنه ـ أروي الناس للشعر[57].

وقد استفاض الخبر في اهتمام ابن عباس بالشعر يرويه فقد ذكر الزمخشري في «الفائق»: أن طلحة بن عبد الله الصحابي سمع قصيدة راقته فما زال شانقاً ناقته حتى كتبت له[59].

وجزء في ذكره ابن سلام من أن قصيدة أبي طالب التي قال فيها:

وأبيض يستسقي الغمـامُ بمثلـه ثِمـالُ اليتامـى عصمة للأرامـل

كانت مدونة في كتاب كتبه يوسف بن سعد منذ أكثر من مئة سنة لزمنه[٦٠].

لقد كان اللغويون الأوائل أهل جد واجتهاد فقد قيل عن أبي عمرو بن العلاء أنه جمع من أخبار العرب ما يملأ بيتاً إلي السقف[٦١].

أقول: إن هذا كله ومثله أكثر مما أتيت به كان ما جمعه اللغويون من اللغة في كلام العرب وأمثالهم، وما كان أفاده في فهم لغة التنزيل ولغة الأثر الشريف، وقد أفاد النحاة من هذا كله كما أنهم شافهوا الأعراب الذين كانوا يفدون إليهم في البصرة لحاجتهم الخاصة.

على أننا لا ننسي أن نشير إلى أن الخليل بن أحمد قد جمع بين اللغة والنحو وأنه أفاد ما برّز فيه من رحلته في بوادي نجد وتهامة والحجاز، ولعل من هذا ما كان مما أبدعه في «كتاب العين»، وفيما كان له من إدراك في فهم النحو القديم، أن «كتاب سيبويه» برهان هذه المعرفة الواسعة لأسرار النحو وفنون العربية[٦٢].

وقد كان علم الخليل وسعيه في تحصيله حافزاً للكسائي الذي اشتهر برئاسة النحو الكوفي، في تحصيله وسلوكه مسلك شيخه الخليل فخرج إلى البوادي، وأنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوي ما حفظه، ولم يكن له هم غير البصرة والخليل بن أحمد[٦٣].

وأنت تجد صدي الأعراب في كلام النحويين الأوائل، جاء في «كتاب سيبويه»: «وزعم عيسي بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعَلُ ذاك، في الجواب، فأخبره يونس، فقال: لا تبعدنّ ذا، ولم يكن يروي إلا ما سمعَ»[٦٤].

أقول: وقد أقيم الكثير من نحو العربية على ما سمع من بعض الشعر، وقد كان النحوي القديم يقرر القاعدة النحوية لأنها وردت في بيت. وليس هذا مصدر قوة للقاعدة التي وصل إليها، فأين لغة التنزيل والحديث الشريف وكلام العرب وأمثالهم؟

ومن هذا أن سيبويه أجاز أن تقع «هل» بعد «أم» لأن يونس سمع رؤبة بن الحجاج ينشد قول زفر بن الحارث:

أبـا مالك هل لـمتَني مـذْ حضَضْتَني علي القتل، أم هل لامني لكَ لائم[٦٥]

أقول: وليس الشعر شاهداً قويا وإن كان الشاعر جاهلياً، ذلك أن ما يقال منه قد يختلف عن القول المرسل، وللشعر قيدان الوزن والقافية.

قال ابن سلام: «وفي الشعر المسموع مفتَعل موضوع كثير لا خير فيه، ولا حجة في عربيته... وقد تداوله قوم من كتاب إلي كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه علي العلماء»[٦٦].

على أن النحاة قد رمّوا بناءهم بما أقاموه من اعتمادهم في طائفة من الـمسائل على لغة التنزيل ولاسيما ما كان من ذلك في القراءات، معتمدين على ما أخذوه من شيوخهم. جاء في «كتاب سيبويه» : «وحدثنا يونس أيضاً تصديقاً لقول أبي الخطاب، أن العرب يعلمه أنه ليس غيره، هذا محال، ولكنه أراد أن ينبهه، كأنه قال: الحاضر عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنت، وإن شئت لم تقدّم «ها» في هذا الباب، قال تعالى: ثم أنتم هولاء تقتلون أنفسكم»[٦٧].

ومن هذا الباب ما جاء في كلامه على ضمير الفصل وأنه عند كثير من العرب مبتدأ، ويرفعون ما بعده، على الخبر، ثم قال: «وحدثنا عيسى أن ناساً كثيراً يقرؤونها» وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالـمون»[٦٨]، وهذه لدي المتأخرين قراءة شاذة.

وكان الأخفش من النحاة الذين انصرفوا إلى القرآن، وكان له فيه كتاب «معاني القرآن»[٧٠]، وقد أتي فيه على كثير من مسائل النحو، وقد اختص في شيء منها بنظر خاص خالف فيها أصحابه، وقد جاء الكوفيون فوافقوا في شيء من ذلك الأخفش.

ومن هذا قوله بجواز أن تزاد «من» في الإيجاب محتجاً بقوله تعالى: ﴿ونُكفّر عنكم من سيِّئاتكم﴾ وآيات أخرى مثلها[٧١].

وأجاز أن تقع الواو زائدة محتجاً بقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاؤوها وفُتّحت أبوابها وقال لهم خزَنتها﴾[٧٢].

وقد وقف آخرون من النحاة موقفاً غير عادي هذا من القراءات ولاسيما الشاذ منها وذلك

لعلمهم بالقراءات وانصرافهم إليها، فأبو عمرو بن العلاء رفض الأخذ بقراءة محمد بن مروان المدني في قوله تعالى: ﴿هؤلاء بناتيتهن أطهر لكم﴾[٧٣]، بنصب «أطهر» وجعل «هنّ» ضمير فصل لا إعراب له، فقال: «أحتي ابن مروان في هذا اللحن؟»[٧٤].

لقد كان أبو عمرو من أصحاب القراءات، وهو إلى جانب هذا لغوي نحوي عارف بالأخبار وبالشعر وما يتصل من قريب أو بعيد بعلوم العربية، وهو من هنا يتشدد في القراءات فلا يقبل منها إلا ما وافق العربية، في حين لم يكن جمهرة القرّاء علي هذا النحو من علوم العربية، وعلى هذا ليس عجيباً أن يرفض أبو عمرو قراءة أبي جعفر وشيبة، ويعد ذلك لحناً ظاهراً وهو في قوله تعالى ﴿ليُجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾، فقد نصبا «قوماً» وهو نائب الفاعل[٧٥]، وكان يتحري الفصاحة في الكلمة، وهو لذلك رفض قراءة من قرأ «الشَجرة» بكسر الشين، فقال: «يقرأ بها برابرة مكة وسودانُها»[٧٦].

كان هذا سعي أبي عمرو ومنهجه في القراءات في حين تساهل المتأخرون فيها وقبلوها ووصل الأمر بهم كابن مالك صاحب الألفية، وأبي حيان في «البحر المحيط» و «شرح التسهيل» وابن هشام صاحب «مغني اللبيب» وابن عقيل والسيوطي إلى قبول القراءات الشواذ. لقد قبل أبو حيان من قرأ «معائش» بالهمز وهي قراءة نافع، ونافع المدني حجة لدي أهل القراءات، وقد نسب المازني وغيره قراءة نافع هذه إلى الخطأ[٧٧].

وقد رد الفراء والمبرد والزجاج قراءة حمزة في قوله تعالى ﴿واتقوا الله الذين تَساءلون به والأرحام﴾ وفي الآية أجاز أبو حيان العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار محتجاً بقراءة حمزة هذه[٧٨].

إلى هنا انتهينا من بسط مسألة «السماع» الذي يعد من الأسس المهمة في الدرس اللغوي النحوي[٧٩].

ونتحول إلى مسألة أخرى لجأوا إليها حين أرادوا أن ينتقلوا بهذا الدرس الذي استفيد مما سمع من كلام العرب ومما ورد في لغة التنزيل وغير ذلك[٨٠]، وهذه المسألة الأخرى تتصل بضرب من الاستدلال العقلي الذي سنري فيه الكثير مما افترض وحسب أساساً آخر من «أصول النحو» وهو «القياس النحوي».

قلت: إن «السماع» استقراء لغوي وإن خلا مما ندعوه «الاستيفاء»، وهو واقعي منسوب

إلى أهله أي القائلين الذين سمع عنهم. غير أن «القياس النحوي» شيء آخر، وهو جهد النحوي القديم في استدلاله العقلي الذي هو في حقيقة الأمر افتراض زعم أنه «قياس».

لقد جعلوا في هذا القياس «أصلاً مقيساً عليه»، فقاسوا على هذا «الأصل» شيئاً آخر هو «الفرع المقيس».

ومن هذا قاس النحاة قول العرب: «لا رجلَ علي «خمسةَ عَشرَة»، وأعطوا القول الأول حكمه في البناء على الفتح لأن الأصل الذي قاسوا عليه وهو «خمسة عَشَرَ» مبني على الفتح، فالبناء على الفتح «حكم» و «العلة» الجامعة بين الفرع والأصل، فهي على النحو الآتي:

قالوا: أصل «خمسة عشر» العددان «خمسة وعشرة» وقد جمعا، وحذفت واو العطف وبقي معناها، وركب الجزءان تركيباً مزجياً، وكان من ذلك حذف تاء التأنيث من الجزء الثاني اكتفاءً بها في الجزء الأول.

لقد قاسوا على «خمسة عشر» قولهم: «لا رجل، وأصل هذا «لا من رجل»، و «من» هذه زائدة لاستغراق النفي، ولكنها حذفت لفظاً كما حذفت «الواو» في «الأصل» وبقي معناها، وركّبت «لا» مع «رجل» تركيب «خمسة» مع «عشر».

ومن هنا وصلوا إلى أن «لا رجلَ» الفرع قد رُكبَ فاستحق البناء على الفتح كما هي الحال في الأصل «خمسةَ عَشَرَ»، وكأنهم وصلوا إلى القاعدة النحوية بهذا «القياس» وهي بناء اسم لا على الفتح.

وقد فطن أذكياء النحاة إلى عمل أصحابهم هذا فترددوا فيه بل رفضوه، فقد رفض أبو العباس محمد بن يزيد المبرد أن يقيس في مناظرة «ثعلب»: «براء» جمع بريء على قول الأعرابية: «أفي السوءِ أنتنّه» وقال لثعلب: «لايترك كتاب الله وإجماع العرب لقول أعرابية رعْناء»(٨١).

على أنهم قبلوا من القياس ما وجدوا له طريقاً في كلام العرب، ومن هذا على سبيل المثال قول العرب: «لا أبا لك»، فقد أشكل عليهم مجيء «أبا» بالألف وهي غير مضافة، ولم لم تأت على ما عرفت من الاستعمال: «لا أبَ لك»؟ فقال الخليل بن أحمد هي نظير قول العرب: يا تيمَ تيمَ عديٍّ»، ووجه الشبه بين المقيس والمقيس عليه أن التنوين حُذف من «أبا»

لأن اللام في «لك» بحكم المذحوفة، وكأنهم قالوا: لا أباك، فصارت اللام بمنزلة الاسم الذي يُثنّى في النداء»[٨٢].

قلت: إن بعض ما ذهبوا إليه في «زقيستهم» يوافق وجهاً في العربية، ومن هذا ما كان من تعليل ظاهرة ما نجده من قياس الكسائي الفعل «رضي» على «سَخِط»، وتفصيل ذلك أنه نُقل بيت من الشعر هو:

إذا رضيت عليّ بنو قشيرٍ لعمرُ الله أعجبني رضاها[١]

وقد عُدّي الفعل «رَضي» بالحرف «على» وإنما يُعدّى هذا الفعل بالحرف «عن» يقال: «رضي عنه»، وفي الدعاء: «رضي الله عنه».

أقول: وجد الكسائي وجهاً فقاس «رَضي» علي «سَخِط» فأخذ حكمه في اقتضاء الحرف. وهذا ما أردجه اللغويون النحاة في باب «التضمين».

قلت إن النحويين ليسوا سواء في هذا القياس فقد رفض نفر منهم القياس في بعض المسائل، ثم إن البصريين قد رفضوا كثيراً من أقوال الكوفيين كما سنري.

لقد عرفنا أن سيبويه مثلاً أنكر تسكين نون التوكيد مع المثني والفعل المسند إلى نون الإناث، وقال: وأما يونس وناس من النحويين فيقولون: آضربانْ زيداً، واضربنان زيداً، فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها، لا يقع بعد الألف ساكن إلا أن يُدغم»[٨٤].

أقول: وسيبويه من حذّاق النحويين قد رفض قول يونس الذي اجتهد فيه، وهو ليس من كلام العرب بحسب سماع سيبويه، وفي هذا دليل على قوة السماع لديه فهو يرفض ما خالف هذا.

ومن هذا رفض البصريين لكثير من أقوال الكوفيين، وأنت تجد تفصيل هذا في «كتاب الإنصاف»[٨٥]، وقد تجد من هذا ما يدعو إلى العجب، فقد عاب ابن ولاد[٨٦] أبا العباس المبرّد، لأنه أنكر على سيبويه منعه أن يقال برّار، لصاحب البُر، وفكّاه، لصاحب الفاكهة، لأن الذين سمعهم من فصحاء القرن الثالث يقولون ذلك، فقال ابن ولاّد: «ادّعي ذلك في زمن لا تُرتضي لغته، ولا يُحتج بقوله، وأنكره سيبويه في زمن يؤخذ بلغته، ويرجع إلي قوله، ويُستشهد بلفظه»[٨٧].

أقول: إن ابن ولاّد التزم بقول أهل اللغة في عصر زمن الفصاحة بنهاية القرن الثاني الهجري، وكأن المبرّد لم يَر هذا، فقبل قول الفصحاء الذين يوثق بعربيتهم في القرن الثالث.

وقد أدرك الخليل أن النحوي يلجأ إلى التعليل بما بلغ به ذهنه وحذقه، والعرب لا يعرفون هذا، قال: «إن العَرَب قد نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقامت في عقولها علل، وإن لم يُنقل ذلك عنها، وعلّلت أنا بما عندي أنه علّة لما علّلته منه»[٨٨١].

ومثل هذا قول سيبويه في قول العرب: «مررتُ بماء قعدة رجل» فقال: «والجر الوجه، وإنما كان النصب هنا بعيداً من قِبَل أن هذا يكون من صفة الأول، فكرهوا أن يجعلوه حالاً، كرهوا أن يجعلوا «الطويل» و«الأَخ» حين قالوا: هذا زيدٌ الطويل، وهذا عمرو أخوك، وألزموا صفة النكرة، كما ألزموا صفة المعرفة، وأرادوا أن يجعلوا حال النكرة فيما يكون من اسمها كحال المعرفة فيما يكون من اسمها.

إن قول سيبويه هنا «كرهوا، وألزموا، وجعلوا» يريد العرب في ذهابهم إلي الوجه الذي عبّروا به، وكأن الذي ذهب اليه النحاة في تأويلهم وتعليلهم مستقر في نفوس المعربين وإن لم يفطنوا له أو يتصدوا إليه.

أقول: هذا مجمل ما أردت بسطه في هذا الموجز عن «أصول النحو» أخلص منه إلى شيء يتصل بـ «العلة النحوية» فأقول: إن العلة النحوية في مفهوم النحاة القدامي ضرب من تفسير الظواهر اللغوية، وهذا التفسير استدلال ذهني وصلوا إليه وأغرقوا في فهمه وادّعوا أن المعربين قد استقر في نفوسهم شيء منه دون قصد منهم.

وقد افترضوا أو تخيلوا شيئاً زعموا أنه موجود في أصل اللغة، ومن هذا ما تخيلوا أن الفعل ثقيل، وأن الاسم خفيف، وأن الفعل فرع حادث، والاسم على عكسه أصل قديم، فاحتمل الاسم التنوين، وهو زيادة في أحرف الكلمة ليكون معادلاً للفعل الثقيل، وهذا الفعل لثقله لم يقبل التنوين بعكس الاسم الذي قبل التنوين مع كونه زيادة لخفته.

أقول: إن هذا المسعى للنحاة لم يكن للمعربين شيء منه، فأين مفهوم الثقل والخفة لديهم، وأين مفهوم الأصل والفرع؟

ومضوا في غيهم فزعموا أن رفع الفاعل ونصب الـمفعول «العلة الأولى»، وسألوا أنفسهم:

لِمَ رفع الفاعل ونصب الـمفعول فزعموا أن ذلك لـ «علة ثانية» وزادوا في السؤال وقالوا: هلا كان العكس أي نصب الفاعل ورفع المفعول؟ وزعموا أن هذا «علة ثالثة».

واختلفوا في تقسيم هذه «العلة، فهي لدي الزجاجي، تعليمية وقياسية وجدلية»[٩٠]، ويذهب الرماني إلي أبعد من هذا فيجعلها: قياسية وحكمية وضرورية وصحيحة وفاسدة[٩١]، اختصرها السيوطي إلى بسيطة ومركبة[٩٢].

أقول: وليس الخوض في هذا الا ضرب من العبث أغرق فيه النحاة فأفسدوا سعيتهم، وذلك لأن «النحو» علم لغوي يؤخذ من العربية في سماحتها وسعتها، فليس من داع لهذا التكلف والتمحل، وذلك كله بعيدعن طبيعة ما ينطلق به الـمعربون على سجاياهم.

هذه خلاصة لـمسيرة النحاة في سعيهم انتهي منها إلى شيء من «مذاهبهم» التى جعلها الـمعاصرون «مدارس».

«إني أرفض هذا الـمصطلح الجديد وهو «مدرسة» وذلك لأن الاختلاف بين النحاة بصريين وكوفيين ليس من شأنه وطبيعته ومواده أن يؤلف «مدرسة».

وإني لأقصر الخلاف علي البصريين والكوفيين فلا أتسع فيه فأدرج مذهب ما زعم أنه مذهب بغدادي، وقد احتفل آخرون من الـمعاصرين فتوسعوا في التصنيف وجعلوا للمصريين مذهباً، ولأهل افريقية وثم الأندلسيين مذهباً، وعدّوا جملة ذلك «مدارس نحوية».

إن الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين يتصل بمسائل هي فروع لا أصول، والتعسف أن يجعل ذلك «مدارس» وأن نتوسع في رقعته فيشمل دنيا العرب القديمة.

ولي قبل أن أعرض لما يتصل بالنحو لدي البصريين والكوفيين أن أورد أبيات عمار الكلبي الذي شكا فيها من غرور النحاة وجرأتهم، وهذه شكوي الكثيرين من أهل العلم ومنهم الجاحظ الذي أشار إلى أن القليل من النحو كاف، وأن التعمق فيه إضاعة للوقت، قال عمار:

ماذا لقينا من الـمستعمرين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافية بكراً يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا: لَحنْتَ وهذا ليس منتصبا ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حُمُقٍ ... وبين زيدٍ فطال الضرب والوجع
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قومٍ على إعرابهم طبعوا

ما كان قولي مشروحاً لكم فخذوا ما تعرفوا وما لم تعرفوا فدَعُوا
لأن أرضي أرض لا تُشبُّ بها نارُ المجوس ولا تُبنَى بها البِيَعُ[٩٣]

البصريون والكوفيون

عرفت البصرة بداية النحو فكان البصريون من النحاة الأوائل هم الذين اكتملت لديهم هذه المعرفة اللغوية في نشأتها وأصولها وموادها، ثم تبعهم الكوفيون فاستأنفوا المسيرة.

لقد ذهب الدارسون في عصرنا إلي أن البصريين أخذوا بالقياس، كما أخذوا بالسماع. وإننا نلمح هذا في نقضهم لمسائل الكوفيين، فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله، وحملوا كثيراً من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع، وعلي أنها شاذة أو أنها ضرورة، وعلي ذلك لايمكن أن تكون أساساً في حكم.

وقد ذهبوا في ذلك إلي أن الكوفيين قد أخذوا كل ما سمعوا عن العرب فجعلوه أصلاً قاسوا عليه، وكأنهم أرادوا أن يقولوا: إن الكوفيين لم يتوثقوا مما اعتمدوه أصلاً، فقد قاسوا على النادر والشاذ، ولم يتحروا دقة ما وصل اليهم من مواد، وسنري مبلغ هذا الذي ذهبوا اليه في هذه المادة النحوية القديمة التي وصلت الينا عن البصريين والكوفيين.

لقد كان عبد الله بن أبي اسحاق شديد التجريد في القياس[٩٤]، سريعاً إلى تخطئة المعربين إذا خرجوا عن المألوف في كلام العرب، فقد أخذ على الفرزدق خروجه علي العربية، والخبر المتداول متعالَم[٩٥]. ومثل عبد الله هذا عيسي بن عمر الذي تجاوز هذا الحدث فراح يتعقب الجاهلين، فقد أخذ على النابغة ما يمكن أن يندرج في باب اللحن[٩٦].

وقد عُرف من تشدد البصريين ما جاء في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، فقد روي أنه سأل أبا خيرة، وهؤلاء الأعراب من فحول العرب: «استأصل الله عرقاتهنّ» فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهن»، فقال له أبو عمرو: هيهات أبا خيرة، لان جلدك[٩٧]، وهذا يعني أن اللحن أو ما يشبه ذلك قد سري إلى الأعراب، لأن أبا عمرو كان قد سمع أبا خيرة يروي الشاهد بالكسر، فلم يتردّد في مؤاخذة أبي خيرة، وهو أحد الأعراب الذين سمع عنهم باللحن وذلك لتقدمه في السن وطول مخالطته لأهل الحواضر.

وقد كانوا لا يطمئنون إلى لغة الحواضر، فقد جاء في «الكتاب»: أن سيبويه روى عن

يونس أنه كان يخطئ أهل المدينة في جعلهم «هُنّ» فصلاً وينصبون «أطهرَ» في قوله تعالى: ﴿هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم﴾، قال:وزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحناً، وقال: أحتىّ ابن مروان في هذه باللحن[٩٨]، وكان الخليل يقول: والله انه لعظيم جعلهم «هُنّ» فصلاًوتصييرهم إياها بمنزلة «ما» إذا كانت لغواً[٩٩].

وكان سيبويه قد ذهب إلى تحقيق الحجازيين لهمزة «نبيء» رديء، فقد قال: وقالوا: «نبيٌ وبَرِيّة» فألزمها أهل التحقيق البدل، وليس كل شيء نحوهما يفعل به هذا، وإنما يؤخذ بالسمع، وقدبلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحقّقون «نبيء» و «بريئة» وذلك قليل رديء[١٠٠].

إن اهتمام سيبويه بالسماع «عمّن يوثق بعربيتهم» كثير، نجده واضحاً في الكتاب في مواضع كثيرة[١٠١]، وهذا يعني أن سيبويه ومثله سائر البصريين كانوا يتشددون في السماع تشدّدهم في القياس،فهم لا يأخذون إلا «عمّن يوثق بعربيته» فصاحة وأصالة مبتعدين عمّن لا يُطمأن اليهم بسبب مخالطتهم لغير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم.

وكأن السيوطي قد لخّص الأمر فقال: اتفقوا على أن البصريين أصحّ قياساً لأنهم لا يتلفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون علي الشاذ، والكوفيين أوسع رواية[١٠٢].

وقال أيضاً: وينقل عن الأندلسي في «شرح المفصل» قوله: الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف الأصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه بخلاف البصريين[١٠٣].

وقال أيضاً: ومما افتخر به البصريون علي الكوفيين أن قالوا: نحن نأخذ اللغة عن حَرَشة الضباب وأكَلَة اليرابيع، وأنتم تأخذونهاعن أكَلةالشواريز وباعة الكواميخ.

أقول: وكأن البصريين قد نبزوا نظراءهم الكوفيين بأنهم أهل حواضر يأخذون من أهلها اللغة، في حين أنهم قصدوا الأعراب في بوادي نجد والحجاز وتهامة كما ذكر الخليل وقد أشرنا إلى ذلك.

وقال أبو البركات الأنباري: لا يُعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد فإنه روي عن الـمفضل الضبي.

أقول: ورواية أبي زيد عن الـمفضّل في أول كتاب «النوادر» تتصل بمقطوعة لضمرة بن

ضمرة النهشليّ وليس له رواية عن الـمفضل تتصل بالنحو ولا بما يقرب من ذلك من مسائل اللغة.

وجاء في «الـمزهر» للسيوطي: قال أبو حاتم: إذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها وحكيت عن العرب شيئاً فإنما أحكيه عن الثقات منهم مثل: أبي زيد والأصمعي، وأبي عبيدة، ويونس، وثقات من فصحاء الأعراب وحَمَلة العلم، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي، والأحمر، والأموي، والفرّاء وغيرهم(١٠٤).

ويأخذ البصريون علي الكوفيين شيوع الدخيل في عربيتهم، فقد جاء في «البيان والتبيين»: وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها «مربّعة» ويسميّها أهل الكوفة «الجهارسو» و«جهارسو» بالفارسية ويسمون السوق أو السويقة «وازار»، والوازار بالفارسية، ويسمون القثة «خِياراً»، و«الخِيار» بالفارسية، ويسمون الـمجذوم «ويذي» بالفارسية(١٠٥).

ولنأت إلى «مصادر الدراسة» لدى البصريين فنقول:

لقد دلّ الاستقراء على أن البصريين قد اعتمدوا في درسهم على:

١- القرآن

لقدكانت لغة التنزيل لدى البصريين أصلاً أقاموا عليه نحوهم، وهو أحد الـمصادر التي توثقوا منها في هذا الدرس،ولا يعني هذا أن الكوفيين لم يحلفوا بالقرآن، وسنبسط القول في هذا الأمر عند الكلام على البصريين.

غير أننا حين نطلع على عامة الـمصنفات النحوية لدى الطرفين نخلص إلي أنهم جميعاً قد وقفوا على الشعر القديم وكلام العرب وقفات أطول من وقوفهم على لغة القرآن.

٢- الشعر الجاهلى والإسلامى

لقد اعتمد البصريون الأوائل في هذا الدرس علي الشعر الجاهلي فجعلوه أصلا من أصولهم، وقد تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي فكان لهم من شعر الفرزدق وجرير في العصر الأموي شواهد كانت من جملة ما أقاموا عليها قواعدهم. وكان لهم من أراجيز رؤبة والعجاج وغيرهما شواهد أفادوا منها في درسهم. وربما تجاوزوا هذا الحقبة في استشهادهم، فقد جاء في «الاقتراح» للسيوطي فيما رواه ثعلب عن الأصمعي: أن إبراهيم بن هرمة آخر من يحتج

به، وابن هرمة هذا قد ولد سنة تسعين للهجرة، وعُمّر طويلاً حتى تجاوز منتصف القرن الثاني[١٠٦].

ولابد أن ندخل في هذا المصدر ما رووه، عن الأعراب جاهلين وغيرهم ممن انقطعوا إلى البداوة من قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيء، ولم يأخذوا عن أولئك الذين كانوا في أطراف بلاد العرب الذين ربما تأثروا بلغات من جاوروهم من الأمم.

على أن البصريين الأوائل قد اطمأنوا إلى سلامة لغة العلماء ممن ينتمون الي أصول غير عربية، فقد جاء أن أبا عمرو بن العلاء قد قال في الحسن البصري: «ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما أفصح، قال: الحسن»[١٠٧].

وقد أشار الجاحظ إلى هذا وذهب إلى أن من هؤلاء الفصحاء الذين ينتمون إلى أصل غير عربي أبو على الأسواري، وهو عمرو بن فائد الذي جلس يعظ في مسجده نحو ست وثلاثين سنة، وقد كان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به[١٠٨].

ويمكننا أن نقول: إن لغة التنزيل والشعر القديم جاهلية وإسلامية، وما أثر من الأمثال الجاهلية، كل أولئك كان المادة التي احتج بها البصريون فيوضع أصول العربية، ولم يكن الكوفيون بعيدين عن هذا النهج في نحوهم ولغتهم، علي أن عامة النحويين الأوائل من كلا المِصريين قد استبعدوا الحديث في احتجاجهم.

وقد يكون لنا أن نقف وقفة خاصة على الأصول التي اعتمدها البصريون التي لم ينظروا اليها علي نحو ما كان لهم من ذلك. لقد اعتمدوا لغة التنزيل، ولكنهم ضيّقوا في ذلك أشدّ الضيق، فلم يأخذوا بقراءات عدة وهي شيء من العربية، ولها أساس في لغات العرب، فقد حملوا على الخطأ قراءة عبد الله بن عامر مقريء أهل الشام في قوله تعالى: ﴿وكذلك زُيّن لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائِهم﴾[١٠٩]، بنصب «أولادهم» وجر «شركائهم».

والخطأ المزعوم في هذا أنهم يمنعون الفصل بين المتضايفيْن (المضاف والمضاف إليه) في غير الظرف والجار والمجرور وأنهم خطّأوا ابن عامرَ مع علمهم أن للقراءة سنداً متصلاً، وأن القراءات السبع مما يجب أن يؤخذ بها، وكلها حجة.

ومثل هذا ذهابهم إلي تخطئة «معائش» بالهمزة وهي قراءة نافع في قوله تعالى: ﴿وجعلنا لكم فيها معائش﴾[١١٠]، وحجتهم في التخطئة أن الياء في «معايش» أصلية، وهي من «العيش» وما كان أصلاً من أصوات المدّ لا يبدل همزة.

أقول: ولم يكترثوا بهذه القراءة الغالبة، وكأن صاحبها قد ابتدعها من نفسه، وليس في الأمر سند بوصلها إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولو أنهم توسعوا في استقراء العربية لوقفوا على شيء من هذا يكون به لهم أن يقبلوا «معائش» ومن هذا مجيء «مصائب» والقياس علي الكثير أن تكون «مصاوب».

ومن الشواهد الـمعروفة في تخطئتهم للقراءة ما كان منهم في قراءة حمزة مقريء أهل الكوفة، وقراءته من القراءات المشهورة، في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تَساءلون به والأرحام﴾[١١١]، بجرّ «الأرحام» ووجه التخطئة أنهم لا يجيزون العطف على الضمير الـمجرور إلا بإعادة الجارّ ما عدا ما ورد من ذلك ضرورة، وقد قرأ ابن عباس والحسن البصري بهذه القراءة وهي متصلة السند.

ومن المفيد أن ننظر فيما جاء في «مقدمة» كتاب «الـمحتسب» التي قال فيها مصنف الكتاب ابن جني في الكلام على ضروب القراءات: «.... وضرباً تعدّي ذلك فسمّاه أهل زماننا شاذاً، أي خارجاً عن قراءة القرّاء السبعة المقدّم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قُرّائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنف بغيره فصاحته.. وترسو به قَدَم إعرابه، ولذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه.

ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القرّاء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم... ولكن غَرَضنا منه أن نري وجه قوة ما يُسمي الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهلة ميدان....»[١١٢].

وإذا كان النحاة البصريون قد ذهبوا إلى تخطئة قراءات مشهورة تحرياً منهم للوصول إلى الصحيح المشهور، فإنهم من غير شك لا يأخذون بالشواذ منها علي اتصال سندها وجريها على العربية، وإذا كان هذا موقفهم من القراءات، فليس عجيباً أن يكون لهم موقف مماثل من لغات القبائل البعيدة عن مواطن البداوة كما أسلفنا «ومن ذلك أنهم لم يأخذوا بلغات القبائل التي كانت مواطنها في أطراف بلاد العرب كاليمن والعراق والشام ومصر، وما تاخم بحر العرب من الجهات. وقد أشار الفارابي في كتاب «الألفاظ والحروف» فيما نقله السيوطي إلى هذا الباب[١١٣].

وقد أسلفنا إلي أن النحاة قد استبعدوا الحديث الشريف في استشهادهم بحجة أن الحديث قد اشتمل على قدر كبير قد روي بالـمعنى، وأن طائفة من الـمحدثين لم يكونوا عرباً، ولم يتهيأ لهم قدر من الفصاحة.

ولا أدري كيف أغمض هؤلاء النحويون عما قيل في غير واحد من أهل العلم من رجال الحديث، ومنهم الشعبي المحدّث الذي قال فيه ابن عياش الكوفي لمناظره في حضرة أبي العباس: «أين أنتَ عمّن لم تر عينك مثله في زمانه، من أصحاب النبي، ولا أحفظ لما سمع، ولا أفقه في الدين، ولا أصدق في الحديث، ولا أعرف بمغازي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيام العرب، وحدود الإسلام والفرائض، والغريب، والشعر، ولا أوصف لكل أمر من عامر بن شراحيل الشعبي»[١١٤].

وقد عُرف بين رجال الحديث جماعة من أهل العلم ممن عُرفوا بتضلعهم من العربية، ومن هؤلاء حمّاد بن سلمة الذي قال فيه اليزيدي:

حكي السيرافي أن حمّاداً قال: «من لَحَن في حديثي فقد كذب عليّ»، وأشار السيرافي إلى قصته مع سيبويه، فقد ورد في أخبار سيبويه: أنه يستملي على حمّاد، فقال حماد يوماً: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء». قال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال حماد: لحنتَ يا سيبويه، فقال سيبويه لا جَرَم لأطلبنّ علماً لا تُلَحِّنني فيه أبداً»[١١٥].

أقول: كان أهل الحديث من حملة العلم، وحسبك أن تعرف أن الخليل بن أحمد قد أخذ عن أيوب السختياني، وهو من المشاهير بين علماء الحديث. وكان الحسن البصري يقول فيه: «أيوب سيد شباب أهل البصرة»[١١٦].

على أن الـمتأخرين من النحويين قد استشهدوا بالحديث ومنهم ابن مالك وأبو حيان، وكأنهما اعتقدا أن الأوائل قد اشتطّوا وتجاوزوا.

الكوفيون والنحو الكوفي:

لقد عرفت الكوفة كما عرفت البصرة، فكلاهما مصران قد مصرّهما الـمسلمون، واشتهر كل منهما طوال التاريخ الإسلامي، وشغلتا مكاناً واضحاً في القرنين الثاني والثالث، وكان لكل منهما أثر في السياسة، فقد عرفت الكوفة «بعلوّيتها» كما عرفت البصرة

«بعثمانيتها». وكان أهل المصرين على اتصال فيما بينهم، وأنت لا تعدم أن تجد بصريين قد استوطنوا الكوفة لغرض ما، كما تجد كوفيين آخرين اتخذوا البصرة سكناً لهم.

وكانت الكوفة مركزاً من مراكز العلم كما كانت البصرة، ولسنا علي يقين تام في سبق البصريين وانصرافهم إلى العلم على الكوفيين إلا ما كان من ذلك في العلوم اللغوية، فقد عرف النحو في البصرة قبل الكوفة، وإذا قيل النحو، فلابد أن يكون مما اشتملت عليه علوم العربية عامة، ثم خلف بعدهم الكوفيون ليشاركوا في هذا المسعى، فكان منهم نحاة وعلماء لغة وأصحاب رواية في القراءة وسائر فنون العربية وما يتصل بها من أخبار وعلم بالأيام والوقائع. ولم يكن هذا كله مقصوراً على الكوفيين كما يتراءى لنفر من الدارسين في عصرنا، بل كان مثل هذا ما أخذ به البصريون أنفسهم علي قدر وافٍ من الحفاظ والتشدد.

وقد جعل المعنيون بتاريخ النحو القديم بداية النحو الكوفي موصولة بأبي جعفر الرؤاسي، وإلى مثل هذا ذهب المعاصرون، فقد قيل: إن لأبي جعفر الرؤاسي كتاباً في النحو قد اطلع عليه الخليل بن أحمد وانتفع به[١١٧]، وكأن هذا هو الذي جعل المعاصرين يذهبون إلى التنافس المزعوم بين الخليل والرؤاسي[١١٨].

على أن من العلم أن نقول: إن النحو الكوفي بدأ بظهور أبي جعفر، وقد تلمذ له الكسائي والفراء. وقد ذكر الأنباري (أبو البركات): أن له كتاب «الفيصل»، وكان ثعلب قد أشار إلى أنه أول كتاب في نحو الكوفيين، وكتاب «التصغير»، وكتاب «معاني القرآن»[١١٩]. وقد أشار ابن النديم إلى أن هذا «الكتاب» كان يروي إلى أيامه، وكتاب «الوقف والابتداء»[١٢٠].

وجاء في سيرة أبي جعفر هذا في جملة من المصادر أنه قال: «أرسل إليّ] الخليل بن أحمد يطلب كتابي، فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه»[١٢١].

أقول: وكأنه أراد «الفيصل»، على أننا لا نعرف شيئاً من مادة هذا الكتاب، ولم يصل إلينا شئ منه لنعرف أولية «النحو الكوفي».

على أن الدارس ليقف أمام الكسائي والفراء فيري فيها بداية المذهب الكوفي الذي بدأ يشيع وقد أخذ الكسائي عن معاذ بن مسلم الهراء، وأبي جعفر الرؤاسي، وعيسى بن عمر، والخليل بن أحمد. وقد عكف على قراءة «كتاب سيبويه»، وقد قرأ على أبي الحسن

الأخفش الأوسط[١٢٢]، وكماكان البصريون شديدي العناية بـ «كتاب سيبويه» كان الكوفيون مثلهم في هذه العناية.

وقد وجد هؤلاء الكوفيون ضالتهم في «الكتاب» وليس الكسائي وحده كان معنياً بـ «الكتاب» فقد عرف أن الفراء من أئمة الكوفيين الأوائل أيضاً كان قائماً علي «الكتاب» حتى قيل: إن شيئاً من كراريس «الكتاب» وجد تحت وسادته التي كان يجلس عليها[١٢٣].

أقول: ولابد أن نجمل القول في «نحو الكوفيين» فنقول إنه مبسوط في كتب الكوفيين ومنها: «كتاب «معاني القرآن» للفراء، و «مجالس ثعلب».

على أن في كتب المتأخرين كـ «شرح الكافية» للرضي شيئاً من إضافات الكسائي[١٢٤]، غير أن «كتب الخلاف» تشير إلي أن ما جاء به الكوفيون لا يتجاوز «الفروع»، وهذا يعني أن البصريين والكوفيين قد اتفقوا في «الأصول» من المسائل.

ولابد لي أن أخلص إلي أن القول بما يسمى «مدارس نحوية» شيء قد بولغ فيه، وحقيقة الخلاف بين البصريين والكوفيين لا يسمح بالقول: أن هناك مدرسة بصرية وأخرى كوفية.

الهوامش

(١) «الرقعة» في هذا الوضع هي التي دعيت «صحيفة أبي الأسود».

(٢) وسأعود إلى هذا وتتمة الخبر وغيره في الكلام على «نشأة النحو» وسأعلق عليه وعلى ما قيل في عصرنا من أن النحو العربي قد وضع في أصوله على النحو اليوناني».

(٣) الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٨-١٩.

(٤) انظر مادة (نحو) في «مجمل اللغة»، وفي الـمعجمات الأخرى.

(٥) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٣.

(٦) الـمصدر السابق، ص ٢٤.

(٧) الأنباري، كتاب الإنصاف (المقدمة) ص ٥.

(٨) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٨٢.

(٩) الـمصدر السابق، ص ٢٨٨.

(١٠) الـمصدر السابق، ص ٢٩٠.

(١١) الـمصدر السابق، ص ٢٩٦.

(١٢) الـمصدر السابق، ص ٢٧٨.

(١٣) الـمصدر السابق، ص ٢٠٧.

(١٤) الـمصدر السابق، ص ٢٩٢.

(١٥) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٣٨.

(١٦) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٤٧. أقول: وقد ذكر ابن خلدون في «المقدمة» ص ١٢٣١-١٢٤٨: «أهل صناعة العربية» و «قوانين العربية».

(١٧) الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٨.

(١٨) انظر: الجمحي، الطبقات، ص ٥، وياقوت، إرشاد ٤/ ٢٨٠، ابن الأثير، المثل السائر ص ٧.

(١٩) عاصم بن أبي النجود أحد القرّاء السبعة الـمتوفي سنة ١٢٧هـ (ابن خلكان، وفيات ٢٤٣/١).

(٢٠) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢١.

(٢١) ٣٧ سورة الحاقة.

(٢٢) الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٩-٢٠.

(٢٣) الـمصدر السابق.

(٢٤) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ١٧١.

(٢٥) إبراهيم مدكور، مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية (١٩٤٨-١٩٤٩) (منطق أرسطو والنحو العربي).

(٢٦) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٦٥-٦٦.

(٢٧) إبراهيم مدكور، منطق أرسطو والنحو العربي.

(٢٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ١٨٤/١.

(٢٩) التغطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١١٧.

(٣٠) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ٢٥٠/١.

(٣١) إبراهيم مصطفي، أول من وضع النحو، بحث في مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، الـمجلد العاشر، ج ٢، ص ٤، وما بعدها، سنة ١٩٤٨م.

(٣٢) مازن المبارك، الإيضاح ص ٨٠.

(٣٣) إبراهيم سلامة، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ص ٦٥، ٦٦.

(٣٤) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ١٣٢.

(٣٥) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢٧٤/١، أقول: ومما يندرج في هذا قول الدكتور شوقي ضيف: «ويظهر أن الخليل كان يتقن الـمنطق الذي ترجمه صديقه ابن المقفع ما يتصل به من قياس».

- انـظر: شوقي ضيـف، تاريخ الأدب العباسي، ص ١٢٢. أقـول: كـأن جمهرة هـؤلاء لا يتجاوزون حد النطق في هذه الدعوى.

(٣٦) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٢٩٣/٢.

(٣٧) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٣٤.

(٣٨) أورد أحمد أمين في ضحى الإسلام، ٢٩٢/٢-٢٩٣ ما قاله المستشرق الألماني، ولم يعلق عليه.

أقول: ليس لدي الباحثين من المستشرقين ومن سار على نهجهم من العرب من الأدلة على ثبوت الأخذ من النحو اليوناني إلى ما ورد من أقسام الكلمة لدي سيبويه ومن خلفه وهو أن الكلام اسم وفعل وحرف، وهذا في رأي هؤلاء نظير أقسام الكلمة الذي أورده أرسطو.

(٣٩) من محاضرات الأستاذ ليتمان، ذكرها أحمد أمين كما أشرنا ولم يشر إلى أنها نشرت في مجلة كلية الآداب سنة ١٩٤٨.

(٤٠) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (ترجمة النجار) ١٣٢/١.

(٤١) ديبور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٥٦.

(٤٢) إسحاق ساكا، تأثر النحو باليونان والسريان (بحث نشر في مجلة العربي الكويتية، العدد ١٠٦، ص ٥١).

أقول: وقد عرض لهذه المسألة أيضاً بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» ص ١٩٣.

(٤٣) المخزومي، الخليل بن أحمد، ص ٣٩.

(٤٤) عبد الرحمن السيد،مدرسة البصرة، ص ٣٦٥.

(٤٥) ج تروبو، نشأة النحو في ضوء كتاب سيبويه، (بحث نشر في العدد الأول من المجلد الأول سنة ١٩٧٨، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني).

(٤٦) وقد رسمت خَطَأً في بعض فهارس المخطوطات بـ «جَدَل الأعراب».

(٤٧) الاقتراح للسيوطي من مطبوعات حيدر آباد في الهند.

(٤٨) أصول النحو العربي من منشورات «الناشر الأطلسي» في المغرب.

(٤٩) انظر: أمالي أبي علي القالي، ٣٠٩/٣، وطبقات النحويين واللغويين، ص ٣٨، والمزهر ٢٧٧/٢-٢٧٨.

(٥٠) نزهة الألباء، ص ٢٩.

(٥١) الـمصدر السابق، ص ٣٠.

(٥٢) أقول: من معرفة «كتاب سيبويه» ربما لنا أن نقول: إنه كتاب لم يأخذ صورته النهائية، ذلك أنه لم يشتهر في حياة سيبويه وإنما عُرف بعد موته وكأن صاحبه كان يخفيه لأنه لم يكن قد انتهى منه. والدليل على ذلك أن الكتاب خلا من اسم له، وعادة الـمؤلفين في عصر سيبويه وبعده قد جرت على هذا، بل إن عيسى بن عمر المتوفي قبل سيبويه بأكثر من ثلاثين سنة قد سمي كتابيه «الإكمال» و «الجامع».

ثم إن «الكتاب» قد خلا من «خطبة» وما يكون في الخطبة من لوازم، كما خلا من الخاتمة، وكأن «الكتاب» مجموع لجملة ما أخذه سيبويه عن الخليل شيخه، وعن يونس بن حبيب، وما انتهي إليه مما سمع واشتهر من أقوال أبي عمرو بن العلاء، وغيرهم، إلا أن نصيب الخليل كبير، وهذا لا يعني أن سيبويه ناقل، فقد حوى «الكتاب» على جملة من آرائه، ثم إن مادة «الكتاب» لا تخلص للعربية وحدها إذ اشتمل على شيء يتصل بالقافية وشيء آخر يتصل بالتعريب والـمعرَّب. كما لا تعدم أن تجد فيه شيئاً من باب اللفظ والـمعنى وما يتصل بالحقيقة والـمجاز. إن جملة هذا يُشير إلي أن «الكتاب» مجموع ما أفاده سيبويه من علوم العربية، وهو بهذه الهيئة بما قدمناه يشعر بهذا الذي ذكرناه.

(٥٣) الكتاب، (ط، بولاق) ١٥٨/١.

(٥٤) الـمصدر السابق، ١٠٥/١. أقول: ومثل هذا قد ورد في «الكتاب» كثيراً ولنا أن نجتزيء منه في الـمواضع: ٤٤/١، ١٩٩، ٢٠١، ٢١٤، ٢٦١، ٣٢٧. وغير هذا.

(٥٥) الـمصدر السابق ١٦١/١. أقول: ومثل هذا جاء في «الكتاب»، انظر: ٧٧/١. ٨٥، ٨٧، ١٤٠، ١٥٣، ١٨٢، ٢٤٩، وغير هذا.

(٥٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١٠/١.

(٥٧) الـمبرد، الكامل (ت. زكي مبارك)، ص ٩٦٦.

(٥٨) ابن حجر، الإصابة (الـمطبعة الوهابية)، ١٩٣/٣.

(٥٩) الزمخشري، الفائق، ٦٧٧/١.

(٦٠) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء (دار الـمعارف، ١٩٥٢)، ص ٢٠٤.

(٦١) الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٢١/١.

(٦٢) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٥٩.

(٦٣) الـمصدر السابق.

(٦٤) سيبويه، الكتاب، ٤١٢/١.

(٦٥) الـمصدر السابق، ٤١٨/١.

(٦٦) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص ٥-٦.

(٦٧) الكتاب، ٣٧٩/١.

(٦٨) الـمصدر السابق، ٣٩٥/١.

(٦٩) انظر: مختصر في شواذ القرآن، ص ١٣٦، والبحر الـمحيط ٢٧/٨.

(٧٠) معاني القرآن للأخفش الأوسط (ت. فائز فارس ـ دار البشير).

(٧١) الـمصدر السابق، ٩٩/١.

(٧٢) الـمصدر السابق، ٤٠٧/٢.

(٧٣) ٧٨ سورة هود.

(٧٤) الكتاب ٣٩٧/١.

(٧٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦٢/١٦.

(٧٦) ابن جني، الـمحتسب، ٧٣/٢. وانظر البحر الـمحيط، ١٥٨/١.

(٧٧) أبو حيان، البحر الـمحيط، ٢٧١/٤.

(٧٨) الـمصدر السابق، ١٥٨/٣.

(٧٩) أقول: اعتمدوا في السماع على الأعراب، وعلي الثقة من أهل العلم، وعلى ما ورد كثيراً من كلام العرب، فقد روى الزبيدي (الطبقات ٣٤): ان ابن نوفل روى عن أبيه أنه سأل أبا عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت فيما سميته «عربية»، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة. قال: أعمل على الأكثر، وأسمى ما خالفني «لغات».

(٨٠) أقول: لقد استبعد النحاة الحديث الشريف أو كادوا بحجة أن رواة الحديث ربما حافظوا على المعني فأدخلوا ألفاظهم فيه، وكثير منهم ليسوا من أصول عربية ولا من الأعراب.

انظر: ما جاء في هذا في «مجالس ثعلب» (ط٢) ص ٤٥٤، والـمطر والسحاب لابن دريد، ص ٥، والـمخصص، ٩٦/٩.

(٨١) الزجاجي، مجالس العلماء، ص ١٢٠.

(٨٢) سيبويه، الكتاب، ٣٤٥/١.

(٨٣) أقول: واليت للقحيف العقيلي، ذكره أبو عبيدة وقال: إن الشاعر ضمّن هذا اليت معنى «أقبَلَ» فعدّاه تعديته. وقد ورد مثله لآخر:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لئامها

وفي هذا البيت عُدِّيَ الفعل «رضي» بـ «عن» وهو الأصل، أليس لي أن أقول في الشاهد الأول إنها لغة الشعر تسمح الشاعر أن يتجاوز فيها؟

(٨٤) الأنباري، الإنصاف (الـمسألة ٢٢).

(٨٥) الإنصاف في مسائل الخلاف، من كتب الأنباري أبي البركات، ويشتمل علي جملة الـمسائل التي خالف فيها الكوفيون البصريين، طبع غير مرة.

(٨٦) هو أحمد بن محمد بن ولاّد، أبو العباس، نحوي من نحاة مصر أصله بصري من تميم، توفي سنة ٣٣٢هـ، له كتاب «الـمقصور والـممدود» وكتاب «انتصار سيبويه على الـمبرد».

أقول: إن ابن ولاد في تعصبه لسيبويه على الـمبرد أنكر شيئاً من سماع الـمبرد الذي أخذ به وجعله الأصل الـمهم في العربية، وهذا يعني أن سماع سيبويه لم يستوف هذه الـمسألة.

(٨٧) سيبويه، الكتاب ٩٠/٢.

(٨٨) السيوطي، الاقتراح، ص ٦٨، وانظر الخصائص، ابن جني ٢٩/٢ و ١٧٦.

(٨٩) كتاب «الإيضاح»، ص ٦٤.

(٩٠) كتاب «الحدود» ص ٥٠.

(٩١) كتاب «الاقتراح»، ص ٥١-٥٢.

(٩٢) ياقوت، إرشاد ٢٦/٥.

(٩٣) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٦.

(٩٤) المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.

(٩٥) سيبويه، الكتاب ٢٣٣/٢.

(٩٦) نزهة الألباء (الأنباري)، ص ٢٢.

(٩٧) الكتاب ٣٩٧/١. ومحمد بن مروان هذا من قراء أهل المدينة.

(٩٨) الكتاب، ٣٩٧/١.

(٩٩) المصدر السابق، ١٧٠/٢.

(١٠٠) المصدر السابق ٢٦/١، ٣٦، ١٥٣، ٣٧٩ وغيرها.

(١٠١) السيوطي، الاقتراح، ص ٩٠.

(١٠٢) المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١٠٣) الأنباري، نزهة الألباء، ص ١٠٢.

(١٠٤) السيوطي، المزهر، ٢٠١/٢.

(١٠٥) الجاحظ، البيان والتبيين ١٩/١.

(١٠٦) السيوطي، الاقتراح، ص ٢٧.

(١٠٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (ط. دار صادر ١٩٦٨)، ٧٠/١.

(١٠٨) الجاحظ، البيان والتبيين ٣٤٧/١.

(١٠٩) سورة الأنعام ١٣٧.

(١١٠) سورة الأعراف ١٠.

(١١١) سورة النساء ١.

(١١٢) ابن جني، المحتسب ١٢/١-٢٣.

(١١٣) المزهر ١٣٣/١.

(١١٤) ابن الفقيه، البلدان (الطبعة الأوروبية)، ص ١٧١.

(١١٥) السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص ٤٣-٤٤.

(١١٦) الجاحظ، البيان والتبيين ١٥٤/٣ (الهامش).

(١١٧) الأنباري، نزهة الألباء، ص ٥١.

(١١٨) أحمد أمين، ضحى الإسلام ٢٩٤/٢.

(١١٩) نزهة الألباء ص ٥١-٥٢.

(١٢٠) ابن النديم، الفهرست ص ٩٦.

(١٢١) نزهة الألباء، ص ٥١، وانظر الفهرست ص ٩٦.

(١٢٢) نزهة الألباء، ص ١٠٨.

(١٢٣) انظر «ترجمة الزبيدي» في «طبقات النحويين» للزبيدي.

(١٢٤) انظر: شرح الكافية، ٥٨/١، ٨٧، ١٦٣..

المصادر والمراجع

إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، القاهرة ١٩٥١، ١٩٦٦.

إبراهيم سلامة، **بلاغة أرسطو بين العرب واليونان**.

ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء**، ط. مكونة الحياة، بيروت ١٩٦٥.

ابن الأثير، **المثل السائر**، القاهرة، ١٩٤٨.

ابن جني، **الخصائص**، القاهرة، ١٩٧٤.

ابن جني، **المحتسب**، القاهرة ١٣٨٦.

ابن حجر، **الإصابة**، المطبعة الوهابية في القاهرة ١٣٥٨/١٩٣٩.

ابن خالويه، **مختصر فى شواذ القرآن**، القاهرة، ١٩٣٤.

ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، القاهرة، ١٣٦٧-١٩٤٨، وطبعة دار صادر ببيروت.

ابن دريد، **المطر والسحاب**، من مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق.

ابن سلام ، **طبقات فحول الشعراء**، ط. دار المعارف بمصر، ١٩٥٢.

ابن الفقيه، **البلدان**، الطبعة الأوروبية.

ابن النديم، **الفهرست**، طبع أوروباوطبع طهران، ١٩٧٢، وطبع القاهرة ١٩٤٩.

أبو حيان، **البحر المحيط**، نسخة مصورة عن الطبعة المصرية.

أبو علي الفارسي، **الحمية فى علل القراءات السبع**، القاهرة ١٣٨٥-١٩٦٥.

أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ط، بيروت وطبعة مصرية.

أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، وط. دار الكتاب العربي ببيروت.

أحمد بن فارس، **مجمل اللغة**، من منشورات معهد المخطوطات العربية في الكويت، ١٩٨٥.

الأخفش (سعيد بن مسعدة)، **معانى القرآن**، ط. دار البشير ودار الأمل بتحقيق فائز فارس.

الأنباري، **الإنصاف**، ط. ثالثة، القاهرة ١٣٧٤-١٩٥٥.

الأنباري، **نزهة الألباء**، ط. الزرقاء في الأردن، ١٩٨٥.

بروكلمان (كارل)، **تاريخ الأدب العربي**، (ترجمة النجار)، ط. دار المعارف بمصر.

ثعلب، **مجالس ثعلب**، دار المعارف بمصر.

الجاحظ، **البيان والتبيان**، القاهرة ١٣٦٨-١٩٤٩.

جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة.

الحلواني (محمد خير)، **أصول النحو العربي**، ط. الناشر الأطلسي في الرباط.

الاستراباذي، **شرح الكافية**، ط. استانبولي ١٢٧٥هـ.

الرماني، **الحدود**، ط. بغداد ١٣٨٨ ١٩٦٩٠.

الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ط. القاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥١م.

الزجاجي، **الإيضاح**، القاهرة، دار الفكر ١٣٧٨.

الزجاجي، **مجالس العلماء**، الكويت ١٩٦٢.

الزمخشري، **الفائق**، القاهرة، ١٩٤٥-١٩٤٨.

سيبويه، **الكتاب**، ط. بولاق.

السيرافي، **أخبار النحويين البصريين**، ط. بيروت ١٩٣٦، وطبعة مصرية.

السيوطي، **الاقتراح**، ط. حيدر آباد ١٣٥٩، والطبعة المصرية.

السيوطي، **المزهر**، ت. جاد المولي وزميليه، القاهرة بلا تاريخ.

شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العباسي**، ط. دار المعارف بمصر.

عبد الرحمن السيد، **مدرسة البصرة**، القاهرة، ١٩٦٨.

الفراء، **معاني القرآن**، ط. دار الكتب المصرية.

القالي، **الآمالي**، الطبعة الثالثة لدار الكتب المصرية.

القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ط. مصر.

المبرد، **الكامل**، ت. زكي مبارك.

الـمخزومي، الخليل بن أحمد، ط. بغداد.
ياقوت، **إرشاد الأريب**، نشره مرجوليوث، القاهرة ١٩٠٧/١٩٢٥.
مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية (١٩٤٨-١٤٩).
مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (الـمجلد العاشر، ج ٢، ١٩٤٨).
مجلة العربي (العدد ١٠٦، الكويت).
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد الأول ١٩٧٨).

نظرية الشكل والمعنى
في
النحو العربي

لعلي غير مفرط في استعارة مصطلح «نظرية» في الكشف عن أشكال نحوية عربية قديمة، وأريد بـ «النظرية» النمط النحوي الذي استقر عليه الـمعربون القدماء في العربية الفصيحة. وقد يكون شيء من هذا «النمط» مما لم يعرض له النحاة الأقدمون.

وليس «الشكل» ما ألفه أهل الدرس في النقد الحديث مما يقابل شيئاً أسموه «الـمضمون»[1]، ولكنه شيء قد بدا لي أن أتخذه مصطلحاً جديدا، فالنظر إلى «الشكل» الذي أسميته «نظرية»، يقابل النظر إلى «المعنى» كما سأبسطه في هذا الـمبحث.

وسوف أتخذ من لغة «التنزيل» العزيز مادة هذا البحث استقريه فأقف علي أنماط عدة من هذا الذي يحزبني من هذا العلم القديم. ولا أراني متنكرا للنحاة الأقدمين فيما ذهبوا اليه، ولكني سأنبه الدارسين إلى تفسير جديد يتخذ من الدرس النحوي شيئاً من علم أوسع منه هو العلم اللغوي الذي يشغل منه الجانب النحوي وجهاً من وجوهه.

وسيكون من منهجي الاستقرائي للآي الشريف منهجا معجميا اذكر المواد فأسلكها في نظام حروف الـمعجم. ولكني سأبدأ ببسط مسألة من الـمسائل لأقف الدارسين علي ما أرمي إليه من «نظرية الشكل» فأقول: عرف الدارسون للنحو القديم وغيرهم من الذين اقتصروا علي النحو المدرسي، مادة في «التوابع» هي النعت السببي كقولهم: «مررت بزيد الشقي أبوه». فالشقي نعت سببي وهو يصف موصوفاً له علاقة بالـمتبوع، ولكنه يتبع في «إعرابه» الـمتبوع السابق له، ومن أجل ذلك سمي النعت السببي، وهو يقابل النعت الحقيقي وهو الذي يصف المتبوع وليس غيره.

أقول: وموطن الإشكال في هذه الـمقولة النحوية ما فيها من نقض للإسناد الذي تقوم عليه الفلسفة النحوية، وذلك ان «الشقي» في الجملة الـمذكورة «مسند» وأن «أبوه» الـمسند إليه، وعلي هذا كيف يكون «الشقي» في إعرابه تابعاً للمتبوع وهو «زيد»؟ فهل

(١) أراد هؤلاء النقاد في عصرنا بالشكل والـمضمون ما أراده النقاد الفرنسيون بـ «La Forme» Le Contenu.

نقول: إن «الجر» في كملة «الشقي» خطأ، وصوابه أن يضبط بالضم علي الرفع، لا لن نقول هذا لأن المعربين قد درجوا علي الجر وكلامهم حق، وما ينطلق به الـمعربون هو اللغة، وينبغي للنحاة أن يلمحوا تفسيراً اخر فيعملوا اجتهاهم في ذلك.

ولو أنهم اجتهدوا علي غير ماذهبوا إليه من موضوع «السببي» لأدركوا أن حكاية هذه المسألة كحكاية اللغويين في النظر إلى قول القدماء «جحر ضبّ خرب»، فقد قالوا في جر «خرِب» أن ذلك للمجاورة. أقول: ربما كان قولهم بـ «المجاورة» هو ما يدخل في «الشكل»، وأعني أن الـمعرب يستحسن أن يشاكل بين «خرب» والاسم السابق وهو «ضب» فليست «المجاورة» التي قال بها اللغويون إلا «الـمشاكلة» وهي ما دعوته بـ «النظر الي الشكل».

وهذا «النظر الي الشكل» هو الذي دفع أبا جعفر يزيد بن القعقاع أن يقرأ «سلاسلا وأغلالا وسعيرا»[1]، خلافا لجمهور القراء، فقد دفعته «المشاكلة» والحفاظ علي «الشكل» أن ينون «سلاسلا» في حين ذهب جمهور القراء إلي منع التنوين وهو الأصل.

هذان نموذجان روعي فيهما «الشكل» وعلي هذا أيحق لنا أن نقول في جر «الشقي» من قولنا: «مررت بزيد الشقي أبوه» أن مراعاة الشكل اهتدي إليها الـمعربون فانطلقوا بها علي أنها شيء من ملاك هذه اللغة؟

وبعد فهل لي أن أقول بهذا «النظر إلى الشكل» فأجري عليه قوله تعالي ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾[2] وهو القول بـ «الجوار» واحتساب الجر للمشاكلة ابتعاد عن القول بالسببي الذي بسطنا فيه القول. ومثله قوله تعالي ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها﴾[3]، وكذلك قوله ـ جل وعز ـ : ﴿ ثم يخرج به زرعا مختلفاألوانه﴾[4].

وقد ينبري غير واحد من الدارسين فيرد علي مقولتي في إجراء هذا النمط من فن القول علي مراعاة الشكل متمسكا بما قال به النحاة الأوائل وهو «النعت السببي».

وما أريد أن أفسد على هذا الذي يتصدي رادا عليّ بقولي: إن القول بـ «المشاكلة» بسبب

(١) ٤ سورة الانسان.

(٢) ٧٥ سورة النساء.

(٣) ٢٧ سورة فاطر.

(٤) ٢١ سورة الزمر.

لجوار يصرفنا عن افتعال شيء يقوم علي أساس فاسد، وهو إذا كان النعت لـمنعوت معروف فكيف يكون إعرابه مبطلا لهذه العلاقة النحوية؟ والـمشاكلة شيء درجت عليه العربية في مواضع كثيرة كما سنرى.

ولنعرض للمواد التي جاءت في لغة التنزيل مرتبة على حروف الـمعجم:

١ـ أمــة:

جاءت كلمة «أمة» في اثنتين وخمسين آية، وهي اسم جمع، وهي مؤنثة وقد وردت موصوفة بصفة مؤنثة نحو قوله تعالي: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾[١].

وفي وصف «الأمة» بـ «واحدة» مراعاة للفظ وهي أن المطابقة بين الـمؤنث موصوفا والـمؤنث صفة. وجاء قوله تعالي: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت....﴾[٢].

وفي هذه الآية مراعاة للفظ واجبة تتحقق في مجئ الفعل بعد «أمة» ويؤكد هذه الـمراعاة كذلك الضمير في «لها» واسم الإشارة الـمؤنث «تلك». وهذه الـمراعاة لجانب اللفظ هي ما دعوته «النظر الى الشكل» أو «نظرية الشكل»، وليس من ضير أن تدخل «الـمشاكلة» في هذا. وقد وصفت «أمة» بصفة لا يتحقق حملها على جنس معين مذكراً كان أم مؤنثاً وهو كلمة «وسط» كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا..﴾[٣].

ونقرأ قوله تعالي ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير...﴾[٤] فنجد الفعل الأول يشير إلى الفاعل المؤنث وهو «أمة»، والفعل مبدوء بتاء الـمضارعة، وليست هذه التاء إلا علامة تطابق بين الفعل والفاعل، وفي هذا نظر الي الشكل يبدو في المطابقة. ويلي الفاعل فعل مسند إلى ضمير الجمع الـمذكر وهو الواو في «يدعون» وهذا يعني أن الـمطابقة زالت، وأن مجئ الفعل على ما جاء عليه يشير إلى مراعاة المعني، وهو النظر إلى الـمعني، والأمة جماعة من الناس غلب عليها التذكير. وعلى هذا جاءت مراعاة للمعني كما جاءت مراعاة للفظ، وإن لـمحنا ان مراعاة اللفظ اكثر ورودا في العربية، كما استقرينا هذه الخلاصة في عدة الآيات التي جاءت فيها «أمة».

(١) ٢١٣ سورة البقرة.
(٢) ١٤١ سورة البقرة.
(٣) ١٤٣ سورة البقرة.
(٤) ١٠٤ سورة آل عمران.

وقد روعي التأنيث في «أمة» ولو فصل بينها وبين الفعل فاصل هو مذكر في لفظه، وهو الفاعل في ترتيب الجملة لقوله تعالي: ﴿وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل﴾[1]، إن الفاعل للفعل «همت» هو «كل» وهو كلمة مفردة مذكرة باحتساب اللفظ، جمع في المعني، وقد روعي الشكل في هذا البناء النحوي، كما روعي المعنى في الاسم والفعل الذي ولي «أمة»، وهذا كله من «بديع» لغة التنزيل.

ومن المفيد أن نختم الكلام علي هذه المراعاة وتواترها بين الشكل والمعنى بقوله تعالى: ﴿وأن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم﴾[2].

وفي هذه الآية مراعاة للمعنى بسبب ما ورد من الفعل الأول الذي جاء فيه الخطاب للذكور عامة فلما جئ في حشو الآية بكلمة «أمم» طابقتها في مراعاة المعني.

٢- بشر:

وردت كلمة «بشر»[3] في سبع وثلاثين آية وها أنا أعرض لتفصيل ذلك:

جاءت في قوله تعالي: ﴿قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾[4]. أقول: ولابد أن نعرض لدلالة «بشر» ليتأتي لنا أن نقول في «مراعاتها» والنظر اليها. وهي في هذه الآية تعني «الرجل»، وهي علي هذا مفرد مذكر، وكذلك جاءت مراعاة للمعني.

وجاءت في قوله تعالي: ﴿بل أنتم بشر ممَن خلق يغفر لمن يشاء....﴾[5]، وهي هنا جمع مذكر بدلالة الضمير أنتم.

---

(١) ٥ سورة غافر.

(٢) ١٨ سورة العنكبوت.

(٣) الذي أراده في معني «بشر» انها ذات صلة أكيدة بكلمة «البشرة» وهي ظاهر جلد الانسان، وقد بدا لي أنها تدل علي الناس مفردا أو جمعا لأنهم «هالكون فانون» بالقياس الي الخالد الدائم الباقي وهو الله، وأنت حين تقرأ قوله تعالي ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الي انما إلهكم إله واحد﴾ (١١٠ سورة العنكبوت)، وكقوله تعالي: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا﴾ وهذا يتحقق دلالة في آيات أخري تلمح هذه الدلالة التي أشرت اليها مما يومئ اليها سياق الآيتين.

(٤) ٤٧ سورة آل عمران.

(٥) ١٨ سورة المائدة.

ان كلمة «بشر» نظير كثير من الكلم في العربية لا يترشح منها جنس بعينه، فهي تارة مذكر مفرد، وأخري مؤنث، ثم جمع بنوعيه وقد وجدنا شيئاً من هذا.

٣- بعض:

الكلام على «بعض» مفيد، فقد قال فيها الـمعنيون باللغة التاريخية الشيء الكثير، فمنهم من قصر دلالتها على الواحد، وفي هذا مراعاة للشكل، ذلك أن لفظ «بعض» هو الإفراد والتذكير. ومنهم من صرفها إلى الجمع، وكأن هؤلاء يلمحون فيها ما يلمحون في «بضع» ودلالتها علي ما بين الثلاثة إلى العشرة. والذي أراه أن «بعض» تدل على الواحد كما تدل على الجمع وفي كليهما شواهد، ولنبدأ بالشواهد غير ما ورد منها في لغة التنزيل ثم نختم هذا الاستقرار بالنظر في لغة التنزيل فنقول:

ونستدل علي دلالة «بعض» علي الواحد في قول لبيد:

تراك أمكنة اذا لم أرضَها ... أو يرتبطْ بعضَ النفوس حمامُها

وفي قول زهير:

ولأنت تفري ما خلقت وبعـ ... ـضُ القوم يخلُق ثمَ لا يفري

وفي قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحيِّ عاشقة ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وفي قول أبي دلامة[1]:

أُقادُ الي السجون بغير ذنَبٍ ... كأني بعضُ عمّال الخَـرَاج

دلالة « بعض » على الواحد مع التكرار:

وتدل «بعض» على الواحد مع تكرارها، ومن ذلك ما جاء في «الكامل» للمبرد، وهو يشرح في قول الرسول صلي الله عليه وسلم: «لو تكاشفتم ماتدافنتم»، قال الـمبرد: «يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه»[2].

---

(١) العقد الفريد ١ :٢٦١.

(٢) الكامل للمبرد ٢٥٩/١.

دلالة «بعض» على الجمع من غير تكرار:

وتدل «بعض» على الجمع من غير تكرار، كثيرا، وذلك كما في قول المرقَش الأصغر[1]:

شَهِدتُ به عن غارة مُسْبطرَة يُطاعِن بعضَ القوم والبعض طوّحوا

وفي قول عبد الله بن رواحة[2]:

ولو سألتَ أو استنصرتَ بعضهم في جُلَ أمرك ما آوَوا وما نَصَروا

وجاء في «نهج البلاغة» أن الإمام عليّا ـ عليه السلام ـ قال: «.... حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة»[3].

وقال جرير[4]:

ألا ليت أن الظاعنين بذي الغَضَا أقاموا وبعض الآخرين تحمّلوا

وقال الفرّاء: «وبعض بني أسد وقضاعة ينصبون «غيّراً» اذا كان في معنى «الا»[5].

وجاء في «البيان والتبيين» للجاحظ: «وقال حين مرّ ببعض القوم فشتموه»[6].

وقد استوفينا من الشواهد ما يثبت أن «بعض» دلّت علي الجمع من غير تكرار في الشعر والنثر في عصور مختلفة.

واذا كانت «بعض» قد دلت علي الواحد والجمع فهي دالة على المثنى أيضاً، فقد جاء في قول أبي العباس أحمد بن يحيي المعروف بـ «ثعلب»: «..... لأن بعض الأصابع يكون أصبعا وأصبعين وأصابع»[7].

وقد قلت في أول الكلام علي «بعض»: انها توميء إلى «بضع» وكلاهما يدل على شيء من شيء، وان غلب على «بضع» أنها دون العشرة كما قالوا.

(١) جمهرة أشعار العرب ص٢٠١ (ط. صادر).
(٢) طبقات الشعراء (الأوروبية) ص ٨٨.
(٣) نهج البلاغة ٢٥١/٢ (ط. البابي الحلبي).
(٤) ديوان جرير ص ٢٥٥ (ط. الصاوي).
(٥) مختار الصحاح للرازي (غير).
(٦) البيان والتبيين (ط. السندوبي) ٩٤/٢.
(٧) لسان العرب (ب ع ض).

وفي قول ابن أبي مقبل[1]:

لولا الحياءُ ولولا الدين عبتُكما ببعض ما فيكما اذ عبْتَمـا عَـورَي

والمراد: لعبتكما ببعض ما فيكما ولم أتجاوزه إلى غيره.

ولنعد لاستقراء «بعض» في لغة التنزيل فنقول: انها جاءت للدلالة علي الواحد كقوله تعالي: ﴿ولو أنزّلناه على بعض الأعجمين فقرأه﴾[2] والدلالة على الواحد معني واضحة بدليل الفعل اللاحق «فقرأه»، وفي هذا فائدة لغوية نحوية أخرى هي النظر إلى الشكل، «والشكل» هنا هو اللفظ، وليس «الـمعني» الذي هو افادة الجمع. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به.....﴾[3].

وقد يحمل «بعض» على الواحد دلالة معنوية، فيكون في ذلك مراعاة للشكل، وهو اللفظ المذكر الواحد، ولكنه على الرجحان لا القطع كما في قوله تعالى: ﴿وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيّارة﴾[4] وبعض السيارة أحدهم استرجاحا.

والكثير في «بعض» في كلام الله جل وعز دال على الجمع استرجاحا، وفي ذلك يتحقق النظر الي الـمعنى، كقوله تعالى: ﴿ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء﴾[5]، وإذا كنت استرجح دلالة الجمع ففي دلالتها على الواحد قبول، و «بعض الآلهة «قد يكون جمعا، وقد يكون واحدا، وفي كليهما ضرب من النظر يقوم اما على مراعاة الشكل أي اللفظ، وإما على مراعاة «الـمعنى وهو الجمع.

قلت: ان دلالة بعض على الجمع كثير، وهذا يتحقق في تكرارها كقوله تعالى:

ـ ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو...﴾[6].

ـ ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض...﴾[7].

(١) الـمصدر السابق.
(٢) ١٩٨ سورة الشعراء.
(٣) ٦٦ سورة التحريم.
(٤) ١٠ سورة يوسف.
(٥) ٥٤ سورة هود.
(٦) ٣٦ سورة البقرة.
(٧) ٢٥٣ سورة البقرة.

ـ ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مَنَّ الله عليهم﴾[1].

ودلالة الجمع تتحقق من المعنى، وقد تأتى مستفادة من قرينة دالة كقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾[2].

وقوله تعالي: ﴿وأقبل بعضهم علي بعض يتساءلون﴾[3].

وقد تأتي «بعض» مكررة دالة على الواحد استرجاحا نحو قوله تعالى: ﴿وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض﴾[4].

﴿خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق﴾[5].

وجملة هذه الآيات تكشف عن أن «بعض» مفرد في لفظه فروعي هذا في آيات، جمع في معناه فروعي هذا أيضا في آيات أخري. وقد كنا وصلنا إلى شيء من هذا في جملة من الشعر والنثر.

٤ـ جبل:

و«الجبال» جمع جبل، وقد روعيت في بناء الجملة القرآنية على أنها مؤنث، ولكن هذا المؤنث مع صفته الدلالية علي الجمع كان له مع الفعل نمط خاص، فهو فعل لحقته تاء التأنيث التى تلحق الفعل إذا كان الفاعل مؤنثاً مفرداً ومثله «نائب الفاعل» كقوله تعالى:

﴿ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال....﴾[6].

ومثل ذلك إذا ابتديء بها فجاء الفعل بعدها واقترنت به تاء التأنيث كقوله تعالى: ﴿وإذا الجبال نسفت﴾[7].

وهذه نظير قوله تعالى: ﴿يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا﴾[8].

(١) ٥٣ سورة الأنعام.
(٢) ٧٣ سورة الأنفال.
(٣) ٢٧ سورة الصافات.
(٤) ٢٤ سورة ص.
(٥) ٢٢ سورة ص.
(٦) ٣١ سورة الرعد.
(٧) سورة المرسلات.
(٨) ١٠ سورة الطور.

ومعاملة «الجبال» وهي جمع مؤنث معاملة الـمفرد يتضح في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوِّبي معه والطير﴾[1].

ويتبين هذا أيضاً في عود الضمير الـمؤنث الـمفرد على «الجبال» وهي جمع كقوله تعالي: ﴿ويسئولنك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا﴾[2].

غير أننا نجد «الجبال» وقد روعيت جمعا مؤنثا بدلالة الفعل بعدها مسندا إلى نون النسوة كما في قوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾[3]، وقد وصفت الجبال بالصفة مفردة مؤنثة نحو قوله تعالى: ﴿وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُ مرَ السحاب﴾[4].

وجملة هذا الذي بسطناه من الآيات الكريمة يشير الي أن الجمع مؤنث، واذا كان مؤنثا فقد يراعي مراعاة الـمؤنث بحسب اللفظ، ويراعى الـمعنى فيثبت له الجمع، وهذا قليل.

٥- جمـل:

وقد جاء في لغة التنزيل «جمالة» وهي اسم جمع لـ «جمل» كالصحب والصحابة ونحو هذا، وذلك في قوله تعالى: ﴿انها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر﴾[5].

واسم الجمع في العربية يراعي فيه ما يراعي في الـمفرد مذكراً أو مؤنثاً فالغالب في «الركب» الأفراد والتذكير كالوفد، والخصم، والنوم ونحوه، ومثله اسم الجنس الجمعي كالشجر والتمر ونحوهما مما كان مفرده بالتاء التى تشير إلى الواحدة من الجنس وهي: شجرة وتمر...

غير أن «جمالة» قد وصفت بالجمع المؤنث وهو «صُفر» جمع أصفر أو صفراء.

---

(١) ١٠ سورة سبأ.

(٢) ١٠٥ سورة طه.

(٣) ١٨ سورة ص. ولعل إسناد الفعل إلى النون يعود إلى أن «الجبال» استعير لها ما يكون للعاقل وهو «التسبيح».

(٤) ٨٨ سورة النمل.

(٥) ٣٣ سورة المرسلات.

وفي هذا نظر إلى معنى الجمعية دون «الشكل» وهو لفظ الـمفرد الـمؤنث[1].

٦ـ رحـــم:

ونعرض في هذا الأصل إلى «رحمة» وهي اسم مؤنث في قوله تعالي: ﴿أن رحمة الله قريب من الـمحسنين﴾[2].

في هذه الآية وصفت «الرحمة» وهي اسم مؤنث حقيقي بـ «قريب» على جهة الاسناد لا الوصف. وقد اكتفى النحاة بقوله: ان ما جاء علي «فعيل» هو مما يستوي فيه المذكر والـمؤنث. وحملوا على هذا بناء فعول نحو عجوز. وقالوا أيضاً إن «فعيل» الذي يستوي فيه الـمذكر والـمؤنث لابد أن يكون بمعنى مفعول، وهذا غير صحيح وذلك لأن «قريب» ليس بمعني مفعول بل بمعني فاعل. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿والـملائكة بعد ذلك ظهير﴾[3]، وليس بعيداً عن هذا قوله تعالي: ﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير﴾[4].

وفي هذه الآيات انعدمت الـمطابقة بين الصفة والـموصوف، والسند والـمسند إليه، وليس لي أن أقول في هذه الـمسألة ما قلته من مراعاة الشكل أو مراعاة الـمعنى. وعلى هذا ليس لنا إلا أن نقول شيئاً آخر يتصل بتاريخ العربية وتطورها. إن «ظهير» و «كثير» مفردان مذكران فكيف جاء مجيئهما على النحو الذي ورد في الآيتين؟ إن «ظهير» وهو مفرد مذكر جاء خبراً للملائكة وهي جمع مؤنث، و «ربيّون» جمع مذكر، و«كثير» الصفة مفرد مذكر.

قد يكون لي أن أقول: إن التأنيث حادث في العربية، وإن الـمذكر هو القديم، ومن أجل ذلك وصلوا إلى الـمؤنث بزيادة علامة هي «الهاء» أو غيرها. وكان ورود «قريب» و «ظهير»، وكان ينبغي أن يكونا قريبة وظهيرة، يشعرنا أن هاتين الكلمتين بقية لم يصل اليهما شيء من

(١) وقد قرئت «جمالة» هذه «جمالات» بمطل الفتحة وكأنها تحولت لفظا الي شيء من الجمع بالألف والتاء، وليس منه في الحقيقة، لأن الـمفرد «جمل» لا يكون «جمالات» في الجمع، وعلي هذا تكون «جمالات» في هذه القراءة اسم جمع مثل «الجمالة» ومطل الحركة لا يؤدي إلى الجمع الـمؤنث بالألف للافتقار الي الـمفرد (انظر الكشاف للزمخشري في الكلام علي هذه الآية).

(٢) ٥٦ سورة الأعراف.

(٣) ٤ سورة التحريم.

(٤) ١٤٦ سورة آل عمران.

لعلامة التي تميزهما وتخصهما بالتأنيث. ومثل هذا ما جاء في كلمة «زوج» وما ورد على «فعول» نحو عروس وعجوز ونحوهما، وليس لنا أن نقول مقالة أهل اللغة الأوائل: أن هذه المواد مما يستوي فيه المذكر والمؤنث. وسبيلنا في هذه ما قلناه في «قريب» و «ظهير»، وأنها بقية قليلة من الأبنية العربية التي لم يلحقوها بالعلامة الحادثة المميزة.

والذي يقوي هذا النظر لديَ هو أن هذه المواد وردت في العربية القديمة مجردة عن علامة التأنيث وأنها وردت للمؤنث والمذكر ومن ذلك ما جاء في لغة التنزيل كقوله تعالي: ﴿وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾[1] ومن المفيد أن أقول: إن «الزوج» للرجل لم يرد في لغة التنزيل، ولكنه معروف في العربية.

غير أن العربية بعد أن فارقت عصر القرآن قد جدّ فيها شيء اقتضاه تحول الزمن الذي يقضي بالتمييز بين المذكر والمؤنث دفعاً للبس، ولأن الحياة الجديدة بعد تلك الحقبة كان فيها من العلم بحقوق المرأة «الزوج» وما يكون لها في الإرث والزواج والطلاق أشياء تجعلها مختلفة عن الرجل «الزوج» في حقوقه وماله في الحياة الإسلامية، فكان ضرورياً أن يصار إلى التمييز بين «زوج» و «زوج» فجدّت كلمة «زوجة» للمؤنث.

لقد جاءت «زوجة» في شعر الفرزدق في قوله:

وأن الذي يسعي ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشَرَي يستبيلَها

كما جاءت في شعر ذي الرّمة:

أذو زوجة بالمصر أم ذو خَصومةٍ أراك لها بالبصرة اليومَ ثاويا

وليس عجبا إذاً أن نرى المتنبي يقول:

لك اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبها قتيلة شَوقٍ غير مُلحقها وَصْمَا

و«القتيل» علي «فعيل» مما يستوي فيه المذكر والمؤنث.

ومن الدليل علي أن التأنيث حادث وليس أصيلاً أصالة التذكير ما ورد من النعوت الخاصة بالمرأة التي عريت عن علامة التأنيث لأنها خاصة بالمؤنث وليس من لبس يقتضي علامة مميزة نحو: طالق، وناشز، وحامل، ومرضع، وغير هذا كثير.

---

(١) ٣٥ سورة البقرة.

ومن الدليل على أن التأنيث حادث وليس بأصيل أيضاً ميل العربية إلى الابتعاد عن الـمؤنث بجعل الفعل يَعْرَى مما يشير إلى الـمؤنث الفاعل كما في قوله تعالي: ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾[1].

وأدل من هذا قوله تعالى: ﴿وقال نسوة في الـمدينة﴾[2]، إن الفعل في الآية قد عري عما يشير إلى أن الفاعل مؤنث وهو «خزنتها» بسبب الفاصل «لهم» وكان الفاصل سوغ الرجوع إلى الأصل وهو التذكير صاحب الأصالة في العربية. والفعل «قال» في الآية الثانية قد عري مما يشير إلى أن الفاعل مؤنث حقيقي جريا مع العربية التي تنظر إلى الأصل، وهو عدم وجود العلامة الـمميزة للمؤنث.

ولعلي ألحق بهذا ما ورد من مجيء الصفة مذكرة والـموصوف مؤنث كقوله تعالى: ﴿خشعا أبصارهم﴾[3]، إن «خشعا» جمع خاشع مثل ساجد وسجَد وعودها إلى الابصار علي طريق النعت السببي يوميء إلى إغفال الـمؤنث واحتساب التذكير وهو الأصل، في حين وصفت «الأبصار» بـ «خاشعة» وهي مؤنثة جريا على ما انتهت إليه اللغة في تطورها في قوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم﴾[4].

وجاءت مراعاة المعني في كثير من الكلم الذي قد يعني الكثرة كما رأينا في «بعض» وكما هو الحاصل في «كل» و «جميع» كما سنري، ولكنها تجاوزت هذا الحد إلى ما هو أقرب إلى الجمع مما له مفرد من لفظه[5] أو غيره. ومن هذا الضرب الأخير «ذباب» فقد روعي إفراده وتذكيره، وإن كان منه «ذبابة» كسائر أسماء الجمع وأسماء الجنس نحو شجر

---

(١) ٧٣ سورة الزمر.

(٢) ٣٠ سورة يوسف.

(٣) ٧ سورة القمر.

(٤) ٤٣ سورة القلم.

(٥) قلت: مما له مفرد من لفظه، وأريد أن أقول: إن «ذباب» ومثله كثير هو الأصل الذي ولد منه الـمفرد «ذبابة» بالتاء، وهذا يعني ان الـمفرد حادث وذلك لأن الأصل الدال علي فكرة الجمع قد يشيع في الكلام فيميل الـمعربون إلى الأخذ منه مفرداً علي حدة، ألا تري أن «الأسطورة» مثلا جاءت من «الأساطير» التي هي جمع الجمع لـ «سطر»، وقد أخذ منها الـمفرد بعد انصراف دلالتها من الكتابة التي هي جمع الجمع لـ «سطر»، وقد أخذ منها الـمفرد بعد انصراف دلالتها من الكتابة التي هي «سطور» إلى الحكاية ذات الصبغة الخرافية، ومثل هذا كثير في العربية.

وشجرة وتمر وتمرة، قال تعالى: ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا تستنقذوه منه﴾[1]. وقد يلحق بهذا مما لم يأت منه مفرد كما في «ذرية» فقد وصفت وهي اسم مؤنث بصفة مجموعة جمعا مذكرا كقوله تعالى: ﴿ولهم ذرية ضعفاء﴾[2] وهذا يعني أن مراعاة المعني غلب في الوصف، ذلك ان «الذرية» وهي لفظ مؤنث تشتمل على الذكور والاناث، والتغليب للذكورة. ولكن مراعاة اللفظ والنظر إلى «الشكل» تحقق في هذه الكلمة من قوله تعالى: ﴿... قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾[3]، فقد وصفت بصفة مفردة مؤنثة حملا على لفظها أي شكلها. كما جاء الضمير العائد عليها مفرداً مؤنثا في قوله تعالى: ﴿..... ذرية بعضها من بعض﴾[4].

٧- رسل:

قال اللغويون المتقدمون: أن الجمع في العربية مؤنث علي الغلبة التي يستبعد منها جمع المذكر السالم[5]، وقد كانت النصوص مؤيدة كثيراً هذا الذي ذهبوا إليه، ولنعرض كلمة «رسل» في لغة التنزيل لنقف كيف كان مكانها في الجملة القرآنية. ولابد من القول إن «الرسل» جمع «رسول»، وعلى هذا فالتذكير أصيل فيها إفرادا ودلالة معنوية.

جاء في قوله تعالي: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين.....﴾[6] وقوله تعالى: ﴿..... يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم﴾[8].

---

(١) ٧٣ سورة الحج.

(٢) ٢٦٦ سورة البقرة.

(٣) ٣٨ سورة آل عمران.

(٤) ٣٤ سورة آل عمران.

(٥) قلت إن الجمع مؤنث غالبا استبعد منه جمع المذكر السالم، ومن المفيد أن أشير الى أن ما ألحق بهذا الجمع قد اتبع فيه هذا المشهور من تأنيث الجمع نحو، سنون وأهلون ومئون ونحو ذلك، ولعهل من المفيد أن أشير إلى «بنون» فقد روعي فيها التأنيث مع دلالتها المعنوية في أنها جمع لـ «ابن» فقد جاء في قوله تعالى: ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل﴾. وقد يقال هذا في أن «بنو اسرائيل» تعني «أمة» فهي مؤنثة في المعني.

(٦) ١٦٥ سورة النساء.

(٧) ١٠٩ سورة المائدة.

(٨) ١٣٠ سورة الأنعام.

وقد روعي التذكير بالوصف الـمجموع وبالضمير الجمع الـمذكر العائد على «الرسل». غير اننا نجد النظر إلى الشكل واللفظ ما يتحقق في التأنيث الذي نجده في الفعل وغيره كما في قوله تعالى: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾[1]، ﴿واذا الرسل اقتت﴾[2].

٨- ريـح:

جاءت كلمة «الرياح» في لغة التنزيل، وهي جمع، وقد نظر فيها إلى التأنيث فوصفت بالجمع الـمؤنث كما في قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح.....﴾[3]، و﴿من آياته أن يرسل الرياح مبشرات....﴾[4]. وقد يتقدمها الفعل وهو يشير إلى تأنيثها كما في قوله تعالى: ﴿.....فأصح هشيما تذروه الرياح﴾[5].

٩- زوج :

ويأتي الجمع «أزواج» في لغة التنزيل فيدل على أنه جمع لـ «زوج» وهي زوج الرجل، كما يأتي جمعا لـ «زوج» للأنعام وغيرها مما تنبت الأرض من الشجر والنبات.

أما «الأزواج» في دلالتها على جمع «زوج» للرجل فقد جاءت موصوفة بصفة مؤنثة مفردة، وفي التأنيث مراعاة للحقيقة، ولكن الأفراد شيء جرت عليه العربية في وصف الجمع ما عدا جمع الـمذكر السالم[6]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾[7].

---

(١) ٥٣ سورة الأعراف.

(٢) ١١ سورة المرسلات.

(٣) ٢٢ سورة الحجر.

(٤) ٤٦ سورة الروم.

(٥) ٤٥ سورة الكهف.

(٦) يوصف جمع الـمذكر السالم بصفة جمع مذكر فيقال الـمسلمون الـمؤمنون، والزيدون الأفضلون، والـمهندسون العلماء. ولكن الجموع الأخري وهي جموع التكسير فليس من ضابط فيما يأتي بعدها من وصف فقد يكون مفرداً مؤنثاً، وقد يكون جمعا مؤنثا حقيقة أو ما يحمل على التأنيث، وأما جمع الـمؤنث السالم فيوصف بالجمع الـمؤنث، وقد يأتي الوصف مفرداً فيقال: صحائف بيض، وليس بيضاء كما هو الشائع في عصرنا. أما ما يتبع الجمع من اسم الجمع واسم الجنس فليس من ضابط فيه فقد ينظر إلى لفظه فيكون مفرداً مؤنثاً أو مذكراً، وقد ينظر إلى معناه فيلحق بالجمع فيوصف بالـمفرد الـمؤنث أو الجمع الـمؤنث، وفي الذي عرضناه كفاية.

(٧) ٢٥ سورة البقرة.

كما ورد الضمير العائد على «أزواج» مفرداً مؤنثاً وذلك في قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها﴾[1].

غير أننا نجد «الأزواج» وقد روعي فيها التأنيث والجمع فعاد عليها «النون» ضمير النسوة المؤنث كما في قوله تعالي: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾[2]. وفي قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن﴾[3].

١٠- سحب:

لقد ورد «السحاب» في جملة من الآي الكريم وهو في بعضها مفرد مذكر بدلالة الوصف، وهذا يأتي من مراعاة اللفظ أو الشكل، فاللفظ مذكر، وكما في قوله تعالي: ﴿وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم﴾[4]، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿....والسحاب المسخر بين السماء والأرض..﴾[5].

وقد يأتي بعده ضمير مفرد مذكر يعود عليه نحو قوله تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء﴾[6].

ولكنك تجد «السحاب» في آيتين قد وصف صفة مجموعة تخلص للتأنيث، وهذا يعني أن النظر في هذا الي المعني كقوله تعالى: ﴿.... وينشيء السحاب الثقال﴾[7]، وقوله تعالي أيضاً: ﴿حتي اذا أقلت سحابا ثقالا...﴾[8].

١١- سنبل:

ويحسن بنا أن نقف على «سنبلة» في لغة التنزيل العزيز فنجدها في قوله تعالى ﴿إني أرى

(١) ٢١ سورة الروم.
(٢) ٢٣٤ سورة البقرة.
(٣) ٥٠ سورة الأحزاب.
(٤) ٤٤ سورة الطور.
(٥) ١٦٤ سورة البقرة.
(٦) ٤٨ سورة الروم.
(٧) ١٢ سورة الرعد.
(٨) ٥٧ سورة الأعراف.

سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر....﴾[1].

أقول: وجمع المؤنث في «سنبلات» وغيرها هو جمع أدني العدد (أي القلة)، وهو يفيد هذه الدلالة القليلة العدد في كل اسم يجمع هذا الجمع إلا إذا كان الاسم لا يجمع إلا بالألف والتاء نحو النبات و«الهبات» ونحوهما فهو في هذه الحالة يدل على الكثرة ولا يخلص إلى القلة الا بقرينة دالة فيقال مثلاً سبع بنات، وعدة هبات. فإذا قلنا سبع سنبلات فهي جمع قلة من غير دلالة العدد عليه، ومثله «بقرات» التي وردت في الآية فالكثير فيهما سنابل وبقر.

وقد يعترض معترض فيقول: وردت «سنابل» في القرآن وهي مفيدة القلة في قوله تعالى: ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل....﴾[2]، والجواب عن هذا ان «سنابل» تفيد الكثرة، وانما أفادت القلة بقرينة العدد «سبع» وليس في هذا ما يخرم القاعدة، وهذا باب من فصاحة العربية، وجميل بي أن اقول مقالة أبي الفتح عثمان بن جني: ذلك «من شجاعة العربية».

١٢- سوء:

ولنرجع إلى مراعاة المعنى في بناء الجملة القديمة فنجد «السيئات» في قوله تعالى: ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني﴾[3] وفي هذه الآية جاء الفعل «ذهب» وفاعله «السيئات» جمع مؤنث حقيقي التأنيث. ولو كان بين الفعل والفاعل فاصل من ضمير لقلت قام الضمير حاجزا فأبعد التأنيث كقوله تعالي: ﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾[4].

ولنقف قليلا علي «سوأة» وهي ما يجب أن يستر من عورة الانسان كما في قوله تعالى: ﴿... كيف يواري سوأة أخيه﴾[5]، وهذه تجمع علي «سوءات» جمعا مؤنثا، كقوله تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سواءتكم﴾[6]. ولكن هذه الكلمة قد وردت في آية في

(١) ٤٣ سورة يوسف.
(٢) ٢٦١ سورة البقرة.
(٣) ١٠ سورة هود.
(٤) ٣٤ سورة النحل.
(٥) ٣١ سورة المائدة.
(٦) ٢٦ سورة الأعراف.

لكلام على آدم وحواء فجمعت ولم يدل على التثنية وهي المقصودة في الآية إلا بالضمير الذي عاد عليهما فقال تعالي: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما﴾[1]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما﴾[2].

أقول: وهذا باب من العربية يراد به إحسان الأداء، وأن الكلمة «سوأة» لو ثُنيَت فلحقهما ضمير التثنية لم تكن حسنة مستملحة، ولفقدت شيئاً من طلاوة درجت لغة التنزيل علي أن يكون فيها شيء كثير من الكلم العبقري الجميل.

أقول: وعلي هذا جاء قوله تعالى: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صَغَت قلُوبكما﴾[3]، فقد جُمِعَ «القلب» ولم يُثنَ تحقيقا لهذا الغرض من احسان الكلام وبنائه بناء فاضلا ممتعا مباركا.

١٣ـ شرذم:

قلت: إن «إحسان الكلام» وتجويده مما درجت عليه لغة التنزيل، ومن هنا وصفت «شرذمة» وهي الفئة القليلة العدد بصفة جمعت جمع تصحيح مذكر في قوله جل وعز: ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾[4]، ولا أقتصر في النظر إلى هذه الآية بقولي: «روعي فيها المعني» بل أضيف أن الوصف أدى غرضا ينبغى أن يكون وصولا إلى «إحسان الأداء» فالسورة ينتظمها بناء يقوم على فواصل الآيات المنتهية بالنون، ومجيء «قليلون» يفي بهذا، ولا يفي بما قلناه لو كانت الفاصلة «شرذمة قليلة»، ومعاذ الله أن يأتي في كلمة شيء لا يفي بالكمال والجلال.

١٤ـ صحف:

وقد وردت «الصحف» في جملة آيات روعي فيها النظر إلى الشكل وهي أنها جمع مؤنث فكانت «الصحف» موصوفة بالأولى، ومكرّمة، ومطهرة، ومنشَرة. وليس لي أن أذكر قوله تعالى: ﴿واذا الصحف نشرت﴾[5]، فالتأنيث في الفعل واجب.

---

(١) ٢٠ سورة الأعراف.
(٢) ١٢١ سورة طه.
(٣) سورة التحريم.
(٤) ٥٤ سورة الشعراء.
(٥) ١٠ سورة التكوير.

١٥ـ صيف:

وجاء «الضيف» في بعض الآيات ويراد به الجمع كما جاء في آيات أخرى لا يتجه فيه شيء إلى ارادة الـمفرد، فقد يكون ولا يكون. قال تعالى: ﴿هل آتاك حديث ضيف ابراهيم الـمكرمين﴾[١]، وقوله تعالي أيضاً: ﴿قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾[٢]. ودلالة الجمع في هاتين الآيتين واضحة مؤيدة. غير أننا نجد قوله تعالى: ﴿وقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم﴾[٣]، وقوله تعالى ﴿فاتقوا الله ولا تُخزونِ في ضيفي﴾[٤]، ولسنا على يقين من دلالة «ضيف» في هاتين الآيتين.

١٦ـ طـوف:

الطائف جماعة، وهي مفردة مؤنثة باحتساب اللفظ، جمع مؤنث باحتساب الـمعنى ويتبين هذا في قوله تعالى: ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يُضلونكم﴾[٥]، فالفعل «ودت» وفيه التاء، والفاعل «طائفة» وهو مؤنث لفظه الـمفرد، وهو جمع في الـمعنى فجاء الفعل اللاحق «يضلونكم» مسندا إلى جماعة الـمذكر متصلا بضمير الجمع الـمذكر. على أننا نجد هذا الاسم مسبوقا بالفعل «بيّت» على أنه فاعل وهو مفرد مذكر وذلك في قوله تعالى: ﴿فإذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذي تقول﴾[٦].

وقد وصفت «الطائفة» بصفة مفردة مؤنثة مراعاة للفظ فجاء قوله تعالى: ﴿ولتأت طائفة أخري لم يصلوا فليصلّوا معك﴾[٧]، ولكن الفعل بعد الفاعل نظر إلى الـمعنى فلحقته واو الجمع الـمذكر.

ولنقف على مثنى طائفة وكيف جاء في لغة التنزيل العزيز فنجد قوله تعالى: ﴿إذ هَمّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما﴾[٨]، وقد جاء الفعل بعد الـمثنى يشير إلى أن الاسم

(١) ٢٤ سورة الذاريات.
(٢) ٦٨ سورة الحجر.
(٣) ٣٧ سورة القمر.
(٤) ٧٨ سورة هود.
(٥) ٦٩ سورة آل عمران.
(٦) ٨١ سورة النساء.
(٧) ١٠٢ سورة النساء.
(٨) ١٢٢ سورة آل عمران.

لـمثنى بدلالة ألف التثنية فيه «تفشلا»، وفي هذا نظر إلى اللفظ أو الشكل وهو التثنية. غير أننا نجد في آية أخري هذا الـمثني وقد لحقه فعل أسند إلى جماعة الذكور كما في قوله تعالى: ﴿وان طائفتان من الـمؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[1]، وفي هذا نظر إلى الـمعني وهو الجمع،و على أنك تجد في آخر هذه الآية عوداً إلى اللفظ أو الشكل في ضمير التثنية الـمتصل في «بينهما» ومجموع هذا الانتقال بين اللفظ والـمعني من خصائص هذه العربية القديمة.

١٧ـ عنـق:

وردت «الأعناق» في آية قد وصفت بصفة معروفة إلى «الخبر» وهي جمع سلامة مذكر وذلك في قوله تعالى: ﴿فضلّت أعناقهم لها خاضعين﴾[2]، وأنت تجعل «خاضعين» خبرا لـ «ظل» اذا كنت في حيّز الدرس النحوي وليس شيء آخر. غير أنك تتوقف قليلا وأنت تنظر إلى الآية في حدود ما يوصف به العاقل وغير العاقل، وذلك أن «خاضعين» وهي جمع سالم مذكر لا يمكن أن توصف بها «أعناق» وهو غير عاقل، ولكنك تجد في التأويل في فنون القول البلاغي سعة في تجويز ذلك بل قبوله واستحسانه لوروده في هذه الديباجة المشرقة من كلام الله.

١٨ـ فلـك:

وجاءت «الفلك» في آيات كثيرة، وهي في شيء منها مؤنث مفرد فاعل لفعل يسبقها أو أنها مسند إليه بتلوها فعل يشير إلى تأنيثها وذلك في قوله تعالى: ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿والفلك التي تجري بما ينفع الناس﴾[4].

وجاءت في آيات أخرى متلوة بما يفيد أنها جمع مؤنث كما في قوله تعالى: ﴿حتي إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة﴾[5]، فالفعل «جرين» بنون النسوة يشير إلى أن الفلك جمع مؤنث. ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وتري الفلك مواخر فيه﴾ فوصف الفلك بـ

(١) ٩ سورة الحجرات.
(٢) ٤ سورة الشعراء.
(٣) ٤٦ سورة مريم.
(٤) ١٦٤ سورة البقرة.
(٥) ٢٢ سورة يونس.

«مواخر» يشير إلى أن الـموصوف بها جمع مؤنث، ونقرأ كل هذا ثم نقرأ قوله تعالى: ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾[1]، فنجد «الفلك» قد وصف بـ «المشحون» وهو مفرد مذكر.

١٩- كـل:

جاءت كلمة «كل» في أكثر من ثلاث مئة آية، وكلها يشير إلى أن «كل» تعنى «أي» وهي مفرد، كقوله تعالي: ﴿إن الله علي كل شيء قدير﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[4].

ولم نجد في مجموع هذه الآيات إلا قوله تعالى: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل﴾[5]. ففي هذه الآية نلمح في «كل» دلالة الجمع، وقد تحتمل دلالة الإفراد.

غير أن «كل» في غير القرآن قد تأتي مفيدة للجمع، فيقال مثلاً: «كل الأعضاء حاضرون» والـمعنى جميعهم، وفي هذا نظر إلى الـمعني بدلالة «حاضرون». ولنا أن نقول: كل الأعضاء حاضر، والـمعنى هو نفسه، ولكن النظر إلى اللفظ، فاللفظ مفرد مذكر، وهذا نظير «من» الـموصولة. يقال مثلاً رأيت من كان في الدار، كما يقال: رأيت من كانوا في الدار. غير أن مراعاة اللفظ واعتبار «كل» و «من» مفردا مذكرا أكثر وأفصح.

ومثل هذا يقال في «كل» و «كلتا»، يقال: كلا الرجلين فاضل، كما يقال: كلاهما فاضلان والأول أكثر وأفصح.

٢٠- نحـل:

و «النحل» من أسماء الجمع والواحد نحلة، وقد روعي فيها التأنيث والإفراد كما في قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا﴾[6]،

---

(١) ١١٩ سورة الشعراء.
(٢) ٢٠ سورة البقرة.
(٣) ٣٥ سورة الأنبياء.
(٤) ٨٤ سورة الإسراء.
(٥) ٩٣ سورة آل عمران.
(٦) ٦٨ سورة النحل.

وفي هذا نظر إلى اللفظ. وقد نقف أمام هذه المسألة اللغوية الخاصة بالنحل فندرك أسلوب القرآن في مراعاتها، ثم نقف علي نظيرها وهو «النمل» فنقرأ قوله تعالى: ﴿قالت نملة أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾[1]. فنجد «النمل» جمع مذكر وقد يكون هذا بسبب ما أسند اليه من صفات العاقلين ولوازمهم وهو «القول» الذي ورد في «قالت نملة» على أن هذا التأويل لا يدخل من النظام النحوي لبناء الجملة.

٢١- نخل:

ورد «النخل» في إحدى عشرة آية وهو مفرد في بعضها كقوله تعالى: ﴿فتري القوم فيها صرعي كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[2]، وقد يدل على الإفراد والتأنيث ما ولي «النخل» من ضمير مفرد مؤنث كما في قوله تعالى: ﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾[3].

وقد يأتي «النخل» جمعا مؤنثا بدلالة الوصف المؤنث المجموع نحو قوله تعالي: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾[4]، والضمير العائد عليها مفردا مؤنثا.

وكما جاءت النخل مفردة مؤنثة كما مثلنا وكقوله تعالى أيضاً: ﴿والنخل ذات الأكمام﴾[5]، جاءت أيضاً مفردا مذكرا كما في قوله تعالى: ﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾[6].

تعليق:

أقول: لقد رأينا في اسم الجمع الذي جاء في لغة التنزيل مواد تاريخية ذات قيمة كبيرة في فهم خصائص عربية التنزيل العزيز، وتأتي قيمتها مما تفردت به من الظواهر اللغوية المختلفة، وهذا كله يشير إلى شيء من تاريخ هذه اللغة الشريفة، وأنت تدرك هذا حيث تستقري الآيات التي جاء فيها النحل والنخل والنمل والفلك وغيرها.

---

(١) ١٨ سورة النحل.
(٢) ٧ سورة الحاقة.
(٣) ١٤٨ سورة الشعراء.
(٤) ١٠ سورة ق.
(٥) ١١ سورة الرحمن.
(٦) ٢٠ سورة القمر.

كلمة أخيرة:

لعل لغة القرآن بما تقدم من فوائد في هذه المسألة اللغوية التي أسميتها «نظرية الشكل والمعنى» التي يدخل فيها المطابقة وعدمها، أفضل المصادر لاستجلاء تاريخ العربية، وأن هذه الظواهر المتباينة مادة مثقلة بالأصالة الفريدة.

ومن المؤسف أن يقف منها الدارسون وقفة المكره المتعب الذي ينظر اليها فيخطئه العلم فيتأول ويتعسف ويتكلف فيأتي بالغريب البعيد عن العلم ليكون ذلك شيئاً يعصم القواعد التي أصلها النحاة واللغويون ولا يهدمها. وكأنهم خشوا أن يقولوا إن لغة القرآن في مسائل عدة غير ما كتبوا وقعدوا فراحوا يتعسفون سبلا شاقة عسيرة ليوصلوا النص القرآني إلى ما قالوه، ألا ترى أنهم ضعفوا شيئاً من القراءات لمخالفتها أقيستهم فقال بعضهم: قراءة «نافع» ليس بشيء في مسألة «معائش» التي لا تهمز في زعمهم[1].

أقول: لو فطن أولئك الأوائل إلى القيمة التاريخية وموضع النص القرآني فيه لأفادوا كثيرا ولانتهوا إلى أن اللغة الشريفة غير ما قعدوا ودققوا.

والله أسأل أن ينفع بما حررت أنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) اقرأ تفسير الآية ١٠ من سورة الأعراف وهي ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ في «الكشاف» للزمخشري وفي غيره من كتب التفسير.

تتمة الرحلة
في بعض المصادر

فوائد من كتاب
المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطّية
لنصر الوفائي الهوريني (مصر ١٣٠٤ ـ ٤)

قال الهوريني ـ رحمه الله ـ (ص ٢٧):

ومثال ما صارت الكلمة فيه علي حرف واحد عَرَضاً كلمة (مِن) إذا دخلت على ما أوّله (أَلْ) أو (أَم) على لغة حميّر، كقوله:

«وما أبقَت الأيّام مِلمالِ عندنا»

أصله: من المال. وكقوله:

«وأَشْهَدُ أنَّ أمَّكَ مِلْبَغايا» أي من البغايا هُنَّ الزواني.

وكقول الزَّين العراقي في «ألفيّة غريب القرآن» في تفسير «الأصيل»: مِلْعَصْر للمَغرب.

وكقوله ـ عليه السلام ـ فيما كتبه للحميريين على لغتهم كما في «المواهب»:

«ومَن زَنَى مِمبْكرْ فأصقَعوه مئةً، واستَوفضوه عاماً، ومَنْ زَنَى مِمثَّيب فضرِّجوه بالأضاميم» يعني من البِكر، ومن الثَّيب، فقد وصل الـميم الجارّة بعد حذف نونها بالـميم التعريفية على لغتهم، ولهذا لم ينوَّن مدخولها، وكقول الشاعر:

«لأنّهما مِلآن لم يتَغيَّرا»

كما في رسالة «موقد الأذهان» وكذلك «الهمع» ذكره في فصل التقاء الساكنين.

وكذا إذا دخلت «مِن» و «عن» على كلمة (ما) أو (مَن) فتكتَب: ممّا وعمّا، وممَّن وعمَّن متّصلات لحذف النون خطّاً ولفظاً بالإدغام.

فإنْ كانت (ما) استفهامية حُذفَت ألفها أيضاً، وصار كلٌّ من الكلمتين على حرفٍ واحد عروضاً. ومِثلُهما (على) إذا دَخلَت على (أل)، كقوله:

«غداةَ طَفَتْ علماءِ بَكرُ بنُ وائلٍ»

أي على الماء.

ومثلهُما من الأسماء (بنون) جمع (ابن) إذا أُضيف إلى ما أوّله (أل) كقولهم في (بني العنبر) و (بني الحارث) و (بني الجعراء) و (بني القيْن): بَلْعَنبَر وبَلْحَرث وبَلْجَعراء وبَلْقَيْن.

وقال السخاوي، وكذلك الأمير في «حاشية الشذور»: حقّ (بَلْحارث) أن يُكتَب بألف قبل اللام كما فعل مثل ذلك الزمخشري في قوله:

«ولكنْ طَفَت عالماء عُزْلةُ خالدٍ»

أي على الماء.

وقال نصر الهوريني: هو مردود بخوف الالتباس بالباء الجارة إذا دخلت على الحارث.

وقال في (ص ٩١-٩٢): الفصل الثالث في الألفات الـمُبدلة من النونات الثلاث، وفي ألف العوض عن ياء الـمتكلم.

تأتي الألف بدلاً من النون الساكنة حال الوقف في ثلاث كلمات: الأولى: الفعل الـمؤكّد بالنون الخفيفة بعد الفتحة، سواءٌ كان أمراً، كقوله:

«ولا تعبُد الشيطان واللّهَ فاعبُدا»

أصله: فاعبُدَن، فلما وقف على آخر البيت الذي هو محلّ الوقف أبدَلَ النون ألفاً.

قال: ويحتمل أن يكون من ذلك مطلع قصيدة امرئ القيس:

«قفا نبكِ من ذِكرَي حبيبٍ ومنزلِ»

على طريقة إجراء الوصل مُجري الوقف. وكذا قوله تعالى: ﴿لنَسْفَعا بالناصية﴾ و ﴿ولَيَكونا من الصاغرين﴾. وهذا مذهب البصريين، وهو الأكثر، وعليه جَرَى رسم المصحف. أمّا الكوفيّون فيكتبونها في غير الـمصحف بالنـون نظراً لوقـوف بعض العرب عليها بها لا بالألف.

قال الفاكهي في «شرح القطر»: ومحل كتابة النون الخفيفة بالألف عند أمْن اللّبس، أما إذا حصل لبس، نحو: لا تضرِبَنْ زيداً، واضربَنْ عمراً، فيُكتَب بالنون على الأصحّ، ولم يعتبَر

بحال الوقف، لأنّه لو كُتب بالألف لالتَبَس أمر الواحد أو نَهيه بأمر الاثنين أو نهيهما في الخط، انتهى. ومثله في «الهمع».

الثانية: إذَنْ الواقعة في المجازاة والجواب كقولك: إذَنْ تُصيب، لـمَن قال: أريد أن أفعل كذا، إذا وقفتَ عليها تبدلها ألفاً كالـمنوَّن المنصوب، فلهذا تُكتَب بالألف مطلقاً سواء كانت ناصبة أو لا في المذهب البصريّ كما رسمت كذلك في الـمصحف في قوله تعالى: ﴿وإذاً لا يلبَثون خلافك إلا قليلاً﴾ «وإذاً لا تمتّعونه إلا قليلاً»، وغير هذين من جميع مواضعها. والكوفيّ يكتبها بالنون مطلقاً، وإليه مال السيوطي في «شرح الخلاصة»، واختاره في «الهمع»، واختاره شيخ الإسلام في «الشافية»، قالوا: للفرق بينها وبين «إذا» الظرفية والفجائية لئلاّ يقع اللبس، وأمّا رسم الـمصحف فسُنّة متّبَعة مقصورة عليه.

وكان المبرّد يقول: أشتهي أن أكوي يد مَن يكتُب (إذن) بالألف، يعني في غير الـمصحف، قال: لأنها مثل (أن) و (لَن) ولا يدخل التنوين في الحروف.

والـمذهب الثالث: يفصل بين كونها عاملة النّصب فتكتب بالنون لقوّتها، وبين كونها مُلغاة فتُكتَب بألف، كذا نُقل عنه في الأدب. ثم قال: وأحبّ إليّ أن تكتبها بالألف في كل حال، لأن الوقوف عليها في كل حال بالألف، انتهي.

ونقل الأشموني، و«الهمع»، و«الكليات»، مذهب الفرّاء، كما في الأدب، ونقله بعكس ذلك في «القطر» و «جمع الجوامع» ونظمه فقالوا عن الفرّاء: إن الملغاة تكتب بالنون، والناصبة بالألف.

وقد نبّه الصبّان على هذه الـمخالفة من تلك الكتب في النقل عن الفرّاء.

الثالثة: التنوين في الاسم الـمنصوب غير الـمقصور إذا وُقف عليه يُبدَل التنوين ألفاً عند عامّة العرب سوى ربيعة، فإنها غالباً تُسكّن الحرف الـمنوَّن عند الوقف في أحواله الثلاث مرفوعاً كان أو مجروراً أو منصوباً، فلهذا لا يكتبون بدله ألفاً في حال النصب.

وقال الـمجد في «القاموس»: وليس لهم تنوين يكتَب نوناً إلا في «وكأَين» فالتنوين، وإن عرّفوه بأنه نون ساكنة تثبت وصلاً لا وقفاً، ومعلوم ان الكتابة تابعة للوقوف، فحيث كان لا يثبت في اللفظ عند الوقوف فلا يُكتَب. فليس كالنون الحقيقية الساكنة التي يوقف عليها لفظاً، بل يُحذَف ويوقف على الاسم بالسكون ما لم يكن منصوباً. أما المنصوب الـمنوَّن

فتُشبَع فتحته فيتولّد منها ألف، فلذا يكتبون بديله ألفاً. ولا يسقط تنوين الـمنصرف لفظاً إلا إذا كان موصوفاً بـ «ابن» متّصلاً به على الشروط الآتية في حذف ألف (ابن) فيُحذَف التنوين حينئذٍ وجوباً كما تحذَف ألف «ابن» وجوباً أيضاً مع ذلك.

وفيما عدا ذلك لا يحذف التنوين وجوباً بل جوازاً في ستة مواضع، ذكرها الصبّان فانظره.

ضبط الشكل

أهمل الـمعاصرون مسألة مهمة تتصل برسم الحرف، تلكم هي مسألة الضبط الشكل بما دُعِي بالحركات.

إن ما ندعوه «حركات» في العربية، وهي الفتحة والكسرة والضمة والسكون من أهم مسائل الرسم التي تتصل بالدلالة، سواء منها ما كان في أواخر الكلم، أي ما ندعوه بـ «حركات الإعراب، والبناء، وما كان من ذلك داخلاً في بنية الكلمة.

وكأن مصطلح «الحركات» يفقد هذه الأصول الكثير من قيمتها الصوتية. لقد نظر القدماء إلى هذه المسألة نظرة جادة وذلك لأنها اتصلت بأهم تراث العربية، ذلكم هو لغة التنزيل، ومن أجل ذلك وصلوا إلى شيء يقرب مما نحن فيه الآن.

إن الجهد الذي كان قد بذله كل من نصر بن عاصم ويحيي بن يعمر، والخليل بن أحمد أدى إلى أن يكون في العربية رسم لكل من الفتحة والكسرة والضمة، كما أن الخليل هو الذي ابتكر رسم الهمزة. ولو أن أولئك العلماء قد أدخلوا هذه «الرسوم» في عدة الأصوات لصنعوا كل الخير، ولكنهم أبقوها «حركات». وهذا الإبقاء جعل الـمعربين طوال العصور في حِلٍ منها، فأهملوها معتمدين علي «سلائقهم» الـمزعومة التي ما كان لهم أن يحتفظوا بها، فاختلفوا وفقاً للجهات والأقاليم والقبائل، فحمل ذلك كله الضيم على العربية.

وقد سبق لأهل العربية أن باشروا شيئاً من هذا الإصلاح للرسم، وذلك في العمل الذي قيل إن أبا الأسود الدؤلي قد شدا فيه فكان «النَقْط» الذي انقسمت فيه الأصوات العربية إلى مهمَل (الخالي من «النَّقْط»، وإلى معجَم، وهو المنقوط»).

إذا كان هذا قد جري في عصور العربية القديمة، وقد كان للمعربين طاقة أو قدرة على معرفة الكلم يختلفون فيها قدراً، فما بالك بالمعاصرين في عصرنا الذين يقبلون على درس لغتهم دراسة الجاهل لها؟

لقد أهملنا رسم الحرف مما ندعوه «الشكل» وخلا الحرف في بنية الكلمة وفي آخرها مما ندعوه «حركات» واختلط الأمر وعمَّ «المشتبه» وكثر الخلط، وفشا في العربية الـمعاصرة كلم جديد لا سبيل لنا إلا أن ندرجه في حيز الخطأ.

ودخلت رسم الهمزة في هذه المشكلة، فأنت ترسم كلمة «الكُفء» بمعنى النظير فتسيء الرسم وتضع الهمزة على الواو. وهذا متأتٍ، من غير شك، بالرسم القرآني في سورة الإخلاص في قوله تعالى: ﴿ولم يكن له كُفواً أحد﴾.

إن هذا الرسم القرآني صحيح، وذلك لأن الكلمة قد سُهِّلت همزتها إلى الواو فخلت من صوت الهمزة ان هذا دفع المعاصرين إلى رسم الهمزة في هذه الكلمة، في حال إخراجها مهموزة، على الواو ابتعاداً عن الوجه الصحيح.

قلت ان الكثير أو قل جمهرة المعاصرين لا يعرفون العربية وهم يتلقوّنها تلقي الجاهل لها. وهذا الجهل بها يتصل بالرسم في أحيان كثيرة. وفي هذا لما رُسمت الهمزة في هذه الكلمة علي الواو، تجاوزت موضعها علي الواو شيئاً فشيئاً حتى تولدّ من هذا الرسم الفاسد الكلمة «كَفوء» على وزن «فعول»، وهي بنية لا وجود لها في لسان العرب.

لقد أصبحنا نقرأ ونسمع من يكتب أو يقول: «العناصر الكفوءة»، وقد وصفت العناصر بهذه الكلمة التي جاء بها سوء الرسم. وقد حمّلوا «الكفوءة» معنى «القديرة»، وهذا مأخوذ من «الكفاءة» عندهم بمعنى القدرة والجدارة. وهذا كله مولد مستحدث جديد. إن «الكفاءة» تعنى المشابهة والمماثلة، واستعمال «كُفء» في الآية يدل على هذا.

أما القدرة والجدارة فهي في «الكفاية» بالياء، وفلان كاف وكفيٌ في عمله، ومن هنا كان «كافي الكفاة» الشهرة التي عُرفَ بها الصاحب بن عبّاد.

وقد جمع المعاصرون «الكفء» على «أكفاء» بالمعنى المعدول عن حقيقته، وبسبب من خلو الرسم الحديث من الشكل «الحركات» اختلفوا في إخراجها، فمنهم من جعلها مثل «ألوان» ومنهم من جعلها مثل «أطبّاء» فقال: «أكفّاء». وتحولت صيغة هذا الجمع فصارت كأنها جمع «كفيف»، وهذا شيء غريب كل الغرابة.

ثم إن اساءة الرسم في «النّقْط» ولدت مشكلات فكان من ذلك أبنية لا نعرفها في العربية، ألا ترى أن كلمة «مُنْتَزَه» جاءت من هذا لجوار الأحرف المعجمة الثلاثة بعضها إلى بعض. وكأن الفعل في هذا «انتَزَه»، وليس هذا صحيحاً، فالعفل «تَنَزَّه» يكون اسم المكان فيه على زنة اسم المفعول «مُتَنَزَّه».

وأنا أري أن الفعل المخروم «استَحى يستَحي» هو شيء من هذا، فقد حُذفت من إساءة الرسم، وإن تحدّث في هذا اللغويون كثيراً مما نجده في مادة «حيي» في الـمعجم القديم، وذهب نفر منهم إلى أن هذا «لغة» خاصة.

إن إساءة الرسم قد تنقل الكلمة من دلالة إلى أخرى وأنا واثق أن «مُسْتَهَتَر» في قول يزيد بن الطثَريّة:

أحـب هبـوط الواديَـيْـن وإننـي
لـمُسْتَهَتَرٌ بالـواديَيْـن غريـبُ

قريب من «مشتهر» إذا ما أُسيء الرسم، فكانت من ذلك روايـة للبيت بهذه الكلمة الأخيرة.

ومن إهمال رسم نقط الياء، ذهب كثير إلى «المشائخ» فهمزوا الكلمة وحقها أن ترسم بالياء «مَشايخ» لأصالة الياء، وهي كهمزة «معايش» التي لا تكون «معائش»، وإن كان من ذلك قراءة نافع الـمدني.

لقد حمل أهل العلم في لغة التنزيل من اللغويين والنحاة، قراءة نافع هذه على الغلط.

ومن إخلاء الكلمة من الشكل كان لنا «مُعيب» و «مُشين» بضم الـميم وصُرفت الكلمتان من بناء اسم الـمفعول إلى بناء اسم الفاعل، وكل ذلك خطأ وتجاوز، إننا لا نعرف الفعل «أعاب» ولا الفعل «أشان» المزيدين بالهمزة فيكون منهما اسم فاعل على نحو ما تجاوز فيهما الـمعاصرون.

إن الفعلين ثلاثيان، وإن «مَعيب» و «مَشين» كلاهما اسم مفعول بمعني «معيوب» ومشيون»[1].

أقول: إن الـمعاصرين لم يدركوا اسم الـمفعول هذا من الأجوف الثلاثي، فإذا قالوا: «مبيوع» عدّوا هذا من اللسان الدارج، وكأن الفصيح «مُباع»، ولم يكن في إعرابهم «مَبيع»

(١) ومن المفيد أن أضيف هذه الكلمة الجديدة «الـمولّدة» وهي «إخصائي» إلى جملة هذه الأشتات، فبسبب من إخلاء الشكل اختلف الـمعربون فهي لدي نفرٍ كبير منهم «إخصائي»، وكأنه المنسوب إلى «الإخصاء»، وأين هذا «الإخصاء» من «الاختصاص»، وهي لدى آخرين «أخصائي» بفتح الهمزة وكسر الخاء وتشديد الصاد.

اسماً للمفعول. ومن هنا نقرأ في أمكنة بيع البضائع في عصرنا لوحاً كتب عليه «الـمُباع لا يُرجَّع».

أقول: هذه نبذة يسيرة من إساءة الرسم في إخلاء الكلام من الحركات وإساءة وضع النقاط.

خاتمـة:

إن الكثير مما يدخل في رسم الحرف مسألة مواضعة ذهب إليها العلم، ولكن شيئاً منها جعل بنظر ومقياس.

فقد رسمت تاء «ثَمَّةَ» معقودة، وهي الاسم الظرف، فقال أهل هذه العناية اللغوية تمييزاً لها عن الحروف: ثمَّ ورُبَّ ولعلَّ ولات، فقد لحقت بهذه التاء مفتوحة.

وقالوا: هي للتأنيث، وهي: ثُمَّتَ ورُبَّتَ ولعلَّتَ ولات.

أقول: هذه التاء قد زيدت لتجعل من هذه الألفاظ ألفاظاً ثلاثية، وإن كانت «ثُمَّ» و «رُبَّ» مضعفة، وأين التأنيث من هذه الألفاظ. وكأن النحاة لـمحوا ضعف قولهم في «تاء» لاتَ فقالوا: هي للتأنيث، وقالوا: هي للمبالغة، وقالوا: لكليهما.

والصحيح ما أشرت إليه.

ومن الـمفيد أن أعرض لطائفة من أسماء العلم في عصرنا مما ختم بتاء وهي: شوكت وعزّت وحكمت ونشأت وصفوت، وهدايت.

أقول: هذه أعلام حديثة قد استعارها الأتراك العثمانيون والفرس من العربية، وأصولها العربية مصادر ثلاثية ختمت بـ «هاء التأنيث» ولكن العثمانيين والفرس نقلوها إلى العلمية ولم ينظروا إلى «هاء التأنيث»، بل جعلوها تاء لزمت هذه الأعلام.

أقول: ولما كانت هذه التاء لازمة في حال الدرج والوقف، فهي غير الهاء القديمة العربية التي تتحول تاءً في درج الكلام.

ومن هنا كان حقّا أن تكتب بتاء مبسوطة لتكون مشيرة إلى تحولها بعد استعارة الأعاجم لهذه الأسماء.

وقد قلّد العرب الأعاجم في اتخاذ هذه الأعلام، وشاعت ومازالت إلى عصرنا، وقد بدا للمعاصرين أن يعيدوا هذه الأعلام إلى صورها العربية فتوهّموا أن ذلك يكون برسم التاء فيها معقودة، وليس لهم أن يتوهمو ذلك، ذلك أن التاء في «حكمت» علماً وسائر هذه الأعلام ليس كالهاء في «الحكمة» مصدراً عربياً، وهاؤه تكون في درج الكلام تاءً.

من كتاب «التنبيهات»[1] وما فيه مما يتصل برسم الحرف

آثرت أن أثبت هنا ما ذكره العلاّمة الراجكوتي في التعريف بهذا الكتاب الذي حققه ونشره

(١) جاء في معجم الأدباء لياقوت ٢٠٢/٥-٢٠٤ في ترجمة علي بن حمزة البصري اللغوي:
يكنى أبا القاسم[1]. كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء، المتحققين العارفين لصحيحها من سقيمها.
وله ردود علي جماعة من أئمة اللغة كابن دريد والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم. ولـما[2] ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل. قال أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقليّ: يعرف بابن الخزاز في تاريخ صقلية من تصنيفه. وفي رمضان سنة ٣٧٥ مات علي بن حمزة اللغوي البصري راوية الـمتنبي بصقلية، وصلى عليه القاضي ابراهيم بن مالك قاضي صقلية وكبّر خمساً في الجامع.
وله من التصانيف: كتاب الردّ علي أبي زياد الكلابي، وكتاب الردّ علي أبي عمرو الشيباني في نوادره، وكتاب الردّ علي أبي حنيفة الدنيوري في كتاب النبات، وكتاب الرد علي أبي عبيد القاسم بن سلام في المصنّف، وكتاب الرد علي ابن السكيت في إصلاح المنطق، وكتاب الرد علي ابن ولاد في الـمقصور والـممدود، وكتاب الردّ علي الجاحظ في الحيوان، وكتاب الردّ علي ثعلب في الفصيح، ورأيت هذه كلها بمصر. [أقول: وفي التنبيهات بعض هذه الردود كما سنري].
وأضاف الراجكوتي «مؤلفاته الأخري ص ٦٥ من التنبيهات فقال: وأغلبها مما ألفّه قبل مغادرته العراق بعد مقتل المتنبي سنة ٣٥٤.
١ـ كتاب العشرات، ومعناه كما قال الكلمات التي جاءت كل واحدة بعشر معان.
٢ـ كتاب المناكحات، ذكره كثيراً في «التنبيهات».
٣ـ الآباء والأمهات والبنون والبنات. ولعله مأخذ المرصّع لابن الأثير، وباب الآباء والأمهات من «المخصص» لابن سيده.
قال الميمني: وتري بطرّة عبد القادر البغدادي من مؤتلف الآمدي بخزانة الفاتح في استنبول علي ترجمة أبي نخيلة (يكنى أبا نخيلة لأنه ولد في أصل نخلة، ويكني أبا الجنيد. قال علي بن حمزة في كتاب الآباء (إلخ) فقد بشر بحياة الكتاب إلي آخر القرن الحادي عشر. وقد تقدم مما رويناه عن طرّة نسخة الأدباء بخط بعض المستشرقين أظنه أنه الآن عند العصر ديسي فابحث عنه. =

(٢) في مقدمة زيادات المتنبي يقول علي بن عيسى الربعي: إنه عوّل في مقابلة نسخته من شعر الـمتنبي على كتاب علي بن حمزة لأنه وافق حفظي من بينها. وقد ذكر علي بن حمزة ان القصيدة الكافية آخر قصيدة قالها أبو الطيب قال: وكتبتها والتي قبلها (يريد: ما أجدر الأيام والليالي) منه بواسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقين في شهر رمضان سنة ٣٥٤ وسارعتها وقتل بنيزع إلخ.

فأتى بالفوائد النادرة. قال ـ رحمه الله تعالى ـ: كان تقدّم لعلماء اللغة والأدب مجالس مشهودة بمحضر من الأمراء والأعيان، وفي حلقات الإقراء والإسماع، نبّهوا على أغلاط معاصريهم، وأندَوا بسقطاتهم. نعي فيها بعضهم على صاحبه وندّد بوهمه وزيف رأيه، ونسبه إلى الوهم والسقط، والتصحيف والتحريف. وقد سلك الجدد أبو مسلم صاحب ابن دريد وكاتب ابن حنزابة وزير كافور فأمن العثار، وجمع مجالسهم في مؤلف رواها ولم يأخذ ولا ردّ، ولم يجرح ولا زيّف.

ولـما مضي القرن الثالث فرن الشيخين جاء في القرن الرابع أصحابهما ومن تلاهم فحذوا حذو من سلفهم، فهذا الإمام أبو أحمد العسكري ألّف في تصحيفات الـمحدثين واللغويّين والأدباء كتابين باقيين مخلّدين. ولحمزة الأصبهاني كتاب التنبيه على حدوث التصحيف والأربعة عندي.

وهذا صاحبنا أبرّ على معاصريه، فأخذ كتاباً كتاباً، وأتى بما تسنّى له من جمع أغلاطه في عمره علي النّمَط الذي بَسَطه له من تقدّمه والطريقة التي سلكها أسلافه. ولعمري إن فيها بُنيّات تُضلّ سالكَها وتَهْوي به في مكان سحيق وواد عميق. كما أن فيها ما هو حَري بالهداية والتوفيق. حقيق بالتحقيق. وقد ميّزتُ بين القشر واللُّبَ. وأخذت بحُجزة القارئ وقد كاد يقع في الجُبَ، فمسعاتي هذه تَحِقَ بقول الذهبي في تخريجه لأحاديث مستدرك الحاكم إذنْ، إن لم تفضلْ على ذلك.

وقد ذكر في هذا[1] الكتاب أنه سأل بأفريقيّة كلَّ من أدركه من أهل الخِبرة عن قرية الجلود. ولـمّا وصل إلي مصر كان أبو الحسين المهلّبي تلميذ ابن ولاد وصاحبُ حواش على مقصوره حيّا، وادّعى أبو القاسم وعليه العهدة أنها للمتنبي وهذا لفظه: (وكان هذا

= ٤ـ وذكر أن له كتاب الدارات. وقام الأصمعي بالتأليف فيها، وهي في بلدان ياقوت والتاج أعذرا وأوفر.

٥ـ وجمع شعر عليّ (رضي الله عنه) وما أقله في الحقيقة.

٦ـ وصنع ديوان شعر المتنبي ضيفه، وهو راويته في الشرق والغرب، وهو أول من جمع ديوانه. ويغلب علي ظني أن بعض هذه توجد الآن..

٧ـ وجمع شعر أبي طالب. قال ابن حجر، وزعم فيه أنه كان مسلماً ومات على الإسلام، وأن الحشوية تزعم أنه مات كافراً واستدلّ لدعواه بما لا دلالة فيه ١٠هـ.

(١) أهل الإصلاح ٢٨، وعنه الاقتضاب ٢٢٥ والبلدان.

لكتاب أعنى المقصور والـممدود قرئ علي أبي الطيَب الـمتنبي بمصر سنة ٣٤٧هـ. فردّ فيه علي ابن ولاد أغلاطاً وبينّها واستشهد عند بعضها فجمع ردّ أبي الطيّب وشَواهدَه بعض الـمصريين وادّعاه لنفسه بعد خروج أبي الطيب عن مصر. وأضاف إليها أشياء من عنده غلط فيها هو وأشياء أصاب فيها. وكان هذا الـمدعي سمع هذا الكتاب وغيره من ابن ولاد ومنه سمعته. وهذا الـمدّعي يعرف بأبي الحسين المهلّبي إلخ) ثم إنه ذكره في ثنايا الكتاب نحو سبع مرّات قال في بعضها وقد ادّعي هذا الردّ ابن الـملتَقَط. وكذب في ادّعائه وهو من ردّ أبي الطيّب. ودعاه تارة ابن الـمنبوز.

وإذا كان المهلّبي تلميذَ ابن ولاد وأبو القاسم تلميذه فماله لا يتأدّب معه تأدُّبَه مع شيخه؟ فلم يكتف بصنيعه هذا في الإساءة إلى مُسمعه بل تعدّاه إلى عامّة الـمصريّين وهذا لفظ القفطي في المهلبي في إنباء الرواة: كأن أديبًا نحويًا لغويًا فاضلا كاملا أحد علماء هذا النوع. روي عنه الـمصريون فأكثروا وتنافسوا في خطّه والرواية عنه إلى زماننا هذا. ووصل لهم رواية كتب كثيرة من كتب الأدب إلخ.

ويروى من تأليف الهُنائي كراع الغَميم أشياء وكأنها كانت مختصّةً بمصر فهذه دلائل علي أنه جمع هذا الكتاب بعد مفارقته الوطن.

وترى مؤلّفات مصر والـمغرب طافحة بالأخذ عنه أو الردّ عليه. كالاقتضاب[1] والـمخصّص (وحواشي[!!] الشنقيطي) ولا أكاد أقضي العجب من صنيعه[2] في حاجة وحوائج حيث اختلس كلامه برُمّته كأنه من كدّ يمينه وعَرَق جبينه. وربّما يدعوه الـمتعقّب.

ولم يَبْخَسْه أبو محمد بن برّيّ الـمقدسي (وهو تلميذ ابن القطاع وهو تلميذ أبي بكر بن البرّ اللغوي وهما صقليّان) حقّه. فنقل في حواشيه[3] على الصحاح منه شيئاً كثيراً. وكذلك في حواشيه على تكملة الدُّرّة لابن الجواليقي.

---

(١) ص ١١٤، ١٢٢، ١٩٣ وغيرها.

(٢) الـمخصص ٣١/١٦.

(!!) ٢٢٢/١٢.

(٣) تراه في لسان العرب والتاج، ويقال انه اعتمد علي حواشي شيخه ابن القطاع، وانظر لابن البر التكملة لابن الآبار ٣٦٧/١.

وتري في اللآلي[1] وفي الجزء الثالث من طبعة ريط الإنكليزي للكامل ص ١٦٨ كلامه نفسه ونقل عنه ياقوت[2] أيضا.

فاختصت الأمة المصرية باحتفاظ هذا التراث الثمين بدار كتبها (رقم ٥٠٢) في ١٠٨ أوراق تنقص من الآخر. وسائر نُسخها المنبثة في الشرق والغرب أظنها منقولة عنها في مختلف العصور. وهي عتيقة بالية مصحّفة للغاية، وقد استنسخ منها المرحوم الشنقيطي لنفسه نسخة لم يقدر علي تصحيحها. لأن ذلك كان يقتضي البحث والنظر والعناية والفكر، ولم يفرغ لذلك.

ووصف منها المستشرق الألماني بولس برونله نسخة في[3] مقال حافل قدّمه لجمعية المستشرقين.

ثم إن المستشرق Richard Bell نشر منها[4] جزء التنبيه على أغلاط الفصيح.

ونشر بعض شباب لاهور جزء الكامل في مجلة الكلية الشرقية. وهذا كله عن نسختي ليدن ودار التحف البريطانية وهما ليستا من الأصول ولا مصححتين.

وأجزاء الكتاب ثمانية أسقطت منها الثلاثة الأولى. لأن هذه الكتب ضاعت فيما أبادته يد الحدثان، فدخلت في خبر كان، إلى أن أري فيها رأيي أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد وقفنا علي أن أبا القاسم نبّه[5] علي أغلاط نوادر ابن[6] الأعرابي وجمهرة[7] ابن دريد، والحيوان[8] للجاحظ[9]. والمجاز لأبي عبيدة ولكن لا أعرف أحداً، يكون أحال على هذين الأخيرين أو وقف عليهما.

وأما ترتيب هذه الأجزاء الباقية من الكتاب فأكثره على ما وضعه أبو القاسم إلا أني رأيته

---

(١) ٣٤٠ وغيرها.

(٢) بلدانه الجلود والحائر.

(٣) مجلتهم الجزء ٣ القسم الأول المطبوعة برومة سنة ١٨٩٩م.

(٤) المجلة البريطانية سنة ١٩٠٤ ص ٩٥-١١٤.

(٥) ل ٣ وهو فيما مضى من الكتاب.

(٦) بقي منه الجزء الثاني بالخالدية في القدس.

(٧) المقدمة ٧، عن الإصلاح ٣٠. الأصل ٣٦ب وهو فيما بقي من الكتاب.

(٨) تفرد بذكره ياقوت.

(٩) تفرد بذكره البغدادي، ورأيت من المجاز نسخة عتيقة جليلة فذة إماماً.

يقول في[1] ردّ الفصيح (وقد نبهنا علي هذا في إصلاح المنطق) والردّ عليه متأخرَ في هذه النسخة كما تراه على أن هذا التنبيه لا يوجد في هذه النسخة. ويقول[2] على المصنّف (وستري هذا مشروحاً فيما ننبه عليه في الكتاب الكامل) وهو متقدّم وقد كتبت بطُرّة ختام المقدّمة أنه كان وضع الكامل بعد المصنّف والإصلاح خلافا لـما في نسختنا هذه.

هذا وأراه يُحيل على ما في بعض الأجزاء مما لا يوجد في هذه النسخة كما مرّ آنفاً، ويقول في بدء الردّ على الـمصنّف قول الإصلاح (الفُوف مثل الجَوْز يجاء به من فارس) غلط نُنبّه عليه في موضعه. ولكنه لم يفِ بوعده أو أخلّت به هذه.

وهذه النسخة ناقصة من الآخر، يدلّ لذلك ما نقلناه وألحقناه بآخرها من الكلام علي الـمُصْطَكي روايةً عن ابن برّيَ. على أن أبا القاسم نفسه يقول (ونقمي مما أهمله ابن ولاد وسنأتي به في الـمستدرك عليه) ولكنّا لا نجده هنا. ونجد البغدادي[×] في الخزانة ينقل كلام أبي القاسم أوفر وأتمّ مما في هذه كما نقلته في الطُّرز وهذا دليل على أنه وقف على غير هذه النسخة.

وأما التنابز بالألقاب، والإقذاع والسباب، والغضّ والطعن، والرَّمْي والثَلْب، فما أكثر حَظّ صاحبنا منها من غيره ممن نَبه على الأغلاط! وهو عار وشَنار وبَوار ودمار والعياذ بالله!

وقد قيدتُ عندي أمثلة كثيرة من:

١ـ أغلاط له كثيرة.

٢ـ وما فاته من أغلاط هؤلاء مما لم يتنبه له هو.

٣ـ ورأيته يُغريه حبُّ التنكيت إلى إنكار ما هو غير منكر.

٤ـ ويأتي بما ينهي عنه غيره.

٥ـ وله تنبيهات طفيفة لا تليق بالحفظ والتقييد أو التهويل والتنديد.

٦ـ وربّما لم يبلغه بعض أقوال الـمتقدمين فحكم من دون بصيرة إلى غيرها وكلها مجتلب من طُرَري. فلم أر الإشادة بها هنا.

---

(١) رقم ٥.

(٢) رقم ١.

(×) انظر إفادة الخزانة طبعة لاهور.

ولا غرو أن صاحبنا لغويٌ بصير وعالم منجذ واسع الاطلاع والنظر والخبرة والخبر. وقد أحال على فحول[1] الشعراء لأبي حاتم الأصمعي وعلى نوادر[2] أبي عليّ الهجري وقل من وقف عليهما.

وقد فَطنتُ بالتأمل لكلامه علي غلط[3] توارثه الخلف عن السلف يوجد في عامّة نسخ الكامل ولاَ سيّما الأندلسية الأصل منها.

ورأيته يعوِّل في تغليطاته على كتاب الألفاظ[5] والجمهرة والنبات وهو يقدر هذا المؤلّف الجليل فيقول فيه: (وإنما قدّمناه على ما تقدّم قبله لنفاسته وأنه لم يُصنّف قبله ولا بعده في معناه ما يدانيه فضلاً عما يساويه) ويفوته ما تحويه أوعية علوم غيرهم كما قيل:

حفظتَ شيئاً وغابت عنك أشياءُ

وتري في الكتاب أبواباً من النحو والتصريف أفرزنا لها فهرستاً أفادت من ألّف بعده فائدة لا تنكر.

وأعود إلى «التنبيهات» فأقف على الـمواضع التي تتصل بـ «رسم الحرف» وما أدّي إلى التصحيف. في ردود حمزة بن على البصري علي جملة من الـمؤلفين في كتبهم وهي الكامل للمبرد، و «الفصيح»، لثعلب، و«الغريب المصنف» لأبي عبيد، وإصلاح الـمنطق لابن السكيت، و«المقصور والـممدود» لابن ولأد.

أقول: وصاحب «التنبيهات» كان مدفوعاً إلى إيجاد الخطأ، وقد يتوهمه فيكون شديداً في الـمؤاخذة. لقد لاحظ هذا الأستاذ الميمنى محقق الكتاب، فكان له تعقيبات على أكثير من أقوال حمزة فيما ادعى أنه غلط. وقد جاء في هذه التعقيبات فوائد عالية.

ولي أن أقول شيئاً في التصحيف وهو أني وجدت الكثير مما بدا لي أنه تصحيف أدى إليه التشابه في رسم الحروف في العربية وما يتصل بها من إعجام وعدمه، قد دخل العربية وذكر في الـمعجمات.

(١) الأصل ٢١ ب.
(٢) الأصل ٢٦ ب، ول ٣٠.
(٣) ك ٣٧ فانظره وتأمل كلامي في الطرة.
(٤) الأصل ٢٥، وانظر الأدباء ١٢٤/١، ١٢٥.
(٥) انظر للجمهرة غ رقم ٥٠، ٧٦، ١٢٦، ١٧٣ وص ٨ وللألفاظ غ ١٤٨ ص٨ والنبات غ ٧١ص ٤٠ و ٥٠ إلي غيرها.

وعندي أن ما قيل في «غشاوة» التي قرئت «عشاوة» في قراءة شاذة هي من هذا.

وأن ما قيل في «أحمّ» بمعني قرب ودنا في قولهم: أحمّ القدوم، ومثله: «أجمّ» بالجيم، وأيّد هذا بقولهم مسنداً إلي الكلابية كما قالوا: أحمّ رحيلنا غداً، وأجم رحيلنا اليوم.

أقول: ليس لي أن أطمئن إلى هذا وإن كان قد قيل إن «كلابية» قالت كذا، وإني لأذهب أن هذا جاء من خلط بين ما هو بالحاء وما هو بالجيم وذلك لأن «الإعجام» لم يكن في رسم الأوائل، ولم يكن هذا إلا بعد زمان طويل. ولما اخترع «الإعجام» [أي النقط] وجد أهل العربية أن هذا يومئ إلى استعجام القوم وهم يأنفون من هذا مزهوّين بسليقتهم وعروبتهم.

وهل لي أن أقول أن الفعل «انتجَبَ» هو «انتخب» بالخاء، وهذا أكثر تداولاً وشهرة من الأول بالجيم الذي لم يرد إلا في النعت «مُنتجَب».

ولنعد إلى ما في «التنبيهات» مما يدخل في مادتنا وهي رسم الحرف وما جرّ من «تصحيف» ونحوه مما ورد في خطبة الكتاب:

قال أبو القاسم على بن حمزة البصري:

(كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة في كتب اللغة المصنفات). لم نعدل فيه عن سبيلهم، ولم نجز عن سنَنِهم ما في ردّ بعضهم على بعض الغلط، وأخذ أحدهم على صاحبه السقط، يتراسلون في ذلك بالرسائل، ويتشاغبون به في المحافل، ويتساءلون فيها عن المسائل، ونحن نذكر من ذلك ما يستدلّ به الناظر في كتابنا أنّا بهم اقتدينا، وعلى أمثلتهم احتذينا.

فمن ذلك ما أخبرني به ابو الحسين على بن محمد الوهبي عن أبي الفضل للعباس بن المفرج الرياشي قال: دخل الأصمعي يوماً على سعيد بن سلم، وابن الأعرابي يؤدّب ولده، فقال لبعضهم: أنشد أبا سعيد [أي الأصمعي] فأنشده الغلام شعراً روّاه إيّاه ابن الأعرابي، فيه:

سمين الضواحي لم تؤرّقه ليلةٌ وأنعَمَ أبكار الهمـوم وعُونُهـا

ورفع ليلة، فقال له الأصمعي من روّاك هذا؟ فقال: مؤدّبي، فأحضره واستنشده للبيت. فأنشده ورفع ليلة، فأخذ ذلك عليه، وفسّر البيت فقال: إنما أراد: لم تؤرّقه ليلة أبكار الهموم وعونُها جمع عوان ـ وآنني أى زاد على هذه الصفة. وقوله: سمين الضواحي يريد ما ظهر منه

وبدا سمين، ثم قال لابن سَلْم من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعاً لتأديب ولدك، فنحّاه. ونقل البنا[1] من غير وجه أن أبا عمرو الشيباني قال روي أبو عبيدة بيت الأعشى:

. . . . . وسيقَ إليه البارد العَثِلُ

فأرسلت اليه قد صحّفت، انما هو الغُيِّل، أي الكثير، يقال: ماء غَيِل إذا كان كثيراً. ورُوي عنه أيضاً أنه قال الغُيَل السمان، من قولهم: ساعد غَيِّل. وكان ابو عبيدة يروي هذا البيت:

إني لعمر الذي حطّت مناسمها تخدي وسيق إليه الباقرُ العَثِل

ثم نأتي إلى أوّل ما باشره أبو القاسم على بن حمزة البصري من ردّه على المبرّد فيما وقف عليه من أوهام كما رآها في كتاب «الكامل».

أقول: وسأختار من وقفاته ما هو خاص برسم الحرف من مشكلات أدّت إلى ما عرف بـ «التصحيف».

التنبيهات على أبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثُماليّ الملقّب بالمبرّد رحمه الله في كتابه المعروف بالكامل[!!].

قال أبو القاسم أوّل أغلاطه في أوّل شيء شرحه (٣:٣، ٢) وهو قوله في قول رسول الله

---

(١) قال الأستاذ اليمني:
روي الخبر الأول أبو مسلم كاتب ابن حنزابة، وهو عصريّ أبي القاسم في مجالسه عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله عن أبيه، والبيت في اللسان (ضحا) مع ٥ أبيات والمزهر ٢٣٦/٢، والأبيات لرجل من كلاب رواها المرتضي ١٤٩/٢، وقدامة ص٢٧٣ وبيتان في الحيوان ١٦/٣ لأعرابية.
وفي في البيت الثاني:
منقول عن التنبيهات في الخزانة ١٣٣/٤، وفي تصحيف العسكري ٩٧، وعنه في الخزانة ١٣٣/٤ والخبر في المزهر ٢٢٤/٢، وحواشي ديوان الأعشى ٥٢ وانظر الشعراء ٤٢ وتنبيه حمزة ١٤٩ وكان أبو عمرو صحّف في (النسناس الجوغ) وإنما هو القسقاس فقال أبو القاسم ١٥ بعد أن نبّه علي تصحيفه: ولو بلغ هذا أبا عبيدة لسُرَّ وعلم أنا أثأرنا له منه فيما راسله في الغيل.
قال الميمني: ولكن مراسلة أبي عمرو لأبي عبيدة في تصحيفه في قولهم: (في صدره على حسيكة وحسيفة) حيث جعلهما بالشين وانظر المزهر ٢٢٩/٢.

(!!) الإحالة علي طبعات الكامل ريط الإنكليزي ١٨٧٠م والخيرية ١٣٠٨هـ (وأعاد طبعتها مصطفى محمد سنة ١٣٥٥هـ بالتصوير) ومطبعة التقدم ١٣٢٣هـ وبهامشها فصول من رسائل الجاحظ.

صلى الله عليه وسلم للأنصار في كلام جرى: إنّكم لتكثُرون عند الفَزَع وتَقِلُّون عند الطمع: ـ الفزع في كلام العرب على وجهين، أحدهما ما تستعمله العامّة تريد به الذُّعر، والآخر الاستنجاد ٤٢ ب والاستصراخ، من ذلك قول[1] سلامة بن جندل:

كنّا إذا ما أتانا صارخ فَزِعٌ كان الصُّراخ لـه قرعَ الظنَابيب

يقول إذا ما أتانا مستغيث كانت إغاثته الجدَّ في نُصرته.، ويقال قرع لذلك الأمر طُنبوبَه إذا جدَّ فيه ولم يفتُرْ؛ ويُشتقّ من هذا المعنى أن يقَع فَزِع بمعنى أغاث، كما قال الكَلْحَبَةُ[2]:

فقلت لكاس أَلْجِمها فإنّما حللتُ الكثيب من زَرُودَ لأفزَعا

يقول لأُغيث.

وأكثر هذا الكلام فاسد وهو كلامٌ متخبِّط. لم يعرف حقيقة الفزع.

وقوله: والآخر الاستنجاد والاستصراخ غلط، لأنه لو كان كما قال لكان بمعنى الأول ولم يكن ههنا آخر.

أقول: هذا شيء مما أخذه أبو القاسم على الـمبرّد، وأنا أتركه لأنه بعيد عما يشغلني من «رسم الحرف» ولكني أثبت تعليق الأستاذ الـميمني الذي لا يدع شيئاً إلا وضعه في حدّه، قال:

الفَزَع: الذعر لا يوصل بـ «إلى»، وفَزِع إليه ليس إلا الاستنجاد والاستغاثة كما سيأتي له أيضاً، فهما معنيان أوّل وآخر، والإغاثة معني ثالث، فهذه ثلاثة معان، لا معنيان كما زعم. والفزع الاستغاثة والإغاثة من الأضداد بعد أبي حاتم ١٧٧، لابن الأنباري أيضاً ١٨٢.

أقول: هذا هو دأب الأستاذ في تعقيبه على أقوال على بن حمزة البصري الذي وجد في نفسه ميلاً رضي به في تخطئة نفر من مشاهير أهل العلم.

وقال حمزة ص ١٠٧

وقال أبو العباس (الكامل ٦٩، ٧١، ٥٨) أُرتِجَ على فلان أي أغلق عليه الكلام، وقول العامة: «ارتُجّ» ليس بشيء إلاّ أن الثوّري حدثني عن أبي عبيدة قال: يقال ارتُجّ ومعناه وقع في رجّة أي اختلاط. وهذا معنى بعيد جداً. انتهى كلام الـمبرد.

---

(١) د ١١ الـمفضليات ٢٩/١٢.

(٢) الـمفضليات ٣/٢ النوادر ١٥٣.

قال على بن حمزة: وهذا الذي استبعده وأنكره قريب صحيح، وأن عامّةً منهم أبو عبيدة والثوّري ومن تبعهما لفصحاء خاصة».

وعلّق الأستاذ الـميمني فقال: أصاب أبو العباس ووافقه اللغويون إذ قد جاء رُتج عليه الكلام من الـمجرّد وتبعه القتبي انظر الاقتضاب ١٩٩ ومثله في الـمصنف باب ١٢، وقد حكاهما أبو سحل ١٨٨.

أقول: وقراءة الفعل بتشديد الجيم هو تصحيف، وذلك لنقص الشكل فلم يرسموا «الشدّة» فكان هذا الذي أدّى إلى ما قيل.

وأورد على بن حمزة في تعليق له على قول للمبرّد البيت ص ١٦٧:

مَرَتْـه الصبـا وزهتـه الجنَـو ... بُ وانتجفته الشمال انتجافا

وقد علق الأستاذ الـميمني فقال: البيت لسحيم العبد، بتصحيح العاجز، وقد ركّبه أبو القاسم من بيتين وفيه: انتفجته بمعني استفرغته.

أقول: والذي صنعه أبو القاسم من تلفيق البيت من بيتين في الأصل جرّ اليه «التصحيف». وقال أبو القاسم على بن حمزة البصري:

قال الـمبرد ص ٢٧٦، ٢٣٢: وقد ذكر اللهازم وبنو مازن بن صعب بن على. وإنما هم بنو زِمّان بن صعب.

أقول: قد يكون هنا من صنعة الناسخ في الأصول الـمخطوطة أو من سهو الـمحقق الأول صاحب النشرة الأوربية.

مما جاء من كلام أبي القاسم علي بن حمزة البصري في ردّه علي أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه «الغريب المصنّف»

قال أبو القاسم (التنبيهات ص١٩٧):

قال أبو عبيد: يقال: امتلّ يعدو وأضرّ وانكدر وعبّد كل هذا إذا أسرع بعض الإسراع.

قال البصريّ: وهذا تصحيف منه إنما هو أصرّ بصاد غير معجمة، وهذا مما رُدّ عليه قبلنا.

قال الطوسي: قال أبو عبيد أضرّ يعدو، وأنا لا أتهم ضبطه لما يسمع، والذي أحفظ أصرّ وأنشد ابن الأعرابي بيتاً رواه:

فانصاع مصراً أو كصم وقف

وقد علّق الأستاذ الـميمني على الفعلين امتلّ وعبّد فقال في امتَلّ: في كتاب الإبِل للأصمعي ١٢٦، ٩ وعبّد في الـمخصص ١٠٥/٣ وعامة الـمعاجم لم تذكره.

وعلّق على ما قيل في تصحيف أبي عبيد، وهو قول الطوسي فقال:

زعم [أي الطوسي] أن أبا عبيد صحف في عشرة أحرف من كتابه منها هذا كما في التصحيف للعسكري وهو منقول عنه بلفظ (زعم الطوسي أنه تصحيف) فقال الأستاذ الـميمني: العاجز [أي هو]، وأضرّ بمعنى دنا معروف، وإذا كان الإضرار بعض الإسراع فما هو إلاّ الدنو من العدو وليس كل ما أغفل عنه أبو بكر في الجمهرة متروكاً على أنه بالـمعجمة في أصل أبي مسحل (النوادر)، والـمنجد لكراع.

أقول: فأنت ترى أن الـميمني يميل إلى السعة ولا يفزع إلى التصحيف لأنه وجد في كلام العرب هذه السعة فقد يكون اللفظ بالصاد كما يكون بالضاد، ولذا أورده مستظهراً بما كان في كتب أهل العلم الأوائل.

وأنا أذهب إلى أن رسم الحرف وما فيه من الشبه، ولم يكن من وسيلة مميّزة قبل اختراع النّقْط في شأن ذلك كله أن يكون تصحيف، وأن يكون خلط.

وقال أبو القاسم (التنبيهات ص١٩٩):

وروي عن أبي زيد: أتتنا قادية من الناس، وهم أوّل ما يطرأ عليك، وعن أبي عمرو: أتتنا قاذية من الناس، بالذال وهم القليل، قال أبو عبيد: والمحفوظ عندنا قادية بالدال غير معجمة.

قال أبو القاسم: وحفظ أبي عبيد سهو، والوجه بالذال معجمة كما قال أبو عمرو.

أقول: والأمر يتصل بالتصحيف، ولكني أذهب إلى أن الدال والذال في هذه الكلمة قد حكاه أحد الثقاة وهذا مما أدى إليه رسم الحرف، وغياب العلامة أي النقطة المميزة التي لم يهتد إليها أهل العلم إلا بعد شيوع ما ورث من العربية.

وقد عرفنا أن أهل العلم تجنبوا الإعجام بعد اختراعه لأنه يوميء إلى العجمة، وهي نبز يتجنّبونه.

وقال أبو القاسم في التنبيهات ص٢٠٠:

وقال [أي أبو عبيد]: قال الفرّاء تَقَعوَس الشيخ كبر، وتقعوس البيت تهدّم. وإنما تَقعوَش بالشين معجمة.

أقول: ورد الأستاذ الميمني المسألة إلى نصابها فقال في تعليقه:

المعاجم (اللسان والتاج) تسوّى بينهما بالمعنيين، ونقل في المخصص ٤٤/١ كلام أبي عبيد، ثم زاد ابن الأنباري تقعوس كتقعوش) ثم إن الاشتقاق يعضده. وفي نوادر أبي مسحل تقعوش بمعنى تهدّم.

وقال أبو القاسم في الصفحة نفسها:

وقال [أي أبو عبيد]: المُقَرْقَم: البطيء، الشباب، قال الراجز:

أشكو إلى الله عيالاً دَرْدَقا مُقَرمَيْن وعجوزاً شملقا

وهي السيئة الخلق. وقد أساء في الرواية والتفسير. وإنما الرواية «وعجوزاً سَمْلقا» بالسين غير معجمة وهي التي لا تلد. وقالوا التي لاخير عندها، مشبّهة بالأرض السملق وهي التي لا نبت فيها.

وزاد أبو القاسم في مؤاخذة أبي عبيد فقال: ويا ليته نقل هذه الشين إلى تَقَعَوش، وجاء بسينها إلى سملق فسلم من التصحيف.

وعلق الأستاذ الـميمني فقال: هذا التصحيف أخذ عليه قبل أبي القاسم القالي ٢٥٠/٢، ٢٤٦. وفي السمط ٨٧٣ حيث تمام الأشطار، والسين رواية ابن الأعرابي، والشين في التاج عن أبي عمرو إن ربأنا بالزبيدي عن التخليط وعن كراع أيضاً، وكذا معنى سيئة الخلق فيه عنه أيضاً لما في البارع للقالي ٩٩ أيضاً، وهو غير بعيد البتّة فلاءسوء في التفسير.

أقول: والـميمني في تعليقه رد ما ذهب إليه أبو القاسم وبيّن أن الأمر اختلاف فهذا قد رواه أحد الثقات كما أن الوجه الآخر قد رواه أحد العلماء الكبار، وأراد أن يخفف من غلواء أبي القاسم. والـمسألة تعود إلى رسم الحرف وما آل إليه.

ومما آل إليه رسم الحرف ما أورد ابو القاسم في التنبيهات ص ٢٠٢ قال:

قال [أي أبو عبيد]: الضِهياء التي لا تحيض رواها عن الأصمعي، قال وقال الكسائي مثله، وجمعها ضُهْي مثل عُمْي. وإنما الضهياء التي لا ينهد ثديها، فأما التي لا تحيض فهي ضَهْيأة بالقصر والهمزة وإثبات الهاء، وأنشد أبو عمرو وغيره:

ضَهْيَـأة أو عاقـر جَمـادُ

وقد علق الأستاذ الـميمني فقال: الضهياء والطهيأة والضهيأ التي لا تحيض ولا ينبت ثدياها عن اللحياني وأبي عمرو وابن سيدة الـمخصص ١٤٩/١ والفرق في خزانة أبي القاسم، وفي الألفاظ ٣٤٢ الضهياء التي لا تحيض من الكبر، قال أبو الحسن كذا قرأناه على أبي العباس بالعهّد، وقد كنت سمعت من بندار بالقصة التي لا تحيض وفي ٣٦٧ الضهيأة والضهيأ، وقالوا الضهياء (ممدود) التي لا تحيض، وفي خلق الإنسان لثابت كلفظ أبي عبيد تماماً، وفيه عن أبي مالك الضهياء المرأة التي ليس لها ثديان. ثم رأيت في الإتباع للتوحيدي ١٩٧/٢ قال الوزير الضهياء يمدّ ويقصر فكان الجواب لأبي حيّان أن ابن الأعرابي قال: الذي حصلته عن الأعراب أن الضهياء الـممدودة هي التي لا تحيض، وأن الـمقصورة هي الياسمين، وجمع الأول ضُهْي، وجمع الـمقصور ضهايا.

أقول: ولو تدبرنا هذه الـمسألة التي جرّت إلى مسائل كان فيها أقوال مختلفة لعرفنا أنهم لم يكن لهم تصور ورسم للهمزة وكيف تُرسَم، وهذا مما يتصل بما نحن فيه.

وقال أبو القاسم في ص٢٠٣:

«وقال أبو عبيد، وذكر نعوت النساء في ولادتهن: والـمُحْمِل وقد أحلَت. وغلط في قوله: ويقال ذلك للناقة. وإنما يقال ذلك للشاة، قال أبو زيد وغيره: إذا كان الربيع مَريعاً أحلَّت الغنم، وإحلالها أن تنزل ألبانها من غير ولاد بعد أن كانت قد انقطعت ويبست.

وقال أبو حنيفة: وهي مَحالّ والواحدة مُحِلّ.

أقول: ولعل الذي أثبته أبو عبيد من عمل الناسخ، وأعود فأقول: هو من مشكلات رسم الحرف.

وقال أبو القاسم ص٢٠٨ :

وقال أبو عبيد: السُّبْجة وجمعها سِباج وهي ثياب من جلود، قال مالك بن خالد الهذلي:

إذا عاد المسارح كالسِّباجِ

وعلّق أبو القاسم فقال: وهذا غلط ونضحيف، وإنما هي السَّبْحة والسباح بالحاء، وقيل البيت الذي أنشده:

فتي ما ابنُ الأغـرّ إذا شَتَونـا وحبٌّ الزادُ في شهري قُماح

وكان للأستاذ الـميمني تعليق يفيد قال فيه:

«في نسختنا (الفرّاء: السبجة كساء أسود... والسبحة وجمعها سباح وهي ثياب من جلود، قال مالك إلخ) وهذا لا غبار عليه، ولكنه مصلّح ففي اللسان وغيره عن أبي عبيد كما هنا، والكلام منقول في اللآلي ١٥٥ بلا دلالـة، هذا والسبحة بالمهملة مضبوطة في اللسان بالفتح.

أقول: ويبدو في هذا كله أن الكلمة بالجيم مثلها بالحاء، والقول في أصل هذا الإشكال هو رسم الحرف وما أدّى إليه فاندسّ في العربية شيء ليس منها.

وقال أبو القاسم ص ٢١١

وذكر [أي أبو عبيد] اللبن فقال: فإن كانَ حُقن أياماً حتى اشتدّ حمضه فهو الصَّرَب والصَّرْب، قال الشاعر:

أرضى عن الخير والسلطان نائية والأطيبان بها الطرثوث والصَّرَب

قال أبو القاسم في تعليقه: فلو كان الصَّرَب اللبن الحامض، وكان بهذه الأرض لم تكن عن الخير نائية، وإنما الصَّرَب ههنا الصمْغ، والصَّرْب بالإسكان اللبن الحامض.

وقد علق الأستاذ الـميمني فقال: التحريك في الصمغ هو الـمعروف، وقول أبي عبيد قد تقدّمه شيخه الأصمعي، وقد غلّطه أبو حاتم فاعترف بخطئه كما في اللسان، فهذا التنبيه في خزانة أبي حاتم، قلت ولئن كان الشاعر حرّك الـمسكّن كقوله من النوادر: وقد يجمع الله الشتيت من الشَمَلْ.

سلم قول أبي عبيد على أنهم استعملوا في الـمحقون الصَّربة والصريب واشتقوا منه فعلاً، وهو الأطيب لا الصمغ.

وفي الجمهرة ١/٢٦٠: الصَّرْب والصَّرَب الصمغ وينشد: أرض إلخ. وربّما روى الضَّرْب وهو اللبن الغليظ الخاثر، قال أبو أحمد العسكري في «التصحيف» بعد ما نقله فلا تنكرهما، هذا وفي أصل نوادر الهجري: الصرب (محركاً) يابس الـمغافير، وهو أيضاً يجمع في الـمِصرب أيّاماً إلخ. قطعت جهيزة قول كل خطيب.

والصَّرْب والصَّرَب في الـمحقون في الـمخصص ٤٤/٥ عن العين.

أقول: وتعليق الأستاذ الـميمني يبعد أن يكون في قول أبي عبيد تصحيف أو خطأ. وينبغي أن يقال أن رسم الحرف وافتقاره إلى الشكل بالحركة وغيبة النقط أدى إلى هذا الإشكال الذي صار لصاحب العلم ولغيره ممن يحقد على غيره مادة ألّف فيها.

وقال أبو القاسم في ص ٢١٢:

ثم قال [أي أبو عبيد]: فإذا بلغ من الحَمْض (والكلام متصل على اللبن) ما ليس فوقه شيء فهو المَقر. وهذا تصحيف.

وقال أبو القاسم في ردّه وتعليقه على قول أبي عبيد: إنما هو الصَّقر. قال أبو عمرو في كتاب الجيم في باب الصاد: الصَّقْرة من اللبن الحامض، ومن الماء الذي يبقي في الحوض.

وخبّرني الخبير بخطّ أبي عبيد أنه كان خطٌّ سَوء، وأنا أظن أن بليته في قراءة السين شيناً، والراء واواً، والصاد ميماً، والطاء ظاءً، والدال ذالاً، والعين غيناً، والله أعلم أهو من ذلك أم من غيره؟

أقول: لقد جاء في كلام أبي القاسم مما يتصل برسم الحرف، وان للحروف بشائر فلا يستطيع أن يعرف الـمعني فيفرق بين السين والشين، والراء والواو، والصاد والميم، والطاء والظاء، والدال والذال، والعين والغين إلا العالم الحاذق، وأين هذا في عصر أو عصور لم يكن ضبط بالحركات والإعجام؟

وقال أبو القاسم:

وروي [أي أبو عبيد]: فإذا انتفخ بطنه قيل: قد اطرَوَرَي اطريراءً.

وعلّق أبو القاسم: هو اظرَوَرَى بظاء معجمة.

وقد علق الأستاذ الـميمني الذي كثيراً ما ردّ الأمر إلى نصابه وأثبت أن أبا القاسم متحامل يهرع إلى تخطئة أهل العلم فقال مصوّبا قول أبي عبيد:

«مازال يهذي مذ اليوم» رواه الشيباني وابن الأعرابي بالمهملة أيضاً كما في اللسان، قال الأزهري: قرأت في نوادر الأعراب «الاطريراء» و «الاظريراء»، البطنة، وأثبتهما يعقوب في القلب ص ٦٤ وقدّم الإهمال، وفي الـمخصص ٨٠/٥، قال أبو على: حكى أبو عمرو بالـمهملة، ورواية أبي زيد بالـمعجمة (الـميمني خلافاً لما في اللسان) وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه، وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد وجماعة من كلاب فلم يعرفوا الإعجام. ولعلّ هذا كله من «البارع» لأبي على القالي. ولعل أبا القاسم غرّه إعجام الألفاظ» ٦٧٦، على أن أبا عبيد تبعه ثابت صاحبه (خلق الإنسان) في الإهمال.

أقول: هذا الذي توسّع فيه الأستاذ الـميمني لم يعرف فوائده إلا مَن شقي في هذا العلم القديم الذي فني أهله. لقد جلّى الأمر، وردّ على أبي القاسم قوله الذي لا يصدر عن رجل خصم تحركه عصبية قد تكون مذهبية.

والـمسألة في كل ذلك سواء أكان في الأمر تصحيف أم لم يكن، تتصل بمشكلات رسم الحرف وغياب الضبط والنقط الذي لم يعرفه أهل تلك العصور.

وقال أبو القاسم ص ٢١٣:

وروَي [أي أبو عبيد] عن الأحمر: ذَيَّختُه تذبيخاً أي ذلّلته، والوجه: ديَّخته بدال غير معجمة، وكذلك دوّختُه حتي داخ أي ذلّ، يقال: دوّخته وديّخته وريّخته، والمراد كذلك،

قال العجّاج:

قاعَ وإنْ يَترُكْ وشَوْل دُوَّخُ

وقال أيضاً:

لوَقعها يُرَيِّخ المُرَيِّخُ

وكذلك: رَبَخ له بالباء إذا انكسرَ رأسُه ذُلا، قال العجاج:

وإن رائتني الشعراءُ رَبَّخوا

فهذه جميع وجوه هذا الحرف، فأما الذال فمن خِزانة أبي عبيد لا من كلام العرب.

أقول: وهذا بسبب ما كان من رسم الحرف، وما أدي إلى أن تروى الكلمة بالدال وبالذال وصار كل هذا عربية.

وقال أبو القاسم:

وقال أبو عبيد: الضَّبْح الرماد. فعلّق أبو القاسم وقال: وإنما الضَّبْح أثر النار في الأثافي،قال ذو الرمة:

وضِبْحاً ضَبَتْعه النارُ في ظاهر الحَصَى كباقية التنوير أو نُقَط البحرِ

أقول: وهذا من غياب الشكل. وضَبَتهْ أي غيّرته، والتنوير الإثمد.

وقال أبو القاسم ص ٢١٧:

وقال [أي أبو عبيد] في ذكر السهام «المعضَّل» الذي يلتوي في الرمي.

فعلّق أبو القاسم وقال: إنما هو «المعضِّل» بضاد معجمة وهو مأخوذ من قولهم: عضّلت الدجاجة وغيرها إذا التوت البيضة في جوفها فلم تخرج، قال الراجز:

قد عضّلَت ببيضها بنتُ طَبَق فذمَّروها خَبَراً ضَخْمَ العُنُقْ

ومعذلك فالأعرف في السهم «العَضِل» وهو الأعوج، إنما أظنّه أراد ذلك فزاد ميماً.

وقال الأستاذ الميمني معلقاً: ولكن نشوب البيضة والولد غير التواء السهم، على أن مادة عَصَل بالمهملة كل مشتقاتها بمعني التواء الشيء واعوجاجه، ولم ينكر أحد على أبي عبيد، وان كان الإحجام لا يمتنع، هذا ثم وجدته بالإهمال عند الحجري ٤٨، قال: عصل أخطأ، وعصد أصاب.

أقول: كان لتعليق الأستاذ الـميمني فائدة كبيرة لأنه وضع الشيء في نصابه، ولكني أقول: أن يُهرَع أبو القاسم فيذهب إلى التصحيف وتخطئة الناس لغرض في نفسه، وهو كمن يدلّس فيخفي الصواب بشيء مظنون، وهذا كله مهما كان الدافع إليه عائد لمشكلة رسم الحرف.

وقال أبو القاسم ص٢١٩:

وروي أبو عبيد قول رؤبة:

نَقْخاً على الهـام وبَجّاً وَخضـا

وقال أبو القاسم: وإنما الرواية قَفْخاً والقَفْخ الضرب، فأمّا النَّقْخ فاستخراج المُخ، قال أبوه العجّاج:

لِهـامِهـمْ أُرضُّـه وأنـقَـخ أُمَّ الصدَى عن الصَّـدَى وانقَـخُ

أقول: وقد يكون في رسم الحرف من الشبه ما يؤدي إلى الخطأ.

وقال أبو القاسم: وروي [أي أبو عبيد] عن أبي عمرو: الصَّرَد الطعن النافذ، فقال أبو القاسم: وإنما الطعن النافذ الصَّرْد بالإسكان، فأمّا الصَّرَد بالتحريك بالـمصدر لقولهم: صَرَد يصرَد صَرَداً إذا أنفذ، فجعل الـمصدر مكان الاسم قال الشاعر [اللعين المنقري]:

فمـا بُقْيـا علـيَّ تركتُمـانـي ولكـنْ خفتمـا صَـرَدَ النَّبـالِ

وعلّق الأستاذ الـميمني تعليقاً جميلاً علي «جعل الـمصدر مكان الاسم» في قول الناقد أبي القاسم فقال: وهو أهون من تبالة على الحجّاج.

أقول: وهذا التصحيف أو الخطأ الذي لاحظه أبو القاسم يعرض لغير أبي عبيد من أهل العلم، ومثله يعرض لأبي القاسم نفسه الذي غلا وتزيّد في ردّه بسبب من غياب الضبط قبل أن يكون الشكل بالحركات.

وقال أبو القاسم ص٢٢٠:

وروي [أي أبو عبيد] عن الأصمعي: عفَقْتُه بالسوط أعفقه، ومتّنْتُه بالسوط أمتنه متْناً، وهو أشدّ من العَفْق. فعلّق أبو القاسم: وإنّما هو غفَقْتُه أغفِقُه، وهو أشدّ من العَفْق بعينٍ غير معجمة.

وقد علّق الأستاذ الـميمني فقال: كلامهم مضطرب في الألفاظ ١٠٢، وفي التاج واللسان عن الأصمعي بالمعجمة، وكذا في نسختى من الـمصنف والـمخصص ٩٩/٦ عن أبي عبيد، وزاد ابن السكيت: وكذلك بالـمهملة، وهما في اللسان والتاج، والإهمال قليل، ورواية «الأصمعي الغين» وربما تكون نسخة أبي القاسم مصحفة.

أقول: قَطَعت جهيزة قول كل خطيب فالفعل بالـمهملة وبالـمعجمة، وذهب الأصمعي إلى الـمعجمة، فليس لأبي القاسم أن يخطئ أبا عبيد لخطأ مزعوم لدي الأصمعي، والـمسألة رسم الحرف وليس من وسيلة للفرق حتى يهتدي القارئ ولو كان من أهل العلم فضلاً عمن ليس من هؤلاء.

وقال أبو القاسم: وقال [أي أبو عبيد] :ردست الشيء رميتُ به، فعلق أبو القاسم: وإنما هو رميته.

وقد علق الأستاذ الـميمني فأصاب، قال:

في اللسان عن شمر، رَدَسَه بالحجر ضَرَبَه ورماه به، وأراد أبو عبيد أن يقول: ردسته بشيء أي رميته به فأخطأ، ولكن في نوادر أبي مسجل ٢٢٦ : طرحت بالحجر وطرحت الحجر، وفي ١٨٠ حطأت بفلان الأرض وردمت به إلخ، وكأن شمر جعله في نسخه درست موضع ردست.

و قال أبو القاسم: وقال [أي أبو عبيد] : أُلقَى عليه لَطاتَه، أي أُلقَى عليه ثقله، فعلّق أبو القاسم قائلاً:

وإنما يقال: ألقى فلان لطاتَه إذا أقام، كما يقال: أَلقَي عصاه، قال ابن أحمر:

فكنّا وهم كابنَي سُباتٍ تفرّقا ... شوّي ثم كانا مُنجداً وتَهاميا

فأَلقَي التهامي منهما بلطَاته ... وأحلَطَ هذا لا أريم مكانيا

وقد علّق الأستاذ الـميمني فقال: في مجمع الأمثال ١٢٧/٢، ١٠٠، ١٣٤ ثقله. وفي الـمخصص ٣١٣/١٢ عن أبي عبيد، وفي اللسان عن أبي عمرو، ونوادر أبي زيد ٩٩، وأبي مسحل ١٨٤، ومعني أقام عن أبي السمح، وقال شمر:

لم يجد أبو عبيد، «في لطاته» وأنا لا أرى فرقاً بين الـمعنيين.

وقال أبو القاسم ص٢٢١ : وروي [أي أبو عبيد] بيت الكميت:

وحـارَدَت النكد الجلادُ ولم يكن لعقبـة قِـدر المستعيريـن مُعقِـبُ

بالنون. قال أبو القاسم: وإنما الرواية المُكدْ بالـميم، والمكود التي يثبت لبنها علي الجذب، فأما التُكد فمُحاردة أبداً، ولا وجه لوصفها بالـمُحاردة.

وقد علّق الأستاذ الـميمني فقال: كأنه [أي أبا القاسم] لا يعرف رواية شيخه أبي رياش في شرح الهاشميات ٨٢/٢ ص ٥٦ روي النكد، ثم قال: ويُروَي الـمكد، وقد فرغنا عنه في السمط ٣٤، والنون هو الذائع حيثما وقع البيت.

أقول: قال الأستاذ الـميمني فقطع هذا الجدل، وأبطل ردّ أبي القاسم. وهنا جاء رسم الحرف مشكلة أثارت هذا الجدل العقيم.

وقال أبو القاسم ص ٢٢٤ : روَي [أي أبو عبيد]: الغُبّة من العيش البلغة. قال أبو القاسم: وإنّما هي الغُفّة بالفاء وقال الشاعر [هو طفيل الغنوي] عن الـميمني:

وكنّـا إذا ما اغتفت الخيل غُفّـة تجـرّدَ طـلاب الثّـرات مُطلّـبُ

أقول: وهذا كله بسبب رسم الحرف.

وقال أبو القاسم ص ٢٥١ : وروَى [أي أبو عبيد] عن الفرّاء: عبثتُ الأَقطَ أعبثه عَبْثاً، قال: ثم قرأناه عليه بعدُ فقال: وغبثت بالغين معجمة كلُّه بمعنى.

قال أبو القاسم: وهذا تصحيف من الفرّاء، هو بالعين غير معجمة عبثت، وإنما ظنّه مثل علثتُ وغلثتُ أو توهّم هذا وذاك، وإنما جاءت العين والغين في العَلْث فقالوا: علثتُ غلثتُ، ورُوي: غَلَثوا في بُسرة بشعير وعَلَثوا، فأمّا عبثت فبالعين غير معجمة، ولم يقولوا في العيثة إلا بالعين وحدها.

وقد علّق الأستاذ الـميمني فقال: في اللسان قال ابراهيم كاتب أبي عبيد: قرأته على أبي عبيد ثانياً فقال: العين بالعين، وقال: رجع الفرّاء إلي العين، قال الأزهري: روى ابن السكيت (الألفاظ ٦٣٨): هذا الحرف عن أبي صاعد (فيه عن غنية): العبيثة بالعين.. قال: وهما عندي لغتان صحيحتان.

أقول: إذا كان هذا قد عرض لجلّة العلماء ولم يكونوا في الغالب على بيّنة، وفزعوا إلى الأعراب، فكيف لنا أن نأمن التصحيف الذي أدّى إليه رسم الحرف؟

وقال أبو القاسم ص٢٥٢: وقال أبو عبيد: القَبُص والقبضُ بالصاد والضاد مع الإسكان الخنّة والنشاط. وعلق أبو القاسم فقال: وكلاهما غلط، وإنّما هو القَبَض بالضاد معجمة، وقد جاء فيها الإسكان، فأما الصاد فلا، والوجه الضاد معجمة والفتح.

وقد علق الأساذ الـميمني فقال: صحيحان ففي أصل أبي مسحل ٢٠٢: قَبْضاً وقَبْصاً كلتاهما بالإسكان، قال: والقبض أسرع من القَبص، ومثله في اللسان، وكذا القبص بالإهمال والإسكان في الألفاظ ٣١٣ وفي ٢٩٣ الإعجام والإسكان، وفي ١٨٥ القبيض السريع بالإعجام.

أقول: في الصاد والضاد في الكلم ما يؤدي إلي التصحيف.

وقال أبو القاسم ص ٢٥٣: وروي أبو عبيد عن الأصمعي: زَبَقته في السجن حبستُه. وهو صحيح، قال علي بن عبد العزيز صاحبه: ثم قرأناه عليه بعد فقال: ربقته بالراء.

قال أبو القاسم في ردّه: وهذا غلط، إنما ربقتُه اذا شددتَه بالرِّبْق وهو الحبل، فأمّا اذا حبستُه فزبقته بالزاي كما رَوَى عن الأصمعي.

وعلّق الأستاذ الـميمني فقال: بالإهمال: حبسته مجاز والأصل الشدّ بالربق، وزبقته بالإعجام هو الـمعروف، وهذا كله عنه في اللسان (زبق).

أقول: إن الذي اتسع فيه الأستاذ الـميمني فوجد بذلك سبيلاً إلى تصويب أبي عبيد، يندرج في باب خلط أهل العلم في الكلم بسبب رسم الحرف، وعدم وجود ضوابط في الرسم تمنع هذا.

وقال أبو القاسم: ورَوي [أي أبو عبيد]: جئت بأمور ربْس وهي الدواهي.

فردّ أبو القاسم: وقال: وإنما هي دُبْس بالدال، يقال: داهية دبساء، والجمع دُبْس، وقد قالوا فيها أيضاً دُبْس، ومن هذا كنوا الشاعر الثعلبي أنا الرُبَيس.

وقد علّق الأستاذ الـميمني من فوائده فقال: «الدواهي وأسماؤها» وفيه [أي في هذا الكتاب] دُبْس بالدال كما عنه في الـمخصص ١٤٣/١٢، وعنه في اللسان قال: وأنكر ابن

حمزة الدال وقال: إنما هي رُبْس. فتعين أن ما هنا كله مصحّف، والأكثر فيها الراء وهما في الألفاظ ٤٣٢، على أنه ينقض في الآخر ما بناه في الأول، وسيثبت فيما على «الإصلاح» ٣ الراء.

وزاد في تعليقه على «الثعلبي» الشاعر فقال: أصلنا [أي نسخته] التغلبي، ولكن الشاعر من مازن بن ثعلبة، انظر ذيل اللآلي ٧٥.

أقول: وهذا كله يشير إلى رسم الحرف وما فيه من شبه من شأنه أن يؤدي إلى التصحيف.

وقال أبو القاسم: وقال أبو عبيد: سباكَ الله يَسبيلك وتهلَلَك، كلاهما لعَنَك الله.

فردّ أبو القاسم قائلاً: وليس كذلك، إنّما سَباك غرَّبَك، ومنه عودُ سَبيٌّ، والسِّبْي منه.

ومنه قول امرئ القيس:

فقالت سباكَ الله إنّك مُرجلي

أي غرَّبَك الله، وقال الآخر ووصف سَيْلاً:

يقُضُّ الطَّـلْحَ والشَّـرْيـان قضّـاً وعُـودَ النَّبْـع محتلَبـاً سَيّـا

وقد علّق الأستاذ الـميمني فقال: هو كذلك سباك بمعنى لعنك في «الـمجمَل، وما اللعن إلا التغريب والإبعاد، ولكن أبا القاسم يسير في وادي تضلَل»، ولا سيما سبي الله وتغريبه هو لعنه ليس إلا: وعودُ سبيّ يأتي به السيل من بلد إلى بلد، ومنه السباء للأسر لأن السَبيّ تحمل من بلد إلى آخر وتنقل.

أقول: ليس في هذا الذي أثبته من كلام أبي عبيد وردّ أبي القاسم عليه وتخطئته إيّاه ما أنا فيه مما أدّي إليه رسم الحرف، ولكني قصدت أن أثبته لأشير إلى أن أبا القاسم سعي أن يهدم ما بناه أولو العلم بحق وغير حق، واجتهد في الوصول إلى هذه الغاية أحياناً لأنه يبغض هؤلاء الذين لم يعرف عنهم من رأي يرضاه هو.

وقال أبو القاسم ص٢٥٤: وروي [أي أبو عبيد] عن أبي زيد قصارك أن تفعل كذا وقَصْرك وقُصاراك وعناناك.

قال أبو عبيد: كأنّه من المعانّة من عنٍّ يعُنّ من الاعتراض، قال علي بن عبد العزيز: ثم شكّ أبو عبيد في عُناناك، وقال الأخفش: إنما هو غُناماك، وقال: عناناك صحيح. والقول قول

أبي الحسن الأخفش وقد جهل النحوي في إنكاره الصحيح، والشاهد لصحة قول الأخفش قول ربيعة بن مقروم الضبّي:

وخَصْـم يركـبُ العـوراء طـاطٍ عـن الـمُثلَـى غُنامـاه القـذاعُ

وعلّق الأستاذ الـميمني فقال:

«غُناماك في أصل أبي مسحل ١٧٩ ولفظه كان غنمك أن تفلت من الشرّ وغناماك الخ، وكذا في اللسان، وقال الجيرمي، الصواب قول أبي عبيد. قلتُ لأنّ غناماك معناه ما تغتنمه لا منتهي أمرك كما قال الأنباري ٣٧٥.

وقال أبو القاسم ص٢٥٥ : وروي أبو عبيد: انثَعَّ القيء من فيه انثعاعاً

وردّ أبو القاسم: والوجه انتَـعَّ انتعاعـاً.

أقول: وهذا كله يندرج في باب ما يكون من نقص رسم الحرف، وعدم الفرق بين العين والغين، والتاء والثاء.

وقال أبو القاسم:

وروى أبو عبيد عن الأصمعي: إذا تهيّأ للغضب والشرّ قيل: احرنفَشَ واحرَنْبَي. وقد زعم الجرمي: أنه اجرنفَشَ بالجيم، وأن هذا الحرف أُخذ على أبي عبيد، والقول قول أبي عبيد، وإنما ذكرناه لئلا يري راءٍ قول الجرمي فيظنّ أنه صحيح، وأن أباعبيد غلط فلذلك حكيناه.

أقول: وهذا شيء من رسم الحاء ورسم الجيم وما كان من ذلك من توّهم للغلط.

وقال أبو القاسم ص٢٥٦ : وروى أبو عبيد: أشكَعَني وأذراني وأحفظني كله أغضبني.

وردّ أبو القاسم: هو أذرأني من ذَئر يذأر، وجاء في الحديث: ذَئر النساء على أزواجهن.

أقول: وهذا يكون من عدم رسم شيء للهمزة.

وقال أبو القاسم ص٢٥٧ : قال أبو عبيد: دماؤهم بينهم هَدْم أي هَدَر. وردّ أبو القاسم: والوجه هَدَم وهَدَر بالتحريك.

قال الـميمني: بالإسكان والتحريك في الألفاظ ٢٧٥.

وقال أبو القاسم ص٢٥٨ : وقال أبو عبيد: حُصتهَ: خطته.

وردّ أبو القاسم: وإنما الحرص المتبعد من الخياطة.

وأيدّ الأستاذ الـميمني ما ذهب اليه أبو عبيد وأشارَ إلى جملة من الـمصادر القديمة. أقول: هذا من رسم الحرف وما يكون من غلط في الحاء والخاء.

وقال أبو القاسم ص٢٥٩ : قال أبو عبيد: الضالع الجائر. وردّ أبو القاسم: هو الضالع أي المائل ووجّه الأستاذ الـميمني فقال:

الميل على الرجل بالعداوة هو الجور، علي أن لفظ أبي عبيد: (الضالع: الجائر، الكسائي مثله، وقد ضلَع يضلَع إذا مال، ومنه قيل ضلعك مع فلان)، ومعلوم أن الميل مع أحد ظلم على الآخر، فلم يعمل أبو القاسم شيئاً.

أقول: وقد قطع الأستاذ الـميمني بالصواب وأثبت أنّ أبا القاسم لم يعمل شيئاً. ومسألة الاشتباه بين الضاد والظاء مسألة صوتية، فقد انقطع الناس عن إخراج الضاد كما أراده علماء العربية في الأصوات فاختلط ما هو بالضاد مع ما هو بالظاء. ومن أجل ذلك صنّفوا الرسائل في «الفرق بين الضاد والظاء».

وقال أبو القاسم ص٢٦٣ : وقال أبو عبيد: ندأت الشيء: كرهته، وردّ أبو القاسم: وإنّما هو بَذَأته.

أقول: وهذا مما جاء به رسم الحرف.

أقول: هذا قليل من كثير اجتزئ به مما أثبته أبو القاسم علي بن حمزة البصري في «تنبيهاته». وقد وجدته ضيق العطن مدفوعاً بحماسة تعجله عن أن يَثبّت فيرى الـمصادر لها التي كثيراً ، كما بيّن الأستاذ الـميمني، لا تُصدِّقه.

ما يتصل من مشكل فى رسم الحرف في «القراءات»

أقول: هذا ما اخترته من قراءات أسموها شاذة، وهي كما أشار أبو الفتح ابن جنّي قراءات مقبولة قرأ بها جماعة من أهل العلم. وقد كان لي جولة في «المحتسب» فوقفت على ما اخترته منه مما يتصل بمشكلات رسم الحرف، ومن هذا ما أنا ذاكره:

قرأ الحسن [البصري] وقتادة «بين المَرِ وزوجه» ١٠٢ سورة البقرة.

أقول: في هذه القراءة لم يكن همز، فقد جُهل ما نعرفه من عصرنا في رسمها في ذلك العصر. فإن أريد الهمز نصّ عليه إشارة كأن يقال: بالهمز. وقد يحدث أن يخلو المدوّن من هذه الإشارة. ومثل هذا قراءة أبيّ وعيسى بن عمر ﴿الذي يخرج الخَبَ في السموات﴾ ٢٥ سورة النمل ورد هذا في البحر المحيط ٦٩/٧.

وروى عن قتادة «في ظلام الغمام» ٢٠٩ سورة البقرة.

وهي «ظُلَلَ» جمع ظُلّة، وقد ذهب بها إلى «ظلال» بسبب رسم الحرف وعدم الضبط بالشكل ولم ترسم الألف بعد اللام في خط المصحف.

ومن هذا قراءة عائشة «أُثنا» في قوله تعالي: ﴿إنْ يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ ١١٧ سورة النساء. وقيل في «أثنا» أنه رسم صنم من أصنامهم، وقد أيّدوا هذه القراءة بأخرى هي «أوثاناً».

أقول: وإني لأذهب أنه من مشكلات الرسم.

ومن هذا قوله تعالي: ﴿وليقولوا دَرَسْنَ﴾ ١٠٥ سورة الأنعام.

قرئ هذا الفعل «دُرِسَت» و «دَرَسْنَ» و «دَرَسَ» و «دُرِسَت». وهذا كله تقرؤه أنت في غيبة الضبط بالشكل.

ومثل هذا ﴿حتى يَلِجَ الجَمَلُ﴾ ٤٠ سورة الأعراف.

فقد قرئ «الجُمْل» و «الجُمَّل» و، «الجُمَل».

وقرأ الحسن ﴿بدَمٍ كَذِب﴾ ١٨ سورة يوسف.

ولنا هنا أن أذكر ما ورد أيضاً بعض قراءات نادرة وجدتها في كتب القرآن والتفسير، وقرأ بها أهل العلم من أصحاب القراءات، ومنها:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأٍ فتثبّتوا﴾ ٦ سورة الحجرات وهي في المصحف الذي بين أيدينا «فتبيّنوا».

ومنها قوله تعالي في ٥ من سورة الإسراء:

﴿فجاسوا خلال الديار﴾. وقرئت: «فحاسوا» بالحاء قرأ ذلك أبو السمّال.

ومنها:

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غِشاوة﴾ ٧ سورة البقرة.

قرئت: «عشاوة» بالعين.

ومنها: «صَنوان» بفتح الصاد في قراءة الحسن، سورة الرعد. ومثله «قَنْوان» بالفتح في قراءة الأعرج.

«من القِنطين» في قراءة الأعمش ويحيي، وطلحة، ورُويت عن أبي عمرو، ٥٥ سورة الحجر.

«وأُهُسٌّ» قرأ عكرمة، ١٨ سورة طه.

«حَضَب جهنم» بالضاد في قراءة ابن عباس، ٩٨ سورة النساء.

وقرأ علي بن أبي طالبَ ـ عليه السلام ـ وعائشة وابن الزبير وعكرمة: «حَطَب» بالطاء.

وقرأ ابن أبي عمار: «حادرون» بالدال، والأصل الذال، ٥٦ سورة الشعراء.

وقرأ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ وابن عباس والحسن وغيرهم: «صَلَلْنا» بالصاد، وهي «ضللنا» ١٠ سورة السجدة.

وقرأ الحسن وقتادة: ﴿حتى إذا فَرَّغ عن قلوبهم﴾ ٢٣ سورة سبأ، والفعل كما نقرأ «فَزَّع»، وقرئ: «فُرِّع».

أقول: أجتزئ بهذه الاختبارات من القراءات التي قيل فيها «شاذّة» وقد رأينا أن من أصحابها الرجال الأوائل العظام الذين تلقوا ما أخبر به الرسول الكريم.

وأنت لو أبصرت هذا أدركت أنها دوّنت ثم قرئبت فكان لرسم الحرف ومشكلاته وغياب الضبط والإعجام الأثر في القراءة وبقيت نسبتها إلى هؤلاء الأوائل الكرام.

ما ورد من «التصحيف»
في «الإمتاع والمؤانسة»

أقول: قرأ الأستاذ المستشرق كراوس هذا الكتاب فلاحظ ما صُحِّف في المطبوع وقد وجد الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الزين أن من الفائدة أن يثبتا ما وجده الأستاذ كراوس مما عُدِل به عن الصواب.

وقد رأيت أن أثبت مما ذكره الأستاذ كراوس ما يتصل بالمصحف مما لم يقرأه المحققان على الصواب فضبطاه وقصَّرا في الضبط، وقد تركت من هذا ما لم يدخل في باب التصحيف، وهذا هو:

جاء في ٣٨/١: ابن نُوبَخت، والصواب: نَوْبَخت.

أقول: إن الاسم فارسيّ ومعناه «الحظ الجديد» وهو مركب من «نَو» بمعنى «جديد» و «بَخت» بمعنى «حظ».

وجاء في هذه الصفحة: بُكُش، والصواب: بَكُش.

وفي ٧٩/١ يقفور، والصواب: يَغفور. وهذا لدي الأستاذ كرد علي فغفور.

وفي ١٦٤/١ أديوس، والصواب أديسوس.

وفي هذه الصفحة أيضاً، المنتصب، والصواب: المصمت.

وجاء في ٢٧/٢: وهذا أشجعي، والصواب: إسحاقي.

وفيها أيضاً: قَطعي، والصواب: القِطِّعي.

وفي ٨٧/٢: المُرِّيان، والصواب: المِرَّتان (أي المِرَّة السوداء والمِرَّة الصفراء).

وفي ٩١/٢: ورَضوا بالزهد، والصواب: ووَصَّوا.

وفي ١٠٧/٢: الطِّلْق، والصواب: الطِّلْق.

وفي ١٠٨/٢ : يرسخ، والصواب: يرشح.

وفي ١١٣/٢ : إلُك، والصواب: الُك.

وفي هذه الصفحة أيضاً: بالحدّ والاسم، والصواب: بالحدّ والرسم.

وفي ١٤٢/٣ : الإحساس، والصواب: الأحساس، جمع حِسّ.

وقد قرأ الأستاذ الجليل مصطفي جواد ـ رحمه الله ـ الجزئين الأول والثاني من «الإمتاع والمؤانسة» فسجل ما بدا له الوجه الصحيح. وقد اخترت مما ورد في هذا ما يتصل بـ «المصحّف» من الكلم.

قال الأستاذ:

جاء في الصفحة (م) من المقدّمة: لأبي الحسن التنوخي، والصواب لأبي المحسّن التنوخي.

وفي ٦/١ : فوارضها، والصواب: عَوارضها.

وجاء في ١٦/١ : الدهر الخالي من الدّيانين، فقال الأستاذ: الديّان هو الله، والأولى: الربّانيين.

والديّانون هم المنسوبون إلى الديانة. وهذه الكلمة من كلمات القرن الرابع للهجرة، تجدونها في أوّل صفحة من مروج الذهب للمسعودي.

أقول: قد يحدث التصحيف في الديّانين والرّبانيين فتكون هذه في موضع تلك، ولكني لا أجد «أولويّة» في «الربانيين» لأن الكلمتين نسبة، وليس في معنييهما خصوصية تقتضي أن تقدّم إحداهما على الأخرى.

وفي ٢١/١ : ولا محاباة ولا الخياش، والصواب: مُحاوتة، وهي من الحوت، قال الزمخشري في أساس البلاغة: حاوَتَني عن كذا: خادَعَني.

وفي ٣٤/١ : ولم يتفوّح، والصواب: يتضرّج.

وفي ٤٠/١ : الرُّبوبيّ، والصواب: الرَّبوبي، بفتح الراء.

وفي ٤٤/١ : تأجيل المَهنأ، والصواب: تعجيل المشناء.

وفي ٥٠/١ : وبشرّني، والصواب: ويسرّني.

وفي ٦٢/١ : التشيّع، والصواب: التشبّع.

وفي ٧٠/١ : المهدي، والصواب: المهلّبيّ.

وفي ٧٠/١ : كريز، والصواب: كردين.

وفيها أيضاً: دوست، والصواب: درست.

وفي ٧٢/١ : يُحاضون، والصواب: يتحاضون.

وفي ٧٩/١ : يتعاورون، والصواب: يتغاورون.

وفي ١٠٣/١ : يخيط في هواه، والصواب: يحطّ.

وفي ١٠٩/١ : والمصاع من صاع، والصواب: من ماصَعَ يُماصع.

وفي ١١٩/١ : وأن يبرّر لهم ما صحّ، والصواب: أن يبرز.

وفي ١٣٩/١ : وبشم فيهزّ، والصواب: يشتم.

وفي ١٤١/١ : إلا أنه يأتي لابن عبّاس في سمته، والصواب: إلا أنه تأتّى...

وفي ١٤٤/١ : وسمن بعروا (كذا)، والصواب: سمن البعر، انظر حياة الحيوان.

وفي ١٥٨/١ : يطلبه ويتوقاه، والصواب: يطلبه ويتوخّاه.

وفي ١٦٢/١ : العُقاب يجلس، والصواب: العقاب تجلس.

وفي ١٦٨/١ : يترحّل النهار، والصواب: يترجّل النهار، بمعني يعلو.

وفي ١٧٠/١ : ويستخفي في البحر، والصواب: ... في الشجر.

وفي ١٧٥/١ : ثمّ انعقد في لَبَن، والصواب: ثم أنعَقَه، أي رطّبه وربّبه باللبن.

وفي ١٧٦/١ : حوت، والصواب: مَوْتي، أي منسوب إلى الموت.

وفي ١٨٠/١ : دابّة يقال لها بالفارسية درباست، والصواب: بادستر.

وفي ١٨٢/١ : الجرذان، والصواب «القِردان»، جمع القَراد.

وفي ١٩٠/١ : لسرعة إحناء أجنحته، والصواب: ... إعياء أجنحته.

وفي ٢٠٠/١ : تُحرّكه وتُحسّسه، والصواب: تحرّكه وتحثّثه.

وفي ٢٢١/١ : من لقبه الخرسي إلى أيّ شيء ينسب، والصواب: مُربّعة الخُرسي إلى أي شيء تنسب.

أقول: ومُربّعة الخرسي، إحدى محالّ بغداد في الجانب الشرقي، ومازال هذا في عصرنا.

وفي ٥/٢ : لكن الحريري غلام ابن طرّاوة... والصواب: الجريري نسبة إلى محمد بن جرير الطبري.

وفي ١٣/٢ : ومزّقتم بين مجتمعين، والصواب: وفرّقتم بين مجتمعين.

وفي ٢١/٢ : وإن هذا النعت من قولي، والصواب: وأين هذا النعت من قولي.

وفي ٣١/٢ : الأفعى تأخذ السمّ من الأسِلة، والصواب:.... من الأَصلَة، وهي نوع من الحيّات.

وفي ٥١/٢ : طافحات بالسلام، والصواب: طافحات بالسِّنام..

وفي ٦٠/٢ : وباقصرا بلامسناه، والصواب: مُسنَاة.

وفي ١٣٦/٢ : ظاهر النفع في معاينة الروح، والصواب: في معاتبة الروح.

وفي ١٤٣/٢ : ومقاساة الحُرقة، والصواب: الحِرْفة، أي الفقر والعَوَز.

وفي ١٥٧/٢ : الانخزال، والصواب: الانخذال.

وفي ١٦٢/٢ : والزيادة والرفع، الصواب: ... والرِّيْع.

وفي ١٧٠/٢ : تسحب الخاطر، والصواب: تشعب الخاطر.

وفي ١٧١/٢ : ابن صُبْر، والصواب: ابن صُبَر.

وفي ١٨٩/٢ : يُكسبك، والصواب: يَكسيك، والفعل كَسَبَ ومتعدّ.

وفي ١٩٥/٢ : مستغر بذنْبه، والصواب: مُستْغفر بذَنَبه.

وفي ٢٠٢/٢ : وللقديم قدم، والصواب: وللعديم عدم.

اختيارات من «كتاب تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم»[1]

للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت أبي بكر

المتوفى سنة ٤٦٣هـ

تحقيق سكينة الشهابى

من «باب المتفقين في أسمائهم والخلاف في آبائهم:

عمرو بن سَلِمة وعمرو بن سَلَمة

أما الأول ـ بكسر اللام ـ فهو:

عمرو بن سَلِمة بن لأم بن قدامة بن جرم، أبو بُرَيد الجَرْميّ

أدرك زمان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يلقه، وهو معدود فيمن نزل البصرة..

أقول: إن العلم «سَلِمة» بكسر اللام قليل الورود، والكثير هو «سَلَمة» بفتح اللام. ولما كان الخطيب معنياً بـ «المتشابه»[2]، ضبطه فقال: بكسر اللام ليميزه عن «سَلَمة» الكثير الذي هو بفتح اللام. غير أن هذا العلم القليل يرد في المصادر الأخيرة غير التي جعلت لمادة «المتشابه» لم يُذكَر فيها هذه العبارة للتمييز.

ومن أجل ذلك قد يدخل ما هو بكسر اللام فيما هو بفتحها ويشتبه الأمر. ومن هنا كان غياب الضبط بالشكل قبل أن تجدّ الرسوم التي دُعيت بـ «الحركات»، مدعاة «للتصحيف».

---

(١) طبع في دمشق في «دار طلاليّ» سنة ١٩٨٥.

كانت صنعة المحققة السيدة الفاضلة في إخراج هذا الكتاب صنعة أولي الجدّ والاستقامة، فقد كانت قد أعدّت نفسها لكل ما أكسب عملها إجادة وإتقاناً.

(٢) ومثل هذا: «المؤتنف» للخطيب أيضاً، و«المشتبه» للذهبي ولآخرين.

ومن «سلمة» بكسر اللام علم آخر لم يذكر الخطيب ثالثاً لهما، وهو:

عمرو بن سِلمة بن الخَرِب الهمدانيّ

كوفيّ. سمع على بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وسلمان بن ربيعة..... وأخرون أسماؤهم عبد الله بن سِلمة، ذكر الخطيب ثلاثة منهم.

وأما «سَلَمة» ـ بفتح اللام ـ، وهو كثير، فمنه:

عمرو بن سَلَمة الهذليّ.

حدّث عن سعيد بن مَحمد بن جُبَير بن مُطعم.....

وعمرو بن سَلَمة، أبو سعيد الجعفيّ القزويني.

سمع محمد بن سعيد بن سابق.....

وأما عبد الله بن سَلَمة ـ بفتح اللام ـ فهم كثيرون، ذكر الخطيب فقراً منهم.

أقول: ولي أن أقطع أن جمهرة الدارسين لا تعرف «سلمة» بكسر اللام ما خلا هذه الفئة من أهل العلم القديم. ذلك أن سائر الدارسين عرفوا «سَلَمة» بفتح اللام بكثرته في أعلام الرجال.

ومن هذه «المتشابه»: عبد الله بن ربيعة وعبد الله بن رَبيعة

أمّا الأوّل بضم الراء وفتح الباء وكسر الياء المشدّدة، فهو

عبد الله بن رُبيِّعة السُّلَمي، له ورواية عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ....

وأما عبد الله بن رَبيعة ـ بفتح الراء وكسر الباء وسكون الياء فجماعة ذكرهم الخطيب في كتاب «المتفق والمفترق» كما أشار.

عبد الله بن الزُّبَيْر وعبد الله بن الزِّبير

وفأما الأول بضم الزاي وفتح الباء فجماعة منهم: عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر وأبا خُبَيت، وهو أوّل مولود ولد في الهجرة بالمدينة، وحفظ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسل ـ.....

وبضعة اخرين كلهم عبد الله بن الزبير.....

وأمّا الثاني عبد الله بن الزِّبير ـ بفتح الزاي وكسر الباء ـ وهو شاعر كان في أيام بني أمية.

ومن هذا «المتشابه» عبد الله بن حَكيم وعبد الله بن حُكَيم

أما الأول بفتح الحاء وكسر الكاف فهو عبد الله بن حَكيم العامري الكوفي.

ومن هذا غير واحد.

وأما الثاني ـ بضم الحاء وفتح الكاف ـ فهو عبد الله بن حُكَيم الكنانيّ.

ومنه عبد الله بن سَلام وعبد الله بن سَلاّم

أما الأول بتخفيف اللام فهو عبد الله بن سَلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيليّ. حليف الخزرج من الأنصار، كان يهودياً فأسلم لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم المدينة.....

وأما الثاني بتشديد اللام فهو عبد الله بن سلاّم، أبو هريرة. من شيوخ الشيعة، يروي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، وذكر الخطيب آخر هو عبد الله بن سلاّم الشاشي..

ومنه عبد الله بن عَبيدة وعبد الله بن عُبَيدة.

أما الأول بفتح العين وكسر الباء، وأما الثاني بضم العين وفتح الباء. وقد ذكر الخطيب جماعة من الأول، وأخري من الثاني.

ومثل هذا عبد الله بن عُبيد، وعبد الله بن عبيد، بضم العين في الأول، وفتحها في الثاني.

ومن هذا: عبد الله بن مُسْلِم وعبد الله بن مُسلَّم.

ومثل هذا: عبد الله بن صَبيح وعبد الله بن صُبَيح. وعبد الرحمن بن بُحَير، وعبد الرحمن بن بَحير.

ومثله: عبد العزيز بن ربيع وعبد العزيز بن رُبَيِّع.

أقول: وهكذا نري فيما ذكر الخطيب: بَشير وبُشَير، وعَليّ وعُلَيّ، ومُسْلِم ومُسلَّم، وسَعيد وسُعَيْد، وحَجَر وحُجْر، وزياد وزيّاد، وعَقيل وعُقَيل، ونَصْر ونَصر، وعَبْدَة وعَبَدة، وأَسْلَم وأَسْلُم، ومُخَلَّد ومَخْلَد، وحُكَيم وحَكيم.

أقول: اجتزئ بهذا القدر من «متشابه الأعلام». وقد صار هذا من المشكل لدى المعنيين بالرجال وللمعنين بالأخبار القديمة في الأدب والتاريخ. ومن هنا كان على

جمهرة الدارسين في الحديث الشريف وغيره من الأثر أن يتحرّوا كتب «المتشابه» وأمثاله كالمتّفق والمفترق، والمشتبه، والمؤتلف والمختلف وغيرها.

وهذا كله بسبب ما عرض لرسم الحرف من النقص، فلا إعجام ولا ضبط بما دعي بالحركات والسكون والشدّة.

ومن هنا كثر التصحيف والتحريف والمصحّف والمحرّف، والمعدول عن جهته، وصار باباً لأهل العلم صنفوا فيه.

ولم نزل نحن في هذا العصر نعد الحركات غير ذات قيمة فنحن نثبتها للطفل المبتدئ في كتب القراءة والمطالعة، حتى إذا قضى سنتين وتحوّل إلى السنة الثالثة تخفّفنا من هذا القيد فأخلينا كتابه من هذه «الزخارف».

أقول: لابد من التفكير في هذه المسألة التي كانت السبب في غَلَط أوشكنا أن نسلّم بوجوده ولا نري فائدة في التنبيه عليه، وسألحق بهذا طائفة من الأغلاط أراها في زيادة مطرّدة.

من «المنقوص والممدود»[1]
للفـــرّاء

قال الفرّاء في «خطبة»: هذا «كتاب المنقوص والممدود»، فمن المنقوص ما يُعرف نقصه بحدّ وعلامة.

أقول: كأنّ الفرّاء قصد عن عمد أن يسمّي «المقصور» «منقوصاً»، فهو يقول في هذا المنقوص: ما يُعرف نقصه بحدّ وعلامة. وكأنه لا يعرف أن «المنقوص» لدي النحاة ما انتهي بياء من الأسماء على بناء «فاعل» نحو: داعٍ وقاضٍ.

غير أنه يعود في كتابه هذا فيذكر «المقصور» من الأسماء الذي ينتهي بصوت المدّ. وسألحق بعد كلامي هذا شيئاً من صفحات الكتاب ليتبين القارئ حقيقة المصطلح لدى الفرّاء. لعلي أذهب إلى أن حقبة الفراء، هي حقبة الكوفيين من النحاة الأوائل، وكأن هؤلاء لم يملكوا من المصطلح القدر الكافي. وهم، وإن اختلفوا عن البصريين في شيء من نحوهم ومصطلحهم، لهم ما تميّزوا به في فهم المسائل، ولم يكن لهم نحو كثير فيقتضيهم ذلك إلى مصطلح وافر.

ولنا أن نقول: إن مردّ ذلك لأنهم عرضوا في صنعتهم إلى اللغة بما فيها لغات القبائل كما عرضوا للقراءات. إنك ترى الكسائي مثلاً، وهو شيخ الكوفيين كان من أصحاب القراءات

---

(١) المنقوص والممدود للفرّاء، حققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ط. دار المعارف بمصر. قال العلامة الميمني في «مقدمته» ص٦:

«وأما رسمه بكتاب «المنقوص والممدود» فإنني قفوت فيه الأهل، وإلا فإنه عند ابن النديم، والسيوطي في «البغية»، و «اللسان»، و«التنبيهات» كتاب المقصور والممدود، وهو الأوفق لأن فيه بعض كلمات آخرها ألف زائدة فلا تسمّي منقوصة».

أقول: كأن الأستاذ الميمني، ومن قبله أصحاب المصادر التي أثبتها لم يقرأوا الكتاب فيروا أن الفراء قصد «المنقوص» كما أشار «لنقصه». ثم اضطرب في المصطلح كما أشرنا في هذه الصفحة، لأنه عاد إلى «المقصور».

ومكانه بين القرّاء معروف، ولم يؤثر له من مصنّف كبير في النحو، ولم يصل إلينا من هذا إلا ما ذهب اليه في مسائل نحوية.

ولعلي أذهب إلى شيء من هذا وأنا أتحدث عن الفرّاء، فهو صاحب لغة، وكتابه «معاني القرآن» كتاب لغة على غير طريقة الـمفسرين الذين عرفوا في القرنين الثالث والرابع. غير أنك تلقي في هذا الكتاب شئ من صنعة نحوية اقتضاها ما باشره من صنعته اللغوية. إنك تجده يضيف إلى أبنية الأفعال ما جاء علي «فاعل» من الأسماء محتاجاً فاعلاً ومفعول. وهو اسم الفاعل العامل وسماه «الدائم»، ولكنه لم يقل «الفعل الدائم» الذي أثبته الدارسون في عصرنا زاعمين أنه مصطلح الفرّاء.

قلت: كأن دلالة الـمصطلح لدى الفرّاء غير واضحة، وذلك لأنه يجمع بين ما هو ممدود وآخره همزة وبين ما هو فيه ألف مدّ وهو ينتهي بغير الهمزة، قال في الصفحة (١٣):

«وما جُمع من فعيل أو فَعال أو فَعول علي فِعال مَدَّ أيضاً، مثل قولك: قصير وقصار، وكريم وكِرام.....».

ثم آتي إلى مادة هذا الكتاب فلا أجد فيها عملاً معجمياً، ولكني أجد الفراء مشغول بـ «رسم الكلمة» أو بالياء هي نحو صَدَى وعَمَى فترسم الألف فيها برسم الياء لأن الأصل في الفعل: صَدِيَ وعَمِيَ بالياء، أم بالألف القائمة نحو «سَنا» لأنك تثنّيه فتقول: «سَنَوان».

كما شغل بهذه الأسماء التي دعاها «منقوصة» ثم عاد وقال «مقصورة»، ليميّزها عما هو ممدود آخره همزة نحو «سَناء» ليقول: إنه الـمجد والشرف، وهو غير «السنا» الذي هو سَنا البرق.

أقول: لقد شُغل بهذا لأن الرسم في الكلم في عهده غير سديد وهو قاصر، ذلك أن الهمزة برسمها في عصرنا ليس لها وجود في عصر الفراء، وإن كان هذا فقد يختلط هذا بذاك ويحدث اللبس والخطأ.

قلتُ: إن الرسم قاصر، وقد أتجاوز الهمزة فالكثير من الكلم المحتاجة إلي ألف المدّ يتخفف الناسخ فلا يرسم الألف، ولذلك: قرأنا: الحرث والقسم وغيرهما، وهما الحارث والقاسم. إن هذا لا يعني أن الناسخ متأثّر برسم الـمصحف الشريف، بل إنه جار على سنة غيره معتمدين أن القارئ يدرك هذا في عصرهم.

ولكننا في عصرنا هذا لا نملك ما كان القارئ القديم يملكه من لغته.

ألا ترى أن في عصرنا من يزعم أن «الحرث» هو علم غير «الحارث»؟

قلت: سألحق بهذا الـموجز بضع صفحات من الكتاب لأشير أن «رسم الحرف» هو مادة هذا الكتاب لا الصنعة الـمعجمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مصطلح:

قال أبو زكريا يحيي بن زياد الفرّاء هذا (كتاب المنقوص والممدود) فمن المنقوص ما يُعرَف نقصه بحدوعلامة. ومنه ما يأتي مختلفاً كما تختلف المصادر. فيكون منها فعَل مثل ثقَل[1]. وفعَل مثل عمَل. فمثال ثقَل وعمَل من ذوات الياء والواو من دعوتُ وقضيت منقوصان. ومنه ما يزاد فيه الألف[2] مثل القتال والذّهاب. فمثال هذين من الياء والواو ممدودان ـ فإذا أتاك مصدر فاعمل فيه كما عمِلتَ في هذين الوجهين من النقص والمدّ ـ وما كان من المنقوص فكتابته على الأصل. إن كان من الياء كتبتَه بالياء وجاز كتابته بالألف، مثل قضى يكتب بالياء[3] والألف، وما كان من الواو كُتب بالألف لا غير مثل خلا ودعا.

(١) باب ما يُعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات

من ذلك المصدر الذي في أفعلَ الذي أنثاه فعلاء، وهو منقوص، من ذلك عَمِيَ(١) عَمًى. وعَشِي (٢) عَشاً[4]، وصدِي(٣) صدًى، وطَوِيَ (٤) طَوَي، وشَجِيَ(٥) شجاً[5]، فعلي هذا أكثر الكلام فإذا كان المصدر من فعل زائد من الانفعال والاستفعال والافتعال والإفعال فكلُّه ممدود. من ذلك[6] (٦) الاستخفاء (٧) والانتهاء (٨) والادّعاء (٩) والإعطاء (١٠) والإرجاء ـ ومن ذلك أن يصرف التفعيل إلى التفعال[7] فتَمُدّه. من ذلك

---

(١) كعنب اسم وكحبر مصدر.

(٢) الأصل الألف واللام مصحفاً.

(٣) الأصل والياء بالألف مصحفاً.

(٤) الأصل عشى مصحفاً.

(٥) الأصل شجى مصحفاً.

(٦) كذ بالأصل بإسقاط مثال الانفعال وتكرير مثالي الافتعال والإفعال.

(٧) معروف في الصرف أن التفعال مصدر للتكرير يأتي للتفعيل وللمجرد أيضاً كالتسيار والتلعاب بل هو الأكثر.

(١١) والتقضاء (١٢) والتَّرماء. قال وما كان من الأصوات اسماً موضوعاً فأكثر ما جاء ممدوداً[١] مضموماً أوّله. وربما كُسرَ من ذلك (١٣) الدُّعاء (١٤) والرُّغاء (١٥) والبُكاء (١٦) والمُكاء وهو الصفير. ومن مكسوره (١٧) النداء (١٨) والغناء. وقد سمعنا النُّداء[٢] بضمّ النون، ومثله من غير الياء والواو (١٩) الصيَّاح[٣] بكسر الصاد وضمّ الصاد سمعناها. وما كان من جميع ذوات الياء والواو على أفْعال فهو ممدود مثل (٢٠) آباء (٢١) وآناء (٢٢) وأحْياء ـ وما كان من جمع فَعْلَة[٤]، فهو ممدود[٥] الياء والواو عليى فعال كان ممدودا مثل رَكْوة(٢٣) وركاء، وشَكْوة (٢٤) وشكاء. وفَرْوة (٢٥) وفِراء. وغَلْوة (٢٦) وغِلاء. وحَظْوة (٢٧) وحظ وهو السهم الصغير. وقَشْوة (٢٨) وقشاء. ولم يُسمع في شيء من جمع هذا القصر. إلا أنهم يجمعون الكَوَة (٢٩) كواء[٦] وكَوَى فيَمدّون ويَقْصرون، ومنهم من يقول الكَوّة. وكأنّ قَصْرَهم الكِوَي[٧] أخذوه من لغة كُوَّة كما قالوا قُوّة (٣٠)[٨] وقِوّي، قرأها بعض القرّاء (٥٣-٥) علّمه شديدُ القِوَي. ومن نادره قَرِيّة (٣١) وقُرًى، جاءت على غير القياس. وما كان من اسم مؤنث من الواو مثل رِشْوة وكِسْوة[٩]، فإنّك تجمعه منقوصاً وتردّه في الجمع إلى ضمّ أوّله، فتقول رِشْوة (٣٢) ورُشًي وكِسْوة (٣٣) وكُسًى، يكتب بالياء وأصله الواو للضمّة[١٠] التي في أوّله، قال وربّما كسر أوّله في الجمع فيقال كِسًى

(١) الأصل مضموماَ ممدوداً أوّله مصحفاً.

(٢) الذي أراه أن الضم للاسم والكسر للمصدر.

(٣) الأصل والصياح مصحفاً.

(٤) الأصل «فعلة من أفعال».

(٥) ولكنه لم يأت بمثال للنفي والركوة شبه ثور من أدم، الشكوة وعاء كالدلو من جلد للرضيع، القشوة قفة تجعل فيهم المرأة طيبها وحاجتها.

(٦) فيصير كبدرة و بدر وهو نادر.

(٧) الأصل الكواء مصحفاً. والكوي بالكسر مقصوراً جمع كوه بالضم قال ابن سيده لا أدري كيف هذا.

(٨) الأصل قوي (بالضم مشكولا) مصحفاً.

(٩) الأصل أسوة وسياق الكلام يقتضي كسوة ـ والكسوة بالضم ثابتة فجمعه كسي بالضم والكسوة تجمع علي كسي بالكسر كما قال الفراء من غير حاجة إلى التخليط.

(١٠) كذا وتأمل، والـمبحث في ولاد ١٤٣.

ووشَى، فينبني جمعُه على واحدته ويكتب بالياء. وما كان من ذوات الياء فإن كان أوله مضموما ضممت أوله في الجمع وكتبته بالياء مثل مُدية (٣٤) ومُدّي، وزُبية (٣٥) وزُبًى ورُقية (٣٦) ورُقًى. فإن كان أوّل واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله وكتبته بالياء، مثل حلية (٣٧) وحِلي، ولِحيْة (٣٨) ولِحىً. وقد سمعنا لُحًى وحُـلًى في هـذين الحرفين خاصّة. ولا يقاس عليهما، إلا أن تسمع شيئاً من بدوي فصيح فتقوله، وما جمع من فعل أو فعال أو فعول على فعال مُدَّ أيضاً. مثل قولك قصير[1] وقصار، وكريم وكِرام، مثل هذين من الياء والواو ممدود يكتب[2] بالألف وأكثر ما يجمع من الياء والواو[3] [من جمع فعيل] فهو على أفعلاء. يُمدّ ويُكْتَب بالألف، من ذلك وَلِي (٣٩) وأولياء. ودَعِيّ (٤٠) وأدعياء. وغني (٤١) وأغنياء. وإن جُمع علي فُعلاء مُدَّ أيضاً وكتب بالألف. مثل (٤٢) شركاء (٤٣) وضعفاء. وقلّ ما يأتي علي هذا الجمع من الواو والياء، وقد قالوا نفي (٤٤) ونفواء من نفيت الشيء يرد ياؤه إلي الواو. وإذا كانت فعلاء اسماً واحداً ليس بجمع كانت ممدودة من السالم ومن الياء ومن الواو. مثل (٤٥) النُّفَساء (٤٦) والعشراء (٤٧) والمُطواء[4] (٤٨) والعُرَواء وهي الرَّعدة. فكلما جاءك ألف مضموماً أوله فهو ممدود. إلا ثلاثة أحرف نوادر من ذلك (٤٩) الأربى وهي الداهية، (٥٠) والأدمي موضع. (٥١) وشَعبَى اسم بلدة قال الشاعر[5]:

أعبداً حَلَّ في شُعبَى غريباً ... أَلُؤما لا أبـا لك واغتـرابـا

وما كان من اسم علي مثال عباد وحماد. أو فَعال أو فِعال أو فُعال. فهو ممدود يكتب بالألف. مثل (٥٢) الحذاء (٥٣) والشواء (٥٤) والسقاء[6] (٥٥) والحوّاء. وفعال مثل (٥٦) عطاء (٥٧) ورجاء. وفِعال مثل (٥٨) غطاء (٥٩) وخفاء[7]. والفعال مثل (٦٠) الدُّعاء (٦١) والرُّغاء. وما كان من اسم فيه ميم زائدة مفتوحة فهو من الياء والواو مقصور

(١) اكتفى علي مثال فعليل دون أخويه.
(٢) الأصل تكتب ولا تنطق به.
(٣) الزيادة بين المعكفين في تمام الكتاب مني لإتمام الـمعني.
(٤) اسم من التمطي.
(٥) جرير ديوانه ٢٩/١ سيبويه ١٧٠/١ بولاق ولاد ١٥٠.
(٦) الأصل السقاء مصحفا وانظر المبحث ولاد ١٥٠.
(٧) الأصل غفاء مصحفا.

يكتب بالياء من النوعين. مثل (٦٢) الـمَقْضَى (٦٣) والـمَحْيَى. وكذلك كل مصدر فيه زيادة[١] من الفعل إذا كانت فيه الميم فهو منقوص. مثل (٦٤) مُقْتَضَى (٦٥) ومَدعَى وكذلك (٦٦)[٢] مستقصًى (٦٧) ومستدعًى (٦٨) ومنتهًى. وكذلك كله لا اختلاف فيه ويكتب بالياء. وكل ميم مضمومة وإن لم تكن[٣] في فعلها زائد غيرها فهو منقوص مثل (٦٩) مُعْطًى (٧٠) ومُقْصًى. وما كان من نعت الذكر على فعلان فالأنثي فيه مقصورة وتكتب[٤] بالياء مثل (٧١) سكري (٧٢) وغَضْبَى (٧٣) وعَطْشَى. وما كان[٥]. نعت الذكر فيه على أفعل فإنَّ أنثاه إذا كانت على فعلاء فهي ممدودة تكتب بالألف. مثل (٧٤) حمراء (٧٥) وبيضاء وأشباه ذلك وما جمعته على فَعالى أو فْعال أو فَعْلى فهو مقصور يُكتب بالياء، من ذلك (٧٦) كَسَالى (٧٧) وكُسالى (٧٨) وسكارى (٧٩) وسُكارى (٨٠) وصَرْعى (٨١) وأَسْرى (٨٢) وأُسارى. قال فإن كان علي فُعالَى وهو اسم واحد فهو مقصور يكتب بالياء مثل (٨٣) حبَارى (٨٤) وجُمَادى[٦] (٨٥) وذنابي للطائر (٨٦) وسُماني الواحدة سُماناة يكون واحدا[٧] وجمعا. قال وكذلك ينقص[٨] إذا شددت العين منه. مثل (٨٧) حُوَّارى (٨٨) وخُبَّازى وشبهه. وما كان جمعًا واحدة مؤنثة مثل شجرة وقصبة وحَلَفة[٩] وطَرَفة جُمع بزيادة ألف في أخره فهو ممدود يكتب بالألف. مثل شجرة (٨٩) وشَجْرَاء. وقَضبة (٩٠) وقضْباء. وطرفة (٩١) وطرفاء. وحلفة (٩٢) وحَلْفاء. فأما ما يقصر إذا زيدت فيه الألف مما يفتح أوله. فما كان علي مذهب الجريح (٩٣) والجَرْحى. والصريع (٩٤) والصَّرْعى. والزَّمن (٩٥) والزَّمْنى. والهالك (٩٦) والهَلْكى. والمائد (٩٧) والميدي. وكل المشي والسير إذا رأيت في آخره الياء فهو مقصور يكتب بالياء مثل (٩٨) القَهْقَرى وهي

---

(١) الأصل زائدة مصحفا.

(٢) الأصل مستقضي.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) الأصل يكتب مصحفاً.

(٥) الأصل من نعت ولا بأس به.

(٦) الأصل حمادي وذنائي مصحفتين.

(٧) أي أنه اسم جنس.

(٨) الأمر ينقص مصحفاً.

(٩) نبت المخصص ١١٠/١٥ للمبحث.

مشية إلي خلف (٩٩) والخَوْرَلى[١] (١٠٠) والبشكى (١٠١) الهَيْذَبى، فالخَوْزَلى مشية فيها تفكك، والبشكى والهيذبى السرعة. وكل مصدر على مثال الفعَيْلَى فهو مقصور، مثل (١٠٢) الهِزّيمى[٢] (١٠٣) والخطّيبي (١٠٤) والزّمّيى (١٠٥) والرّدّيدى (١٠٦) والربيثي، ويروى عن عمر بن الخطاب لولا (١٠٧) الخليفى لأذنت، ليس شيء من هذا يمد ولا يكتب بالألف، وزعم الكسائي أنه سمع ما يفعل هذا إلا (١٠٨) خصّيصاء القوم، قال وكذلك (١٠٩) فَيْضوضاء[٣] بينهم، فسمع في هذا المد والقصر، وأجاز المد فيه على القيا، قال الفرّاء لم يُسْمَع أحد من العرب يمد شيئاً من هذا ولم يجز[٤].

(ب) باب الممدود والمقصور مما تتفق كتابته فيُشْكِل

ففُصّل ذلك وفُرّق كلّ حرف ممدود بنظيره[٥] من المقصور. من ذلك (١) الهَوَى على وجهين، هوي النفس يكتب بالياء، والهواء ما بين السماء والأرض ممدود، وكل منخرق بين شيئين فهو ممدود يكتب بالألف كقوله تعالى: (١٤-٤٤) وأفئدتهم هواء. يقول منخرقة[٦] لا تسع شيئاً. (٢) الرجا على وجهين الواحد من قول الله عز وجل: (٦٩-٩٧) والملك على أرجائها. مقصور يكتب بالألف الواحد رجا. ويثني رجوان قال الشاعر:

فلا يُرْمي[٧] بَي الرّجوان أني أقـل القـوم من يغني مكاني

والرجاء في الأمل ممدود يكتب بالألف[٨]. الصفا من الحجارة مقصور يكتب بالألف ويثني فتقول[٩] صفوان. ويدلك علي أنه من الواو قول الله عز وجل: (٢-٦٦) كمثل

(١) الأصل الخوزكى مصحفاً وهي والخيزلى والخوزري واحدة والبشكى ساكن الأوسط ـ انظر ولاد ١٤٤ وهو مما فات اللسان.

(٢) الانهزام والخطيبي اسم خطبة المرأة. والرمي من الرمي والرديدي من التردد والربيبى الخديعة وتطييب النفس وهذه الثلاثة مصحفة في الأصل وانظر الباب في المخصص ٤/١٦ وولاد ١٤٤.

(٣) كقولك أمرهم فوضي فضي. والأصل قبصوصاء مصحفاً انظر ولاد ١٤٤ واللسان (فضض) ويأتي (و٥٤).

(٤) الأصل ولم يجر.

(٥) الأصل بنصيره.

(٦) الأصل منحرقة لأنع.

(٧) يستهان بي والبيت سائر وهو في اللسان والمخصص ١١٢/١٥ ولم يعزم أحد.

(٨) الأصل بالياء مصحفاً.

(٩) الأصل فيقول مصحفاً.

صَفْوان عليه عليه تُرابٌ؛ [و] الصفاء في المودة وفي كل شيء [ما] خلص وصفا[1] وهو ممدود يكتب بالألف (٤) الفتي من الفتيان مقصور يكتب بالياء ويُثنّى فيكتب بالياء قال الله عز وجل: (١٢-٣٦) ودخل معه السجن فتيان، والفتاء المصدر من الشباب تقول[2] إنه لفتي بين الفتاء [للرجل][3] والدابة قال الشاعر[4]:

إذا عاش الفتي مائتين عاماً فقد ذهب اللّذاذةُ والفَتاء

و (٥) السنا سنا البرق مقصور يكتب بالألف ويثني فيقال سَنَوان؛ والسناء المجد والشرف ممدود يكتب بالألف و (٦) اللّوَى على وجهين من لوَى الرمل مقصور يكتب بالياء، واللّواء الذي يعقد للولاة ممدود يكتب بالألف (٧) الثّرَى على وجهين الثرى من النّدى مقصور يكتب بالياء؛ والثراء في المال الكثرة[5] واليسار، ممدود يكتب بالألف.

---

(١) الأصل فهو.

(٢) الأصل يقول مصحفاً.

(٣) ثلمة سددتها. والعبارة بهذه الألفاظ عند ابن ولاد ٦٤ دون (للرجل والدابة).

(٤) الربيع ككميت بن ضبع كعضد وككيت أيضا الفزاري من ستة أبيات في مقال لي عن التيجد (مجلة الزهراء ٤-٢٣٥) وطبعة حيدر أباد ١١٩. والمعمرين في مصر ص ٧ والمرتضى ١-١٨٤ والخزانة ٣-٣٠٦.

(٥) الأصل والكثوة.

من «مقدمة ابن الصلاح»[1]
فى علوم الحديث

أقول: هذا فصل في الـمصحف من ألفاظ الحديث، وهو شيء أساسه رسم الحرف وما فيه من تشابه، ثم ما في الحرف من نقاط في «باب الـمعجم والـمهمل».

النوع الخامس والثلاثون: معرفة المصحف من أسانيد الأحاديث ومتونها

هذا فن جليل إنما ينهض بأعبائه الحذاق من الحفاظ. والدارقطني منهم وله فيه تصنيف مفيد. وروينا عن أبي عبد الله أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: ومن يعرى من الخطأ والتصحيف؟ فمثال التصحيف في الاسناد حديث شعبة عن العوام بن مراجم عن أبي عثمان النهدي عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لتؤدن الحقوق إلى أهلها» الحديث، صحف فيه يحيي بن معين فقال «ابن مزاحم» بالزاي والحاء فرد عليه، وإنما هو «ابن مراجم» بالراء المهملة والجيم. ومنه ما رويناه عن أحمد بن حنبل قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن مالك بن عرفة بن عبد خير عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الدباء والمزفت»، قال أحمد: صحف شعبة فيه فإنما هو خالد بن علقمة، وقد رواه زائدة بن قدامة وغيره على ما قاله أحمد. وبلغنا عن الدارقطني أن ابن جرير الطبري قال فيمن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني سليم: ومنهم عتبة بن البذر قاله بالباء والذال المعجمة وروى له حديثاً، وإنما هو «ابن النُدّر» بالنون والدال غير المعجمة.

ومثال التصحيف في المتن ما رواه ابن لهيعة عن كتاب موسي بن عقبة إليه بإسناده عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في المسجد، وإنما هو بالرام «احتجر في المسجد» وحصير حجرة يصلى فيها. فصحفه ابن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير سماع. ذكر ذلك مسلم في كتاب التمييز له وبلغنا عن الدارقطني في حديث أبي سفيان عن جابر قال «رمي أبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله صلي الله عليه وسلم «أن غندراً قال فيه «أبي» وإنما هو «أُبيّ» وهو أبي بن كعب. وفي حديث أنس، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة، قال فيه شعبة «ذرة» بالضم والتخفيف ونسب فيه إلي التصحيف. وفي حديث أبي ذر «تعين الصانع» قال فيه هشام بن عروة بالضاد المعجمة وهو تصحيف. والصواب ما رواه الزهري «الصانع» بالصاد المهملة ضد الأخرق. وبلغنا عن أبي زرعة الرازي أن يحيي بن سلام هو المفسر حدث

عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ قال «مصر» واستعظم أبو زرعة هذا واستقبحه وذكر أنه في تفسير سعيد عن قتادة «مصيرهم».

وبلغنا عن الدارقطني أن محمد بن المثني أبا موسي العنزي حدث بحديث النبي صلي الله عليه وسلم «لا يأتي أحدكم يوم القيامة ببقرة لها خوار» فقال فيه «أو شاة تنعر» بالنون، وإنما هو «تيعر» بالياء المثناة من تحت وأنه قال لهم يوماً: «نحن قوم لنا شرف، من عنزة، قد صلى النبي صلى الله عليه وسلم إلينا» يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى عنزة» يوهم أنه صلى إلى قبلتهم، وإنما العنزة ههنا حربة نصبت بين يديه فصلى إليها.

وأظرف من هذا ما رويناه عن الحاكم أبي عبد الله عن أعرابي زعم أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلي نُصبت بين يديه شاة، صحفها عنزة بإسكان النون. وعن الدارقطني أيضاً أن أبا بكر الصولي أملأ في الجامع حديث أبي أيوب «من صام رمضان وأتبعة ستاً من شوال» فقال فيه «شيئاً» بالشين والياء وأن أبا بكر الإسماعيلي الإمام كان فيما بلغهم عنه يقول في حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكهان «قر الزجاج» بالزاي، وإنما هو «قر الدجاجة» بالدال. وفي حديث يروي عن معاوية بن أبي سفيان قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يشققون الخطب تشقيق الشعر. ذكر الدارقطني عن وكيع أنه قاله مرة بالحاء المهملة وأبو نعيم شاهد فرده عليه بالخاء المعجمة المضمومة. وقرأت بخط مصنف أن ابن شاهين قال في جامع المنصور في الحديث «إن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن تشقيق الحطب» فقال بعض الملاحين: يا قوم! فكيف نعمل والحاجة ماسة.

قلت: فقد انقسم التصحيف إلى قسمين: أحدهما في المتن والثاني في الإسناد وينقسم قسمة أخري إلي قسمين: أحدهما تصحيف البصر، كما سبق عن ابن لهيعة وذلك هو الأكثر. والثاني تصحيف السمع، نحو حديث «لعاصم الأحول» رواه بعضهم فقال «عَنْ واصل الأحدب» فذكر الدارقطني أنه من تصحيف السمع لا من تصحيف البصر، كأنه ذهب والله أعلم إلى أن ذلك مما لا يشتبه من حيث الكتابة وإنما أخطأ فيه سمع من رواه. وينقسم قسمة ثالثة إلي تصحيف اللفظ وهو الأكثر، وإلى تصحيف يتعلق بالمعنى دون اللفظ، كمثل ما سبق عن محمد بن المثنى في الصلاة إلى عنزة. وتسمية بعض ما ذكرناه تصحيفاً مجاز، والله أعلم. وكثير من التصحيف المنقول عن الأكابر الجلة لهم فيه أعذار لم ينقلها ناقلوه، ونسأل الله التوفيق والعصمة، والله أعلم.

من العربية الخاصة «النصرانية»

مستفادة من «المجدل»

في الكتابين الموسومين بـ «أخبار بطاركة كرسي المشرق»

الأول لعمرو بن متّى والثاني لماري بن سليمان

من مطبوعات رومة (الفاتيكان) القديمة

وأعاد نشرهما قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد

هذان الكتابان النصرانيان مما كتب وأُلف منذ أكثر من سبعة قرون، وقراءتهما مفيدة من الناحية الدينية للنصاري عامة، كما أن فيهما فائدة تاريخية للمعنيين بتاريخ النصرانية في ديار المشرق.

وقراءة ما في هذين السفرين المفيدين للمعنى بالعربية وتاريخها فوائد جليلة، منها: كيف كانت هذه العربية الخاصة لدى النصارى في عهود الدولة الإسلامية؟ إن العربية في هذين الكتابين نمط غريب يلتقي فيها اللون العامي باللون الفصيح، فيأتي من هذا اللقاء، أو قل من مجموع هذا الاختلاط، لغة فصيحة عامية، لا يمكن أن تندرج إلا في عداد الألسن الدارجة الخاصة. ثم إنها موسومة بسمة خاصة لا نجدها في غيرها من الألسن الدارجة؛ تلك هي سمة النصرانية، وما أمدّتها من كلم جديد مُعرَّب، أو قل مُنَصَّر، أصله كلمات أفرنجية كما سنرى. وهذه اللغة العربية العامية الخاصة قد عرفت طائفة من الكلم النصراني الشرقي، وهو الكلم السرياني.

ولنعرض لنماذج من هذه العربية فنقول:

سأضع بين يدي القارىء نموذجين، أولهما من كتاب عمرو بن متّى، وثانيهما من كتاب ماري بن سليمان.

جاء في كتاب عمرو بن متّى ص١٢:

شحلوفا:

هذا الأب كان شيخاً مفروق اللحية، حكيماً عالماً ماهراً، من أهل كشكر، مقدما في أهل زمانه، عارفا بالأمور، حافظا للعلوم، وكان فيه لطفاً (كذا) عجيباً... ماهراً في الخطب... وكان أسقفاً، وظهر منه رغبة في عمارة البيع، وتعهد الـمساكين، وتفقد الأسكوليين، فاختير للفطركة....، فاجتمع الآباء وعقدوا له الاسيامين ببيعة الـمدائن، وهو لابس بيرون أخضر، ورعي غنم الـمسيح أحسن رعاية، ودبر الأمور أشد تدبير، وفي أيامه أسيم أغناطيوس تلميذ يوحنا الإنجيلي فطركاً على أنطاكية، وهو الذي رأى الملايكة (كذا) يشمسون كدين، أعني يصلون صفين.

واستناح هذا الأب الطاهر في السنة الرابعة من ملك شابوربن ادرشير، سنة خمسة وخمسين وخمسماية يونانية..

أقول:

في هذه الترجمة الدينية النصرانية لحبر من أحبارهم نقرأ عربية خاصة ليس فيها شي من العربية المعروفة في زمن الـمؤلف، الذي عاش في القرن الرابع عشر الـميلادي أي الثامن الهجري.

هي عربية ينطلق بها اللسان سحابة يومه، فلا عناية فيها بالكلمة ولا الجملة. وقد تتنكر لقوانين العربية في نحوها وصرفها، ثم أن فيها من الكلم الدخيل النصراني، مما هو سرياني أو هو من لغات أعجمية غربية، شيئاً واضحاً.

إنك تجد فيها «الأسكوليين» أي الدارسين أصحاب المدارس الدينية، كما تجد الأسياميذ وهو مجمع الرؤساء الدينيين الكبار لبيعة أحدهم أو تقليده بمنصب ديني مثلاً.

رِدع عنك كلمة الفطرك والفطركة، وقف على قوله «أسيم» أي «سُمّي» وقوله «استنام» بمعنى «توفى». وهذه من غير شك من أصل آرامي قديم.

وقوله: «يشمسون كُدّين» التي شرحها الـمنصف فقال أعني يصلّون صفّيْن.

إن جملة هذه الأشتات وغيرها مما تجاوز فيها الـمؤلف نظام العربية نحواً، ليحملني على أن أدرج هذه اللغة في حيز الألسن الدارجة التاريخية في العربية القديمة.

ومن الـمفيد أن نقف على نص آخر من كتاب ماري بن سليمان، فنختار من غير قصد ما ورد في الصفحة ٨٢:

يرحنا بن نرسي:

ذكرنا الله بصلواته، وقدّسَ روحه، من أهل الكرخ، وكان أسقفاً على الأنبار، وبعد موت أنوش وقع في قلب عبدون بن مخلد وسلمة بن سعيد اجلاسه (كذا)، وكانا مقيمين بسرّ من رأى ومتمكنين من السلطان، واختارا أن يكون الاجتماع للاختيار عندهما. فاجتمع الآباء بالمطيرة، وكان في عمر الكرسي راهبٍ فاضل نسيب عبدون، فاختاره قوم بسبب، وكتب اسميهما وغيرهما في بنادق بيض وعُمِل السهر (كذا). ومع الفراغ من الرازين حضر الآباء ورؤوس الـمؤمنين، فخرج اسم يوحنا، وأُسيم الأحد الثالث من قدّاس البيعة سنة إحدى وسبعين ومائتين للعرب، وقرأ الإنجيل يوم الأسيامید جبريل مطران البصرة، وتكلم فأحسن، وكان قيوماً مطران نصيبين الـمقترش قائماً في جملة القسان، وازدحم الناس عند دخوله من البيم إلى الـمذبح، حتي انهدم بعض الحايطين الـمبنية (كذا) مكان الديرانيات، ووقع علي فخذ بعض الـمؤمنين فكسره.

واغتَمّ الجاثليق وسائر الناس وابتدا بالأمانة، وأخذ الجاثليق كأساً وجعل فيه حناناً وماءً ورسم ذلك به، فقام على رجليه وتضاعفت مسرّة الناس، وباكر سحراً دير التابوت للتجلّي على رسمه وعاد وعمل الرازين، وأحضر ثلاثة ليسميهم، أحدهم من كشكر، فقال له حنانيشوع أسقف كشكر: أن أحدهم لا يصلح أن يُسام، ففطن الجاثليق وقال: أظنه من كرسيّك.

أقول: نقف في هذا النص على جملة فوائد تؤلف في مجموعها ما يصبغ على هذه المادة صفة كونها أدباً عامياً، ينطلق فيه صاحبه على سجيته في لغة يومه. نقرأ فيه كلمة «اجلاسه» ويراد بها ما نريد بـ «جلسة» في لغتنا الـمعاصرة. والعمر من بيوت النصارى كالدير في العربية القديمة، ولم يبق له شيء في الوجود في عصرنا.

وقوله: «نسيب عبدون» من اللغة الـمحكية، فليس النسيب باللغة العالية كالصهر، وهو الباقي في الدارجة الـمعاصرة.

وقوله: «وعمل السهر» أي أنهم سهروا في اجتماع لشيء ما.

و«الرازين» من الكلم النصراني الديني، ومن هذا الكلم النصراني «البيم» لـموضع في الكنيسة أو الدير، وكذلك «الـمذبح». وأنت تجد الفعل «أسيم» كما وجدناه في النص السابق، بمعنى سمّي. ومثل هذا «استنام» بمعنى توفي.

قلت: ومادة النص في جملتها عربية عامية ذات صلة بالفصيحة، تقدم لنا فوائد تاريخية جليلة.

ومن سمات هذه العامية القديمة ـ كما أشرنا ـ تجاوز النحو في الـمرفوع والـمنصوب. وفي طوقنا أن نحصي من ذلك عشرات النماذج بل أكثر من ذلك. ثم تجاوز الصرف فقد «أعمد» بمعنى «عمّد» من «الـمعمودية».

ومن ذلك قولهم:

وأقرّ لـماري بالإلاهة وأراد الألوهية. (ص٥ ماري بن سليمان) وقولهم: وكان عالـماً صالحاً مشفياً (كذا) للمرضي. (ص ٧ ماري بن سليمان) والصواب: شافياً.

وأصعد إلى بغداد من غير أن يمضي إلى دير مار ماري على الرسم، فتطير الناس من ذلك، ونزل دير الجاثليق، واجتمع الناس للقيال، وسألوا في أمر قيوما مطران نصيبين، ووعد. ثم ورد يوانيس مطران الـموصل لأنه لم يحضر بل إنه كان كتب خطه بالرضى، وكان بينه وبين الجاثليق مودة وقرابة، وقام (كذا) عنده مدة، وسأله في باب قيوما، وتلطف وجماعة الأماثل فحلّه وفَرّجَ عنه (كذا).

وهُدِمَ دير الجاثليق دفعتين في أيامه، واتصلت الفتن، وبني دفعتين وهُدم، وبعد الجاثليق إلى أيام الـمعتضد وعاد وبني الدير ولم يطب نفساً بالمقام فيه، وسكن في دار الروم في بيعة أصبغ العبادي.

وأسام سابور الراهب من عَمر الزيتون بالرقة كرهاً علي جند يسابور، وقال الوقت قصر، واستنام ليلة الـميلاد لليلتين خلتا من شوال سنة تسع وسبعين وماتين (كذا) للهجرة وصُلّي عليه، ذكرنا الله بصلواته ورزقنا شفاعته وبركاته.

وعند ادارته بَصَقَ عليه رجل مسلم لهواً (كذا) فسقط من وقته، وعمل له من حضر من الآباء اشيفتا وطرحوه ملقى على التابوت وبريء واستغفر وقال: رأيت يداً خرجت ولطمتني، وخرجت وأقامتني. ودُفن إلى جانب الـمذبح الصغير في بيعة أصبغ..

وقوله: ... متعاهد للمساكين والأسكولات (ص٧ ماري بن سليمان).

وقوله: ... وفي أيامه بدأ يكتب الاقلاسيطيقات (ص ٨ ماري بن سليمان) والأسكولات جمع أسكول وهو معروف وقد كنا أشرنا إليه.

والاقلاسيطيقات هي الأدبيات التي تتصل بالكنيسة ورسومها وطقوسها وهي تعريب (Ecelesiastique).

وتقرأ في الكتاب ص٩: وقرروا ما هو مسطوراً (كذا).

وكذلك: يفعل الجرائح بمعني يقوم بجراحة الـمريض.

ومن هذا الشيء الكثير الذي لا حصر.

وبعد فهذه المواد اللغوية في هذه النماذج العربية النصرانية ذات قيمة في إفادة من يتصدي لتاريخ هذه اللغة العريقة.

ومن الـمفيد أن نعرض لطائفة ألفاظ النصرانية مما ورد في الـمصادر العربية، ومن ذلك ما ورد منها في كتاب «الديارات» للشابشتي، وقصيدة أبي القاسم مدرك بن محمد الشيبانى، التي وردت في جملة من كتب التاريخ والأدب.

مع ابن بطوطة
في رحلته

كنت قد نشرت في مجلة البحث العلمي الـمغربية شيئاً عن رحلة ابن بطوطة وأرى اليوم أن العودة إلى شئ من هذا أمر تقتضيه ضرورة وحاجة.

لقد تسلمتُ من إحدى الجامعات الأردنية عملاً اضطلع فيه صاحبه إثبات «ما فسرّه ابن بطوطة في رحلته من ألفاظ». وقد طُلب مني أن أبسط رأيي في هذا العمل وإثبات صلاحيته للنشر، وقد قلت ما قلت في الجواب.

وأعود فأقول: إن صاحب هذا العمل قد أثبت ما ذكره ابن بطوطة من شروح لألفاظ وجدها مفتقرة إلى إيضاح، فعمد صاحب هذا العمل الجديد على جمع هذه الشروح، ولم يضف شيئاً آخر.

أقول: وقد كثرت هذه الصنعة التي لا تتجاوز الجمع في عصرنا، مع العلم أن الأمر من شأنه أن يتجاوز هذه الصنعة السهلة. ومن هذا كثر جمع الشعر لشعراء لم يتركوا لهم دواوين مثلاً، فلم يتجاوز أصحاب هذا الجمع إثبات ما وقفوا عليه في مصادر الأدب من شعر فلان أو فلان.

إن هذه الصنعة قد يحتاج صاحبها إلى أن يجتهد في نسبة ما لم يكن منسوباً من الشعر، أو أن الشعر قد تنازعه غير شاعر. وصاحب الجمع هنا مطلوب منه أن يثبت شيئاً يقطع فيه ويأتي بصنعة أولي الجدّ من أهل العلم.

وأذكر أن أحد من قام بهذه الصنعة قد نسب لصاحبه جميع ما وجده في مصادر الأدب من قول صاحب المصدر: «وأنشد فلان»، فجعل «الـمنشد» هذا صاحب الشعر، وتلك صنعة مضلّلة.

ثم إن صاحب هذه الصنعة ملزم أن يثبت الصحيح ويبتعد عن الـمشهور الذي عرض له التصحيف والتحريف وهذا كثير.

قلت: إن الكثير من أصحاب هذه الصنعة أهل عَجَلة لا يتحرّون الحقيقة، وأذكر أن أحداً نشر شيئاً في رثاء الشعراء لغير الإنسان من الحيوان مثلاً، فكان فيه القصيدة المشهورة التي زعم أن الشاعر الضرير أبا بكر بن العلاف قد رثى بها «هراً» له خرج ولم يعد في قصيدة مطلعها:

يا هـرُّ فارَقتَنـا ولـم تَعُـدِ وكنتَ فينـا بمنـزل الوَلَـدِ

ولم يسع صاحب هذا الدرس إلى معرفة الأمر فقد جاء في «النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٠»: «وهَوِيَت جارية للوزير علي بن عيسي غلاماً للشاعر أبي بكر بن العلاف الضرير، ففُطِنَ بهما فقتلا جميعاً وسُلخا، وحشيت جلودهما تبناً، فرثي ابن العلاف غلامه بقصيدته المشهورة، وكنّي عنه بـ «الهر».

أقول: لم يكلّف صاحب هذا الدرس نفسه فيتجاوز صنعته في الجمع فيذكر هذه الحقيقة.

أقول: ومثل هذا الكثير مما هُرِعَ إليه أصحاب هذه الصنعة في الجمع والإحصاء. وأعود إلى صاحبي الذي جمع ما أثبته ابن بطوطة من ألفاظ «نشرها» في رحلته. إن صاحبي هذا الأستاذ الأردني لم يضف إلى ما ذكره ابن بطوطة فيشرح ويوصل ويصحح إن دعت الحاجة، بل إنه سرد ما أورده صاحب الرحلة من شروح.

وها أنذا أقف على شيء مما ورد في هذه الصنعة فأضيف فوائد لم يذكرها لا ابن بطوطة ولا صاحب هذه الصنعة الأردني وأقول[1]:

١ـ آب حيا:

(في حديث ابن بطوطة عن إقليم الصين ٧١٧/ ر، ٦٢٧/ص)

قال: «... ويخترقه النهر المعروف بـ «آب حيا» معني ذلك «ماء الحياة».

أقول: كان على الدارس أن يتوسع قليلاً فيما أوجزه المصنف «ابن بطوطة».

فيقول:

إن الكلمة مركبة، فـ «آب» كلمة فارسية تعني «الماء»، و«حيا» كلمة عربية هي «الحياة».

٢ـ آطـا:

(في حديثه عن شريف مُكرَّم لدي الملك أوزبك)

قال: «وكان يخاطبه بـ «آطا» وهو الأب بلسان التركية» ٣٧٨/ر، ٣٤٢/ص.

أقول: كان ينبغي للدارس أن يضيف فيقول: لقد عرَّب ابن بطوطة هذه الكلمة التركية وهي «أتا» بالتاء أو«آتا» وقد استدل ابن بطوطة بالتاء في الأصل «طاءً» على طريقة أهل التعريب، فقالوا مثلاً: «طربوش» والأصيل «تربوش»، وغير هذا كثير.

ومازال الأتراك يستعملون «أتا» بمعنى الأب فيقولون: أي أبو الترك كنية «للتعظيم والإكبار» والـمقصود الرئيس مصطفى كمال.

وأعود إلى ابن بطوطة فأقف على قوله: «بلسان التركية» وأقول:

الصواب: بلسان الترك أو باللسان التركى، قال تعالى ﴿وهذاكتاب مصدِّق لساناً عربياً﴾.

و«المرادبـ «اللسان» اللغة، وهو غير «اللسان» الذي هو جارحة الكلام فإنه يُذكَّر ويُؤنَّث.

٣ـ آطـا أولياء:

قال: «ووصلنا إلى جبل بشاي، وبه زاوية الشيخ الصالح آطا أولياء،وآطا معناه بالتركية الأب، وأولياء باللسان العربي،فمعناه: «أبو الأولياء».

٤٣٦/ر، ٣٩١/ص.

أقول: وقوله «زاوية» من مصطلح أهل الـمغرب، وهي تقابل «الخانقاه» لدى الـمشارقة. وقد ورث أهل العراق، وهم أهل السنّة خاصة لفظ «التَّكيَة» من الأتراك بمعنى «الزاوية» أو «الخانقاه»، وتجمع على «تكايا». وكلمة «تكية» من العربية من الفعل «اتَّكأ».

٤ـ آل طمغفـى:

في حديث الـمصنف عن مجلس السلطان طرمشين ملك تركستان، قال: «وعند باب الخرقة النائب والوزير والحاجب، وهم يُسَمَّون: آل طمغي، و«آل» معناه: الأحمر، و «طمغي» معناه العلامة: ٤١٣/ر، ٣٧١/ص.

أقول: قوله: «آل» معناه الأحمر، مازال معروفاً في العراق ففي بغداد محلة تُسمَّى «صبَا بيغ الآل». والاسم يشير إلى أن في المحلة صبّاغين للثياب بلون الحمرة.

ثم إن قول الـمصنف: «وطمغي» معناه: العلامة.

أقول: «تَمُغا»، وهي كلمة مغولية عرفها الفرس والترك واستعملوها، وقد عرّبها الـمصنف وسرها بالطاء «طمغي» وكأن الياء فيها جاءت من إمالة الألف في «تمغا».

وهي بالطاء في عاميّة أهل العراق في عصرنا «طمغة».

٥ـ أتابـــك:

(في حديث الـمنصف عن تسمية كل ملك في الصين بـ «القان»).

قال: كمثل ما يُسمّى كل من ملك اللور أتابك».

٧٣٤/ر، ٦٤٣/ص.

أقول: لم يشرح ابن بطوطة هذه الكلمة، ولم يشرحها صاحب الدرس.

والـمعنى: «الأب» وهو «أتا» و«بك» هي «بَك» أو «بيك» من ألقاب التشريف التي ورثها العرب، ومازال أهل مصر يعرفونها.

وقد عرف «الأتابك» في تاريخنا الإسلامي وكان من ذلك «الأتابكيّون» والدولة الأتابكية.

٦ـ الأخيّـة:

قال الـمصنف: «واحد الأخيّة أخي، على لفظ أخ إذا أضافه الـمتكلم إلى نفسه/ وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية، في كل بلدة ومدينة وقرية، ولايوجد مثلهم في الدنيا أشدّ احتفالاً بالغرباء من الناس، وأسرع إلى إطعام الطعام، وقضاء الحوائج، والأخذ على أيدي الظَلَمة، وقتل الشُرط ومن أُلحق بهم من أهل الشرّ.

و«الأخي» عندهم رجل يجتمع أهل الصناعة وغيرهم من الشبان الأغراب والـمتجرّدين ويقدّمونه علي أنفسهم، تلك هي «الفتوّة» أيضاً.

أقول: أجتزئ بما ذكرته من كلام الـمصنف، وأقف على «الأخيّة» التي هي من العربية ولكن التركمان لـمحوا فيها معني الجمع فأخذوا منها الواحد «أخي» كما اجتهدوا. وهذا غير بعيد عن «الأخوة» التي كثر فيها معنى الـمصدر. غير أن اللحياني من أهل اللغة أشار إلى أنها جمع لـ «أخ» كما هي مصدر.

أقول: إن «أخوّة» هي بناء «فُعولة»، وهذا من أبنية التكسير نحو: البُعولة والسُّهولة والنُحولة والحُزونة، والأُبوّة، وهذه جموع لـ «بَعل وسَهل وفَحل وحَزن وأب».

ومن هذه «الأبوة» قد غلب فيها بناء المصدر ولاسيما في العربية المعاصرة، ونُسي الجميع، غير أن أولي الفصاحة استعملوا «الأبوّة» جمعاً، وآخر هؤلاء الشاعر أحمد شوقي في قوله:

أمّـة تنشـئ الحيـاة وتَبني كبنـاء الأُبُـوّة الأمجـادِ

و«الأُبوّة» هنا مثل «العُمومة» و«الخُؤولة» جمعَي «عمّ وخال». قد غلبت عليهما معنى المصدرية.

ولنا أن نقول: إن «الأمومة» قد ذهب بها المعربون آلي المصدر، وهي مثل العمومة والخؤولة، وهذا يعني أنا قد نرى فيها معنى الجمع لـ «أمّ» وإن افتقرنا إلى شاهد نطمئن إليه.

٧ـ الأريـاب:

(في الحديث عن مقبرة السلطان قطب الدين التي ولاه محمد شاه سلطان الهند أمرها).

قال المصنف: «وعادة أهل الهند أن يرتّبوا لأمواتهم ترتيباً كترتيبهم بقيد الحياة، ويؤتَى بالفيلة والخيل فُترتَّب عند باب التربة وهي مزّينة، فُرتّبت أنا في هذه التربة بحسب ذلك، ورتَبتُ من قرّاء القرآن مئة وخمسين، وهم يسمونهم الختميين، ومن المعيدين، ويسمونهم المكرّرين ثمانية... ثم المدرّس، ثم من الصوفية والمؤذّنين والإمام والقُرّاء والمدّاحين... وجميع هؤلاء يعرفون عندهم بـ «الأرباب». ٥٩٧/ر، ٥٢٣-٥٢٤/ص.

أقول: وهذا من تصرّف المسلمين في الهند بالكلمة العربية التي هي جمع «ربّ» قال تعالى: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ ٦٤ سورة آل عمران.

٨ـ أرد:

(في حديثه عن السلطان محمد أوزبك)

قال المصنف: «.... وأقبلت «المحلّة»، وهم يسمونها «الأرد»....».

أقول: لعل هذه من كلمة «أرض» العربية وذلك لأن عامّة الأعاجم لا تنطق صوت الضاد العربية فتذهب إمّا إلى الدال وإمّا إلى الزاي.

وذكر المصنف «أردجا» اسماً لزوجة من زوجات السلطان أوزبك، وقال سُميّت بذلك لولادتها في «الأرد» أي «المحلة».

أقول: و«أردجا» هذه التي قلنا فيها: قد تكون من «أرض» العربية قد ختمت بـ «جا» وهي «چه» الفارسية تُختم بها الأسماء لأفادة التصغير.

٣٦٦ و ٣٧١/ر. ٣٣٠-٣٣١، ٣٢٦/ص.

٩- الأصباهية:

(في حديثه عن سكان المدينة السادسة في مدينة الخنسا، وهم الرُّماة)

٧٣١-٧٣٢/ر، ٦٤٢/ص

أقول: هذه كلمة قديمة تركية الأصل تعني جماعة الفرسان Sipahi، وهي وقد عرفت في بلدان الشمال الإفريقي، وذهبت الكلمة إلى الفرنسية، وهي للفرسان من هذه البلدان الإفريقية بالجيش الفرنسي «Spahi».

وكأن ابن بطوطة قد وجدها في المدينة التي أشار اليها أو أنه استعملها من عربيته المغربية.

١٠- أَغـا:

(في حديثه عن قيسارية التي فيها زوجة أمير كبير).

قال المصنف: «وتُدعي «أغا» ومعني «أغا»: «الكبير».

٣٤٤/ر، ٢٩٦/ص.

أقول: هي «أغا» بالمدّ، وهي كلمة تركية من أصل مغولي بمعنى سيدة، أو زوجة كبيرة أو أمير، وهي بهذا المعني من ألقاب التشريف. وهذه لدى الفرس بالقاف أيضاً بمعنى «سيد» تسبق أسماء الأعلام نحو: آغاي محمد، وقد تأتي بعد الاسم: محمد آقا. وهي قبل الاسم متلوّة بياء مكسورة. وهذامعروف متداول في إيران وأفغانستان والهند وباكستان.

وهذه معروفة في العراق لدى العراقيين الأكراد، فقد يُسمَع من ذلك: محمد أغا مثلاً.

١١- ألطـون طـاش:

(في حديثه عن مدينة السرا، عاصمة أوزبك)

قال المصنف: «وقصر السلطان بها يُسمّى: أنطون طاش، و«أنطون» معناه: الذهب، و«طاش» معناه: حَجَر».

أقول: إن المصنف جري على طريقة أهل التعريب فاستبدل الطاء بالتاء التي هي في الأصل في اللغة التركية «ألتون تاش». انظر «أطا».

و«ألتون» وردت في مدينة عراقية هي «ألتون كوبري» وأهلها من التركمان، ومعناها في العربية «قنطرة الذهب» ٣٩٤/ر، ٣٥٧/ص.

١٢ـ أمير الألوس:

(لقب لأمير هو أبو إحدى أزواج الملك أوزبك).

قال المصنف: «ومعناه أمير الأمراء». ٣٧١-٣٧٢/ر. ٣٣٦/ص.

أقول: و«أمير» من العربية، وهو كثير في البلاد كافة التي أسلم أهلها.

١٣ـ الأنبـارات:

(في حديثه عن سور مدينة دهلي)

قال المصنف: «وفيها مخازن للطعام ويسمّونها الأنبارات».

أقول: «الأنبارات» قد جمعت بالألف والتاء، وهذا الجمع من العربية. والواحد أنبار» وهي كلمة فارسية من معانيها «مخزن الغلال». وقد عرفها العَرَب واستعملوها، ومنها «الأنبار» اسم مدينة عراقية على الفرات الأوسط، وهي قديمة ورد ذكرها في تاريخ الإسلام في القرون الأولي، ومازالت هذه الحاضرة في العراق في عصرنا هذا.

وكلمة «أنبار» قد توهّم فيها العرب وحسبوها جمعاً لأنها علي أ«فعال» من أبنية التكسير في العربية. وقد نُسب إلى الأنبار جمهرة من العلماء ومنهم أبو بكر الأنباري من أهل اللغة والأدب من رجال القرن الثالث الهجري.

وقد تحوّلت «أنبار» في عامية أهل العراق في عصرنا إلى «عُمبار» بمعنى «المخزن الكبير» للحبوب وغيرها. و٤٧/ر، ٤١٥/ص.

١٤ـ أنكـور:

(في حديثه عن فاكهة «المهوا» في الهند)

قال المصنف: «وفي أعلى كل حبة صغيرة بمقدار حبّة العنب مجوفة، وطعمها كالعنب، إلا أن الإكثار من أكلها يحدث في الرأس صداعاً... وهم يسمون هذه الحبة «الأنكور».

٤٦٥/ر، ٤٠٨/ص.

أقول: وفي العراق في عصرنا من يُنسب «أنكورلي» وهذه النسبة على الطريقة التركية أي أنها مختومة بـ «لي»، والأتراك يقولون: «استمبوللى» و «بغدادلى».

١٥ـ أولوخاتـون:

(في حديثه عن حاشية خواين الملك أوزبك)

قال المصنف: «وعن يمينها امرأة من القواعد تسمّى «أولوخاتون» بمعنى الوزيرة». و٣٦/ر، ٣٣٣/ص.

أقول: و«خاتون» كلمة تركية بمعنى سيدة شريفة، وقد استعملت هذه الكلمة لدى الأتراك والفرس والعراقيين.

١٦ـ إيت كججك:

قال المصنف: «وبنت السلطان المعظم أوزبك اسمها «إيت كججك» والمعنى: «الكلب الصغير»، و «إيت» هو الكلب، و«كججك» هو الصغير...!!

٣٧٢/ر، ٣٣٧/ص.

أقول: والصواب: «كُچُك» وهذه كلمة تركية بمعنى الصغير، ولعلّ الغلط من النساخ وليس من المصنف.

١٧ـ بابـا:

(من حديث المصنف ابن بطوطة مع سلطان سيلان)

قال: «فقلتُ له: ليس مرادي منذ وصلت إلى هذه الجزيرة إلا زيارة القدم الكريمة، قدم آدم ـ عليه السلام ـ وهم يسمونه «بابا».

أقول: «بابا» كناية عن «أب» من العربية وشاعت في كثير من اللغات.

٦٧٧/ر، ٥٩٤/ص.

١٨ـ باصيـا آداد:

قال المصنف: «ومعنى ذلك «رحَى الريح». ٥٠٣/ر، ٤٣٧/ص.

أقول: ذكر ابن بطوطة هذا المعنى في كلمة «أصبا أباد». ولا أدري أتصحّف عليه الاسم، أم كان ذلك من صنع النساخ؟

١٩ـ بجـق:

(في حديثه عن مدينة سيواس)

قال المصنف: «ولما قدمنا هذه المدينة خرج الينا أصحاب الفتى بجقجي، وبجق بالتركية السكني، وهذا منسوب إليه». ٣٢٥/ر، ٢٩٧/ص.

أقول: وكلمة «بجق» أو بجغ معروفة في العراق بمعنى الشاب الجميل، من التركية، ولا أدري كيف حدث هذا لابن بطوطة؟ وهو غير ثبت في المسائل اللغوية وتأصيل الكلمات كما بدا لي في هذا الدرس..

٢٠ـ بَخـارى:

(في حديثه عن مدينة بولي في تركيا)

قال المصنف: «ودخلنا المدينة فقصدنا زاوية أحد الفتيان «ألأخيّة» ومن عوائدهم أنه لاتزال النار موقودة في زواياهم أيام الشتاء أبداً، يجعلون في كل ركن من أركان الزاوية موفداً لنا ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونها «البخاري» واحدها «بخيري».

٣٤٤/ر، ٣١٤/ص.

أقول: البخيري وجمعه «بخاري» علي النحو الذي يذكره المصنف من الكلمة العربية «بخار» ومعناها معروف، ولكن غير العرب الذين أفادوا من العربية سلكوا فيما أخذوه مسلكهم، فتحولت الكلمات في أبنيتها كما تحولت في دلالاتها إلى شيء آخر، وإن بقي منها ما يومئ إلي الأصل.

٢١ـ بُدخانـه:

(في حديثه عن جامع دهلي)

قال المصنف: «وعند الباب الشرقي من أبواب المسجد صنمان كبيران جدا من النحاس مطروحان بالأرض قد ألصقا بالحجارة. ويطأ عليهما كل داخل إلى المسجد أو خارج منه، وكان موضع هذا المسجد بدخانه، وهو بيت الأصنام فلما افتتحت جعل مسجداً».

٤٨٠/ر، ٤١٦-٤١٧/ص.

أقول: «بُدخانه» كلمة مركبة من «بُد» وتعني بيتاً فيه أصنام وتصاوير، وهو معرّب من الفارسية، وهو في هذه اللغة «بت» و «خانه» بمعنى «منزل ومكان» من الفارسية. وقال ابن دريد: «البُد الصنم نفسه الذي يُعبَد، لا أصل له في اللغة، فارسي معرف.

أقول: وكان للعربية والفارسية حضور في لغة المسلمين في الهند، وفي لغات سائر الأعاجم الذين أسلموا[٢].

٢٢- البَراهمـــة:

قال المصنف: «وهم كُبراء الهنود»

٤٦٩/ر، ٤١١/ص

أقول: «البَراهمة» بناء «فَعالِلة» من أبنية التكسير، ويكثر في الواحد منه المنسوب، وهو هنا «بَرهمي» جماعة ونحلة في الهند. ومن هذا «مغاربة» والواحد «مغربي» و«التوانسة»، والواحد «تونسي» وغير هذا كثير.

ومثله ما جاء على «أفاعلة» والواحد غير منسوب نحو «أساتذة» والواحد «أستاذ» و«ملائكة» والواحد «مَلَك»، وقالوا أصله «مَلأك»[٣]، و«دهاقنة»، والواحد «دَهقان»، وغير هذا.

أقول: وهذا البناء في «براهمة» لدى مسلمي الهند يشير إلى أثر العربية في لغاتهم الهندية.

٢٣- البرد داريـة:

(في حديث المصنف عن أحد رجال السلطان محمد شاه ملك الهند)

قال المصنف: «فأراد الدخول فمنعه أمير البردرارية وهم الخواص من البوابين». ٥٣٥/ ر، ٤٦٦/ ص.

أقول: الكلمة مركبة من «پرده» الفارسية بمعني «ستر» أو «حجاب» و «دار» بمعنى «صاحب» فيكون معنى المركب «صاحب الحجاب أو الستارة» أي «البوّاب».

أقول: لم يهتم المصنف ابن بطوطة بهذه التفصيلات اللغوية، وكان عليه أن يشير إلى «پَرده» وأنها تبدأ بحرف الپاء الأعجمية المعجمة بثلاث من تحت، وهي مثل الحرف (P) اللاتينية. وهذا الحرف في الكلمات الأعجمية جعله العرب فاءً في التعريب فقالوا: «فولاذ» والأصل فارسي هو «پولاد» وغير هذا كثير..

وما زالت كلمة «پرده» بالياء الأعجمية معروفة للستارة في العامية العراقية، وكذلك كلمة «دار» بمعنى صاحب فقد بقيت في بعض كلمات ورثها العراقيون من الأتراك مثل «دفتردار» أي «صاحب السجل».

٢٤ـ البريـــد:

أقول: لقد توسع المصنف فبسط في «البريد» فوائد تأريخية نافعة في أصنافه وما يتصل بشؤونه وذلك لدى الهنود المسلمين في عصره.

٤٤٨ـ٤٤٩/ ر، ٣٩٤-٣٩٥/ ص.

٢٥ـ البصوانـات:

(في حديثه عن مدينة فنجفو في الصين)

قال المصنف: «ولها أربعة أسوار، يسكن ما بين السور الأول والثاني عبيد السلطان من حراس المدينة وسمارها ويسمون «البصوانات».

أقول: «البصوانات»، واحدها «بصوان» ومعناه الحارس. وقد عُرفَت هذه الكلمة في العامية العراقية، غير أنها بحرف الپاء الأعجمية بثلاث تحتية «بَصوان».

٢٦ـ البُقشـــة:

(في حديث المصنف عن تكريم سلطان جاوة له)

قال المصنف: «ثم جاء أحد الفتيان بـ «بُقشه» هي السُّبنية «فأخَذَها النائب بيده، وأخَذَ بيدي وأدخلني دويرة يسمونها «فردخانة» وأخرجَ من البقشة ثلاث فُوَط.....»

٧٠٧/ ر، ٦١٨/ ص.

أقول: و«البُقجه» كلمة تركية بمعنى «صُرَّة اللباس». وقد استُعملت في العراق في العامية

بهذا المعنى، ومازالت معروفة. وقد استعملها الفرس وما زالت معروفة لديهم وهي بالقاف، وبالغين «بغجه».

وأعود إلى «بُقجه» في العامية العراقية فأقول: إنها تستعمل بمعنى «الحُنينة». وهذه من الفارسية «باغجه». و«باغ» بمعنى «بستان» و «چجه» أداة التصغير في الفارسية.

أقول: و «بُقچه» و«بغچه» و «باغچيه» جميعها بالچيم الأعجمية المنقوطة بثلاث من تحت.

ولم يُشر ابن بطوطة إلى هذا الصوت الأعجمي، فأثبتها بالجيم العربية.

أقول: وجاء فى كلام المصنف: أن «البُقجة» هي «السَّبنية».

ولابد أن أذكر هنا ما ذكره صاحب «لسان العرب» من تعريف السَّبَنية» وهو: «السَّبَنية»: ضرب من الثياب تُتَّخذ من مُشاقة الكتّان أغلظ ما يكون، وقيل: منسوبة إلى موضع بناحية المغرب يقال له «سَبَن».

قال ابن سيده: وبالجملة فإني لا أحسبها عربية.

أقول: وجاء أيضاً في كلام ابن بطوطة «ثلاث فُوَط».

أقول: و«الفُوط» جمع «فُوطة» وهي كلمة فارسية الأصل «فوته» بالتاء وقد عرَّبها العرب فقالوا:«فوطة».

٢٧- بَـــك:

قال المصنف: «وتوجهنا إلى لقاء ملك العلايا، وهو يوسف بَك، ومعنى «بَك»: الملك. ٣١٣/ ر، ٢٨٤/ ص.

(وقال أيضاً في شرح اسم ولد للسلطان محمد أوزبك): «والأكبر منهما اسمه تين بك، و«بَك» معناه الأمير.

٣٧٢/ ر، ٣٣٧/ ص.

أقول: كأن ابن بطوطة يرسل شرحه غير مثبَّت كما أثبتنا من كلامه في شرح «بَك».

إن «بك» هذه هي لقب تشريف مازال معروفاً لدى العرب في عصرنا كمصر مثلاً. وهو بالجيم الأعجمية التي ترسم بعَصَوَين «كـ». وليس هذا بمعني الملك أو الأمير.

أقول: وقوله: «بياده» من الكلم الفارسي بمعنى الرجّالة أو المشاة غير الفرسان، وبهذا كانت الكلمة في الاستعمال العسكرى للجند المشاة غير الفرسان (الخيّالة). وهذه تقابل في الفرنسية «Piéton».

وقد أثبت المصنف هذه الكلمة بالباءالعربية ولم يُشر إلى الحرف في الأصل.

٢٨- بَنـــدَر:

(في حديث المصنف عن جزائر ذيبة المهل)

قال المصنف: «وفائدة المخزن ويُسمّونه «البندر» أن يشتري من كل سلعة بالمركب خطأ بسوم معلوم....»

٦٥٧/ ر، ٥٧٦/ ص.

أقول: و«بَندَر» كلمة فارسية بمعنى «ميناء» أو مدينة ساحلية. ومازالت هذه الكلمة معروفة في مصر مثلاً.

و«بندر» قد عُرفت في غير مصر من بلاد العرب في قول المشارقة في «سورية والعراق: «شابندر» اسم لأسرة وشهرة تشريفية لها وهى من أصل فارسي هو «شاه بندر» بمعنى «ملك التجار».

وفى تاريخنا الإسلامي عرفنا «البُنداري» شهرة لبعض الأعلام، ومنهم: البنداري الفتح بن عليّ المتوفّى سنة ٦٤٣هـ، وابن البندار وهو شهرة كلّ من عبد السلام بن محمد المتوفى سنة ٤٨٨هـ، ومحمد بن الحسين المتوفى سنة ٥٢١هـ، وأسعد بن الحسين المتوفى سنة ٥٨٠هـ. وكذلك بندار وهو محمد بن بشار المتوفى سنة ٢٥٢هـ، انظر «الأعلام» لخير الدين الزركلي.

٢٩- بنـج آب:

قال المصنف: «وهو ماءالسند، و «بنج» معناه: خمسة، و«آب» معناه: الماء، فمعنى ذلك: الأودية الخمسة..... ٤٣٨/ ر، ٣٩٣/ ص.

أقول: و «بَنج» هو بالياء الأعجمية مثل الحرف (أ) منقوط بثلاث من تحت لدى الأعاجم (پ).

وهذا هو الذي نعرفه في عصرنا إقليم «البنجاب» ومشكلته في عصرنا قائمة بين الهند وباكستان.

٣٠- البــوزة:

(في حديثه عن طعام الأتراك في بلاد الأوزبك وشرابهم)

قال المصنف: «هو نبيذ يصنعونه من حبّ «الدوقي» وهم حنفية المذهب، النبيذ عندهم حلال، ويسمون هذا النبيد المصنوع من الدوقي «البوزه».

وهي من «بُوز» الكلمة التركية وتعني «الثلج» ومازال هذامعروفاً في العامية العراقية.

٣١- بيــادة:

(في حديث المصنف عن نشأة السلطان تغلق قبل تولّيه السلطة في دهلي وكان في خدمة سلطانها)

قال: «فخدمه تغلق وتعلّق (كذا) بجانبه في «البيادة» وهم الرّجال» ٥٠٢/ ر، ٤٣٦/ ص.

٣٢- بيبــي:

(في حديثه عن مسجد قلهات في عُمان):

قال المصنف: «وهو من عمارة الصالحة «بيبي مريم» معنى «بيبي»: الحرّة.

٢٩٦/ ر، ٢٧١/ ص.

أقول: إن كلمة «بيبي» فارسية مازالت معروفة في عامية أهل العراق للجدة العجوز أم الأب أو أم الأم.

٢٣- تَخت:

(في حديثه عن ترتيب الملك أوزبك في الصيد)

قال المصنف: «ويُنصَب في وسط الباركة السرير الأعظم، وهم يسمونه «التخت» وهو من خشب مرصع، وأعواده مكسوة بصفائح فضة مذهبة.....».

٣٧٧/ ر، ٣٤١/ ص.

أقول: وكلمة «تخت» بمعنى «سرير» مازالت معروفة في بلاد العرب في الألسن الدارجة، والكلمة فارسية وتعني الكرسي أو المنبر، ويكون أيضاً سريراً للجلوس والنوم.

٣٤ـ تَنُــورة:

(في حديثه عن الشيخ محمد العريان)

قال المصنف: «وكان من أولياء الله تعالى، قائماً على قدم التجرّد، يلبس «تَنُورة»، وهو ثوب يستر من سُرّته إلى أسفل».

٦١٨/ ر، ٥٣/ ص.

أقول: و«التنورة» كما عرّفها المصنف مازالت معروفة لدى العرب عامة.

٣٥ـ الجــزّ:

(في حديثه عن هدية ملك الهند إلى ملك الصين، ومنها)

قال المصنف: «مئة شقّة من ثياب الحرير المعروف بـ «الجزّ».

٦٠٥/ ر، ٥٣١/ ص

أقول: و«الجزّ» بمعنى «الحرير» كلمة مازالت معروفة بالجيم في عامية أهل العراق، وهي من أصل فارسي، «كثر» والزاي المعجمة بثلاث من فوق صوت فارسي فيه شيء من الجيم.

وتعريب هذه الكلمة الفارسية في فصيح العربية «القزّ» بالقاف.

٣٦ـ الجنــادرة:

(في حديثه عن شيراز من حواضر جنوب إيران)

قال المصنف: «ولقد شاهدت رجلاً تجره الجنادرة وهم الشرط إلى الحاكم»

٢٢٧/ ر، ٢٠٧/ ص

أقول: في «الجنادرة» أصلان فارسيان هما: «جُند» وأصلها الفارسي «كند» بمعنى جماعة الجيش. وهذا التعريب قديم، فقد وردت «الجُند» في لغة التنزيل، قال تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جُند من السماء﴾ ٢٨ سورة يس كما ورد الجمع «جُنود» في آيات عدة.

والأصل الثاني من كلمة «جنادرة» هو «جَندَر» و «جَندره» بمعنى «لباس ورداء».

٣٧ـ الجَنبيّـة:

(في حديثه عن مقتل تقي الدين المصري محتسب مكّة)

قال المصنف: «فاستل خنجراً له يعرف عندهم بـ «الجنبية» وضربه ضربة واحدة كان فيها حتفه».

١٧١/ ر، ١٥٢/ ص

أقول: «الجنبية» بمعنى الخنجر مازال معروفاً يعلق في أحزمة أهل اليمن وعمان علامة وشعاراً قديماً حافظوا عليه.

٣٨ـ جهـــان:

(في حديثه عن والدة السلطان محمد شاه ملك الهند).

قال المصنف: «تُدعى المخدومة «جهان»، و «جهان» «اسم الدنيا».

٤٧٢/ ر، ٤١٤/ ص.

أقول: و«جهان» كلمة فارسية بمعنى: الدنيا.

والكلمة لدى العرب في عصرنا من أعلام الإناث.

٣٩ـ جوزبَـوّا:

قال المصنف: «وثمر القرنفل هو «جوزبوّا» المعروفة في بلادنا بـ «جوزة الطيب».

٧١٢/ ر، ٦٢٣/ ص.

أقول: و«الجوز» كلمة فارسية لما هو معروف عندنا نحن العرب.

فأمّا «جوزبوا» بمعنى «جوز الطيب» فمعروف في العراق «جوز بَوّا» وهو الاسم الذي ذكره المصنف لدى أهل جاوَة.

٤٠ـ الحرافيـش:

(في حديثه عن الأمير المسمّى طشط المعروف بـ «حِمِّص أخضرٍ» وهو من أمراء الملك الناصر محمد.

قال المصنف: «... وكان من خيار الأمراء، وله الصدقات الكثيرة على الأيتام، من كسوة ونفقة، وأجرة لمن يعلمهم القرآن، وله الإحسان العظيم للحرافيش، وهم طائفة كبيرة، أهل صلابة وجاه ودعارة....».

٥٩-٦٠/ ر، ٤٣-٤٤/ ص

أقول: ومازالت كلمة الحرافيش معروفة في العامية المصرية تطلق على الجماعات الخارجة على الآداب العامة.

٤١- الحرّاقــة:

(في حديثه عن سلطان العراق أبي سعيد)

قال المصنف: «..... رأيته يوماً بحرّاقة في الدجلة، وتسمى عندهم الشبارة وهي شبه سلورة».

٢٤٦/ ر، ٢٢٨/ ص

أقول: و «الحراقة» ضرب من السفن عرف في العراق ابتداء من آخر القرن الرابع الهجري. وللأستاذ حبيب زيات بحث ودرس في السفن نشره في مجلة المشرق اليسيوعية في بيروت، منذ ما يقرب من نصف قرن، وأعاده في كتابه «الخزانة الشرقية».

وللأب أنستاس ماري الكرملي في العراق مشاركة في هذا الدرس في مجلة «لغة العرب». ومن هذه «الشبّارة» وهي كلمة أصلها سرياني. وأما «السلورة» فلم أقف على معناها.

٤٢- الخـــان:

(في حديثه عن الهند)

قال المصنف: «والخان عندهم أعظم الأمراء» ٢٠١/ ر، ١٨٠/ ص

(وفي حديثه عن سلطان العراق المغولي)

«.... و«خان» عندهم الملك» ٢٤٥/ ر، ٣٠٦/ ص

(وفي حديثه عن المنازل في صحراء سيناء)

«... بكل منزل منها فندق يسمونه الخان» ٧٠/ ر، ٥٤/ ص

أقول: و«الخان» من ألقاب الشريف، فقد يكون صاحب اللقب أميراً أو أعظم الأمراء، أو أقل من ذلك. وهذا اللقب تركي لملوك تركستان.

وهو «المنزل» في الفارسية، ومازال معروفاً في بلدان المشرق لما هو فندق أو أقل منه، ولما هو مخزن كبير للبضائع والتجازات. وقد عُرِّب «الخان» لدى العرب فقالوا: حان أو حانة بالحاء المهملة لما تشرب فيه الخمور أو تباع.

٤٣ـ خُدابَنَـده:

(والد السلطان أبي سعيد في العراق في عهد ابن بطوطة)

قال المصنف: «وهو الذي أسلم من ملوك التتر، وضبط اسمه مختلف فيه. فمنهم من قال: إن اسمه «خَذا بنده» و «بنده» لم يختلف فيه، وتفسيره على هذا هو «عبد الله»، لأن «خذا» بالفارسية اسم الله ـ عزّ وجلّ ـ و «بَنده»: غلام أو عبد، أو ما في معناهما.

وقيل: إنما هو «خربنده»، وتفسير «خر» بالفارسية «الحمار» فمعناه على هذا «غلام الحمار». فشدّ ما بين القولين من خلاف. على أن الأخير هو المشهور، وكأن الأوّل غيّره إليه من تعصّب له.

وقيل: إنّ سبب تسميته بهذا الاسم الأخير هو أن التتر يُسمُّون المولود باسم أوّل داخل عند ولادته، فلماً وُلد هذا السلطان كان أوّل داخل هو «الزمال» (١)، وهم يسمّونه «خربَنده» فسُمي به».

٢٤٥-٢٤٦/ ر، ٢٢٧-٢٢٨/ ص

أقول: قول ابن بطوطة: إنه «خذا» بالذال غير صحيح؛ ذلك أن «خدا» هو الأصل الفارسي ومعناه «الله تعالى».

ومازال «خدا» معروفاً في بعض الألسن العربية الدارجة.

و«خربندة» كما ذكر المصنّف مازال في العراق اسماً لحيٍّ سكني في جنوبي بغداد.

٤٤ـ خـداد:

قال المصنف: «وعند دخولي إلى مدينة شيراز لم يكن لي همّ إلا قصد الشيخ القاضي مجد الدين اسماعيل بن محمد بن خداد، ومعنى «خداد»: عطية الله...» ٢٢٤/ ر، ٢٠٤/ ص

أقول: هو «خداداد» أي هبة الله.

ولعلّ العرب قد اختصروا هذا الأصل الفارسي، أو أن ذلك من خطأ النسّاخ.

٤٥ـ الخوانـق:

(في حديثه عن مصر)

قال المصنف: «وأمّا «الزوايا» فكثيرة، وهم يسمونها «الخوانق» واحدتها «خانقة».

٤٥/ ر، ٣٧/ ص

أقول: «الخوانق» هي «الزوايا» في مصطلح المغاربة، وهي أكثر ما تكون في مصر. وواحدها «خانقاه» وليس كما أثبت المصنف.

٤٦ـ الخـور:

(في حديثه عن خور الخيزران في سيلان)

قال المصنف: «والخور هو النهر» ٢٢٣/ ر، ٢١٤/ ص

(وفي حديثه عن مدينة كنبايه في الهند) قال:

«وهي على خور من البحر، وهو شبه الوادي تدخله المراكب، وبه المد والجزر، وعاينت المركب به مرساة في الوحل حين الجزر، فإذا كان المدّ عامت في الماء».

٦٢٩-٦٣٠/ ر، ٥٥٠/ ص

أقول: إن التعريف الثاني للخور هو الصحيح، لأن «الخور» ليس نهراً كما ذكر المصنف أول مرة. ومازال لدينا في منطقة الخليج العربي «خور عبد الله» و «خور فكان».

٤٧ـ الخيـام:

(في حديثه عن سلطان بلاد المعرب في الهند)

قال المصنف: «ودخلت على السلطان فأمرني بالجلوس، ودعا القاضي الحاج صدر أمان بهاء الدين، وأتركني في جواره في ثلاثة من الأخبية، وهم يسمونها «الخيام».

٦٩٠/ ر، ٦٠٢-٢٠٣/ ص

أقول: كلام المصنف يشعرنا أن «الخيام» شيء غريب. وهى كلمة جمع لـ «خيمة» ومثلها «خيم».

و«الخيمة»: خباء من أعواد تقام تُظلّل بشجر لدى الأعراب.

٤٨ـ الدروازه:

(في حديثه عن مدينة تُستر)

قال المنصف: «ولها باب واحد للمسافرين يسمى «دروازة دسبول» و «الدروازة» عندهم «الباب».

أقول: إن كلمة «دروازة» فارسية بمعنى «الباب الكبير» ومازال من هذا شيء فى بعض حواضر العراق كمدينة الكاظمية.

٤٩ـ الريّـــان:

(في حديثه عن جزيرة سواكن)

قال المصنف: «وهم يسمون رئيس المركب «الريّان» ٢٧٠/ ر، ٢٤٥/ ص

أقول: «والربان عربي غير بعيد عن مادة (رب).. بمعنى صاحب.

٥٠ـ الرّشتـــا

في حديثه عن طعام الأتراك «الرِّشتا»، وهو شبه الأطرية، يطبَخ ويُشرب باللَبن».

٣٦٠/ ر، ٣٢٥/ ص

أقول الكلمة فارسية «رِشته» لكل ما هو مفتول كالحَبل ونحوه. والذي أراد المصنف هو طعام من القمح يُعجن و «يُفتَل» ويُطبخ مع الرزّ. ومازال هذا معروفاً في العراق.

٥١ـ الزوايـــا:

(في حديثه عن مصر) ٥٤-٥٥/ر، ٣٧-٣٩/ ص

أقول: لقد مرّت بنا أنها مصطلح مغربي، وأن «الخوانق» من كلام المصريين، والآن نجد المصريين قد استعملوا المصطلح المغربي أيضاً.

٥٢ـ سام راه:

قال المصنف: «مدينة «سَرّ من رأى»، وتسمى «سامرا»، ويقال لها: سام راه. و«راه» هو الطريق.

أقول: لقد بَسَط ياقوت في معجم البلدان ما قيل في اسم «سامرّا» من وجوه، وهي أوفى مما قاله المصنف.

٥٣ـ سرنايات:

(في وصف ترتيب السلطان أبي سعيد، سلطان العراق في سفره)

قال المصنف: «... وأما أهل الطرب عشرة من الفرسان قد تقلدوا عشرة من الطبول، وخمسة من الفرسان لديهم خمس سرنايات، وهي تسمى عندنا «أي في المغرب» بالغيطات، فيضربون تلك الأطبال والسرنايات». ٢٥١/ ر، ٢٣٢/ ص.

وقد جاءت «الصرنايات» بالصاد في ٣٨٣/ ر، ٤٠٠/ ص.

أقول: و «الصرنايات» وبالسين أيضاً وردت في المصادر التاريخية العراقية للقرون المتأخرة، مثل: «الحوادث الجامعة» المنسوبة لابن الغوطي، وفي تاريخ الغياثي.

٥٤ـ سموســـك:

(في وصف طعام الهند)

قال المصنف: «...... ثم يجعلون شيئاً يسمونه «سموسك» وهو لحم مهروس مطبوخ باللوز والجوز والفستق والبصل والأبازير، موضوع في جوف رقاقة مقلوة بالسمن».

٤٦٢/ ر، ٤٠٦/ ص.

أقول: وقد ورثنا في بلدان المشرق هذا الطعام، وربما اختلفت صفته وما يشتمل عليه من أجزاء عن الهنود ويعرف عندنا «سنبوسك».

٥٥ـ سن أطـــا:

(مما قاله السلطان، أبو سعيد سلطان العراق لسلطان بلاد اللور)

«وقال له: «سن أطا» بالتركية، ومعناه: «أنت أبي».

أقول: لقد عرَّب ابن بطوطة: «أتا» الكلمة التركية بمعنى «أب» فجعلها بالطاء «أطا» على عادته غير مرة.

٥٦ـ السيـلان:

(في حديثه عن القصرة)

قال المصنف: «ويصنع بها من التمر عسل يسمى «السيلان»[٤].

٢٠٧/ ر، وانظر ٢٩٤/ ر، ١٨٦/ ص و ٢٦٩.

أقول: إن الكلمة مازالت معروفة في عامية أهل النجف في العراق بكسر السين.

٥٧ـ الشحنـــة:

(في حديثه عن رجل في الهند)

قال المصنف: «ورفعوه إلى الشحنة وهو الحاكم». ٥٠٤/ ر، ٤٣٨/ ص أقول: وقد جاءت الشحنة في المصادر التاريخية للقرون المتأخرة وتعني رئيس البلد أو حاكمه أو ما يدعى «أمين العاصمة» في عصرنا.

ولعل «الشحنة» في الأصل تعني ما يشحن أي يملأ من بضائع، وما ينبغي لها من أمور في حيز واسع كبير أو دار خاصة بها. وعلى هذه «الشحنة» أي «المشحون» من بضائع وحاجات أخرى رجل مسؤول يصرف أمرها ويتولاها. ثم كثر استعمال «الشحنة» واختزل منها صاحبها فانتهت إلى ما انتهت إليه.

وفي تاريخنا أربعة اشتهروا بـ «ابن الشحنة» منهم أحمد بن محمد، أبو اليد المتوفى سنة ٨٨٢هـ. انظر: الضوء اللامع ١٩٤/٢.

٥٨ـ الشـربـــدار:

«وهو الساقي «في الهند» ٥٥٥/ ر، ٤٨٦/ ص

أقول: كأن المعني هو «صاحب الشراب»، والكلمة مركبة من الكلمة العربية «شراب» ومن «دار» التي تشير إلى «التملك». وكان ينبغي أن يكتب «شرا بدار».

٥٩ـ الشربـة:

(في الحديث عن طعام أهل الهند)

قال المصنف: «ويؤتى بأقداح الذهب والفضة والزجاج مملوءة بماء النبات، وهو الجلاب محلولاً في الماء ويسمون ذلك «الشربة» ويشربونه قبل الطعام».

٤٦٣/ ر، ٤٠٦/ ص.

أقول: قد تعجب أن تجد العربية قد ذهبت إلى هذه الأمم التي أسلمت فرأت في العربية لغة للإسلام، و «الجلاب» من الكلم المعرب وقد عرفته العربية الفصيحة في عصور خلت، غير أن هذه الكلمة قد ذهبت إلى الألسن الدارجة في عصرنا. وهي من الكلمات المركبة من «كل» الفارسية بمعنى الورد، و«آب» بمعنى الماء.

٦٠ـ الشيـرج:

قال المصنف: «وأهل الهند يجعلون في رؤوسهم زيت السمسم ويسمونه «الشيرج».

٤٢٢/ ر، ٣٧٩/ ص.

أقول: هو «الشيرج» وهو دهن السمسم، وهو معروف بهذا الاسم في العراق، وكان اليهود قبل أن يرحلوا يستعملون «الشيرج» في طعامهم.

أقول: أيضاً أن أصل «الشيرج» هو «شيره» كلمة فارسية تعني رُبّ الفاكهة بعد غليها. وقد عُرِّبت فكان دأب المعربين في الكلمات الفارسية المنتهية بهاء مع فتحة ممالة أن أضافوا اليها الجيم فقالوا: بابوج وساذج، ولوزينج ومالج وغيرها، وهي في الأصل: بابونه وساده، ولوزينه، وماله، ولما عرب العرب «شيره» فقالوا: شيرج صرفوه لزيت السمسم.

٦١ـ الصرنايـات:

انظر: «السرنايات».

٦٢ـ الصيـوان:

(في حديث المصنف عن خروجه مع الملك فى الهند إلى الصيد)

قال: «واشتريت «الصيوان»، وهو الذى يظلل به داخل الشراجة، ويرفع على عمودين كبيرين». ٥٩٠/ ر، ٥١٧/ ص.

أقول: لابد أن يكون «الصيوان» كلمة هندية. وقد ورثها العرب فيما ورثوا من الكلم الأعجمي، ولكني لم أجدها في باب المعرب، بل وجدتها كلمة دارجة في عامية أهل القرى فى جنوبي العراق. وهي لديهم الخيمة من نسيج شعر الماعز.

٦٣ـ الطاهـــر:

(في حديث المصنف عن مشهد الرضا في مدينة طوس).

قال: «وكان بها الطاهر محمد شاه. و«الطاهر» عندهم بمعنى النقيب عند أهل الشام ومصر والعراق، وأهل الهند والسند وتركستان يقولون: «السيد الأجل».

٣٤١/ ر، ٣٨٨/ ص

أقول: وقد عرف «الطاهر» لقباً لكثير من السادة الأشراف العلويين.

٦٤ـ عَرَبـــة:

(في حديث المصنف عن بلاد السلطان محمد أوزبك)

قال: «وهم يسمون العجلة «عربة» وهي عجلات تكون للواحدة منهم أربع بكرات كبار، ومنها ما يجره فرسان، ومنها ما يجره أكثر من ذلك، وتجرها أيضاً البقر والجمال، على حال العربة في ثقلها أو خفتها. والذى يخدم العربة يركب إحدى الأفراس التي تجرها.....

٣٥٨/ ر، ٣٢٣/ ص

أقول: ولم أقف على شيء من هذا في مصادرنا التاريخية، ولم أجد إلا «العربات».

جاء في «لسان العرب»: العربات سفن رواكد في دجلة واحدتها عربة. ولم يرد شيئاً آخر.

غير أننا فى عصرنا هذا، عرفنا أصنافاً من العربات تجرها الخيل والبغال والحمير، تستعمل لنقل البضائع أو يستعملها الناس وسائل لتنقل من جهة إلى أخرى. ومن العربات ما يدفع باليد، وكلها تشتمل على عجلات من حديد أو غيره.

٦٥ـ العنبـــا:

(في حديث المصنف عن الطعام في مقدشو)

قال: «وهي مثل التفاح، ولكن لها نواة، وهي إذا نضجت شديدة الحلاوة، وتؤكل كالفاكهة، وقبل نضجها حامضة كالليمون يصبرونها في الخلّ».

٢٨١/ ر، ٢٥٥/ ص

أقول: هذه كلمة هندية لضرب من الفاكهة شجرتها تشبه النارنج، إلا أنها أعظم كما قال المصنف، وسماها كما سمعها «عنبة» بالهاء.

وهذه هي والكلمة السابقة شيء واحد، أى أن هذه الشجرة ثمرتها «عنبا» وقد اختلط عليه الأمر.

وهذه الفاكهة قد وصلت إلى مصر من إفريقيا واسمها لدى المصريين «منكه» وهي من الإنجليزية «Mango».

وهي في العراق تسمى «عمبه» بالميم، تستورد من الهند مصبرة بالفلفل وسائر التوابل مع الزيت.

٦٦- الغاشيـــة:

(في حديث المصنف عن ملك الهند والاحتفال بعودته من سفر)

قال: «وترفع أمامه «الغاشية» وهي ستارة سرجه، وتكون مرصعة بأنفس الجواهر». ٥١٥/ر، ٤١٦/ص

أقول: «وجدت «الغاشية» هذه في الأخبار التاريخية في المصادر المتأخرة في عصور المماليك وسيطرة المغول على العراق. انظر: الحوادث الجامعة.

٦٧- الغَيـــل:

قال المصنف: «الغَيلَم: السلحفاة» ٣٠٤/ ر وفيها «الغليم» وهو خطأ مطبعي. ٢٧٨/ ص

أقول: ومن معاني «الغَيلَم» أنها الضفدع فى معجمات العربية.

٦٨- الفرّاشـــون:

(في حديث المصنف عن سلطان الهند)

قال: «ويقف الفرّاشون»، وهم عبيد السلطان صفاً، والهدية بأيديهم، كل واحد منهم ممسك قطعة».

٥١٥/ ر، ٤٤٥/ص

أقول: هم «الفرّاشون» لا «العرّاشون» في (ص). وهي جمع «فرّاش». وقد عادت هذه الكلمة في عصرنا للعاملين في المكاتب الحكومية في العراق بين يدي الموظفين، يحملون الأوراق من مكتب إلى آخر، ويقومون بأبواب الموظفين يرشدون المراجعين أصحاب المصالح، ويسمى هؤلاء في بعض البلاد العربية في عصرنا «الأذنة» جمع «آذن».

٦٩- فَردخانـــه:

(في حديث المصنف عن نائب سلطان جاوة)

قال: وأخذ بيدي وأدخلني إلى دويرة يسمونها «فردخانه» وهى موضع راحته بالنهار. ٧٠٧/ ر، ٦١٨/ ص

أقول: «الخانه» كما قلنا في موضع آخر هي «المكان»، وهي فارسية، وكلمة «فَرّد» تعني حالة الانفراد من العربية.

٧٠- الفِرســك:

(في حديث المصنف عن فواكه الطائف)

قال: «والفِرسك»، وهو الخوخ» ١٧٣/ ر، ١٢٤/ ص

أقول: وهو كذلك في سائر حواضر اليمن.

٧١- الفونـــى:

(في حديث المصنف عن بلاد إفريقية والتجارة فيها وأطعمتها)

قال: «والفوني»، وهو كحَبّ الخردل يصنع منه «الكسكسو».

٧٣٩/ ر، ٦٨٠/ ص

أقول: لي أن أتوقف قليلاً عند «الكسكو» وأتساءل: أهو «الكُسكس» المعروف في عصرنا في بلدان المغرب أم شيء آخر؟

٧٢- قازغـــان:

(في حديث المصنف عن سلاطين التتر في العراق)

قال: «.... وأخو «خربنده» هو «قازغان» الذي يقول فيه الناس «قازان»، و «قازغان» هو القدر، وقيل: سمي بذلك لأنه ولد لما دخلت الجارية ومعها القدر» ٢٤٦/ ر، ٢٢٨/ ص.

أقول: وكلمة «قازغان» أو «قازان» من التركية. ومازالت كلمة «قزان» معروفة في العراق في كلام الناس عن قدور العثمانيين، وما يشبهها.

٧٣ـ قبور عاشقان:

(في حديث المصنف عن مدينة ظهار في الهند)

قال: «وبهذه المدينة أراد ابن أخت الوزير خواجه جهان أن يفتك بخاله ويستولي على أمواله، ويسير إلى القائم ببلاد المعبر، فنمي خبره إلى خاله، فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء، وردَّ ابن أخته إليه، فقتله الوزير. ولما رد ابن أخت الوزير إليه أمر به أن يُقتَل كما قُتل أصحابه، وكانت له جارية يحبها، فاستحضرها وأطعمها التنبول وأطعمته، وعانقها مودعا، ثم طُرح للفيلة، وسُلخ جلده ومُلئ تبناً. فلما كان من الليل خرجت الجارية من الدار فرمت بنفسها في بئر هناك تقرب من الموضع الذي قتل فيه، فوجدت ميتة من الغد، فأخرجت، ودفن لحمه معها في قبر واحد، وسمى ذلك «قبور عاشقان»، وتفسير ذلك بلسانهم «قبر العاشقين».

٦٢٦/ ر، ٤٥٧/ ص

أقول: وقد جُمعت كلمة «قبر» على «قبور» لأنهم لا يعرفون صيغة المثنى، وجهلهم هذا لهذه الصيغة من جهل الفرس وسائر الأعاجم، والمراد بـ «قبور» هنا «قبرا عاشقان». وكلمة «عاشقان» جمع لـ «عاشق» الكلمة العربية على الطريقة الفارسية بالألف والنون.

٧٤ـ قرا أغـاج:

(اسم بلدة في بلاد الروم)

قال المصنف: «وقرا» تفسيره «أسود» و «أغاج» تفسيره «الخشب». ٣١٨/ ر، ٢٨٩/ ص

أقول وكلمة «قرا» أو «قَرَه» لما هو «أسود» معروف في بعض الألسن الدارجة ولاسيما في العراق.

٧٥ـ قمر الديـن:

(في حديث المصنف عن مدينة أنطاكية)

قال: «وفيها البساتين الكثيرة، والفواكه الطيبة، والمشمش العجيب المسمى عندهم بقمر

الدين، وفي نواته لوز حلو،، وهو يبس ويحمل إلى ديار مصر، وهو بها مستظرف».

٣١٣/ ر، ٢٨٥/ ص

أقول: وما يسمى «قمر الدين» ليس المشمش الناضج وهو في شجره، بل هو المشمش يقطف، وينشر في الشمس ليجف ثم يؤخذ ويرقق صفائح ويطوى ليوضع في أكياس للبيع. ومازال هذا معروفاً في بلدان الشام بضاعة من تجارات أهلها.

٧٦ـ كشـــرى:

(في حديث المصنف عن حبوب الهند)

قال: «ومنها «المنج»، وهو نوع من الماش، إلا أن حبوبه مستطيلة، ولونه صافى الخضرة، ويطبخون «المنج» مع الأرز ويأكلونه بالسمن، ويسمونه «كشري». ٤٦٦/ ر، ٤٠٩/ ص.

أقول: «المنج» لا أعرفه، ولعله شيء يعرفه أهل المغرب.. وأما «الماش» فهو كلمة فارسية لصنف الحَبّ، لونه أخضر بحجم حب العدس، مائل إلى السواد، معروف في العراق وبلاد الخليج والحجاز بهذا الاسم. وأما «الكشري» فمعروف في عصرنا في مصر، وهو طعام من الرز والعَدَس «المعكرونة» والبصل، وهو من الأطعمة المشهورة لدى المصريين. ومثل هذا أو يقرب منه «كچري» في العراق.

٧٧ـ كُشُـــك:

(في حديث المصنف عن السلطان محمد أوزبك يوم العيد)

قال: «وركب السلطان وانتهى إلى بُرج خشب يُسمَّى عندهم «الكُشُك» فجلس فيه ومعه «خواتينه».

٣٧٦/ ر، ٣٤٠/ ص

أقول: كلمة «كُشُك» من الفارسية «كوشك» وقد عربه العرب في عصور خلت فقالوا: «جوسق». وكلمة «كُشك» عادت إلينا في عرضنا في العربية الحديثة والألسن الدارجة، ونسيت الكلمة المعربة «جوسق».

وأظن أن الكلمة التي عادت إلينا من الكلمة الأعجمية «Chiosque»، وهي البيت الصغير من خشب أو غيره، يقام على أرصفة الشوارع وفي الميادين العامة تباع فيه الصحف أو غيرها.

٧٨ـ الكيلجـــا:

(في حديثه عن الطعام في خوارزم)

قال المصنف: «وخُبز معجون بالسمن يسمونه الكليجا». ٤٠٣/ ر، ٣٦٢/ ص

أقول: و«الكليجا» كلمة فارسية هي «كُليجه» وتعني خبزاً مع السمن، والكلمة مصغَّر «كلو» وتعني هذا الصنف من الخبز، وهو مختوم بأداة التصغير الفارسية «چه». وكلمة «كُلَيچه» بهذا المعنى معروفة في العراق في عصرنا في اللسان الدارج.

٧٩ـ كوجـــك:

(في حديث المصنف عن اسم شيخ في إحدى مدن بلاد الروم)

قال: «الشيخ أحمد كوجك، ومعناه: الصغير».

٣٢٦/ ر، ٢٩٨/ ص

أقول: «كُوچك» أو «كُچُك» كلمة تركية بمعنى الصغير، والكلمة معروفة في بعض الألسن الدارجة في بلاد العرب.

٨٠ـ لَـــك:

قال المصنف: «واللّك: مئة ألف دينار» ٤٥٤/ ر، ٣٩٩/ ص

أقول: إن ما يسمى «لَك» هو مئة ألف، وهو عدد غير مخصوص بالدينار. ومازال هذا معروفاً في العراق.

٨١ـ لوبيـــا:

(في حديث المصنف عن الزراعة في الهند).

قال: «ومنها اللوبيا» وهي نوع من الفول، ٤٦٦/ ر، ٤٠٩/ ص

أقول: «اللوبيا» من البقل، وهي مثل الفول أي الباقلاء إلا أنها أدق.

٨٢ـ المـــاش:

(في حديثه عن حبوب الهند)

قال المصنف: «ومنها الماش، وهو نوع من الجلبان» ٤٦٦/ ر، ٤٠٩/ ص

أقول: «الماش» كلمة فارسية مثل العدس إلا أنه أسود مع خضرة.

٨٣- المانستار:

(في حديث المصنف عن القسطنطينية)

قال: و«المانستار على مثل لفظ المارستان إلا أن نونه متقدمة وراءه متأخرة. وهو عندهم شبه الزاوية عند المسلمين.....» ٣٩٠/ ر، ٣٥٣/ ص

أقول: إن «المانستار» الذي عرف به المصنف هو «الصومعة أو الدير، وهو «Monastere» في الفرنسية.

٨٤- المخدوم زاده:

(لقب لأحد من أحفاد العباسيين دعاه به سلطان العباسيين)

قال المصنف: «ومعنى ذلك «ابن المخدوم» ٥٢٩/ ر، ٤٦٠/ ص.

أقول: «المخدوم» معروف على وزن مفعول من «خَدَم»، وأما «زاده» «فكلمة فارسية معناها «الابن» أو «المولود».

٨٥- المُخمّلات:

(في حديث المصنف عن جاوة)

قال: «وأتوا بنا إلى بستان عليه حائط خشب، وفي وسطه دار بناؤها بالخشب، مفروشة بقطائف قطن يسمونها «المخملات» ومنها مصبوغ وغير مصبوغ».

٧٠٧/ ر، ٦١٩/ ص

أقول: «المُخمَلات» جمع «مُخمل» وهو من «الخَمل» بمعنى هدب القطيفة، و«الخَملة»، وكذلك «الخميلة»: القطيفة، و«الخَمل»: الطِّنفِسة.

٨٦- المراســم:

(في حديثه عن أحد سلاطين الهند)

قال المصنف: «وكتب المراسم» وهي الأوامر إلى جميع البلاد» ٥٠١/ ر

أقول: «المراسم» بمعنى الأوامر والتعليمات يصدرها الحاكم أو الرئيس، هي مما نجده في المصادر التاريخية للقرون المتأخرة.

وفي عصرنا هذا ظهرت «المراسيم» جمع مرسوم لهذا الغرض.

٨٧ـ مَرطبانـات:

(في حديث المصنف عن عطاء ملكة طوالسي له)

قال: «وأربعة «مرطبانات»، وهي أوان ضخمة مملوءة بالزنجبيل والفلف والليمون والعنبأ، كل ذلك مملوح مما يستعد به للبحر.....».

٧١٥/ ر، ٦٢٦/ ص

أقول: و«المرطبانات» جمع «مرطبان» وهو من الآنية الواسعة، وهي مازالت معروفة، وهي قليلة العمق. وأهل العراق يعرفن «المرطبان» مما عرفوه في عصر العثمانيين.

٨٨ـ المســـوح:

«وهى ثياب الشعر» ٣٩٠/ ر، ٣٥٣/ ص

أقول: ويُراد بالشعر شعر الماعز، وأكثر ما ترد في قولنا: «مسوح الربان».

٨٩ـ المشريـة:

(في حديث المصنف عن عطاء أمير يزمير)

قال: «وأعطى أيضاً للشيخ عز الدين ثلاثة فراس مجهزة وآنية فضية كبيرة، تسمى عندهم المشرية» مملوءة دراهم...» ٣٣٤/ ر، ٣٠٤/ ص

«المشرية» إناء واسع، عريض من الأسفل دقيق من الأعلى لجلب الماء من المشرعة ونحوها، هذا في العراق في عصرنا، وهي من النحاس.

٩٠ـ المصريـة:

(في حديث المصنف عن مراكب الصين)

قـال: «ويجعلون للمركب أربـعة ظـهور، ويكـون فيه البيوت والمصاري، والغرف للتجارة، و «المصرية» منها يكون فيها البيوت والسنداس، وعليها المفتاح يسدّها صاحبها ويحمل معه الجواري والنساء. وربما كان الرجل في مصريته، فلا يعرف به غيره ممن يكون بالمركب حتى يتلاقيا إذا وصلا لبعض البلاد...

٦٤٦/ ر، ٥٦٥/ ص

أقول: و«المصرية» كأنها مما يسمى في عصرنا «كابينه» «Cabine» أو شيء أوسع من هذا. وليس لي أن أتبين وجه التسمية، وليس في هذا علاقة بـ «مصر» البلد المعروف، ولكن قد تومئ إلى «مصر» ويراد به أي بلد وجمعه أمصار.

ولابد أن أشير إلى أن العربية قد دخلت مع دخول الإسلام إلى هذه البلاد النائية في أقصى المشرق كالهند والصين وما يقرب من مجموع ذلك.

وكأن ابن بطوطة قصد هذه الجهات البعيدة التي أهلها مسلمون أكثر من سواها من الجهات التي لا يوجد فيها مسلمون.

٩١- المنفـس:

(في حديث المصنف عن سلطان مالي)

قال: «وأكثر لباسه جُبّة حمراء موبّرة من الثياب الرومية التي تُسمى المطنفس».

٧٨٤/ ر، ٦٨٤/ ص

أقول: «المطنفس» من الثياب كأنه يشير إلى صفته التي تقرب من «الطنفسة» التي تعني «الزربية» التي تسمى في عصرنا «السجادة».

٩٢- المعدّيـــة:

(في حديث المصنف عن واد في بلاد الروم)

قال: «وأخبرنا أولئك الناس أن «المعدية» أسفل من ذلك الموضع فتوجهنا إليها، وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع، ويجذبها الرجال من العدوة الأخرى، ويركب عليها الناس، وتجرّ الدواب سباحة، وكذلك فعلنا».

/٣٤٠/ ر، ٣١٠/ ص

أقول: و«المعدية» مما بقي في عصرنا، ولكنها تعني ضربا من وسائل النقل النهرية في مصر.

٩٣- المعرف:

(من العاملين في حاشية أمير من الأمراء للسلطان أوزبك)

قال المصنف: والمعرف علاء الدين، خطة هذا المعرف أن يكون بين يدي الأمير في مجلسه، فاذا أتى القاضي يقف له هذا المعرف ويقول بصوت عال: بسم الله، سيدنا ومولانا قاضي القضاة.... وإذا أتى فقيه معظّم..... قال: بسم الله، سيدنا.... علاء الدين فيتهيأ من كان حاضراً لدخول الداخل.....». ٣٥٩/ ر، ٣٢٤/ ص.

أقول: والذي بسطه ابن بطوطة في كلامه هذا يشير إلى العمل الذي كلف به «المعرف» وأنت تجد أن عامة ما يتصل بشؤون الحكم قد أخذ من العربية.

٩٤- المِكـتَـلَ:

(في حديث المصنف عن أهل مكة)

قال: «وهم يسمون القفة مكتلا» ١٦٨/ ر، ١٤٨/ ص

أقول: كأن ابن بطوطة لا يعرف أن «المكتل» أو «المكتلة»: هو الزبيل، أي «القفة» الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين، وقد ذكر في معجمات العربية.

٩٥- المكـرّرون:

(في حديث المصنف عن رجال السلطان محمد شاه سلطان الهند)

قال: «ورتبت من الطلبة ثمانين، ومن المعيدين، ويسمونهم «المكرّرين ثمانية».

٥٨٧/ ر، ٥٢٤/ ص

أقول: وكأنّ ابن بطوطة قد عين عمل «المكرر» حين خصّه بالإعادة.

٩٦- المُلَمِّـع:

(في حديث المصنف عن عادات الترك في بلاد أوزبك)

قال: «ثم أخذوا في الغناء، يغنون بالعربي، ويسمونه «القول» ثم بالفارسي ويسمونه «الملمع».

٣٦٣/ ر، ٣٢٧/ ص.

أقول: لو يوضح المصنف لِمَ سُمّي غناء المغنين بغير العربية «ملمعا» وأظنه كان خليطاً من العربي والفارسي، ويدل على ما ذهبت إليه «الشعر الملمع» الذي عرف في العصور المتأخرة وهو شيء من اللغتين، وقد كثر لدى المتأدبين الفرس.

٩٧- المنـــج:

انظر: كشري في هذا الدرس.

٩٨- منســـي:

قال المصنف: «وسلطان مالي هو السلطان منسي سليمان، و«منسي» معناه السلطان وسليمان اسمه».

أقول: إن الكلمة «منسي» من الأعلام العربية في عصرنا، ولاسيما لدى المصريين. وقد كان المعنيون بدراسة الأعلام يظنون أنه اسم المفعول من الفعل «نسي»، وأن من سُمّي به أرادت له أمه أن يعيش كأنها قد فقدت قبله من الولد من لم يعش.

ولا أدري: أيكون هذا التفسير أم يكون هذا العلم فى هذه البلاد الإفريقية؟

٩٩- المـــن:

قال المصنف: «والمن عشرون رطلاً مغربية». ٥٩٦/ ر، ٥٢٣/ ص

أقول: و«المن» من أسماء المقادير، وهو «المنا» في فصيح العربية وهو من الواو، قال النحاة«السمن منوان بدرهم».

وقدره مختلف عليه في البلاد المختلفة.

١٠٠- المواســم:

(في حديث المصنف عن الهند يشير إلى توليه شؤون تربة سلطان تغلق)

قال: وكنت أصنع في «المواسم» وهي العيدان والمولد الكريم، ويوم عاشوراء، وليلة النصف

من شعبان، ويوم وفاة السلطان قطب الدين، مئة من الدقيق، ومثلها من اللحم فيأكل منها الفقراء والمساكين». ٥٩٧/ ر، ٥٢٤/ ص

أقول: لقد تولى ابن بطوطة في الهند هذه الأعمال ومناسباتها وسماها «المواسم».

١٠١ـ الناخـــوذة:

قال المصنف: «الناخوذة» : صاحب المركب» ٧١٤/ ر، ٢٦٥/ ص

أقول: ومازالت هذه الكلمة لدى ملاحي السفن الشراعية في العراق، وهي لديهم «النوخذه». وقال الذين درسوا مصطلح السفن ومنهم حبيب زيات اليسوعي في «مجلة المشرق» : إن الكلمة سريانيةعرفت في الألسن الدارجة العربية.

١٠٢ـ النـــان:

(في حديث المصنف عن أصفهان)

قال: و«النان» بلسانهم: الخُبز ٢٢٠/ ر

أقول: وكنا نسمع الفرس الذين يقدمون إلى العراق يطلقون على الخبز «نون»، وكأن هذا في اللغة الدارجة، وفي كتبهم هو «نان».

١٠٣ـ الهاشمي:

(في حديث المصنف عن ترتيب الطعام فى الهند)

قال: «ثم يجعلون لقيمات القاضي ويسمونها الهاشمي» ٤٦٣/ ر، ٤٠٦/ ص

أقول: وفي هذا تكريم واحترام للقاضي.

١٠٤ـ هـزار أسطـون:

(في وصف المصنف لدار سلطان الهند)

قال: وهذا الباب الثالث يفضي إلى المشور الهائل الفسيح الساحة المسمى: «هزار أسطون» ومعنى ذلك: ألف سارية. ٥١٢/ ر، ٤٤٣/ ص

أقول: «هزار» كلمة فارسية معناها «الألف من العدد»، وأما «أسطون» فهي «أستُن» الفارسية بمعنى «العمود» أو «السارية».

وقد عرَّب العرب هذه الكلمة فكانت «أسطُون» و «أسطُوانه».

كلمة ختامية:

أقول: كان لي درس قديم في «رحلة ابن بطوطة» وقفت فيها على ما ذكره من ألفاظ ربّما عرّبها هو نفسه، ذلك أني لم أقف عليها في غير «رحلته» وقد نشرته منذ ما يقرب من عشرين سنة.

ثم آتي اليوم إلى شيء آخر في «الرحلة» دفعني إليه عمل قام به أحد الدارسين الأردنيين. وطُلب إليّ أن أبدي رأيي فيه. لقد وجدت هذا الدرس قد اقتصر على جمع شروح للألفاظ التي أثبتها ابن بطوطة، ولم يتجاوز هذا العمل هذه الشروح.

وقد رأيت أنّ هذه الشروح تفتقر إلى إضافات لغوية وتاريخية، فكان لي هذا الموجز الذي أقدمه للدارسين. ولقد قصرته على المواد التي شرحها ابن بطوطة مما له صلة بفصيح العربية والألسن الدارجة، وبما هو مركب من الكلم من العربية وغيرها من اللغات، ولم أعرض للكلم الأعجمي الآخر الذي شرحه المصنف سعياً إلى إفادة القارئ.

الهوامش

(١) اعتمد صاحب هذه الصنعة على نشرتين للرحلة هما نشرة مؤسسة الرسالة الرابعة التي صدرت سنة ١٩٨٥، ونشرة «دار صادر»، وهي غير مؤرخة، وقد رمز بالحرف (ر) للنشرة الأولى، و ب (ص) للنشرة الثانية.

(٢) جاء في شواهد العربية قول أحدهم:

لقد عَلِمَتْ تَكاترةُ ابن تيري غَـداةَ البُـدِّ أنّـي هِبـْـرِزيٌّ

(٣) قال عبد الله بن الزبير: ولست لإنسيٍّ ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب.

(٤) أقول: و«السيلان» هو «الدبس» الذي يسيل من أوعية التمر بعد تكديسه. (ليس فيه صنعة، وهو الذي ينادي عليه الباعة: «دبس دمعة»).

في مسيرة العربية من المصطلحات في المصادر التاريخية والأدبية

لم يفد المعاصرون من تجارب أهل الصنعة في توليد المصطلحات طوال العصور التي امتحنت بها. وقد وقفت في طائفة من المصادر التاريخية والأدبية على محاولات كثيرة أدركت فيها أن عصور الحضارة الاسلامية حفزت أهل العلم للإفادة من العربية في صرفها إلى مقتضيات العصر. ولم يكن منهم أن هرعوا إلى الكلم الأعجمي إلا بعد أن أعيتهم الحيلة[1]. ولقد وقفت فيما وقفت على كتاب وسمه صاحبه بـ «مختصر سياسة الحروب»[2] للهرثمي صاحب المأمون فوجدت فيه طائفة من الكلم قد صرفت الى مصطلحات تتصل بالحروب.

ومن المفيد أن أقف على كلمة «سياسة» فأقول:

«السياسة» في اللغة تفيد القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة: فعل «السائس»، يقال: هو يسوس الدواب اذا قام عليها وراضها[3]. أقول أيضاً قبل البدء في معنى السياسة اصطلاحاً: إن المعاصرين قد ابتعدوا عن دلالة «السائس»في كلامهم عن أصحاب السياسة وأهلها. ولم يكن ذلك هرباً منهم في كون «السائس» صديقاً للدواب والخيل، ولعلهم لم يعرفوا هذه الخصوصية الدلالية. لقد نسبوا إلى السياسة فقالوا «سياسي» وكأنهم جمعوا هذا

(١) لقد تجاوز المعاصرون مبدأ الحاجة إلى المصطلح فراحوا يتمسكون بكم شاع في الانجليزية الفرنسية فكان لهم من بعضه مصطلح هم فى غنى عنه، ألا ترى أن جمهرة من العرب يستعملون لفظ Control في معان اصطلاحية، وفى طوقهم أن ينبذوها إلى كلم عربى فصيح؟

(٢) مختصر سياسة الحروب للهرثمي، حققه وقدم له عبد الرؤوف عون، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

(٣) بقي لنا هذا المعنى لـ «سائس الخيل» دون سائر الدواب في عامية بعض الأقطار العربية، ولم يشتهر هذا التخصيص في العربية الفصيحة المعاصرة.

بالواو والنون والياء والنون. وقد توهموا خاطئاً فحسبوا أن جمع «السياسي»هو «ساسة» أيضاً[1] وفاتهم أن هذا لدى أهل العربية جمع «سائس» كقولنا: في جمع «بائع» باعة، ومثل هذا كثير. ولم يتخصص لفظ السياسة بما له من معان يعرفها المعاصرون إلا في العهود المتأخرة، وقد يكون لي أن أجعل هذا التاريخ فى القرن التاسع عشر. وقد صير إليها لتكون مؤدية لما هو Politique عند الفرنسيين ونظيرها لدى غيرهم من الانجليز والألمان. وأعود إلى تحوّل هذا اللفظ إلى المصطلح فى عصور عدة لدى العرب فأجده على احتماله معنى المصطلح، بعيداً عما نحن فيه اليوم.

وأبدأ بورود هذا اللفظ فى كتاب الهرثمى «مختصر سياسة الحروب» فأراه غير بعيد عن المعنى الذيو رد في كتب العربية وهو «القيام على الشيء بما يصلحه». وقد يكون لي أن أقول: إنه يعنى «إدارة الحرب وتصريف شؤونها وماتقتضيه من فنون، وما يحتاج فيها من عدة وسلاح وغير ذلك»[2].

وإذا قلنا إن هذا كله يصرفنا بعيداً عما نحن فيه من أمر السياسة وفنونها التى لا يستبعد منها السوء والخديعة والسعى إلى الشر بقصد أن يكون لدى المنتصر فيها المنافع بمعانيها الواسعة ومن هنا كان مما تومئ إليه «السياسة» الكذب والخداع والباطل. وقد تجد هذا فى أدبيات العامة التى صرفت فيها السياسة إلى الكذب فصارت نبزا، وصار السياسى فيها غير بعيد الكذاب الأشر تحكمه المنفعة، وما يقال من أن الغاية تبرر الوسائل. وقد قرنت «السياسة» فى أدب العوام فى اليمن بـ «النجاسة». أخلص بعد هذا التمهيد الى ما وقفت عليه من مصطلح يتصل بالحروب في سني القرن الثالث الهجرى فأجد:

١ـ جاء في الباب الثاني من كتاب الهرثمي مصطلح «صاحب الأحداث» في قول صاحب الكتاب:

«.... فأما غير ذلك فلا يليّنه غيرك [أقول والخطاب إلى الخليفة المأمون] أو صاحب أحداثك بأمرك». و «صاحب الأحداث» هذا من يكلف بالتحقيق في الأحداث والحكم على أصحابها».

(١) جاء جمع «سائس» على «ساسة» في قول أحدهم:

يسوسون البلاد بغير عقـل فيعظم أمـرهم ويقال ساسه

بمعنى غير بعيد من الأصل اللغوي وهو من يحسن القيام على الشيء. وقريب من هذا قول القائل:

وأرى ملوكا لا تسوس رعية فعـلام تجزيـة ومكوس

(٢)من المفيد أن أشير إلى أن لابن تيمية كتاباً في «السياسة الشرعية».

قال محقق الكتاب:

ويقابله في جيوشنا الحديثة «نائب الأحكام».

٢ـ وجاء فى الباب الثالث من الكتاب: «من فضائل الرئيس في الحرب»، وفي هذا الباب أجد المصطلحات الآتية:

«**الاستطارة**» من الفزع وشدة الخوف. إن معنى «التفرّق» معروف فى الأصل فالاستطارة تعني التفرّق، واستطار الغبار، بمعنى انتشر فى الهواء. ولكن اللفظ ونقله إلى حيز الحرب أفاد التفرق للجند المحارب من الفزع وشدة الخوف.

«**المشاولة**» لعل الفيروزابادي في «القاموس المحيط» صرف هذا الأمر الى المصطلح لشيوعه في عصره وقبل عصره. لقد أصاب الفيروزابادى الذي أورد هذا المعنى الاصطلاحي الذى لم نجده في معجمات أخرى. لقد ذكر صاحب «لسان العرب»: شاوله وشاول به: دافع، قال عبد الرحمن بن الحكم:

فشاول بقيس فى الطعان ولا تكن أخاهـا، اذا مـا المشرفيّـة سلّـت

«**المساورة**»: هي المواثبة، أي يثبت كل جندى أمام صاحبه. هذه عبارة محقق الكتاب، وهي مستفادة من الأصل اللغوي. لقد جاء في هذا الأصل: سار يسور سورا وسؤورا: وثب وثاب، قال الأخطل يصف خمرا:

لمـا أتـوهـا بمصبـاح ومِبـزلِهـم سارت اليهم سؤور الأبجل الضارى

وساوره مساورة وسوارا: واثبه. والإنسان يساور إنساناً إذا تناول رأسه.

«**المتنصّح**»: الذي يتشبّه بالناصحين وليس منهم. قول صاحب الكتاب: «وليس منهم» يشير الى أنه عيب لأنه تكلف وليس بطبع فيالرجل، وهذا القيد الذي أفادته هذه الزيادة غير وارد في مصادر العربية وذلك لأن فيها: تنصح أي تشبه بالنصحاء.

«**المحتسبة**»: التى احتسبها أصحابها للجهاد في سبيل الله يرجون وجهه. وهذا مولّد لم نعرفه في مصادر العربية التى جاء فيها شيء يومئ إلى هذا. جاء فى الحديث: من صام رمضان إيماناً واحتساباً، أي طلباً لوجه الله تعالى وثوابه. والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدّ، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه، لأن له حينئذ أن يعتدّ عمله. والاحتساب في

الأعمال الصالحات وعند المكروهات: هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيلها للتسليم والصبر، أو استعمال أنواع البرّ والقيام بها على الوجه المرسوم فيها، طلباً للثواب المرجوّ منها. أقول أيضاً: والمحتسبة التي وردت في الكتاب هي العمل الصالح يحتسبه أصحابه أي يعتدونه طلباً للأجر.

«**المِقْنَب**»:جماعة الخيل والفرسان،وهو فى هذا الكتاب «ثلاثمئة من الخيل». هذا التحديد حين ذهب باللفظ الى المعنى الاصطلاحى، وذلك لأننا لانجده في مصادر اللغة، فقد ورد فيها: وقيل: هي دون المئة.

«**الجمرة**» : جاء في «الكتاب» : أنها ألف فارس. لم أقف على هذا الحدّ في كتب اللغة، بل جاء من معانيها: قيل إنها القبيلة يكون فيها ثلثمئة فارس أو نحوها، وقيل ألف فارس. إن تقديرها بألف فارس، وإن ورد في مصادر العربية، قد كان للجمرة حين تحولت إلى مصطلح في لغة الحرب.

«**المناسِر**» : جمع مِنْسر كمجلس ومنبر: قطعة من الجند تمرّ قدّام الجيش الكثير. هذه عبارة «المجد» في القاموس، ولم أجد لها مكاناً في غير هذا المصدر فقد ورد معنى «المنسر» من الخيل ما بين الثلاثة الى العشرة، وقيل: ما بين الثلاثين الى الأربعين،وقيل: ما بين الأربعين الى الستين، وقيل: ما بين المئة إلى المئتين، إن تردّد هذا العدد واختلافه قد يشير إلى أن اللفظ استفاد هذا خلال العصور. ولم يكن هذا عيباً يوجّه الدارسون الى المعجم القديم.

«**الاثقال**» : جمع ثقل: أمتعة الجند، وتسوية الطرق وأدوات الحفر وأصلحة الحصار. وهذه عبارة المحقق مستفادة مما يشير اليه «الكتاب» .

«**المسلحة**» : والجمع «مسالح» ، وهم الجماعة المسلّحون المعدّون للقتال. ومثل هذا فى كتب اللغة التي ورد فيها: المسلحة: قوم ذو سلاح.

«**الكِلاء**» : بمعنى«الحراسة» جاء هذا في «الكتاب» . وشيء كهذا جاء في الحديث الشريف: أنه صلى الله عليه وسلم قال لبلال، وهم مسافرون، اكلأ لنا وقتنا أي راقب واحفظ واحرس.

«**البيات**» : كما في الكتاب: الهجوم على الجند ليلا وهم بائتون. البيات مصدر الفعل بات، وتخصيصه هذا كما ورد في الكتاب الاستفادة من المصدر في المعنى الاصطلاحي.

«**القرون**» : هي الأبواق التي ينفخ فيها. الأصل هو القرن المعروف في الدواب، وقد أفاد

منه العرب فى النفخ لإعلان شيء في صوت يسمع إلى مسافة تتجاوز قدرة الإنسان، فكان من ذلك ذهاب باللفظ المادى المعروف الى معنى اصطلاحي.

«الكردوس»: الجماعة من الخيل، فوق المئة. هذا في «الكتاب»، والذي في كتب اللغة أنه الخيل العظيمة، وقيل فرقة منها. وذهب أهل التعريب إلى أنها معرّبة من أصل فارسي.

«العارض»: الذي يعرض الجند بخيلهم وسلاحهم للتفتيش عليهم. جاء مثل هذا فى «المخصص» لابن سيده. وهو معنى مولّد استفيد من معنى «العرض» فى كتب اللغة. والكلمة وإن وردت في القرن الثالث الهجرى إلا أنها تجسّدت في القرن الرابع فكان «العارض» من رجال الجيش البارزين، ولدينا طائفة من الرجال عرفوابـ «العارض» شهرة منهم الوزير الذي جاء في أخبار أبي حيّان التوحيدى.

«الحاسر»: من لا يلبس درعاً ولا مغفراً. وفى كتب اللغة شيء من هذا لأن فيها جاء «الحاسر» الذى لا درع عليه ولابيضة على رأسه.

«المذكّرون»: هم القرّاء والقصّاص الذين كانوا يتوسطّون الصفوف ليزهّدوا الجند في الدنيا ويرغّبونهم في نعيم الآخرة. ذكر هذا «المجد» في القاموس.

«الجمّازات»: هي الحمير الوثّابة. قد يستفاد معنى «الوثب» في «الجمز» فقد جاء: حمار جَمَزَى: وثّاب سريع، قال أميّة بن أبي عائذ الهذلىّ:

كأنّـى ورحلـى اذا رعتهـا ... على جمـزي جازئٌ بالرّمـال

وأصبـح حـام جـراميـزه ... حزابيـة حيـدى بالدحـال

فشبّه ناقته بحمار وحش ووصفه بجمزى.

«**الشعاوذة**»، جمع شعوذىّ، وهو رسول الأمراء على البريد. كذا ورد في «القاموس» وغيره من المجمعات، وكأن المعربون استوحوا ما في «الشعوذة» من السرعة وخفّة اليد التي تعرف في «المشعوذ» الذي يسحر عيون من يشاهده بخفة حركاته.

«**الفيوج**»، جمع «فيج» وهو معرّب «بيك» وهو الساعي من بلد لآخر بمعنى «البريد».

«**المهنة**»: بمعنى الحذق بالخدمة وأعمالها، كذا ورد في «القاموس».

خاتمـــة:

هذا عرض لما ورد في كتابنا هذا مما صار فيه المعربون في القرن الثالث الهجرى إلى شيء من مصطلح استعمل في لغة الحروب.

وأتحوّل الى كتاب آخر هو:

التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرّف والاختيار لمحمد بن محمد بن خليل الأسدى[1].

أقول من صنعة محقق الكتاب الناجحة أن ذيّله بملحق مفيد في شرح أسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب العسكرية والمدنية وغيرها من المصطلحات التي وردت في «الكتاب». وقد كان لى تعليقات أوضحت فيها ما بدا لى وتيسّر لى من العلم زدتها ولا أقول: صحّحتها فللمحقق الفضل في الإفادة، ولمراجعه كصج الأعشى، وزبدة كشف الطلب، والسلوك وزيادة فوائد جليلة. وقد بدا لي أن أبدأ هذا الموجز بشيء يتصل بالمصطلحات الفنية التي استفيدت من الفارسية والتركية، وإليك أخي الدارس هذا الموجز، ثم أتبعه بما ورد من جديد في كتاب الأسدي مما أحمله على «المصطلح».

مصطلحات دخلت الى العربية:

هذا مجموع موجز يشتمل على مصطلحات أصولها فارسية أفادت منها العربية مع كلمات عربية عرفت فى عهود الدويلات المتأخرة بعد سقوط بغداد في العراق وبلاد الشام ومصر. وكان منها شيء من لغات أخرى غير فارسية كالتركية وغيرها. ذكرها محمد بن محمد بن خليل الأسدى فى كتابه «التيسير والاعتبار...»[2]. وقد أحسن محقق الكتاب الدكتور عبد القادر أحمد طليمات في جمعها مع مصطلحات أخرى غير ذات أصول أعجمية في ملحق له فى آخر الكتاب. وكنت قد اجتزأت من هذا الملحق بالمصطلحات التي اشتملت على ألفاظ دخيلة استعيرت في عربية تلك الأحقاب وكانت هذه المصطلحات مما

---

(١) كتاب التيسير... حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور عبد القادر أحمد طليمات، ونشر في دار الفكر العربي في القاهرة، ١٩٦٧م.

(٢) التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار لمحمد بن محمد بن خليل الأسدي، حققه وقدّم له الدكتور عبد القادر أحمد طليمات.

ورد في المصادر لهذه العهود منها: صبح الأعشى للقلقشنديّ، وكتاب «السلوك» للمقريزى، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين وغيرها.

١ـ أتابك العساكر:

قال القلقشندى: أن «أتابك» هو الأب الأمير، وأنه من ألقاب أمير الجيوش ومن فى معناه كالنائب ونحوه[١]. وفى «زبدة كشف الممالك» لابن شاهين: أن «الأتابك» هو الأمير الكبير[٢].

أقول: و«أتا» كلمة تركية بمعنى الأب ومن هذا لقّب مصطفى كمال قائد الثورة التركية «أتاترك».

٢ـ الأستـادار:

قال القلقشندي: لقب مركّب من لفظتين فارسيتين، إحداهما «استد» ومعناها «الأخذ»، والثانية «دار ومعناها الممسك». والمعنى «المتولّي للأخذ» ما سمّي بذلك لأنه يتولّى قبض المال[٣].

كأن القلقشندى لا يعرف الفارسية فقد ذهب في كلامه هذا بعيداً عما هو صحيح يعرفه من يعرف الفارسية. إن «أستا» كلمة مخففة من «استاد» بمعنى المعلم لحرفة أو علم أو فن أو من هو ماهر حاذق في صنعته. والأصل «اتاد» هو الكلمة المعروفة في عامية العراق، كما أن «أستا» الصورة المخففة عن الأصل معروفة في عامية العراق وغيرها «اسطا» أو «أسطه». وفي فصيح العربية عرّبت «استاد» فأبدلوا من الدال ذالاً «أستاذ». إن دلالة «الأستاذ» في عصرنا للعالم المتخصّص في علم أو فن. وقد أطلق فى عصور خلت على «العبد الخصيّ». وإلى هذا أومأ المتنبي في وصف كافور الإخشيدى «الملك الأستاذ».

٣ـ استادار الصحبة:

قال القلقشندى: لقب على متولّي أمر مطبخ السلطان، وكأنه لقّب بذلك لملازمته باب السلطان سفرا وحضرا. ومن وظيفته أيضا المشي أمام السلطان والوقوف على السماط[٤].

---

(١) صبح الأعشى، ٥/٦. ٣٥.
(٢) زبدة كشف الممالك، ص١١٣.
(٣) صبح الأعشى ٤٥٧/٥.
(٤) صحيح الأعشى، ٤٥٧/٥.

أقول: و«دار» ليس معناها «الممسك» كما قال القلقشندي، بل إنه «صاحب الأمر» المكلف به. وهي تدخل في مركبات كثيرة في الفارسية لإحداث معنى مطلوب. وهي غير بعيدة عن كلمة «دارا» بمعنى «غني» والله سبحانه وتعالى.

٤ـ الأمراء الألوف الخاصكية:

قال ابن شاهين فى «زبدة كشف الممالك»: هم الأمراء الذين يحضرون على الملك في الميقات خطواته وينالون من ذلك ما لا ينال أكابر المقدمين، ويوجههم السلطان في مهماته ومن مهمتهم أنهم يسوقون المحمل الشريف، ويتميزون عن غيرهم من الأمراء في الخدمة بحملهم سيوفهم، ولباسهم الطرز الزركش[١]. أقول: الذى يهمنى من هذا المصطلح لما أنا فيه كلمة «الخاصكية». إن «الخاصكية» فى هذا المصطلح جماعة «الخاصكي» مثل «الصوفية» جماعة الصوفي. و«الخاصكي» هذا كلمة مركبة هي في الفارسية «خاصكي» بالجيم الفارسية الثقيلة «كـ». وأصلها من خاصة العربية، اسم الفاعل من «خص» مع هاء التأنيث، و«كي» الفارسية، وهي لاحقة يكون في إلحاقها أن الكلمة المركبة معها تعطي ما هو مصدر، وإن صرفت إلى غيـــر المصدر. وعلى هـــذا فـ «الخاصكي» في الفارسية هـو «نديم الملك» و «المقرّب» و «الخازن». أقول: ومازال «الخاصكي» بالكاف، شهرة لبعض الأسر في العراق.

٥ـ أمراءالطبلخاناه الخاصكية:

قال القلقشندي: الطبلخاناه، هي طبول متعدّدة، معها أبواق وزمر، تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، تدقّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون صحبة الطلب[٢] في الأسفار والحروب. وكل أمير من هؤلاء في خدمته أربعون مملوكا، وتدقّ ببابه ثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيران، ومنهم صاحب وظيفة، ومنهم من لا وظيفة له[٣]. الذي يهمني من هذا المصطلح هو «الطبلخاناه». إن الكلمة كما أشير لها تفيد «الطبول» جمع «طبل»، وهي عربية

(١) زبدة كشف الممالك، ص ١١٥-١١٦، وانظر: السلوك للمقريزي ٦٤٤/١ حاشية/٤.

(٢) الطلب: فرقة من الفرسان عددها خمسمئة فارس، والجمع أطلاب، انظر: مرآة الزمان ٦٩٥/٨ لسبط ابن الجوزي.

(٣) صبح الأعشى ١٨/٤ من زبدة الممالك، ص١١٣. ودلالة الوظيفة في العصور المتأخرة، وفي قول القلقشندي هذا تعني ما يخصص للعاملين لدى الدولة مايكفيه من خبز ولحم ومواد معيشة غيرهما، فيقال: له «وظيفة خبز» مثلاً.

معروفة، وقد كسعت بالكلمة الفارسية «خان» بمعنى «منزل». وقد عرفت هذه الكلمة في الألسن العربية الدارجة بمعنى «منزل» أو ما هو «نزل» أيضا أو «فندق» للمسافرين ولبضائع التجارات. وقد عرّب العرب في قرون خلت هذه الكلمة فجعلوها «الحان» بالحاء وخصّوها بالخمرة والشاربين، ومثلها «حانة» مؤنثة، فابتعدت عن دلالتها بالفارسية.

٦ـ أمير آخور ثانى:

قال القلقشندي: يتكون اللقب من لفظين: أحدهما عربى، وهو «أمير»، والثاني فارسي، وهو «آخور»، ومعناه «المعلف». والمعنى أمير المعلف لأنه المتولّي على الدواب (اصطبل السلطان) وأهم أمورها «المعلف»[١]. نعم، إن «آخور» فارسي وتعني كما أشير «المعلف» و«حظيرة» للدواب وقد ورد هذا في مصطلح آخر هو «أمير آخور كبير»، وهو صاحب «رمزة الآخورية».

٧ـ البابـت:

قال القلقشندى: (جمع البابا)، والبابا، لقب عام لجميع رجال «الطست خاناه» ممّن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك. وهو لفظ رومي، ومعناه أبو الآباء، وكأنه لقّب بذلك لما تعاطى فيه ترفيه مخدومه من تنظيف قماشه وتحسين هيئته أشبه بالأب الشفيق فلقّب بذلك[٢]. إن كلمة «بابا» ليس لفظاً روميّاً أي تركيّا، بل إنه فارسي بمعنى «الأب أو الجدّ أو شيخ الجماعة» وهو لقب آدم عليه السلام أبو البشر. ولي وقفة قصيرة هنا أذهب فيها إلى أن الفرس استعاروها من «أب» العربية، كما تصرّف العرب فيها فجعلوها «با» في الألسن الدارجة فقالوا: باحسين، وبازيد وغيرهما.

٨ـ التّخـت:

قال القلقشندي: هو سرير الملك، ويقال له: «تخت الملك»، وهو من الأمور العامّة للملوك. وكان معاوية بن أبي سفيان أوّل من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في ذلك حتى اتخذوا الأسرّة[٣]. و«تخت» كلمة فارسية استعارها

(١) صبح الأعشى ١٩/٤، ٤٦١/٥. وانظر فى «أمير آخور كبير» و«إمرة الآخورية»، المصدر نفسه ١٤/٤، وزبدة كشف الممالك، ص ١١٣/

(٢) صبح الأعشى، ٤٧٠/٥.

(٣) المصدر السابق، ٦/٤.

لترك كما استعارها العرب في الألسن الدارجة، وتعني الكرسي أو المنبر، ثم توسعّوا فيها صارت ل«سرير السلطان». ومازالت «پاى تخت» في عامية العراقيين تعني «دار السلطنة ومقرّها» في الكلام على العصر العثماني. والكلمة مركبة من «پاي» بمعنى «رجل أو قدم».

٩ـ الجامكية:

قال القلقشندي: هي الراتب عامة، وجمعها الجامكيات[١]. «الجامكية» جمع لـ «جامكي». والكلمة فارسية هي «جامكي» بالكاف الفارسية الثقيلة (كـ) وتعني مرتب الخادم أو الجندى.

١٠ـ الحوائج خاناه:

قال القلقشندي: (من البيوت السلطانية). ومعناه بيت الحوائج، وهو مكوّن من مقطعين: أحدهما عربى، وهو «الحوائج»، والثاني فارسي وهو «خاناه» ومعناه «بيت». ومنه يصرف اللحم المرتب للمطبخ السلطاني والدور السلطانية، ورواتب الأمراء والمماليك السلطانية وسائر الجند والمعممين وغيرهم من أرباب الرواتب المقيدة أسماؤهم في دفاتر الحكومة، وكذلك تصرف منه التوابل والزيت للوقود والحبوب وغير ذلك[٢]، ويهمنا من هذا كلمة «خاناه»، وقد أسلفنا الكلام عليها.

١١ـ الخازنـدار الثانـي:

قال القلقشندي: الخازندارية، موضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك. والخازندار: لقب على الذي يتحدث عن خزانة السلطان أو الأمير، وهو مركب من مقطعين: أحدهما عربي وهو «خزانة»، والثاني وهو «ادر» وهو فارسى، ومعناه «ممسك»، ويكون المعنى «ممسك الخزانة»، والمراد المتولّي لأمرها[٣]. الخازندار مركب من «خازن» وهو صاحب الخزانة، وليس «خازن» بمعنى «خزان» كما ذهب القلقشندى. والكلمة عرفت في الفارسية، وقد ذهب فيها الفرس على طريقتهم سهوا أو توسعًا فأضافوا إلى «خازن» وهو اسم الفاعل في العربية لفظ «دار» فيكون منهما «خازندار» بمعنى «صاحب

(١) السلوك للمقريزى، ٥٢/١ حاشية ٢.
(٢) صبح الأعشى، ١٢/٤.
(٣) المصدر السابق، ٤٦٣/٥.

لخزنة». وقد استعار الأتراك هذه الكلمة فيما استعاروه من الفارسية. ومازال شيء منها في الألسن الدارجة في العربية وغيرها وهو «خزنه دار» شهرة لأسر عدّة، عربية وكردية وغيرهما.

١٢ـ الـدوادار:

قال القلقشندى: هو لقب مركّب من لفظين، أحدهما عربى وهو «الدواة»، والثاني فارسي وهو «دار» ممسك الدواة، اللقب يطلق على الذى يحمل دواة السلطان أو الأمير أو غيرهما، وينضاف إليه الأمور اللازمة لهذا المعنى من حكم وتنفيذ أمور وغير ذلك بحسب ما يقتضيه الحال. ومراتب الدوادار مختلفة في العلو والخفض، كالدوادار الكبير والدوادار الثانى[١]. ومازال هذا شهرة لبعض الأسر عرفت بـ «الدّويدار».

١٣ـ رأس نوبة الجمداريـة:

قال القلقشندي: تقدّم معنى «النوبة»، وأما «الجمدارية» فهي وظيفة يقوم صاحبها بإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، ويقال لمن يشغل هذه الوظيفة «الجمدار». واللفظ مركّب من لفظين فارسيين، أحدهما: «جاما» ومعناه «الثوب» والثاني «دار» معناه «ممسك» فيكون المعنى «ممسك الثوب»[٢]. إن لفظ «جاما» جاء إلى الألسن الدارجة العربية فى لفظ «بيجاما» لضرب من اللباس يرتديه اللابس فى البيت مما حمل إلينا من البضائع الغربية ذات أصل فارسي كما أبسطه مستفاداً من المعجمات الفارسية «بيجامه». وهذه في الفارسية مركّبة من «پي» بمعنى «رجل أو قدم» و «جامه» بمعنى «لباس».

١٤ـ الرستـاق:

كلمة فارسية الأصل هو «رستك»، تعني القرية الصغيرة[٣]. وهي بالفارسية الحديثة «رستاق» بالقاف.

١٥ـ الركاب خانـاه:

قال القلقشندي: من البيوت السلطانية، ومعناه «بيت الركاب»، ويشتمل على عدد الخيل

(١) صبح الأعشى، ٤٦٢/٥.
(٢) المصدر السابق، ٤٥٩/٥.
(٣) السلوك للمقريزى ٣١٠/١، حاشية/٢.

من السروج واللّجم والكنابيش وغيرها من الأدوات اللازمة للخيول[1]. و «ركاب» كلمة عربية ركّبت مع «خاناه» الفارسية، وقد قدّمنا القول في هذه الأخيرة.

١٦ـ رَنـك:

قال القلقشندي: لفظ فارسي له أكثر من معنى مثل: لون، وكل مادة ملوّنة، وغيره. وقد ترجم في العربية فقيل: «شعار». وقد كان من عادة كلّ أمير في مصر في عصر (السلاطين المماليك) من كبير أو صغير أن يكون له «رنك» أي «شعار» يخصه، ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم، كشؤون الغلال والأملاك والمراكب، وعلى أقمشة خيولهم وغير ذلك[2]. نعم إن «رنك» كلمة فارسية بمعنى لون أو دهان. غير أنها في الفارسية بالكاف الثقيلة «رنك» (كـ). والكلمة مازالت فى عامة العراقيين بمعنى «اللون» أو «شكل الديباجة» وتستعمل في صفة المنسوجات. كما أنها تقال في ثنائي هو «سنك رنك». وهذا الثنائى كلمتان ذوات معنى: الأول «سنك» بمعنى القدر أو الوزن أو الوتار، والثاني «رنك» كما بيّنا. وليس هذا الثنائي على طريقة «الإتباع» فى العربية الذي تكون فيه الأولى ذات معنى في حين لايوجد في الثانية معنى وإنما يؤتى بها لتقوية الأولى فتكون على وزنها وقريبة من أحرفها نحو «شفر بفر» و «نصه وفصه» غير هذا.

١٧ـ الـرّوك:

جاء فى السلوك: هو مصدر الثلاثي «راك» ومعناه في الأصل: مسح الأرض المزروعة في بلد من البلدان لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال[3]. ليس لنا في العربية هذا الفعل «راك»، ولم أجده في معجمات الفارسية. أيكون هذا من الكلم المغولى أو من أصل آخر؟

١٨ـ الزّرد خانـاه:

قال القلقشندي: من البيوت السلطانية، ويقال لها أيضا «السلاح خاناه» ومعناه «بيت السلاح» وأما «الزردخاناه» فمعناها «بيت الزرد» لما فيها من الدروع الزرد. وفى «الزرد خاناه» أو «السلاح خاناه» كل معدات القتال من سيوف وقسي ونشاب ورماح ودروع وغيرها[4]. الزّرد

(١) صبح الأعشى، ١٢/٤.
(٢) صبح الأعشى، ٦٢/٤.
(٣) انظر السلوك للمقريزى ٨٤١/١، حاشية/٣.
(٤) صبح الأعشى، ١٢/٤.

و الزّرد، حلق المغفر والدرع، والزّردة: الواحدة (حلقة)، والجمع زرود، و«الزّرّاد» صانعها، ومثلها «السّرد» بمعنى الدروع. وأما «خاناه» فقد سبق الكلام عليها.

١٩ـ الزّرد كاش:

قال القلقشندي: هو من يقوم بصناعة الزّرد بصفة خاصة وصناعة آلات القتال في «السلاح خاناه» أو في «الزرد خاناه»[١]. عرفنا «الزرد» في المصطلح، ولكنّي لم أهتد إلى «كاش» فهي في الفارسية شيء يبعد عما نحن فيه، ولا في «كاج» شيء منها، غير أني وجدت في «كاشانه»، من معانيها المنزل أو الكوخ الصغير!!

٢٠ـ السلاح خاناه:

انظر «الزرد خاناه».

٢١ـ شاد الشرا بخاناه:

قال القلقشندي: هو المتحدّث عن «الشرا باخاناه»[٢]. لم أهتد إلى «شاد» التي تقدّمت هذا المصطلح، ففي الفارسية هي وصف لمن هو مسرور أو راض أو مبارك!!

٢٢ـ الشرا بخاناه:

قال القلقشندي: من البيوت السلطانية، ومعناها «بيت الشراب»، ويشتمل على أنواع الأشربة المرصدة لخاصّ السلطان، والمشروب الخاص من السكّر وغير ذلك، وبه الأواني النفيسة من الصيني الفاخر من اللازوردي وغيره..[٣]. وجميع هذه الألفاظ المنتهية بـ «خاناه» مازال شيء منها في الألسن الدارجة، يقال: عبّخانه، وقصّا بخانه، وجبّخانه وغيرها.

٢٣ـ طرخان:

قال القلقشندي: الطرخانية، المراد بها أن يصير الشخص مسموحاً له بالخدمة السلطانية، يقيم حيث شاء، ويرتحل متي يشاء، تارة بمعلوم يتناوله مجّاناً، وتارة بغير معلوم، والطرخانيّة تكتب للأمراء تارة وللأجناد أخري، وأكثر ما تكتب لمن كبرت سنّه، وضعفت قدرته، وعجز

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صبح الأعشي ٤/٢١.

(٣) المصدر السابق ٤/١٠.

عن الخدمة السلطانية[1]. لا أدري أمن «ترخون» الفارسية بمعنى القتلة والسفّاكين والسفلة من الناس، أم من «طرخانا» التركية وتعني البرغل يخلط باللبن ثم يجفّف؟

٢٤ـ الطّشت خانـــاه:

قال القلقشندي: من البيوت السلطانية، ومعناه «بيت الطشت» سميت بذلك لأن فيها يكون «الطشت» الذي تغسل فيه الأيدي، والطشت الذي يغسل فيه القماش، وفي «الطشت خاناه» يكون ما يلبسه السلطان من سائر الثياب، ومايجلس عليه من المقاعد والمخادّ والسجّادات التي يصلّي عليها وما شاكل ذلك[2]. يهمني في هذا المصطلح «الطّشت» وهو وعاء كبير للغسل، وهو «تشت» في الفارسية. وهو أيضا طست «بالسين في كتب التعريب. انظر «المعرب» لابن الجواليقي.

٢٥ـ الفراش خانـــاه:

قال القلقشندي: من البيوت السلطانية، ومعناها «بيت الفراش» ويشتمل علي أنواع الفرش من البسط والخيام. ولها «مهتار» (وهو لقب يقع علي كبير كلّ طائفة من غلمان البيوت) يعرف بـ «معتار الفراش خاناه»، وتحت يده جماعة من الغلمان مستكثرة مرصدون للخدمة فيها في السفر والحضر، يعبّر عنهم بالفرّاشين[3]. والذي يهمني في هذا لفظ «مهتار»، وقد عرفنا مهمّته هنا. وهو «مهتر» الكلمة الفارسية التي تعني من هو «رئيس القوم أو السائس».

٢٦ـ الكوســـات:

قال القلقشندي: هو صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يدقّ بأحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص، ومع ذلك طبول وشبّابة، يدقّ بها مرّتين في القلعة كل ليلة، ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة، ومرّة قبل التسبيح علي المآذن، وتسمّي الدورة بذلك في القلعة. وكذلك اذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه[4]. و«كوس» في الفارسية تعني «الطبل الصغير». وفي المصادر العراقية للعصور المتأخرة كالجامع المشترك لابن الساعي (طبع

---

(١) المصدر السابق ١٣/٤٨-٥٢. وانظر المعجمات الفارسية والتركية.
(٢) صبح الأعشي ٤/١٠.
(٣) صبح الأعشي ٤/١١، ٥/٤٧٠.
(٤) المصدر السابق ٤/٩.

بغداد)، وما سمّي «الحوادث الجامعة»، ونسب لابن الفوطي (طبع السريان في بغداد)، والتاريخ الغياثي ترد كلمة «الكوسات» بهذا المعني وتضرب في المناسبات الخاصة.

٢٧- اليسـق:

ذكر القلقشندي: «الياسه الكبري»، وقال: إن جنكيز خان وضع «قوانين خمّنها من عقله وقرّرها من ذهنه، وبثّ فيها أحكاماً وحدّد فيها حدودا»، ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية، وأكثرها مخالف لذلك، وذكر بعض ما جاء فيها: «منها أن من زني قتل، ومن أعان أحداً علي خصمين قتل...»[1]. إن «ياسا» بمعني قانون أو دستور في التركية. وإن «يسق» بمعني «ممنوع» في التركية أيضاً. وقد كنا في العراق نطلق على ما هو «ممنوع» كلمة «يصغ» بالغين.

كلمـة أخيـرة:

هذا شئ أفدته من ملحق كتاب «التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار»[2] لمحمد بن محمد بن خليل الأسدي الذي اجتمع فيه ما ورد في الكتاب هذا من المصطلحات في أسماء الدواوين والوظائف والرتب والألقاب العسكرية والمدينة. قد اجتزأت من هذا الملحق بما ورد من الكلم الدخيل الذي استفيد من الفارسية والتركية في العربية المتأخرة إبّان عهود المماليك في مصر وغيرها.

وأتحول بعد هذه المصطلحات التي استعين عليها بالفارسية والتركية إلى شيء آخر في «الملحق» الذي صنعه الدكتور عبد القادر أحمد طليمات مستفادا من كتاب «التيسير...» للأسدي، وأثبته وأضيف عليه ما كان لي من ذلك:

١- الارتفـاع:

هو إيراد الدولة المالي في السنة، وقد ذكر الأسدي (مؤلف التيسير ص٧٦) أنه بلغ ارتفاع الدولة في مصر في عهد الملك المنصور لاجين ما يقرب من عشرين ألف ألف دينار. لم يكن

---

(١) المصدر السابق ٤/٣١٠-٣١١.

(٢) كتاب «التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار» لمحمد بن محمد بن خليل الأسديّ من رجال القرن التاسع الهجري. حققه وعلّق عليه وقدّم له الدكتور عبد القادر أحمد طليمات (ط. دار الفكر العربي في القاهرة).

«الارتفاع» من مصطلحات منتصف القرن التاسع الهجري في مصر، وهو الزمن الذي صنف فيه الأسدي «كتابه»، وليس هو خاص بمصر، ذلك أن المصادر التاريخية التي تتحدث عن القرون الرابع والخامس والسادس في العراق في عهود الدولة العباسية في العراق، وبعد هذه الأحقاب، قد ورد فيها كثيراً مصطلح «الارتفاع» بالمعنى الذي ذكره الأسدي وأشار إليه المحقق[1].

٢ـ الأشـــرف:

لقب يطلق على من يلقّب بـ «المقام» و«المقر»، وهو من أفعل التفضيل من «الشرف» بمعني العلو. هذه عبارة الأستاذ المحقق، وقد استفادها من القلقشندي[2] ولابد من الإشارة ان هذا اللقب قد عرف في التاريخ المتأخر للدويلات التي عرفت في بلاد الشام.

٣ـ الأصيلـــى:

قال محقق «الكتاب»: هو نسبة الي «الأصيل» للمبالغة (وهو فعيل من «الأصل») بمعني الحسب، وهو من ألقاب أرباب الأقلام غالباً. وربما لقّب به أرباب السيوف إذا كان لصاحب عرافة نسب. استفاد «المحقق» هذا من مادة كتاب «الأسدي» ومما وجده في «صبح الأعشي»[3]. و«المحقق» ليس من أهل اللغة، كما أن القلقشندي يحكي في كتابه واقع العربية في القرون المتأخرة، أريد أن أقول: إن أهل العصور المتأخّرة ولّدوا في عصورهم شيئاً لحاجتهم لا تعرفه العربية الفصيحة إلا ضرورة في الشعر أو ما يقرب من هذا، لوضع جديد صار لقبا؟

إذا كان في العربية القديمة قول العجاج: «والدهر بالإنسان دوّاريّ» فهذا نسبة صار إليها الشاعر في صنعته، وهو يدرك أن المراد «دوّار» وهو مبالغة في الوصف فأي فائدة في «دوّاريّ»؟ واذا كان لنا «ألمعيّ» فالنسبة هنا أتى بها لإبعاد «ألمع» الذي عرف فيه أنه «أفعل التفضيل» أكثر من كونه وصفا. والياء في «ألمعيّ» لحصره في الصفة دون غيرها. ومثل هذا «يلمعيّ» الذي كانت الياء فيه لإبعاده عن «يلمع» الخالص لما يدعى فعلاً مضارعاً. ولم أجد

(١) التيسير ص ٧٦.
(٢) صبح الأعشي، ٧/٦.
(٣) المصدر السابق ٨/٦.

«الأحوريّ» إلا في حاجة وضرورة. وأما «اللوذعيّ»، «الشعوذيّ»، فالياء فيهما حاجة لأن «لوْذَع» و «شَعْوذ» وحدهما ليسا من أبنية الصفة.

وأخلص إلى «الرئيسي» التي حسبها أهل التصحيح اللغويّ خطأ فقالوا: الصواب «الرئيس». إن «الرئيس» وصفا كاف عن المنسوب «رئيسيّ»، وإن «الرئيسي» في الاستعمال ليس شيئاً نسب لمن هو «رئيس» في منزلته أو في قومه. وقد يكون لي أن أذهب الي أن المعاصرين ولّدوه كما ولّد أهل القرون المتأخرة «الأصيليّ» مادة تعليقي هذا. وليس لي أن أذهب إلى أن «الرئيسي» بالياء جاء من إساءة رسم السين التي صار حوضها في الرسم العربي لدي بعضهم كحوض الياء.

٤ـ الإطلاقــات:

قال المحقق مستفيدا من «التيسير» ومن «كتاب السلوك»[١]: جمع «إطلاق». وهو إما تقرير عدل لما قرّره أحد الملوك السالفة أو ابتداء في معروف أو زيادة في إحسان على ما كان مقرّرا. والإطلاق أيضاً قطعة أرض تمنح وتعفي من جميع أنواع الضرائب. هذا شئ مما أحتيج اليه في حقبة المؤلف الأسدي فكان من مصطلح الأرض، وما كان فيها من رسوم. ولم أجد هذا في كتب التاريخ للعصور المتأخرة في المشرق، ومنها «كتب ابن الفوطيّ»، ولا في الكامل لابن الأثير، ولا كتاب «الوزراء» للجهشياري.

٥ـ الأعظمــيّ:

قال محقق الكتاب مستفيداً مما ورد في «التيسير» و «صبح الأعشي»: نسبة الي «الأعظم» للمبالغة (وهو أفضل التفضيل من «العظمة» وهو الكبرياء: وهو من ألقاب السلطان، ويقال فيه: «السلطان الأعظم»[٢]. وهذا كالذي مرّ بنا في «الأصيلي» وقلنا فيه وبسطنا القول. وهو مولّد خولفت فيه العربية، وليس من ضرورة للنسبة، والوصف «الأعظم» وحده كاف.

٦ـ الأفضلــيّ:

وهو كالأعظمي من ألقاب السلطان[٣]. وهو لفظ مولّد ابتعد المعربون فيه عن سماحة العربية.

---

(١) السلوك للمقريزي ٧٨٨/١ حاشية ٤.

(٢) صبح الأعشي ٨/٦.

(٣) المصدر السابق ٩/٦.

٧ـ الإقطـاع:

قال محقق الكتاب مفيدا مما أورده الأسديّ، وما ورد في «صبح الأعشي» وغيرهما: هو أن يعطي الحاكم أحداً من الناس قطعة أرض زراعية أو غيرها لاستغلالها بشروط حدّدها الفقهاء المسلمون، وقد بدأ الإقطاع في الإسلام منذ عصر النبيّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ عندما أقطع بعض الصحابة أراضي يهود المدينة بعد أن جلوا عنها. وفي كتاب «الأحكام السلطانية» تفاصيل واسعة عن نشأة الإقطاع الإسلامي وشروطه وأنواعه. إن بدء ما سمىّ «إقطاعا» كان في عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. غير أن منح الأرض لمن منحت له لم يطلق عليه «الإقطاع» كما نفيد هذا من أخبار «السيرة» وغيرها. ولكن الأمر عبّر عنه فيما بعد شيئاً فشيئاً بـ «الإقطاع» فاشتهر المصطلح.

٨ـ الأكملـيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «الأكمل» للمبالغة، وهو من ألقاب السلطان[١]، عرضنا في «الأصيليّ» و«الأعظميّ» و«الأفضليّ» ما فيه فائدة وكفاية.

٩ـ الإمامـي:

قال محقق الكتاب مفيداً من «التيسير» و «صبح الأعشي»[٢]: نسبة إلى «الإمام» للمبالغة، وهو من ألقاب الخلفاء، ويقع أيضاً في ألقاب أكابر العلماء، كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة: الشافعيّ، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل. جاء «الإمامي» في العصور المتأخرة لقبًا للخليفة، وذلك بسبب أن «الخلافة» قد أطلق عليها «الإمامة»، فكانت كتب في «الإمامة» وشروطها ولمن تكون، ومن يصلح لها فالخليفة هو «الإمام». ثم كان هذا المولّد «الإمامي» بالنسبة في العصور المتأخرة. وأقول أيضاً أن «الإمامي» شهرة لدى الشيعة «الإمامية» الاثني عشرية، والأئمة الاثنا عشر لدي هذه الفرقة من الشيعة هم «الأئمة» بالحقّ، فأما غيرها فليسوا مستحقين لهذا اللقب. والاثنا عشر أوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم الإمام المنتظر القائم الملقّب بالمهديّ صاحب الزمان.

---

(١) صبح الأعشي ٩/٦.

(٢) المصدر السابق ١٠/٦.

١٠ـ الأمجـدىّ:

قال محقق الكتاب: نسبة إلى «الأمجد» للمبالغة.. من المجد وهو الشرف أو الأصالة[١] وهذا اللقب بياء النسبة من مولّدات القرون المتأخرة، وقد بسطنا فيها القول.

١١ـ الأمراء العشروات:

قال محقق «الكتاب»: المفرد «أمير عشرة» أي عشرة من الفرسان أو المماليك. ومن هؤلاء الأمراء يكون صغار الولاة وأرباب الوظائف[٢]. هذا بعض ما اقتضاه تطوّر الأنظمة والرسوم في العصور المتأخرة. غير أني ألاحظ أنهم ابتعدوا عن الصواب في العربية لا جهلا بها، بل إنهم أرادوا في هذا التجاوز شيئاً يخدم «المصطلح» ليكون بعيداً عن وجه اللفظ. وهذا التجاوز في جمع «عشرة» علي «عشروات»، والأصل «عشرات»، وهذا معلوم مشهور.

١٢ـ أمير سـلاح:

قال محقق «الكتاب»: هو لقب علي الذي يتولّي أمر سلاح السلطان أو الأمير. ويجمع علي «أمراء سلاح»، وتسمّي الوظيفة «إمرة السلاح»[٣]. كأن «أمير سلاح» و «أمراء سلاح» بإضافة الاسم الأول إلى النكرة «سلاح» كان مقصوداً، وإرادة الخصوص لا تتحقق في إضافة «أمير» و«أمراء» إلى المعرفة «السلاح». ولعل الأمر يتبع هنا «عجمة العصر». وأقول أيضا: إن «الوظيفة» هي من كلام محقق الكتاب، إذ أنها لم تكن في القرن التاسع الهجري، ولا القرون السابقة قبله بمعني «المنصب» أو «المكان» الذي يحتلّه من يشغله فيتولي أمور الناس وأهل السلطان. لقد عرفت الوظيفة في القرون الرابع والخامس والسادس، والقرون التي تلت هذه الأحقاب بأنها ما يوظّف للرجل جنديًا كان أو عاملا لدي أرباب السلطان مما يحتاجه من خبز ولحم وسمن وغير هذا له ولأهله، ومن يقوم علي تربيتهم وكأنّ «الوظيفة» بمعني «المنصب» قد عرفناها في العهود العثمانية.

١٣ـ أمير مئة (مقدّم ألف):

قال محقق «الكتاب»: عدّة الأمير مئة فارس، وربّما زاد العشرة والعشرين. وله التقدمة على

(١) المصدر السابق ١٠/٦.
(٢) صبح الأعشي ١٥/٤، وزبدة كشف الممالك، ص ١١٣.
(٣) صبح الأعشي ١٨/٤و ٤٥٦/٥.

لف فارس، ممّن دونه من الأمراء. وطبقة أمراء المئين[1] مقدمو الألوف وهم أعلا مراتب الأمراء علي تقارب درجاتهم. ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب[2].

١٤- أمير مجلس:

قال محقق «الكتاب»: هو لقب علي من يتولّي أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره. يقول القلقشندي: «والأحسن أن يقال «أمير المجلس» بتعريف المضاف اليه، وتكون الألف واللام فيه للعهد الذهني، إما مجلس السلطان أو غيره»[3]. وهذا شيء أدّي إليه التطور الحضاري الذي كان منه الإكثار من الواجبات واختيار من يقوم بها.

١٥- الأمينـيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «الأمين» للمبالغة، مأخوذ من «الأمانة». وهو من ألقاب التجّار الخواجكية، وألقاب الخدّام المعروفين بالطوّاشية، خصوًا بذلك لائتمان التجّار علي الجواري والمماليك في حال جلبهم إلى الملوك، وائتمان الخدّام علي الحريم والمماليك وأبواب الملوك[4]. في هذا التوسّع في المهامّ وأصحابها مما اقتضاه العصر، نجد زحفا من الكلم الأعجمي في المجتمع العربي في القرون السادس والسابع والثامن والتاسع، وبعد هذه الأحقاب. إن «الخواجكية» و«الطّواشية»[5] شيء دخل عربية هذه القرون. وقد مرّ بنا مثل «الأمينيّ» من الألقا بياء النسبة، وهذا شيء بسطنا فيه القول.

١٦- الأوحـديّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة الي «الأوحد» للمبالغة، وهو من الألقاب السلطانية. ويكون من ألقاب أرباب الأقلام لمن لا تثبت الياء في ألقابه من «السامي» (بغير ياء) فما دون[6]. مرّ بنا مثل هذا من الألقاب التي زيدت فيها الياء، وربما تفرّعت من معني النسب.

---

(١) لقد رسم المحقق «المئين» كما وجدها في المخطوط بالألف الزائدة «المائين» فأحال المعني.
(٢) صبح الأعشي ١٤/٤.
(٣) صبح الأعشي ٤٥٥/٥.
(٤) المصدر السابق ١٠/٦.
(٥) الخواجكية: نسبة إلى «الخواجه» وهي كلمة فارسية بمعني الكبير أو الثري أو التاجر وغيرها. وأما «الطواشية» بمعني «الخدم» فلعلها من «الأصل في العربية وهو «طاش يطيش»، وقد تحوّل في الألسن الدارجة الي «الواو»، ومثل هذا التحوّل وارد في العامية.
(٦) صبح الأعشي ٤٧٠/٥.

١٧ـ الباقـي:

قال محقق «الكتاب»: جمعه «البواقي» لفظ اصطلاحي كان يطلق علي ما يتأخر كل سنة من الضمان والمتقبلّين من مال الخراج[١]. «الباقي» في مصطلح القرن التاسع تجاوز دلالته اللغوية إلى شيء أحتيج إليه في تنظيم شؤون المال.

١٨ـ بلاد الخاص:

انظر: ديوان خاص.

١٩ـ البليغـيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «البليغ» للمبالغة. وهو من ألقاب أرباب الأقلام، وأحسن ما يقع في ألقاب ذوي البلاغة من الكتاب ونحوهم[٢]. وهذا يتبع نظائره من الألقاب المختومة بياء النسب، وقد ابتعدت عن النسب، وكأن «البليغ» و «البليغي» واحد.

٢٠ـ البيوت السلطانيـة:

قال المحقق: هي: الشراب خاناه، والطشت خاناه، والفراش خاناه، والسلاح خاناه، والركاب خاناه، والحوائج خاناه، والمطبخ، والطبلخاناه. أقول: مرّت هذه الأسماء في القسم الأول من مصطلحات هذا الموجز.

٢١ـ التحجير والتحريم والتضييق:

قال المحقق: وأصل الحجر في اللغة ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه. وكل ما منعت منه فقد حجرت عليه[٣]. كأن «الحجر» وهو مصدر قد لمح فيه ما يمكن أن يكون مصطلحا إذا ولّد منه المضاعف الذي لم يرد في فصيح العربية وهو «تحجير».

٢٢ـ التشريف المملوكي (أو السلطاني):

قال محقق «الكتاب»: هي الخلع التي يخلعها السلطان علي طبقات خاصّة في المناسبات.

(١) المصدر السابق.

(٢) صبح الأعشي ١١/٦.

(٣) لسان العرب (حجر). وقد ورد «التحجير علي البضائع» في «التيسير»، ص ١٣٤، وهذا يقابل مصطلح «الاحتكار» في عصرنا. على أن «الاحتكار علي البضائع» قد ورد في الصفحة ١٣٥ من «التيسير».

وقد أفاض القلقشندي في وصفها وذكر مناسباتها[1]. وهذا شيء أدّي إليه التطوّر الحضاري في العصور المتأخرة تقليداً لما عند غير المسلمين من رسوم اقتضتها أبّهة السلطان.

٢٣ـ الجرائد الحسابية:

قال المحقق: هي الدفاتر التي تقيّد فيها إيرادات ومصروفات الدولة. لقد استفاد المحقق شرحه هذا من مادة كتاب «التيسير».

٢٤ـ الجنـاب:

لقب يطلق علي كبار الموظفين من أرباب السيوف والأقلام جميعا فيما يكتب به عن السلطان وغيره من النوّاب ومن في معناهم. أفاد المحقق شرحه هذا من «التيسير» و «صبح الأعشي»[2]. لقد ورثنا في عصرنا هذا في أوائل القرن لفظ «جناب» في الرسائل الديوانية، والرسائل الإخوانية، فكان صاحب الرسالة يتوجّه إلي المرسل اليه بقوله: جناب الأجلّ الأكرم فلان... ومثل هذا كانت كلمة «حضرة» تتصدر اسم المرسل إليه، يقال: حضرة الأجلّ الأكرم فلان.. وكلمة «حضرة» بقايا استعمال قديم وهو الحضرة للأمير والملك والخليفة بمعنى «الديوان الأميري أو السلطاني».

٢٥ـ الجنايـات:

قال محقق «الكتاب»: جمع جناية، ومعناها في الاصطلاح ما يفرضه السلطان من الضرائب والغرامات التأديبية علي رعيته. هذا شيء استفاده المحقّق من «التيسير» ومن «السلوك»[3]. غير ان كلمة «جنابة» ذهب بها إلى غير معناها فصارت بمعنى ما يفرضه السلطان من «جزاء» يؤديه من يقوم بمخالفة أو تجاوز.

٢٦ـ الجوالـي:

قال محقق «الكتاب»: هي ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقرّرة عليهم في كل سنة. وقد شرحها القلقشندي بتفصيل[4]. «الجوالي» جمع «جالية» وهذه أطلقت علي من «جلو»

---

(١) السلوك ٥٢/١، حاشية ٢.
(٢) صبح الأعشي ٤٩٥/٥.
(٣) السلوك ٤٨٨/١، حاشية ١.
(٤) صبح الأعشي ٤٥٨/٣.

عن ديارهم من غير المسلمين بعد أن رفضوا الإسلام وحاربوا المسلمين مثل يهود المدينة وغيرها. وكأن إطلاق «الجولاي» عما يؤخذ من الجزية كان بسبب كون الجزية ذهبت إلى من جلوا عن الديار وخاصموا المسلمين.

٢٧ـ الحاجب الثانى:

قال محقق «الكتاب»: الحاجب، هو في أصل الوضع عبارة عمّن يبلّغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ويأخذ لهم الإذن منه. ثم تصرّف الناس في هذا اللقب ووضعوه في غير موضعه، ففي خلافة الأمويين بالأندلس، أطلق علي من قام مقام الخليفة في الأمر. وفي الخلافة الفاطمية في مصر كانوا يعبرون عنه بصاحب الباب، وفي دولة السلاطين المماليك، فإنه عبارة عمن يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ليبلّغ ضرورات الرعية إليه، ويركب أمامه بعصا في يده، ويتصدّي لفصل المظالم (الخصومات) بين المتداعين، خصوصا فيما لا تسوغ الدعوي فيه من الأمور الديوانية وغيرها. والحجّاب مراتب، فمنهم: الحاجب، والحاجب الثاني، وحاجب الحجّاب[١]. إعطاء الحاجب هذه المهمة، أي أنه وسيط بين الرعيّة والسلطان، متأتّ من معني «الحجبة» أي أن صاحب السلطان أميراً أو ملكاً أو غيرهما محجوب عمن يريد أن يصل إليه.

٢٨ـ حاجب الحجّاب:

قال محقق «الكتاب» يعرّف القلقشندي «الحجوبية» فيقول: إن موضوعها، أن صاحبها ينصف بين الأمراء والجند، تارة بنفسه، وتارة بمراجعة النائب ـ إن كان ـ وإليه تقديم من يعرض ومن يردّ وعرض الجند وما ناسب ذلك». و«الحجوبية يشغلها عادة خمسة حجّاب: اثنان من الأمراء من مقدّمي الألوف، وهما: حاجب الحجّاب ونائبه، وحاجب الحجّاب هو المشار إليه من الباب الشريف، والقائم مقام النائب في كثير من الأمور[٢]. إن منصب «حاجب الحجّاب» يشير إلى تقدّم نظام الحكم الذي يحكم بين صاحب الأمر وكبار الأمراء والجند وسائر الرعية. لقد كان هذا في العصور المتأخرة من القرن التاسع وما وليه من أحقاب.

٢٩ـ الحسبة: قال محقق «الكتاب»: موضوعها التحدّث في الأمر والنهي، والتحدث عن

(١) المصدر السابق ١٩/٤، ٥٥٠/٥.

(٢) المصدر السابق ١١/٤.

لمعايش والصنائع، والأخذ علي يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته. والذي يشغل هذه الوظيفة يقال له المحتسب[1]. وأضاف المحقق: (وهو أشبه بمفتش التموين في أيامنا، ولكن المحتسب كان أكثر نفوذاً وسلطاناً من هذا). إن كتب الحسبة كثيرة وأحكامها معروفة في كتب الأحكام. وفي «الأحكام السلطانية» للماوردي مثلاً الكثير من مهامّ المحتسب. وهي شيء بل أشياء تتجاوز «التحدث في الأمر والنهي» بل إن المحتسب يعمل ويراقب هو وأعوانه وينزل العقاب بالمتجاوزين في الموازين والمكاييل وسائر الأقيسة. إنه يفحص الخبز ليعرف ما فيه من قدر من النخالة وغيره، ويفحص السمن والزبدة والعسل والخلّ وسائر المكاييل، والأقيسة كالذراع ونحوه. وهو ينظر في كل ما له صلة بمعايش الناس وحاجاتهم. والمحتسب من العاملين البارزين في نظام الحكم القديمة ليس في هذا القرن التاسع بل خلال القرون التي سبقت وتلت.

٣٠ـ الحضرة العالية:

قال محقق «الكتاب»: المراد بـ «الحضرة» حضرة صاحب اللقب. ولغة: حضرة الرجل قربه وفناؤه، ويستعمل اللقب في المكاتبات الصادرة عن السلطان إلى بعض الملوك، ويقال فيها: «الحضرة الشريفة العالية» و «الحضرة الكريمة العالية»[2]. عرضت «للحضرة» في الرقم ٢٤ في جناب، وأشرت إلى أنها كانت تعني كما تشير كتب التاريخ في العصور المتأخرة إلى ديوان الملك أو الأمير.

٣١ـ الحلقة:

قال محقق «الكتاب»: المراد بها «أجناد الحلقة» وهم الطبقة الثانية من أجناد الجيش المصري في العصر المملوكي، وعددهم كثير، وربما دخل فيهم من ليس له صفة الجند من «المتعمّمين؟!»[3] وغيرهم، بواسطة النزول عن الإقطاعات. أما الطبقة الأولي في الجيش، فهم المماليك السلطانية، والطبقة الثالثة هم الأجناد البحرية[4]. قول المحقق «المعمّمين» معوز،

---

(١) المصدر السابق ٣٧/٤. ولي أن أضيف إلى كلام المحقق «أن المحتسب يتجاوز في عمله مفتش التموين فيكون «قاضيا» للجزاء والعقوبات، وقد يكون في بعض مهامّه قريباً مما هو «أمين العاصمة أو رئيس البلدية» في عصرنا.

(٢) المصدر السابق ٤٩٨/٥.

(٣) أراد الشيوخ من علماء الدين.

(٤) صبح الأعشى ١٥/٤، ١٦.

وفيه خروج عن أدب التاريخ والعلم، فإن أراد الشيوخ الذين يلحقون من ناحية النظام والأعطيات [المرتّبات] بالجند، ولو أن المحقق قد استظهر لتأيد شرحه للمصطلح بما أورده الأسديّ في «التيسير» أو القلقشندي في «صبح الأعشى» لكفانا فائدة وصرنا في غنى عن أسلوبه ولغته المعاصرة.

٣٢ـ الحمايـات:

قال محقق «الكتاب»: مفردها حماية. جاء في شرح الأسديّ لهذه الكلمة في «التيسير»[١]: أما «الحمايات» المحدثة علي البلاد والقري والأماكن والطواحين وغير ذلك، فلا معني لها إلا أخذ فريق من أموال الناس بغير حق، ووجود الأسماء والتفخيم والاحتماء بالظلم من الظلم في التأخير والتقديم. والدليل علي ذلك فيه تفصيل من تقرير عوائد اقترحها ذوو التدليس والغشّ من غير تحليل ولا تعليل. ثم أضاف الأسدي: أما الحمايات المحدثة علي الضياع والبلاد والقرى، فقد أحدثت من أجل الكشّاف والولاة، ومن ظلم هؤلاء مع ما يحدث من ظلم «المتدركين»، وما يتجدّد علي الفلاحين من أنواع المغارم في كل وقت وحين. وربما وضعت الحماية علي بعضهم أيضاً عوضا عمّا عليهم من المال الذي يؤخذ باسم الجرافة والحفير، وما يتعلّق بهم من الرجال والمال بسبب عمارة الجسور. كأن «البلاد» في كلام الأسدي تفيد الحواضر الصغيرة، وهي غير القري بل أكبر منها. وهذه هي المسموعة في عصرنا من أهل اليمن. وأجد فيما ذكره المحقق لفظ «الكشاف» وسيأتي بيانه، وكذلك مصطلح «المتدركين». و«الجرافة» عمل العمّال والفلاحين، وهو جرف التراب بالجرّافات عند تمهيد الأرض. وقد أطلق علي «الحفر» في عصر المؤلف «الحفير»، ويراد به شق الترع والقنوات.

٣٣ـ الخـراج:

قال محقق «الكتاب»: هو المال الذي يجمع من الضريبة المقررة علي الأرض المزروعة التي يمكلها الذميون في البلاد الإسلامية كما ورد ذلك في كتب «الأحكام السلطانية» وكتب «الخراج»[٢].

---

(١) كتاب التيسير، ص ١٣٥.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي، و«الخراج» لأبي يوسف.

٣٤ـ ديوان الخاص:

قال محقق «الكتاب»: هو الديوان الخاص بأموال السلطان التي ينفق منها نفقاته الخاصة[١]، هذا شيء حسن أن يفرق بين أموال الحاكمين الخاصة والمال العام.

٣٥ـ رأس نوبة الأمراء:

قال محقق «الكتاب»: النوبة واحدة النوب وهي المرة بعد الأخري، وموضوع «النوبة» الحكم على مماليك السلطان أو الأمير والأخذ علي أيديهم وتنفيذ أمره فيهم. وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء: واحد منهم مقدّم ألف، والثلاثة أمراء طبلخاناه. والمراد بـ «رأس نوبة الأمراء» كبير أمراء النوبة[٢]. ويلي هذا «رأس نوبة ثاني»، وهو دون السابق منزلة في المرتبة والعمل. والذي نلاحظه أن في عصر المماليك في مصر وغيرها سعة في المناصب والمراتب التماسا للأبّهة التي عاصروها في بلاد الأعاجم.

٣٦ـ رأس نوبة النّوب:

قال محقق «الكتاب»: هو أعلى رؤوس النوب المتقدم ذكرهم[٣]. وهذا يثبت ما ذهبت إليه في تعليقي السابق.

٣٧ـ الـروك:

قال محقق «الكتاب»: مصدر الفعل «راك»، ومعناه في الأصل: مسح الأرض المزروعة في بلد من البلدان لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال[٤]، ليس لنا في فصيح العربية هذا اللفظ كما أني لم أجده في الفارسية والتركية. فلعله من لغة أخري شرقية تحدّر فيما من ألفاظ إلى مصر في عهد المماليك.

٣٨ـ الرئيسـى:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «الرئيس» للمبالغة، وأصل لقب «الرئيس» من الرياسة،

---

(١) زبدة كشف الممالك لابن شاهين، ص ١٠٧-١٠٨، صبح الأعشي ٥٢/٣.
(٢) صبح الأعشي ٨٨/٤ و ٤٥٥/٥.
(٣) المصدر السابق ٤٥٩/٥.
(٤) السلوك ٨٤١/١، حاشية ٣.

وهي رفعة القدر وعلو المرتبة. والرئيس من ألقاب علية الناس[1]، لقد بسطت القول في «الرئيسي» في مادة «الأصيلي» رقم ٣ من هذا الموجز.

٣٩ـ زمام الدور الشريفة:

قال محقق «الكتاب»: عرّف القلقشندي، «الزنان دار» وهو يعد زمام دار خطأ فقال: هو لقب علي الذي يتحدث علي باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان. واللقب مركب من لفظين فارسيين: أحدهما «زنان» ومعناه «النساء»، والثاني «دار» ومعناه «ممسك» فيكون معناه «ممسك النساء» بمعني الموكل بحفظ الحريم[2]، لابد من تصحيح عبارة القلقشندي فأثبت أن «زن» في الفارسية «امرأة» أو «زوجة»، و «زنانة» بمعني «نسائي» أو «خاص بالنساء».

٤٠ـ السفيري:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «السفير» للمبالغة، و«السفير» هو الرسول والمصلح بين القوم. وهو من الألقاب الخاصة بالدوادار، وللتجّار الذين يسفرون بين الملوك ويتردّدون في الممالك لجلب المماليك والجواري ونحو ذلك[3]، إن اعتماد السفير في مهامه الحديثة لدي المعاصرين شيء اقتبسوه من الغرب ولم يكن من المهام القديمة لـدي المماليك ومن سبقهم في العصور المتأخرة. وكأن المعاصرين أخذوا اللفظ القديم «سفير» ومنحوه مكانـه ومرتبتـه وشؤونـه.

٤١ـ السيّديّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «السيد» للمبالغة، ويقع في اللغة علي «المالك» و«الزعيم» ونحوهما، وهو من الألقاب السلطانية، يقال: السلطان السيّد الأجلّ، ونحو ذلك[4]، هذا اللفظ بياء النسب من مولّدات العهود المتأخرة. وقد بسطت القول في هـذا في «الأصيليّ» و «الأفضليّ» وغيرهما.

---

(١) صبح الأعشي ١٤/٦.
(٢) المصدر السابق ٤٥٩/٥.
(٣) المصدر السابق ١٥/٦.
(٤) المصدر السابق ١٥/٦.

٤٢ـ الصاحبيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «الصاحب» للمبالغة، وهو في اللغة اسم «للصديق»، وهو من ألقاب الوزراء. ومختص بأرباب الأقلام دون أرباب السيوف[١]. والقول في «الصاحبي» كالقوف في «السيدي» وغيره مما ورد منسوباً.

٤١ـ الطلب:

قال محقق «الكتاب»: فرقة من الفرسان عددها خمسمئة فارس[٢]، ليس في مادة «طلب» شيء يومئ إلي هذا الجديد المولّد، فهو مما جدّ في هذا العصر المملوكي.

٤٤ـ العالي:

قال محقق «الكتاب»: من الألقاب التي يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام، وهو من «العلاء» وهو «الشرف»[٣].

٤٥ـ العالمي:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «العالم» للمبالغة، و«العالم» خلاف الجاهل من ألقاب العلماء. ثم نعتوا به الملوك تعظيماً، وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأقلام، وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء[٤]. هذه عبارة المحقق التي تفتقر إلى ما هو كاف بعيداً عن الفضول، كقوله: «ولاعلام خلاف الجاهل»، ألا تري أن هذا شيء معروف مشهور لا يذهب في ظنّ أحدهم إلى قول المحقق أن العالم خلاف الجاهل. ثم إن كلام المحقق كله يتصل بـ «العالم» وليس «العالمي» الذي هو موضوع الدرس.

٤٦ـ العريقيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «العريق» للمبالغة. والمراد من له عراقة في كرم الأصل.

---

(١) المصدر السابق ١٨/٦ أقول: لابد من الإشارة إلي أن «الصاحبي» من مصنفات أحمد بن فارس اللغوي المعروف هو غير هذا، فقد نعت كتابه في «فقه اللغة» بـ «الصاحبي» لأنه أهداه للصاحب بن عبّاد.

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٦٩٥/٨.

(٣) صبح الأعشي ٢٠/٦.

(٤) المصدر السابق، ٢٠/٦.

وهو من ألقاب ذوي الأصالة، وأكثر ما يقع على أرباب الأقلام[٥]. أقول: هذا على جملة من الألقاب التي ختمت بياء النسب، وقد بسطنا فيها القول.

٤٧ـ العشـران:

قال محقق «الكتاب»: مفرده عشير، وهو اسم يطلق على بدو الشام، ويطلق أيضاً على سائر الدروز[٢]، لا أدري معني «العشير» والا «العشران» في إطلاقهما على بـدو الشـام وسائر الـدروز، ولعل شيئاً من صلة النسب تعود بهم إلى «أعشر» أو «أعسر» بالشين أو السين!!

٤٨ـ العلامـيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «العلام» أو «العلامة» للمبالغة، وهو من ألقاب أكابر العلماء[٣]، هذا مع نظائره من النعوت المنسوبة كالأصيلي والأفضلي وغيرهما.

٤٩ـ الغنائـم:

قال محقق «الكتاب»: هي ما يغنمه المسلمون من عدوهم من أموال وسلاح وأسري حرب. وفي «الأحكام السلطانية» للماوردي وغيره تفاصيل الغنائم وبيان قسمتها[٤]، قد تكون «الغنائم» مصطلحاً بسبب حدودها وما تشمل عليه، وكيف توزّع على المجاهدين.

٥٠ـ الفاضلى:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «الفاضل» للمبالغة (وهو خلاف الناقص)، وهو من ألقاب أرباب الأقلام، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء، وربما وقـع في ألقاب الكتاب[٥]، ولا أدري لم قال المحقق: «الفاضل خلاف الناقص»؟ كأنه يظن أنه يكتب لأعاجم فيطيل ويأتي بالفضل المخلّ! ثم إن «الفاضل» ليس مادة الدرس، بل هي «الفاضليّ»!

---

(١) المصدر السابق ٢٠/٦.
(٢) السلوك ٦٨٩/١، حاشية ٣.
(٣) صبح الأعشي ٢١/٦.
(٤) الأحكام السلطانية ص ١٣١.
(٥) صبح الأعشي ٢٢/٦.

٥١ـ الفلوس:

قال محقق «الكتاب»: عملة من النحاس، ذكر الأسدي في التيسير[١]، وأما ما يتعلق بعمل الفلوس من النحاس، فيذكر العبد ما يناسب الزمان علي أحسن وضع وأثبت أساس، وفي ذلك وصول وتحصيل فوائد كثيرة... وبيان ذلك، أن يبرز الأمر الشريف ـ شرّفه الله وعظّمه ـ بأن تضرب الفلوس من النحاس الأحمر الجيد الخالص مدوّرة تامّة التدوير، معتدلة التقدير، مسكوكة برسم الاسم الشريف... علي ثلاثة أنواع لسهولة العدد، والأخذ والإعطاء، والتعاوض في كل مبيع ومتاع».

٥٢ـ الفيء:

قال محقق «الكتاب»: هو ما يقع في أيدي المسلمين من أموال غير المسلمين في حالة الحرب من غير قتال، وقد توسّع الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية» في التعريف بالفيء وطريقة قسمته[٢].

٥٣ـ القاصوىّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى القاضي للمبالغة، وهو من ألقاب أرباب الأقلام. قال القلقشندي: وفي الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم إلا أنه توسع فيه حتي استعمل في غيرهم من أرباب الأقلام[٣].

٥٤ـ الكاشف:

قال محقق «الكتاب»: وظيفته الإشراف علي الجسور الزراعية، يعاونه خولة ومهندسون، يقومون علي تعميرها وإصلاحها. ويقال لهذا الكاشف «كاشف الجسور»[٤]. مرّ بنا «الكشاف» في المصطلح[٥] وهو «الحمايات»، ولم يكن مشروحاً فأشرنا إلى أنه سيأتي. وهذا المصطلح يدلّ على المراقبة والتفتيش، وما يجب عمله للإصلاح.

---

(١) التيسير، ص ١٣١.

(٢) الأحكام السلطانية، ص ١٢٧.

(٣) صبح الأعشي ٢٣/٦.

(٤) المصدر السابق ٤٤٥/٣.

(٥)

٥٥ـ الكافـل:

قال محقق «الكتاب»: هو لقب يطلق علي نائب السلطان في القاهرة، ويقال له «النائب الكافل» أو «كافل الممالك الإسلامية»[١]

٥٦ـ المالكـيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى المالك ـ الذي هو خلاف المملوك ـ للمبالغة، وهو من الألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف والأقلام[٢]، مازال صاحبنا الأستاذ المحقق يذكر «فوائد» يعرفها الصغار من الشداة، ومن هذا «الممالك» وهو اسم فاعل غير «المملوك» الذي هو اسم مفعول.

٥٧ـ المتدرّكـون:

قال محقق «الكتاب»: هم أصحاب الدرك أي الخفراء. هذه عبارة المحقق وإني لا أعرف في حقبة العصر المملوكي في مصر، وعصر الدويلات في المشرق بعد سقوط بغداد عبارة «أصحاب الدرك». و«المتدرّكون» كما ورد في «التيسير»[٣] هم المراقبون الذين عرف الظلم فيهم فقد جاء في كلام الأسديّ علي «الحمايات» (رقم ٣٢). أما الحماية المحدثة علي الضياع والبلاد والقرى، فقد أحدثت من أجل الكشّاف والولاة، ومن ظلم هؤلاء مع ما يحدث من ظلم «المتدرّكين». أقول أيضاً: ان «الدرك» هو «اللحاق»، وقوات الدرك لا نعرفها إلا في العصر القريب من عصرنا، وقد عرفت في عصرنا بما أسسه الفرنسيون من تنظيمات الأمن في البلاد التي حكموها كما في بلاد الشام فكان لهم «شرطة الدرك».

٥٨ـ المتصرّفـيّ:

قال محقق «الكتاب»: من ألقاب الوزراء ومن في معناهم، والمراد من ينفّذ تصرّفه في الأمور[٤]، وهذا من مولّدات العصر المملوكي كسائر الألفاظ التي مرّت بنا مختومة بالياء للنسب.

---

(١) المصدر السابق ٤٥٤/٥.
(٢) المصدر السابق، ٢٥/٦.
(٣) التيسير، ص ١٣٥.
(٤) صبح الأعشي، ٢٦/٦.

٥٩ـ المثالات السلطانية:

قال محقق «الكتاب»: مفردها مثال، والمثال ورقة رسمية تصدر من ديوان الجيش بإقطاع أحد من الناس، ثم يؤشر عليها السلطان بالموافقة[١]، هذا شيء يتصل بالألفاظ الفنية التي تخص نظام الأرض وملكيتها.

٦٠ـ المجلس:

قال محقق «الكتاب»: هو من ألقاب أرباب السيوف والأقلام، ويقال فيه «المجلس العالي» و«المجلس السامي» وأما «مجلس» المجرّد من الألف واللام فيعني شيئاً آخر، مثل «مجلس الأمير»، «مجلس القاضي»، فإنه يعني «الاجتماع»[٢].

٦١ـ المحبّسات:

قال محقق «الكتاب»: هي أبنية أو أراض زراعية أوقفها المسلمون لجهات البرّ، ثم ضاعت حجج الوقف وجهات مصارفها لتطاول العهد بها، فصارت أموال الوقف تصرف في الجوامع، والمساجد والسقايات، وجرايات للأئمة والخطباء والمؤذّنين وطلبة العلم وغيرهم، وتسمّي أيضاً الأحباس[٣]، إن لفظ «المحبّسات» يعني أن هذا اللفظ جاء من الفعل «حبس» المضاعف، وليس لنا هذه الصيغة المضاعفة لهذا الفعل في فصيح العربية. ومن المفيد أن أشير إلى أن «الحبوس» و«التحبيس» معروفان في عصرنا في بلدان الشمالي الإفريقي بمعني «الأوقاف» و«الوقف» في مصر وغيرها من بلاد المشرق.

٦٢ـ المحقّقيّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «المحقق» للمبالغة. والمراد بـ «المحقق» أن يأتي بالأشياء علي حقائقها لحدّة ذهنه وصحّة حدسه.وهو من ألقاب العلماء، وربما استعمل في ألقاب الصوفية[٤].

---

(١) المصدر السابق ١٥٣/١٣.
(٢) المصدر السابق ٤٩٦/٥، ٤٩٧.
(٣) قوانين الدواوين لابن مماتي، ص ١٤.
(٤) صبح الأعشي ٢٦/٦.

٦٣ـ المخدومىّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «المخدوم» للمبالغة، والمراد بـ «المخدوم» من هو في رتبة أن يكون مخدوماً لعلو رتبته وسمو محله. وهو من الألقاب المختصة بالمكاتبات[١]. هذه الألفاظ وغيرها مما مرّ وما يجيء مما هو مختوم بالياء للنسب قد ذكرها الأسدي في ألقاب السلطان في معرض التوجه إليه والدعاء له في التيسير[٢]، وكلها من مولّدات العصر.

٦٤ـ المخيّش:

قال محقق «الكتاب»: نوع من الثياب الرقيقة النسج، تحلّى بخيوط أو بأشرطة من الذهب أو الفضّة أو القصب. جاء في كتب اللغة: ان «الخيش» ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتّخذ من مشاقة الكتان ومن أردئه وربما اتخذت من العصب..[٣]. وكأن «المخيش» في مصطلح العصر المملوكي ذهب إلى غير ما في كتب العربية.

٦٥ـ المدقّقى:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «المدقق» للمبالغة، وهو من ألقاب العلماء، وهو الذي ينعم النظر في المسائل ويدققه[٤].

٦٦ـ المدولبون:

قال محقق «الكتاب»: هم أصحاب الدواليب، والدولاب هو الآلة التي تستعمل في الصناعة وتدار كالعجل[٥]، لقد اشتقوا بل ولّدوا من «دولاب» الوصف «مدولب» أي الذي يدير الدولاب. وكلمة «دولاب» من أصل فارسي، والكلمة مركّبة من «دول» بمعني «وعاء مخروطي الشكل فوق المطحنة، وآب» بمعني الماء أي أن «الدولاب» يدار بالماء في طحن الحبّ. والذي ورد في «التيسير»[٦] يشير إلى هذا الذي ذهبت إليه وهو: «لما استوعب العبد

(١) المصدر السابق ٢٧/٦.
(٢) التيسير، ص ٤٨.
(٣) لسان العرب (خيش).
(٤) صبح الأعشي ٢٧/٦.
(٥) السلوك ٤٠٨/٢، حاشية ٤.
(٦) التيسير، ص ١٣٤.

لكلام في إصلاح النقود والمعاملات، تعيّن عليه أن يذكر فساد العوائد الرديئة مثل: الحمايات، والتحجير علي البضائع والحبوب والغلات، وما يعتمده السماسرة والطحانون والجبانون والمدولبون في سائر الجهات، لا سيما إذا وجدوا في بعض السنين النقص في الماء، أو حصول التشريق في بعض الأراضي من الظمأ...».

٦٧ـ المسامحة:

قال محقق «الكتاب»: هي ما جرت به عادة الدواوين السلطانية من المقررات واللوازم السلطانيةعلي الجهات فيسامح بها ويبطل المكوس[١]، وهذا ما يكون في عصرنا من مصطلح «الإعفاء» من الضريبة والرسوم لضرورة خاصة.

٦٨ـ المستوفى:

قال محقق «الكتاب»: من كتّاب الأموال، وهو الذي يضبط الديوان، وينبّه علي ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك. وفي بعض المباشرات قد ينقسم إلى مستوفي أصل، ومستوفي مباشرة، ولكلّ منهما أعمال خاصة[٢]. واشتهر «المستوفي» لقبا قبل هذا العصر المملوكي، وعرف رجال كثيرون.

٦٩ـ المطبخ السلطانى:

قال محقق «الكتاب»: من البيوت السلطانية، وهو الذي يطبخ فيه طعام السلطان الراتب في الغداء والعشاء والطارئ في الليل والنهار، والأسمطة التي تمدّ بالإيوان الكبير بدار العدل أيام المواكب. ويستهلك فيه كلّ يوم قناطير مقنطرة من اللحم والدجاج والأوز والأطعمة الفاخرة[٣].

٧٠ـ المفوّهى:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «المفوّه» للمبالغة و «المفوّه» هو البليغ اللسان، وهو من ألقاب البلغاء من الكتاب وغيرهم[٤]. كلام المحقق علي «المفوه» الوصف وليس علي المنسوب

(١) صبح الأعشي ٢٣/١٣.
(٢) المصدر السابق ٤٦٦/٥.
(٣) المصدر السابق ١٣/٤، وفي «زبدة الممالك»، ص ١٣٥ أصناف الأطعمة التي تطبخ في المطبخ.
(٤) صبح الأعشي ٢٩/٦.

لمفوّهي نظير طائفة كثيرة عرضنا لكثير منها في شيء من الإيضاح، وأشرنا إلي أنها مولّدات في هذا العصر[1].

٧١ـ المقام:

قال محقق «الكتاب»: وهو من الألقاب الخاصة بالملوك، يكنون به عن السلطان تعظيما له عن التفوه باسمه. ويقال فيه «المقام الأشرف»، و «المقام الشريف العالي»، وربما قيل فيه «المقام العالي». كأن المقام الرفيع الذي بقي في مصر في مطلع هذا القرن هو شيء مما كان لدي المصريين من عصور المماليك. لقد كان يشار بهذا اللقب للسيد مصطفي النحاس باشا.

٧٢ـ مقدّم ألف:

انظر «أمير مئة».

٧٣ـ مقدّم المماليك السلطانية:

قال محقق «الكتاب»: هو لقب على الذي يتولّي أمر ممالك السلطان من الخدام والخصيان(الطواشية)[2].

٧٤ـ المقـرّ:

قال محقق «الكتاب»: لقب يختص بكبار الأمراء، وأعيان الوزراء، وكتّاب السرّ ومن يجري مجراهم، كناظر الجيش، وناظر الخاص وناظر الدولة وغيرهم. ويقال فيه «المقرّ الأشرف» و «المقرّ الشريف العالي» و «المقرّ الكريم العالي»[3].

٧٥ـ المكوس:

قال محقق «الكتاب»: جمع مكس، ومن معانيه في اللغة الضريبة التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية. والمكوس في مصطلح مؤرخي مصر الإسلامية كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان، أو لأصحاب الإقطاعات، أو لموظفي الدولةخارجاً عن الخراج الشرعي[4]، و«المكس» بمعني الجباية أو ما يأخذ في الجاهلية من الباعة في الأسواق

(١) المصدر السابق ٤٩٣/٥.
(٢) المصدر السابق ٥٤٦/٥.
(٣) المصدر السابق ٤٩٥/٥.
(٤) السلوك ٦٧/١، حاشية ٤ وانظر صبح الأعشي ٤٦٤/٣.

كما قال المحقق. وقيل «المكس» الضريبة يأخذها «الماكس» وهو «العشار»، وقدره درهم، قال جابر بن حنيّ الثعلبي:

أفي كل أسواق العراق إتاوة ... وفي كلّ ما باع امرؤ مكس درهم[1]

٧٦ـ المماليك السلطانية:

قال محقق «الكتاب»: هم الطبقة الأولي من أجناب الجيش وأعظمهم شأنا، وأرفعهم قدرا، وأشدّهم الي السلطان قربا، وأوفرهم إقطاعا، ومنهم تؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة[2].

٧٧ـ الموجبات:

قال محقق «الكتاب»: جمع «موجب» وهي المكوس التي كانت تؤخذ على الغلال من البائع والمشتري[3].

٧٨ـ المولويّ:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «المولي» للمبالغة، والمراد بـ «المولي»: «السيد»، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام[4].

٧٩ـ ناظر الدولة:

قال محقق «الكتاب»: لقب يطلق على ناظر الدواوين[5].

٨٠ـ الناظر في الحسبة:

انظر «الحسبة».

٨١ـ ناظر النظّار:

قال محقق «الكتاب»: هو الذي يقوم في دمشق مقام الوزير في مصر[6].

---

(١) لسان العرب (مكس).
(٢) صبح الأعشي ١٥/٤.
(٣) بدائع الزهور لابن إياس ١٤/٥.
(٤) صبح الأعشي ٣٢/٦.
(٥) المصدر السابق ٤٦٨/٥.
(٦) المصدر السابق ٤٦٥/٥.

٨٢ـ النائب:

قال محقق «الكتاب»: هو لقب على القائم مقام السلطان في عامة أموره أو غالبها، ويطلق هذا اللقب في العرف العام على كل نائب عن السلطان أو غيره بحضرته أو خارجا عنها في قرب أو بعد[١].

٨٣ـ نائب المملكة:

قال محقق «الكتاب»: هو الذي ينوب عن السلطان في العاصمة، ويقال له عندئذ «النائب الكافل» أو «كافل الممالك الإسلامية»[٢].

٨٤ـ اليمينى:

قال محقق «الكتاب»: نسبة إلى «اليمين»، كأنه يمين السلطان الذي يتناول به الأشياء، وهو من ألقاب الدوادار، وكاتب السر، والحاجب[٣].

مصادر البحث:

١ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٤٨هـ).

٢ـ ابن إياس، بدائع الزهور (تحقيق محمد مصطفي).

٣ـ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك (تحقيق بوليس راويس، المطبعة الجمهورية بباريس سنة ١٨٩٤م).

٤ـ ابن قماتي، قوانين الدواويم بن (مطبعة الوطن ـ القاهرة ١٢٩٩هـ).

٥ـ ابن منظور، لسان العرب.

٦ـ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (ط. الهند).

٧ـ القلقشندي، صبح الأعشي (المطبعة الأميرية ١٩١٣-١٩١٤، القاهرة).

٨ـ الماوردي، الأحكام السلطانية (مطبعة الحلبي ـ القاهرة).

٩ـ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق محمد مصطفى زيادة).

---

(١) المصدر السابق ٤٥٤/٥.

(٢) المصدر السابق ٤٥٤/٥.

(٣) المصدر السابق ٣٥/٦.

في الأعلام الجغرافية اليمنية

كان لي أن عرضت في السنة التي انصرَمَت[1] للأعلام الجغرافية في العراق، وها أنذا أتبع ما كان لي في ذلك المؤتمر بشيء آخر أتعقّب فيه طائفة من الأعلام البلدانيّة في اليمن. وسأختار هذه الطائفة فيكون لي فيها ملاحظات لغويّة تاريخيّة، وإنّي أدرجها على حروف المعجم:

١ـ إبّ:

ـ قال ياقوت: قال ابن سِلفة هي بكسر الهمزة. وهي من قُرَي ذي جبلة باليمن، وهي عندهم بكسر الهمزة.

* أقول: وهي بليدة جبليّة مازالت معروفة ذات خضرة وشجر. وهي عند الأصمعيّ بالفتح والتشديد[2].

* أقول أيضاً: لعلّ الفتح في همزتها أوجه، ولكنّ الاستعمال غلّب الكسر. وإنيّ لأذهب إلي هذا مستفيداً من قوله تعالي: ﴿وفاكهة وأبّا﴾[3].

وإنّي لأنظر إلي «الأبيب» في اللغة العبرانية [4] وهي كلمة بصيغة الجمع، والمفرد أبّ، و«فعيل» من صيغ أسماء الجمع في العبريّة، ومنه هذه الكلمة، وكذلك «فعيل» من أبنية التكسير، نحو: نخيل وعبيد وغيرهما.

---

(١) اطلب المشرق، ٧٠ (١٩٩٦)، ص ١٨٥-٢١٤.

(٢) معجم البلدان، لياقوت، هامش «قرّة العيون» ص٢٨٢؛ اليمن الخضراء ٨٢/١.

(٣) ٣١ سورة عبس.

(٤) W. Gesenius, *Hebraeisches und aramaeisches Handwoerterbuch ueber das Alte Testament*, Leipzig, 1910.

ولنا أن نستأنس بـ «تل أبيب» من الحواضر التي أنشأها اليهود في فلسطين العربيّة إبّان الحكم البريطاني غير بعيدة عن القدس ـ حرسها الله ـ وهي ، وكأنّها في الأصل موضع تلّ فيه زرع.

٢ـ أَبْيَن:

من حواضر اليمن

ولا يعرف أهل اليمن غير فتح الهمزة.

ـ قال ياقوت: حَكَي أبو حاتم قال: سألنا أبا عبيدة كيف تقول عَدَنُ أَبْين أو إِبْيَن، قال: هما جميعاً.

ـ وقال عُمارة بن الحسن اليمنيّ الشاعر: أبيَن موضع في جَبَل عَدَن.

وإلي أَبْيَن يُنسَب الفقيه نُعَيم، عَشَريُّ اليمن، وإنّما سُمّي عَشَريَّ اليمن لأنه كان يعرف عشرة فنون من العلم[١]...

٣ـ الأَثْلاء:

قرية من قُرَي ذِمار باليمن[٢]. وهي عزلة من بلاد عَنْس فيما أضافه المقحفيّ من معجمه[٣]. أقول: و«ذمار» من حواضر اليمن وسآتي عليها.

٤ـ أَثافِث:

اسم قرية باليمن ذات كروم كثيرة.

ـ قال الهمدانيّ: وتُسَمّي أثافة بالهاء والتاء أكثر. قال: وخبّرني الرئيس الكباري من أهل أَثافِت قال: كانت تُسَمّي في الجاهليّة «دُرْنا» وإيّاها أراد الأعشى بقوله:

---

(١) معجم البلدان. وانظر: الإكليل ٤٧/٢، والمفيد ص ٥٤، وبهجة الزمن ص٢٦، واليمن الكبري ص ١٦٤.

(٢) معجم البلدان لياقوت.

(٣) معجم البلدان والقبائل اليمنيّة. والعزلة: تجمع سكّانيّ من عدة قري يرأسها ويحكمها شيخ، وهو دون الناحية.

أقولُ للشَّرْب في دُرْنا، وقد ثَملوا شِيموا، وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ.

وكان الأعشي كثيراً ما يتَّجرُ فيها، وكان له بها مِعصرَ للخمر يَعصر فيه ما جَزَلَ له أهل أثافة من أعنابهم.

ـ قال الأصمعي: وَقَفتُ باليَمَن على قريةٍ فقلتُ لامرأةٍ: بِمَ تُسَمَّى هذه القرية؟ فقالت: أما سمعت قول الأعشى:

أُحِبُّ أُثافةَ ذاتَ الكـــرو م، عنـــد عصارة أعنابهـــا[1]

٥ـ الأَثْلـوث:

عزلة من مخلاف نَفَذ من وصاب العالي[2].

* أقول: إنّ بناء «أَفعُول» معروف في مواضع اليمن وقبائله. وقد رأيت أن أذكر هنا شيئاً من هذا ثم أعود إلي ما أنـا فيـه من ذكر الحواضر منسوقـة على حروف المعجم. ولم أجـد شيئاً من «أفعول» في مصادر البلدان القديمـة، وليس في أبنية العربيّة «أفعول» بفتح الهمزة[3].

٦ـ الأَجدون:

ـ قال الأستاذ القاضي إسماعيل بن محمّد الأكوع في مقالة له نشرها في مجلّة اللغة العربيّة منذ سنوات بدمشق: إنّ الأجدون منسوب إلي ذي جَدْن وهو قَيْل من الأقيال اسمه: عَلَس بن يشرح بن الحارث بن صفيّ بن سبأ، وهو أوّل من غنّى باليمن فلُقّب بالجَدَن، والجَدَن حسن الصوت.

وقيل: جَدَن مفازة باليمن يُنسَب إليها ذو جَدَن. والأجدون: من حضر موت[4].

---

(١) معجم البلدان.

(٢) معجم الحجريّ.

(٣) قد يكون لي أن أذهب إلي أن «أفعول» بفتح الهمزة هو شيء من بقايا اللغة السبئية التي أسماها اللغويّون العرب «الحميريّة»، أو «أَفعول» هذا بفتح الهمزة من العربيّة التي استبدل اليمنيّون بضمّ الهمزة فتحها.

(٤) مجلة الإكليل عدد ٢ ص١١.

٧ـ الأجـروم:

قرية من عزلة بني شيبة التابعة لناحية الشمايتين في الحَجْرِيَة[١].

* أقول: هل لي أن أقول: إنّ وجود بناء «أفعول» في المملكة المغربيّة في الجهات البربريّة في الأعلام هو بعض ما كان من أثر يمنيّ قديم نجده في الأعلام في إفريقيا والأندلس، ومن هذا «أريانة» في الأندلس وتونس وأصلها يمنيّ قديم مازال في عصرنا وسيأتي ذكره.

وسأتبع ما ذكرته ممّا وَرَدَ علي «أفعلول» وأكثره مما صنفه اليمن في قولهم: «عُزْلة»، وهو موضع تجمّع سكاني صغير، دون أن أفصّل فيه إلا ماكان من أفعول ممّا يتجاوز هذا الوصف، وهذا هو: أجرون، الأجشوب، الأجعود[٢]، الأحبوب، الأحدوث، الأحدور، الأحروج، الأحسون، الأحضوض، الأحطوب، الأحكوم، الأحموم، الأحنوش، الأحبوق، الأخدود[٣]، الأخدوع، الأخضوض، الأخطور، الأخلود، الأخمور، الأدروب، الأذمور، الأزهور، الأسروع، الأسلوم، الأشجور، الأشروع، الأشعوب، الأشمور، الأشموس، الأصبوع، الأصبور، الأصروت، الأصيور، الأضمور، الأطمول، الأظلوم، الأظهور، الأعبود، الأعبوس، الأعجول[٤]، الأعدول، الأعدون[٥]، الأعذور، أعرود، الأعروش، الأعروق، الأعشور، الأعضود، الأعمور، الأعموق، الأعنود، الأفروع، الأفيوح، الأفيوش، الأقحوز، الأقدور، الأقروض، الأكبوش، الأكروب، الأكروف، الأكهوم، الأمجود، الأمرور، الأملوك، الأنبوع، الأنجود، الأنقور، الأنهوم، الأهجور، الأهجوم، الأهزون، الأهمول، الأهنوم[٦]، الأهيون[٧]، الأيدوع، الأيزوع، الأيزون، الأيفوع.

---

(١) ذكره الواسعي في «تاريخه». لا أدري أيكون «آجروم» في لغة البربر في الغرب الأقصى من هذا، ونحن نعرف أنّ صاحب الأجروميّة في النحو هو محمّد بن محمّد بن آجروم، لعل لأهل العلم مقطع الرأي فيما حاك في نفسي.

(٢) جاء في هامش الإكليل ٦٥/٢، ومجلة الإكليل (عدد ٢ ص١١): إنّها منطقة علي مقربة من «الضالع».

(٣) أقول: إنّ «الأخدود» بفتح الهمزة بناء خاصّ باليمن، والأصل في العربية بالضم. قال تعالي:﴿قُتل أصحاب الأخدود﴾ ٤ سورة البروج.

(٤) قد يرد بين ما هو «أفعول» قرية ومنه «الأعجول» وغيره.

(٥) وممّا يندرج في «أفعول» ما هو نسبة، فأعدون نسبة إلي عَدَن. وانظر «أجدون».

(٦) والأهنوم: ناحية في الشمال الغربيّ من صنعاء.

(٧) الأهيون: بطن من الأزد.

* أقول: هذا جملة ما ورد في بناء «أفعول» ممّا يدخل في «العُزَل» و«القبائل» وسائر المواضع.

٨- أرحب:

ناحية تابعة إلى محافظة صنعاء في الشمال الشرقي منها على مسافة خمسة كيلومترات. وهي أيضاً قبيلة كبيرة من همدان تنسب إلى أرحب بن الدعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جُشم بن خيوان بن نَوف بن همدان[١].

٩- إرْيـان:

بلدة مشهورة تقع ضمن ناحية القفر بالجهة الغربية من يريم، وتقوم علي جبل بني سيف المطل علي مجموعة من الأودية الخُضْر. يُنسَب إليها جماعة من أهل العلم[٢].

* أقول: قد قلت إنّ في تونس بليدة إلي جوار تونس تطلّ على البحر هي أريانة، وهي المدينة التي قيل: إنّ مهاجرة الأندلس مصّروها وأعطوها اسم المدينة الأندلسيّة، فهل لي أن أقول: إنّ الذين أسّسوا حكم المسلمين في إسبانيا كان فيهم ولا سيّما جيش الفتح يمانيّون اعتمد عليهم الأمويّون منذ عصر معاوية.

١٠- أزال:

عُزْلة من ناحية الرظمة وأعمال يريم. وهي الاسم القديم لمدينة صنعاء نسبة إلى بانيها أزال بن يقطن...

* أقول: وقد أحْيَي اليمنيّون هذا الاسم فأطلقوه على مدارس وغيرها من مؤسّسات[٣].

وأهل اليمن في حاضرنا يقولون «آزال» بالمدّ.

* أقول: لابد أن يكون هذا الاسم من السبئيّة القديمة، فقد وجدت هذه المادة من مواد

---

(١) معجم الحجريّ، واليمن الكبري ص٧٣.

(٢) معجم الحجريّ.

(٣) أقول: وكأننا نحن العرب لا نعير الماضي إرثه وحقه حين يحلو ليمني أن يسمي مغسلة افتتحها بـ «أزال»، وقد رأيت نظير هذا في بلد عربي آخر فكان أن رأيت «صالون حلاقة المتنبي»!! وانظر: معجم الحجري.

لمعجم السبئي الذي استفيدت موادّه من النقوش القديمة. غير أنّه ينبغي أن نعرف أن السبئيّة عربيّة جنوبيّة في اليمن، ومن هنا تكون «أزال» مثل مادّة «أَزَل» في العربية القديمة.

و«الأَزَل»: القدَم. قال أبو منصور [الأزهري]: ومنه قولهم: هذا شيء أزلي أي قديم. وذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزَل، ثم نسب إلي هذا فلم يستقم إلا بالاختصار فقالوا: يزَليّ ثم أُبدلت الياء ألفاً لأنها أخفّ فقالوا أَزَليّ، كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزَن: أَزَنيّ، ونصلَ أَثربيّ»[1].

وأقول أيضاً: لقد فات المستشرقين الذين صنعوا المعجم السبئي[2] أن يفيدوا من العربية إضاءة وإيضاحاً. وكان ينبغي للأستاذ محمود الغول ـ رحمه الله ـ الذي شارك في صنعة المعجم أن يدلّ هذا الفريق الألماني علي مكان العربية في هذا الدرس، ولكنه لم يفعل.

١١ـ ذى أشرق:

بلدة أثرية في سفح جبل التعكر بالجنوب الغربي من إبّ وأعلا وادي نَخْلان من ذي الكلاع.

ـ قال الأستاذ القاضي محمّد بن علي الأكوع: هي بلدة نزهة، يمّمها أرباب الصنائع وروّاد العلم...[3].

* أقول: أدرجتُ هذه البلدة الأثريّة لأشير إلي المواضع اليمنيّة عامّة التي تُصدَّر بـ (ذو) وهي في الأغلب الأعمّ يمنيّة جنوبيّة وفيها: ذو أشرع وذو الكلاع وغيرهما.

١٢ـ باجِـل:

مدينة في الشمال الشرقي من تهامة على مسافة ٥٥ كيلو متراً من الحديدة. كانت عمارتها في القرن الرابع الهجري تتبع الحديدة إدارياً[4].

---

(١) لسان العرب (أزال).

(٢) المعجم السبئيّ، من منشورات جامعة صنعاء، صنعة: ا.ف.ل. بيستون وجاك ريكمانز، ومحمود الغول، ووالتر مولر. دار نشريّات بيترز في لوفان الجديدة ومكتبة لبنان في بيروت سنة ١٩٨٢م.
وكان لي علي هذا المعجم مستدرك أفوت فيه من العربية وغيرها من اللغات السامية.

(٣) معجم البلدان والقبائل اليمنية (الطبعة الثالث٩﴿ لإبراهيم أحمد المقحفيّ.

(٤) معجم الحجري. أقول: لا أدري أيكون «با» في هذا الاسم هو «أبا» الذي لزم الألف في اليمنيّة الجنوبيّة وكانت سابقة في أعلامهم نحو: باعلوي، وبامخرمة، وبازرعة وغيرهم، وهذه هي اللغة التي ذكرها النحاة في الشاهد: «إنا أباها وأبا أباها»؟ أيكون هذا في «باجل» أم أن «با» من علَم على فاعِل.

١٣ـ بَعْـدان:

جبل مشهور يطلّ علي مدينة إبّ من ناحية الشرق، وهو على حد تعبير الحجري ناحية واسعة جملة عُزَل...[١].

وجاء في معجم البلدان: بَعْدان، بالفتح ثمّ السكون...: مخلاف باليمن يقال لها البعدانية من مخلاف السَّحول، قال الأعشي:

ببَعْدان أو رَيْمـانَ أو رأس سلبـه شفاء لـمَن يشكو السمائم بـاردُ

وبالقَصْر من إرياب لو بتَّ ليلـةً لجاءَكَ مثلوج من الماء جامد[٢]

* أقول: قصدتُ أن تُثبت «بَعْدان» هنا لأشير إلي أنّ بناء «فَعْلان» خصوصيّة يمنيّة لشيوع هذا البناء. فأنت تجد منه: كَهْلان وقحطان وخولان وثهلان وغير هذا من الأعلام القديمة. وفي عصرنا هذا تجد سَيْلان وعَمْصان وحَرْدان وشَمْسان (غير مثني لشمس). وكأنّي أذهب إلى أنّ «عدنان» الذي في شمال بلاد العرب واختصّ به قوم هم العدنانيّون من أصل يمني فهو منسوب إلى «العدن» الذي هو «الأصل» في العربيّة والسبئيّة، ومن هذا جاء معني الإقامة، ومنه قوله تعالي ﴿جنّات عَدْنٍ يدخلونها﴾، وبهذا سُمّيت حاضرة عَدَن وليس كما ذهب أحد اللبنانيّين الذي بحث في موطن اليهود فزعم أنها بلاد جنوب بلاد العرب، وكان من زعمه أن «عدنْ» في أدبيّات اليهود وفي بعض أسفار العهد القديم هي مدينة عَدَن.

١٤ـ بُقْـلان:

مخلاف وقبيل من حضور بن عديّ (ناحية البستان قديماً)، به محلّ «وقش» الأثري.

وبُقْلان أيضاً موضع في محافظة مأرب[٣].

* أقول: يطلع علينا هنا بناء «فُعْلان» بضمّ الفاء، وهذا قليل في العربيّة في بنـاء المفـرد، وهو يترشّح للمبالغة في الصفات، ومن ذلك: حُمْران وشُقْران، وقد سمّوا بهما ومن

(١) معجم الحجري ومعجم المقحفي.

(٢) معجم البلدان لياقوت.

(٣) معجم المقحفي.

ولئك «حُمْران بن أَعْيَن» ترجم له القفطي في الإنباه[1]، و «شقران» من أسماء العبيد المماليك.

١٥ـ بُكـال:

عُزلة من ناحية الجَبَي وأعمال ريَمْة، نُسب إليها نَوف بن فُضالة البكاليّ التابعيّ المتوفّى سنة ٩٥هـ، من رجال الحديث وإمام أهل دمشق في عصره، ذُكر في الصحيحَين البخاري ومسلم. كما نُسب إليه عُمَر البُكالي الصحابي الذي جُزّت أصابعه يوم اليَرموك، ثم عكف على تدريس الحديث في الشام، وكان أفقه مَن بقي علي وجه الأرض من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[2].

١٦ـ بَيْنُـون:

قال ياقوت: اسم حصن عظيم قربَ صنعاء، يقال: إنّه من بناء سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ، والصحيح أنه من بناء التبابعة..[3].

---

(١) أنباه الرواة ج٣، قال القفطي: إنه متشيع على مذهب جعفر بن محمد. وأود هنا أن أشير أن صفة «حمران» هذا بالتشيع قد ألحقها أو ادّعاها مهدي المخزومي للخليل بن أحمد في رسالته لنيل الماجستير التي أعدها في القاهرة بإشراف الأستاذ مصطفي السقا ـ رحمه الله ـ ونشرها في بغداد منذ أكثر من ربع قرن، ولم يفطن المشرف.
وتفصيل الخبر أن المخزومي رجع إلي إنباه الرواة (الجزء الثالث) في نسخة مخطوطة في دار الكتب برقم ٩٨٠ كما أظن ونقل عن هذه المخطوطة هذه الصفة للخليل. لقد قرأت هذا واستبعدته لأني أعرف أن عامة من ترجم للخليل ذكروا أنه شديد في أهل السنة، فكيف يكون متشيعا على مذهب جعفر بن محمد؟
وأذكر أني في إحدى زياراتي للقاهرة ذهبت إلي دار الكتب المصرية وطلبت المخطوطة لأتحقق فوجدت: أن الناسخ أعطي صفة «حمران» إلي الخليل وهو ينسخ سهواً، لأن الخليل تأتي ترجمته بعد حمران مباشرة، ثم تنبه إلى سهوه فضرب خطأ على ما نسخه ورجع إلى ترجمة الخليل فصحّح.
فانظر أخي القارئ كيف صنع المخزومي الذي أفاد مما هو خطأ ضرب عليه الناسخ خطا لينسب التشيع للخليل؟ وسبب ذلك أن المخزومي شيعي نجفي عراقي. قاتل الله التعصب.
(٢) معجم المقحفي.
(٣) معجم البلدان.

* أقول: ذكرت هذه لأن بناء «فعلون» كثير في أسماء المواضع وأعلام الرجال في اليمن. وكأنّ هذا قد حُمِل إلى أفريقيا والأندلس فشاع هناك في أسماء المواضع.

ولي أن أحمل على هذا «بيْنونة» لموضع بين عُمان والبحرين. قال ياقوت: بينه وبين البحرين ستّون فرسخاً.

١٧- تَبالــة:

قال ياقوت: قيل تَبالة التى جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجّاج: موضع ببلاد اليمن، وأظنّها غير تبالة الحجّاج بن يوسف، فإن تبالة الحجّاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن. وهي ممّا يُضرَب المثل بخِصْبها، قال لبيد:

فالضيف والجار الجنيبُ، كأنّما هَبطا تَبالـة مُخصِبـاً أهضامُهـا

وفيها قيل: أهوَنُ من تَبالة علي الحجّاج، قال أبو اليقظان: كانت تَبالة أوّل عمل وَلِيَه الحجّاج بن يوسف الثقفيّ، فسار إليها فلمّا قرب منها قال للدليل: أين تَبالة وعلي أيٍّ سَمْتٍ هي؟ فقال: ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة، أهون بها ولاية! وكرَّ راجعاً ولم يدخلها، فقيل هذا المثل. وبين تَبالة ومكّة اثنان وخمسون فرسخاً، وبينها وبين الطائف ستة أيام. وقد نُسِب إليها جماعة من الرجال[١].

١٨- تَريــم:

إحدى مدن حضر موت القديمة[٢].

ـ قال ياقوت: إحدى مدينتي حضر موت لأن حضر موت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها شِبام وتَريم، وهما قبيلتان سُمِّيت المدينتان باسميهما، قال الأعشى:

طــال الثَّــراء على تَـريـم، وقد نَـأَتْ بكـرُ بن وائلٍ[٣]

* أقول: وشِبام وتَريم مازالتا معروفتين في اليمن في عصرنا.

ولابد لي من الإشارة إلى أن جمهرة من المواضع من المدن وغيرها تبدأ بالتاء على صيغة الفعل، كما أن طائفة أخرى وردت علي صيغة الفعل المبدوء بياء وسنأتي على ذكرها.

(١) المصدر السابق، وانظر الإكليل ١٥٥/٨ وصفة جزيرة العرب ص٣٣.
(٢) معجم المقحفي.
(٣) معجم البلدان.

١٩ـ تَعِـزّ:

ـ قال ياقوت: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات[١].

ـ قال الأكوع محمد بن على: ظهرت بهذا الاسم علي مسرح التاريخ في أواخر القرن السادس الهجري عندما احتلها توران شاه الأيوبي سنة ٥٦٩، ولم تحدد المصادر التي بين أيدينا موقعها... وأما ما يسمى اليوم بتَعِزّ التي يضمها السور والتي فيها جامع المظفر فكانت تسمي «عدينة»...[٢].

* أقول: ومن المفيد أن أشير إلي بعض المدن والمواضع المبدوءة بالتاء ذات الوجود التاريخي التي لم يبق منها سوي رسوم وأطلال منها «تَعْكَر» كما ضبطها ابن المجاور والواسعي، وهي بضم لدى ياقوت، وهو جبل منيف يقع في أرض ذي الكلاع.

و«تَعود»، وتشير إلى العَوْد، و«تَفيش» قرية في حضر موت (أشار إليها البكريّ في «معجمه» ١٢٧٣/٤) و«تَنعم» قرية في خَولان العالية[٣].

٢٠ـ تِهامـــة:

هي السهوب الممتدة على ساحل البحر الأحمر، سميت بذلك لحرارتها وركود الريح فيها، وتمتد من باب المندب جنوباً إلى جيزان والقنفذة والليث شمالاً، طولها نحو ٥٠٠ كيلو متر وعرضها مابين ٣٠-٤٠ كيلو متراً. وفيها من المدن الجديدة ونجران وعَدَن وزَبيد والمخا والمهجم وحَرَض ولَحج...[٤].

* أقول: وهي تتجاوز حدود اليمن فتكون تهامة الحجاز.

والاسم قديم، ولا يعني أنه أخذ من معني الحرارة وركود الريح، ذلك أن مادة «تهم» سامية وتعني الأرض الخالية، وهي بهذا المعني في الإصحاح الأول من سفر التكوين

---

(١) معجم البلدان.

(٢) اليمن الكبري ص٣٣.

(٣) العقود اللؤلؤية ٢٢٩/١.

(٤) معجم المقحفي.

٢١ـ ثَقْبـان:

بلد ووادٍ شماليّ صنعاء بمسافة ١٣ كيلو متراً. ينسبه الأخباريون إلى ثقبان بن نَوف ذو ثعلبان بن شرحبيل....[١].

* أقول: كنت أشرت إلي أن بناء «فَعْلان» كثير في اليمن، ومثل هذا في النقوش السبئية التي بقي شيء من لغتها في اللغات اليمنية الدارجة التي هي عربية جنوبية.

٢٢ـ جـازان:

بلدة قديمة على ساحل البحر الأحمر من جهة صبيا وأبي عريش، وهي فرضة تلك الجهة وبها معدن الملح. وإلى جازان ينسب وادي جازان النازل من بلاد خولان...[٢].

٢٣ـ جُبّـأ:

مدينة أثرية غربي جبل صَبِر المطل على تَعِزّ، وقد جاء في النقوش القديم باسم (جباو)[٣]. نُسِبَ إليها الملوك الجبائيون، كما خرج منها جمع كثير من الفقهاء والقراء...

٢٤ـ جُبـاح:

قرية في حصن جُعُر من وُصاب العالي. وجُباح أيضاً بلدة في مِلْحان...[٤].

٢٥ـ الجُبْجُب:

إسم مشترك بين عدد من الأماكن، منها بلدة من عُزلة الجبل غربي آنِس بمسافة ميلَين، وبلدة في عَنَس[٥].

٢٦ـ الجَبَـر:

ناحية تابعة لفضاء الشَرَف المربوط بمحافظة حَجّة، ينسبها الأخباريّون إلى الجَبْر بن عبد الله بن قادم بن زيد....[٦].

(١) صفة جزيرة العرب ص٢٨٩.
(٢) معجم المقحفي.
(٣) معجم البلدان، الإكليل ١٩٤/٨.
(٤) معجم المقحفي.
(٥) المصدر السابق.
(٦) تاريخ الواسعي، صفة جزيرة العرب ص ٢٢٣.

٢٧ـ جِبْلـة:

مدينة مشهورة بالجنوب الغربي من إبّ بمسافة ٧كم، وتُسمّي قديماً مدينة النهرين، لأنها كانت بين نهرين كبيرين، ابتناها عبد الله بن محمد الصليحي سنة ٤٥٨هـ وسمّاها (جِبْلة) باسم يهوديّ كان يبيع الفخّار فيها قبل عمّارتها...[١].

٢٨ـ الجِـراف:

قرية جنوبي «روضة حاتم» صارت في عصرنا مع التوسع العمراني جزءاً من صنعاء. والجِراف أيضاً قرية حميرية في بلاد حاشد علي مقربة من خَمَر في شرقيّها، نُسب إليها بنو الجرافيّ أهل صنعاء وإبّ. نُسب إليها جماعة من أهل العلم[٢].

٢٩ـ جَرْبـان:

عُزلة من ناحية وُصاب السافل وأعمال ذِمار. وجَربان أيضاً قرية من بلاد هَمْدان، إلي الشمال من صنعاء بمسافة ١٨ كيلو متراً[٣].

٣٠ـ الجَـنَـد:

بلدة مشهورة بالشمال الشرقي من مدينة تعز سميت بجند بن شهران أحد بطون المعامز وكانت من كبريات حواضر اليمن وأحد أسواق العرب المشهورة في الجاهلية والإسلام، وأوّل مدينة أُسس فيها مسجد على يد معاذ بن جبل الأنصاري، بعثه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في العام الثامن للهجرة، ذكرها الراجز:

كلّفَني حبّي إغناءَ الولَدْ والخوفُ أن يفتقروا إلى أَحَدْ
تنقُّلا من بَلَد إلى بَلَدْ يوماً بصنعاء ويوماً بالجَنَدْ

نُسب إليها كثير من أهل العلم منهم أبو قرة موسي بن طارق الجَنَديّ صاحب المُسنَد، والمؤرخ بهاء الدين الجَنَديّ مؤلف السلوك في طبقات الملوك.

---

(١) الإكليل ٣٦/٨.
(٢) اليمن الكبري ص٧٤.
(٣) صفة جزيرة العرب ص١٢٤.

ـ قال القاضي محمد بن علي الأكوع: بلدة هي اليوم متشعثة لم يبق منها غير جامعها الأثري ومنارته السامقة آية للماضي المشرق[1].

٣١ـ الجّـوف:

مدينة قديمة بالشمال الشرقي من صنعاء فيها مركز محافظة الجوف، وتقوم في واد بين جبلين، وهذا الوادي يحفل بالمواقع الأثرية.

ونُسب إليها جماعات شتي. وأرض الجوف خصبة تزرع فيها الذرة البيضاء والحمراء والشعير والقطن والسمسم وغير هذا[2].

٣٢ـ حَجَّـة:

مدينة كبيرة في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ١٢٧ كيلومتراً، على قمة جبل ارتفاعه ١٩٠٠ متر من سطح البحر. وهي مركز محافظة تتبعها عدّة نواحٍ[3].

٣٣ـ حَـدّة:

قرية في ناحية بني مطر، غربي صنعاء بمسافة قليلة، كثيرة الشجر....[4].

٣٤ـ الحُدَيدة:

أكبر مدن تهامة، يرجع تاريخها إلى القرن الثامن الهجري، وكانت مرفأ للسفن ومركزاً للصيد. وهي على بعد ٢٢٦ كم من صنعاء[5].

٣٥ـ حَراز:

صُقع واسع غربي صنعاء بمسافة ٨١ كم في رأس جبل حراز سُمِّي باسم حَراز بن زبد يرجع إلى حِميَر بن سبأ. وهو يتبع إدارياً محافظة صنعاء...[6].

---

(١) معجم البلدان لياقوت، الإكليل ٧٥/١٠، وهامش صفة جزيرة العرب ص٩٩.
أقول: إن الكثير من حواضر اليمن متصلة برئيس لقبيلة استقر هو وأتباعه فكان منها وطن لهم.
(٢) الإكليل ٦/٨، معجم البكري، معجم البلدان. وانظر المفصّل في تاريخ العرب ٧٤/٢.
(٣) معجم المقحفي.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) معجم البلدان، وطبقات الخواص، واللباب ٣٥٢/١.

٣٦ـ حَضْران:

قرية في الشرق من بلاد آنس، ينسب إليها أحمد بن محمد الحضراني والد الشاعر إبراهيم الحضراني[١]. وذو حضران قرية من عزلة أقيان التابعة لناحية شميام كوكبان.

٣٧ـ حَضْرَمَوت:

مدينة قديمة مازالت معروفة، كانت تُعرف باسم «الأحقاف»، وهي اليوم مركز محافظة نُسب إليها طوال العصور جماعة من أهل العلم[٢].

٣٨ـ حُوث:

بلدة مشهورة في أعلى بلاد حاشد، بها مركز الناحية. وهي مولد اللغوي نشوان بن سعيد الحميري صاحب شمس العلوم والقصيدة النشوائية. ونُسب إليها إبراهيم بن عبد الله الحوثي صاحب كتاف نفحات العنبر.. أنظر معجم المقحفي.

٣٩ـ ذو خَشْران:

قرية في قاع جَهْران من عزلة المدارج، تنسب إلى ذو خَشران بن جهران بن يحصُب، تهدَّم منها مئة منزل في زلزال ديسمبر عام ١٩٨٢، وفيها معدن الفضّة[٣].

* أقول: هذه القرية كغيرها من المواضع تُصدَّر بـ «ذو» وهو طريقة يمينيّة في التسمية في جنوب اليمن. وكأنّ «ذو» هذه غير ما نعرفه من نظيرها في العربية من الأسماء الستة التي لها طريقة معروفة في الإعراب، فهي من تمام الاسم فتلزم الواو.

والاسم خشران بن جهران، وهما من الأسماء اليمنية المختومة بالألف والنون، وهي كثيرة وقد عرفت في النقوش السبئية.

* وأقول أيضاً: إن بناء فعلان يرد علماً للرجال وللقبيلة ويتصل بالموضع أو القرية أو المدينة التي تحفل بتجمع سكاني.

---

(١) معجم المقحفي.
(٢) تاريخ الواسعي ص ٣٧.
(٣) الإكليل ١٩٤/٢.

٤٠ـ خَـوْلان:

هي من القبائل الكبري، وهي ثلاثة أقسام: خولان صنعاء وخولان صعدة، وخولان قضاعة.

وتعرف خولان صنعاء بـ (خولان الطبّال) أو (خَولان العالية) وقديماً (خولان أدد) ومنازلها شرقيّ مدينة صنعاء إلى قرب مأرب.

نسبها الهمداني في الإكليل (الجزء الأول) إلى مالك بن حمير، ثم عاد في الجزء العاشر فنسبها إلي كهلان، وإلى هذا ذهب القلقشندي في نهاية الأرب[١].

* أقول: ويؤيدني فيما ذهبت إليه أعلام المواضع والقري الآتية:[٢]

خَولان كُحلان[٣]: قرية من عزلة عفّار إلى الغرب من حجّة.

وخولان الطويلة: قرية من عزلة بني الخياط من ناحية الطويلة.

وخولان أُخري: عزلة من جبل حبشي في الحجريّة.

وخولان أيضاً: عزلة من المذيخرة ذكرها الجنديّ، ومازالت إلى اليوم.

٤١ـ خَيْـوان:

بلدة مشهورة في حوث إلي الجنوب من حرف سفيان وفي الشمال من صنعاء بمسافة ١٢٢ كيلومتراً. تنسب إلي خيوان بن زيد بن مالك بن جُشَم بن حاشد، ذكرها الهمدانيّ قبل ألف عام وقال: هي من غرر بلد همدان وأكرمه تربةً وأطيبه ثمرة[٤].

٤٢ـ دَبَـر:

قرية خاربة في سنحان بوادي الفروات قرب دار عمرو، نُسبَ إليها القاضي إسحاق بن إبراهيم الدَبَريّ الذي قصده الإمام الشافعي للاستماع منه، وفيه قال:

---

(١) انظر: الإكليل، الجزء الأول والجزء العاشر، وانظر: نهاية الأرب.

(٢) معجم المقحفي.

(٣) أعود إلي «فُعلان» بضم الفاء لأؤكد فائدتها في المبالغة فقد ذكرنا حُمران وشُقران، وكأن المبالغة في دلالة الألوان. وقد وجدت من هذا خَضْران أيضاً.

(٤) صفة جزيرة العرب، ومعجم البلدان.

لابـدّ من صنْعـا وإنْ طال السَّفَر ونقصد القاضي إلي هجرة «دَبَرْ»[1]

* أقول: المصراع الثاني من إجازة الإمام الشافعيّ مشيراً إلي قصده في الذهاب إلى شيخه. وسيأتي الكلام على هذا الرجز عند الكلام علي «صنعاء». و«الهجرة» في قول الشافعي معروفة في اليمن، وهي المستقر الذي يقصده طلاب العلم.

٤٣ـ دَثِينـة:

من الحواضر اليمنيّة القديمة وتقع في الشمال الشرقي من مدينة عَدَن فيما بين البيضاء غربًا وبلاد العوالق شرقاً. أشار إليها حمزة لقمان في كتابه تاريخ القبائل اليمنية وقال: إنها إحدي المناطق المهمة في أيام الممالك اليمنية القديمة التي تعبرها قوافل الجمال، وهي محتملة بمنتوجات بلاد العرب السعيدة وبلدان الخارج[2].

أقول: ورد ذكرها لدي الرحّالة العرب والأجانب.

٤٤ـ دَوْران:

عُزلة من ناحية الحَيْمة الخارجية وأعمال صنعاء وكانت سابقاً تتبع حَراز. ودروان أيضاً قرية في الضواحي الشمالية الشرقية لمدينة حجة كانت تُعرف باسم «أدران» نسبة إلي أبو قبيلة من همدان، وفيها قبر الامام المطهّر بن يحيي المرتضي المتوفي سنة ٦٩٧هـ....[3].

٤٥ـ دَمُّـون:

بلدة خربة بحَضْرَمَوْت في السفح الشرقي لجبل الهَجَرَيْن شرقي تريم، كانت قديماً جزءاً من مدينة المنيظرة، وقد سكنها الملوك من بني الحارث بن معاوية الذين منهم الشاعر الجاهليّ امرؤ القيس، وهو القائل:

تَطاوَلَ الليـلُ علينـا دَمُّـون
دَمُّـون إنّا معشَـر يماخـونْ

(١) تاريخ اليمن الثقافي ٩٧/١.

(٢) تاريخ القبائل اليمنية، وانظر مجلة العرب (عدد مايو ١٩٨٦)، والإكليل ١٨١/٨.

(٣) معجم الحجريّ عن معجم المقحفيّ.
قلت: وناحية الحيْمة داخلية وخارجية تشتمل علي قري عدّة، نسب إليها عدد من أهل العلم. انظر: معالم الآثار ص٣٧.

وإنّنـا لأهلنـا مُحبّـونْ

وقد وهم ياقوت فرَسَمها بالذال المعجمة[1].

٤٦ـ دَهْـران:

حِصن قريب في شكله من المربَّع يسيطر على عزلة يَريس من جنوبها[2].

أقول: ذكر محقق كتاب المفيد في أخبار صنعاء وزبيد[3] في حاشية له: إنّ «دَهْران» تثنية دهر. وليس لي أن أذهب إلى هذا فالألف والنون تكملة عامّة عرفت في اليمن القديمة في النقوش القديمة، ومازال اليمنيّون يستعملون «شمسان ونجمان» ولا يريدون بها التثنية.

٤٧ـ الدَّهْنـاء:

بلدة في ضواحي رَداع من عُزلة العَرْش. و «دَهْنا»: محلّة في قيفة من أرض رَداع[4].

* أقول: وقد بسط البلدانيّون الكلام في الدهناء لأنّها من أعلام المواقع التي لها حضور في الأدب والتاريخ القديم.

٤٨ـ دَوْس:

بطن من الأزد، منهم أبو هريرة الدَّوسي الصحابيّ.

٤٩ـ دَوْسـان:

حصن يُطلّ على مدينة الـمَهْجم[5].

٥٠ـ دَوْهَـن:

هو الوادي الرئيسي في حضرموت، وإليه يُنسَب عمر بن زيد الدوهني الحضرمي، عاش في القرن العاشر الهجري، وله مصنف في التاريخ[6].

---

(١) اليمن الكبري ص ١٦٨، وهامش الإكليل ١٦/٢، ٢١ وانظر معجم البلدان لياقوت.
(٢) معجم المقحفيّ.
(٣) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، حاشية في ص ٨٠.
(٤) هامش صفة جزيرة العرب، وانظر معجم البلدان.
(٥) اليمن الكبري ص ١٦٨.
(٦) معجم المقحفي.

* أقول: قد يكون لي أن أثبت هنا أن «دَوْهان» من الأعلام في العراق لدي نفر ذوي أصول قبائلية يمنيّة معروفة ومنها قبائل الجُبور.

٥١- ذُبْحـان:

عزلة من ناحية الحجريّة (المعافر)[١].

ويري أحمد حسين شرف الدين في كتابه تاريخ اليمن الثقافي أن أصل الكمة (ذَبْحن) وهو مصدر الذبح، وكان القربان الذي يُقدَّم لهياكل الآلهة هو البخور والذبائح، وتقوم النون مقام حرف التعريف في لغة (الـمُسْنَد) مثل: وَثرن أي الوَثر وهو أساس البناء، ومحفدن أي المحفد وغير هذا[٢].

* أقول: ليس لي أن أوافق الأستاذ شرف الدين فيما ذهب إليه: ذلك أنّ الكلمة لو كانت مصدراً هو «الذَّبْح» لكان لنا منها «ذَبحان» بفتح الذال، وهي بهذا تتحوّل إلى الصفة كالذابح. ولكنّي أراها «فُعْلان» بضمّ الفاء إفادة للمبالغة.

ثمّ إنّ زيادة النون في الكلمة السبئيّة لا تعني قطعًا أنّها للتعريف فقد وجدت النون في كلمات تشعرنا أنها علامة للاسميّة كالتنوين في العربيّة وكزيادة الميم في اللغة الأكّديّة.

وقد خُتمت ألفاظ في أعلام المواقع والحواضر والقري والعُزَل في اليمن بالألف والنون دون أن تبدّل بفتحة فاء الكلمة ضمّةً مثل ذَرْحان وذَعْفان وذَهْبان وضَمران وذَوْدان، ورَحْبان، ورَدْفان، ورَدْمان وغيرها.

وأمّا ذُمْران من قري بلاد يَريم يُنسَب إليها بنو ذُمْران[٣] فهي جمع كأنّ المفرد أذمَر نحو: السُودان والحُمْران والخُلْصان وغيرها.

* أقول: إنّ المواقع في اليمن علي ما يكون منها ذا أصول سبئية تشهد بها النقوش، فقد أخذت من العربية التي عمّت بلاد العرب القديمة الكثير من مادتها اللغوية.

ولي أن أذهب إلى أن «ذُؤال» من أودية زَبيد[٤] لابد أن تشعرنا أن الوادي كان مسرحاً

(١) معجم المقحفي.
(٢) تاريخ اليمن الثقافي ١٠٣/١.
(٣) معجم المقحفي.
(٤) بغية المستفيد ص١٧، والمفيد ص ٦٦.

للذئاب، ومن هذا جاء في العربية «ذُؤالة» من أسماء الذئب، «والذَّألان» مشي الذئب. وقد حضر «الذئب» في أسماء عدة مواقع في اليمن منها بنو ذويب، وذياب، وبنو الذيب، وذبيان[1]. كما صدّرت مواقع بـ «ذي» نحو: ذي بين، وذي حازب، وذي سُفال، وذي سعد، وذي الماء، وذي مَرْمر[2].

* أقول: و«ذي» هذه في صدور هذه الكلم ترجع إلى «ذو» القديمة في أسماء ملوكهم وآلهتهم، ومن ذلك ذو جَدَن. ومن هذا «ذو رائح» بطن من حمير يُنسَب إلى ذو رائح بن يمون وتنتهي سلسلة النسب بحمير بن سبأ[3].

٥٢- رَداع:

مدينة كبيرة شرقي ذَمار[4] بمسافة ٥٣ كيلو متراً. ورد ذكرها في النقوش، وسكنها التُّبَّع شَمَّر يُرعش[5].

٥٣- ذو رُعَين:

عزلة من ناحية يَريم وأعمال إبّ، نسبها أهل الأخبار إلي القيل ذو رُعْين واسمه يَريم بن زيد وينتهي نسبه إلى حِمْيَر[6].

٥٤- رَيْدان:

حصن مشهور جنوبي مدينة يريم بمسافة ١٧ كيلو متراً[7].

* أقول: وقد ورد في النقوش القديمة «ذو رَيْدان».

---

(١) انظر معجم المقحفي.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ اليمن الثقافي ٨٤/١.

(٤) ذَمار مدينة كبيرة جنوبي صنعاء بمسافة ٩٩ كيلو متراً، مركز محافظة. أشار الأستاذ أحمد حسين شرف الدين إلى أنها سُمّيت باسم ذَمار على يهبر ملك سبأ وذو رَيْدان (١٥-٣٥م) والنقوش تشير الي هذا (معجم المقحفي).

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق.

٥٥- زَيـــار:

قرية من خَوْلان بالقرب من جَحانة، إليها ينسب بنو زَبارة من ولد الأمير المعروف بـ «زَبارة» من رجال القرن العاشر للهجرة[١].

٥٦- زَبيـد:

وادٍ مشهور في تِهامة ثمّ البحر الأحمر ومصدره جبال العُدَين وأودية بَعدان وغيرها.

وقد أُطلق اسم الوادي على مدينة زبيد الواقعة في منتصفه. يقال إنّ الذي اختّطها محمّد بن زياد مؤسّس أسرة بني زياد في القرن التاسع الهجري، في حين يري القاضي محمد بن علي الأكوع أنها قديمة ذكرها الجاهليون، واتخذها بنو أيوب عاصمة لهم في القرن الثاني عشر الميلادي. وممّن نُسب إليها عبد الرحمن الديبع صاحب بغية المستفيد....[٢].

٥٧- زُبَيـد:

بلدة قيل فيها في عَنْس جنوبي ذَمار، وهي أيضاً حيّ من مَذْحج مْن ولد زُبَيد.. ومنهم عمرو بن معدي كرب[٣] الزُبَيدي الشاعر، ومحمّد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزُبيدي الأندلسي الأنتبيلي صاحب مختصر العين، وقد طُبع شيء منه[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ الواسعي ص ٣٤، واليمن الكبري ص ١٧٠، ومعجم ما استعجم ص ٦٩٤.

(٣) كأني أري أن يكون الرسم «معد يكرب» وتأويل هذا أن «معدّ» هو في اليمنية القديمة يعني العبد العامل وإن خلا المعجم السبئي منه، ذلك أن المعجم اشتمل علي الألفاظ التي وقف عليها أصحاب المعجم الأوربيون ومعهم محمود الغول في النقوش السبئية، ولم يوثقوها بما يكون من نظائرها في العربية. و«مَعَدّ» بهذا المعني رأيته كما بدا لي في العربية، فهو حيّ من العرب، مذكّر، ولكنّ شاهد سيبويه يشير إلي ما ذهبت وهو:

ولسْنا إذا عُـدَّ الحَصَي بأقَلّـه ... وإنّ مَعَـدٌّ اليـوم مُؤذٍ ذليلُهـا

ويدلنا على هذا المعني المثل المشهور «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»، والمعيدي مصغر معدي المنسوب إلى معد إرادة التحقير لأنه يعمل ويفلح الأرض. ومن المعلوم أن العامل في الأرض أي الفلاح لم يكن من العرب الذين كرهوا المهن، فاختص بها العبيد. وأعود إلى العلم «معد يكرب» الذي يدلّ على رجل «يكرب الأرض» أي يجهد فيها فيفلحها. ومادة «كرب» وردت في النقوش السبئية وهو فعل يفيد القيام بعمل شاقّ قد يكره عليه صاحبه. ثم إن الوصف بالفعل في أعلام اليمنيين الأوائل معروف، ومنه «شمرّ يرعش» وغير هذا كثير.

(٤) معجم المقحفي.

٥٨ـ زُقَـر:

جاء في معجم المقحفي للبلدان والقبائل اليمنية: إن زُقَر جبل في البحر الأحمر بالقرب من ساحل زبيد[١].

* أقول: وهذا «الجبل» الذي في البحر الأحمر كما تفيد عبارة المعجم جزيرة يمنية صغيرة مع الجزيرة الكبري التي احتلتها أرتريا وهي «حُنَيش الكبري» في أول شهر ديسمبر من سنة ١٩٩٥.

ولفظ «حُنَيش» علي التصغير مصغر حَنَش بمعنى الأفعَى. و«حَنَش» من أعلام العرب في كلّ مكان، ومازال معروفاً في طرائق التسمية.

وبنو حَنَش في اليمن من بيوت العلم، ومنهم الوزير العلامة حسن بن علي بن حسن حَنَش المتوفى سنة ١٢٢٥هـ. ونسبتهم إلى السلطان حنش من بني شهاب الأكبر الذي تفيد سلسلة نسبه فيرجع إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٢].

٥٩ـ السَّبيـع:

قبيلة من حاشد من ولد السبيع بن السبيع بن صَعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جُشَم بن حاشد. وهم من القبائل التي نزلت في الكوفة في أول عهود الفتح الإسلامية، نسبت اليهم (خطة السبيع) بالكوفة مع خطط أخري يمنية بالكوفة، أشار اليها أبو الطيب حيث قال:

أَمُنْسِيٌّ «السَّكونَ» و«حَضْرَموتـا» و(والدتي) و(كِنْدةَ) و(السبَّبيعا)

أراد بقوله: «والدتي» خُطّة آبائه الجعفيّين من سعد العشيرة من مذحج اليمانيّة[٣].

٦٠ـ ذو سَحْـر:

قرية في عزلة وادي الحار من بلاد عَنْس.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نيل الوطر ص ٣٤٨.

(٣) معجم الحجري عن المقحفي. وفي نزهة النظر: بنو السبيعي في بلدة الشقيق علي ساحل البحر الأحمر بين جازان والقحمة..

وذو سَحْر: بلدة في وادي الأجيار من بلاد سخان: تعرف اليوم بـ (جوزة سحر) أرض خصبة ذات زرع وكَرْم[1].

* أقول: وذو سحر من ملوك حميَر الثامنة..[2]. و«ذو سحر» تسمية صدرها «ذو» تضاف إلي غيرها فكانت للآلهة وعظام الرجال من الملوك والأمراء.

٦١- السَّحول:

قاع معروف ما بين مدينة إبّ وحتى قفر يريم شمالاً ينسب إلى السحول بن سوادة... بن جُشم بن عبد شمس. والمعاصرون ينكرون هذه النسبة فيقولون: سحول بن ناجي بن أسعد التباعي الحميري[3].

* أقول: وقد ورد «السحول» في عدة قصائد من الشعر الجاهلي ومنها قول طَرَفَة:

وبالسَّفح آيات كأنّ رسومَهـا يَمـانٍ وَشَتّـه رَيْـدةٌ وسَحـولُ

و«رَيْدة»: هي اسم لعدّة بلدان يمنية. انظر اليمن الكبري ص٨١، ١٧٠.

٦٢- السِّرّ:

وادٍ مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ كيلو متراً. نُسب إلى «السرّ» جماعة من أهل العلم[4].

٦٣- السَّرْو:

وهو الاسم القديم لمنطقة هي سَرْو مذحج التي تُدعَى البيضاء، وسَرْو حمير، وهي اليوم يافِع وما جاورها من الأجعُود، وقد ورد ذكرها في شعر الأعشي:

فنَجْرانُ فالسَّرْوُ من حِمْيَرٍ فأيُّ امرئ مالـه لـم يـرمْ

وقال حسان بن ثابت:

ونحنُ جَلَبْنا الخَيلَ من سَرْوِ حميـر إلى جاسـمٍ بالمخْنـقـات السناجِـرِ[5]

(١) اليمن الكبري ص١٦٩.
(٢) معجم الحجري.
(٣) معجم المقحفي.
(٤) الإكليل ١٠/١٨١.
(٥) الإكليل ٢/١٩٢.

٦٤ـ سُقَطْرَى:

جزيـرة في المحيط الهنـدي شرقي عـدن، احتلها البرتغاليـون (١٥٠٧ـ ١٥١١م) وكانت مـأوى «قراصنة» البحـر. ثم احتلها الإنكليز سنة ١٨٧٦ واتخذوها قاعـدة أسطولهم[١].

٦٥ـ سَيْئُون:

المديرية الشمالية في المحافظة الخامسة من جنوب اليمن، وهي من مدن حضر موت القديمة، وكانت قبل استقلال جنوب اليمن عاصمة للدولة الكثيرية. وهي على سفح جبل سيئون. وقد اشتهرت هجرة لطلاب العلم. لم يذكرها الهمداني ولا ياقوت[٢].

* أقول: وفي اليمن جملة مواضع تختم بالواو والنون ومن هذه بَيْنُون ودَمّون.

٦٦ـ شاكِر:

من قبائل همدان ثم من بكيل من ولد شاكر بن نهم.. بن دَوْمان بن يكيل...

وبلاد شاكر ما بين مأرب ونجران، وشاكر بلدة في أَرْحَب.

وبنو شاكر في صنعاء والأهنوم منهم جماعة من أهل العلم[٣].

٦٧ـ شاوَر:

وبلاد شاور [وهي بطن من حاشد الهمدانية] في كحلان من نواحي حَجّة، انتَسَبوا إليها جماعة من أهل طوال العصور[٤].

٦٨ـ شِبـام:

اسم مشترك بين أربعة مدن في اليمن وهي: شبام كوكبان، وشبام حضر موت، وشبام الغِراس، وشبام حَراز[٥].

---

(١) الموسوعة الميسرة.

(٢) معجم المقحفي.

(٣) معجم الحجري عن المقحفي.

(٤) الإكليل ٢/٨٥.

(٥) معجم الحجري، وانظر: شمس العلوم ص ٥٣.

٦٩ـ شَبْـوة:

منطقة أثرية فيما بين مأرب وحضر موت، وكانت قديماً عاصمة لدولة حضر موت. ومن المدن السبئية التي عرفت بشهرة تجاريّة..[١].

٧٠ـ الشَّجْـر:

مدينة وناحية في حضرموت، تُطلّ على البحر الهندي، وقد عُرفت في المصادر التاريخية[٢].

٧١ـ الشَّرَف:

اسم مشترك بين جملة بلدان في اليمن أشهرها شَرَف حجور، وهو جبل واسع في الشمال الغربي من حَجّة. وينسب إلي هذا «الشرف» بنو الشرفيّ....[٣].

٧٢ـ شَعُـوب:

ضاحية صنعاء الشمالية، وقد دخلت في عصرنا مع التوسع العمراني في صنعاء، سُمِّيت باسم شعوب بن جشم بن عبد شمس. وكان بها قصر حميريّ ورد في شعر عمر بن أبي ربيعة في قوله:

لعمرك ما جاوَرتُ غُمدانَ طائعاً وقصرَ شَعوبِ أن أكون بها صبّا[٤]

٧٣ـ شَمْسان:

جبل مشهور في الشمال الغربي من مدينة عَدَن. وشمسان علم لقرية في ناحية الرُجُم وغير هذا[٥].

* أقـول: وشمسان من أعـلام اليمنيين في عصرنـا: وهـو «فعْـلان» وليس مُثَنّى شمس.

---

(١) معجم الحجري، هامش صفة جزيرة العرب ص١٧١، وذكرها جواد علي في المفصل ١٤٧/٢.
(٢) اليمن الكبري، ص١٧٣.
(٣) هامش الإكليل ٨٦/١٠، والمفيد ص ١٤٨.
(٤) معجم البلدان لياقوت، هامش الإكليل ١٧٤/٨، صفة جزيرة العرب ص١٥٦.
(٥) معجم الحجري.

٧٤ـ شُهارة:

جبل مشهور في بلاد الأهنوم شمالي بحجة، من معاقل اليمن. احتله الترك العثمانيون سنة ٩٩٥هـ. نسب إليه عدد كبير من الأعلام، ومن هؤلاء الشاعرة زينب بنت محمد الشهاري المتوفاة سنة ١١١٤هـ، ترجم لها الزركلي في الأعلام[١].

٧٥ـ شَوْكان:

بلدة في بني سحام من خولان العالية، ينسب إليها بنو الشوكاني، منهم القاضي محمد بن علي الشوكاني شيخ الإسلام صاحب البدر الطالع وفتح القدير ووفاته سنة ١٢٥٠هـ[٢].

٧٦ـ صِرْواح:

اسم مشترك بين ثلاثة أمكنة في اليمن أهمها صرواح خولان العالية: وهي مدينة أثرية شرقي صنعاء بمسافة ١٢٠ كيلو متراً. قال أحمد حسين شرف الدين: إنها عاصمة السبئيين قبل مأرب..[٣].

٧٧ـ صَعْدة:

مدينة مشهورة تاريخية إلى الشمال من صنعاء بمسافة ٢٤٣ كيلو متراً، كان اسمها القديم «جُماع» ذكرها الهمداني في الإكليل[٤].

٧٨ـ صنعاء:

عاصمة اليمن وأكبر مدنها وأقدمها تاريخا ولهذا تسمي مدينة «سام» وصلاً بما يقال إنّ سام بن نوح هو أول من اختطّها. وقد رأيت أنها سميت «أزال». وذكر أهل الدرس الآثاري أنها كانت أحد مراكز السبئيين، ولكنها لم تكن عاصمة لهم إلا منذ القرن الخامس للميلاد.

وقد ورد في النقوش اسم صنعاء كما ورد صنعَن.

وهي في وادٍ فسيح تحيط به الجبال العالية. فمن جهة الشرق تتصل بجبل نُقُم، ومن

---

(١) انظر: مصادر الفكر الإسلامي، والأعلام للزركلي.

(٢) البدر الطالع ٣٣٨/٢.

(٣) تاريخ اليمن الثقافي ١٦/٢، ٧٨، ٧٩، وهامش الإكليل ٢١٢/١.

(٤) اليمن الكبري ص١٧٧، وانظر معجم البلدان.

لغرب تتصل بجبل عبيان، وفيها من المعالم الأثرية قصر غمدان الذي يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادي وكذا الجامع الكبير، ومسجد مُسلَك بن فروة، ومسجد وهب بن منبه[1].

* أقول: ليس لنا إلا أن نطمئن إلى النقوش وقراءتها، فكثيراً ما عَدَلَ أصحاب تلك النقوش عن قراءاتهم الأولي كما وقع هذا لأكثر من نقش في قراءة الألمان الأوائل. وهذا قد يكون شيء منه فيما ذهب إليه الأستاذ أحمد حسين شرف الدين من أن «صنعَن» في النقوش هي الصانع، والنون للتعريف.

* أقول: إنّ شرف الدين أفاد أنّ في اليمنيين في عصرنا مَن لايزال يستعمل «صنعَن» ويريد بها «صنعاء». ثمّ إن النون في «صنعن» وغيرها من الألفاظ القديمة اليمنية هى الألف والنون في الأسماء اليمنية، والألف فتحة ممطولة، لأننا لا نعرف لغة سامية ختمت بأداة التعريف إلا ما قيل في الألف التى ختمت بها الألفاظ الآرامية التي تومئ علي رأى الدارسين إلى معنى التعريف،ثم فقدت هذه الألف وظيفتها وبقيت رسماً لازماً[2].

٧٩- صِنْهاجـة:

قبيلة حميرية لها بقية في وادي حضرموت، وكانت تعرف بـ «شناهز».

وفي تاريخ مصر لابن الحكم أنّ غالبية قبائل صنهاجة هاجرت استجابة لنداء أبي بكر الصديق لفتح الشام مع قبائل يمنية أخري ومنها يافع والمعافر. ثمّ دخلت صنهاجة مصر في جيش الزبير بن العوام، ثم اشتركت في فتح (برقة) بقيادة معاوية بن حديج الكندي

(١) معجم البلدان، مجلة الإكليل عدد (٢) وهو عدد خاص بصنعاء، دائرة المعارف الإسلامية ص٣٤٤، صفة جزيرة العرب ص ١٠٣، اليمن الكبري ص ١٧٨، المفصل في تاريخ العرب ٥٣١/٣.

(٢) ومن فوائد ياقوت في معجم البلدان ما أتي به من شعر في مدح صنعاء ومنه قول أبي محمّد اليزيديّ:

قلت ونفسي جمٌّ تأوُّهـها ... تصبو إلي أهلهـا وأندَهُهـا
سقيًا لصنعاء لا أرى بَلَـداً ... أوطَنَـه الموطنـون يشبههـا

كما ذكر مقطوعة أخرى لزياد بن منقذ وقد نزل صنعاء فاستوبأها فقال:

لا حبّذا يا صنعاءُ من بـلَدٍ ... لا شعوبِ هؤي منّي ولا نُقُم
وحبّذا حين تمسي الريح باردة ... وادي أُشَيّ وقيعاف به هضـم

وياقوت في «معجمه» صاحب منهج وأديب ناقد.

لحضرمي، ثم تونس بقيادة حسن بن النعمان الغساني... أما فروع صنهاجة الحميرية التي استقرت في إفريقية فقد اندمجت بـ «زناتة» والمصامدة البربر حتى ظن أن صنهاجة قبيلة بربرية[١].

٨٠ـ الضالِع:

مدينة كبيرة في جنوب اليمن على بعد ٩٦ ميلاً من عَدَن[٢].

٨١ـ ظَفـار:

اسم مشترك بين جملة بلدان يمنية أشهرها ظفار حمير، جنوب يَريم بمسافة ١٧ كيلو متراً. وهي عاصمة حمير بعد مأرب: يقال لها «ظفار الملك»[٣].

٨٢ـ عَـدَن:

مدينة كبيرة جنوبي تهامة عند مضيق باب المندب، نسبها الأخباريّون إلى عدن بن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان.

ـ وقال الواسعي في تاريخه إنها سميت برجل عَدَنَ فيها أي أقام[٤].

* أقول: أخذ الواسعي هذا المعني من العربية، والذي أراه أن اسم «المدينة» أعطي العرب معني الإقامة فعرف في أدبهم، وبهذا ورد قوله تعالى ﴿جنات عَدْنٍ يدخلونها﴾.

٨٣ـ العُدَيْن:

مدينة في الغرب من إِبّ بمسافة ٣٠ كيلو متراً تتبعها نواح وقرى[٥].

٨٤ـ عسيـر:

منطقة كبيرة إلي الشمال من صعدة، ومن أشهر مدنها: ظَهران وجيّزان....[٦].

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ٤٩٧/٣ عن معجم المقحفي.

(٢) هامش صفة جزيرة العرب ص ١٢٧.

(٣) معجم المقحفي. وقد جاء فيه: ظفار الحبوظي وظفار آنس وظفار داود. وقد ذكر ظفار ياقوت في «معجمه» وغيره. وقد ذكر اللغويون الأوائل أن ظفار مدينة حميرية فقالوا: مَن دخل ظفار فقد حمِّر.

(٤) اليمن الكبرى ص١٨٠، صفة جزيرة العرب ص٩٤.

(٥) اليمن الكبرى ٤٤.

(٦) معجم الحجري عن المقحفي.

٨٥ـ عَمْـران:

مدينة كبيرة شمال صنعاء ضبطها ياقوت بضم العين ذاهباً إلى أنها أُخذت من المصدر. وهي «عَمران» بفتح العين على شاكلة كثير من المدن التي وردت على «فَعلان». غير أننا نقف على «عُمران» بضم العين في «الجُرف» وهي مدينة خربة[١].

٨٦ـ عَنْـس:

ناحية واسعة غربي ذَمار، نُسب إليها طائفة من أهل الفضل والعلم[٢].

٨٧ـ الغَيْـل:

قرية خربة في صعدة وأخري في نِهْم، وبلاد غَيل: جبال في الحويت، وبنو الغيل من أهل صنعاء، وغَيل بادزير من أودية حضرموت غربي الشحر نُسب إليها بنو باوزير[٣].

٨٨ـ ذو غَيَـلان:

من قبائل بكيل، وغيلان جبل غربي صعدة[٤].

٨٩ـ كُحْـلان:

اسم مشترك بين عدد من المناطق في اليمن: كُحْلان تاج الدين، وكُحْلان الشَّرَف، وكُحْلان حَضُور[٥].

* أقول: وهذا يؤيد ما ذهبت إليه في بناء «فُعلان» الخاص بالألوان.

٩٠ـ الكَـلاع:

لما يُسَمَّي اليوم «العُدَيْن»، والكلاع: قبيل من حمير، منه ذو الكلاع يزيد بن يعفر. وإلى هؤلاء نسب محمّد بن الحسن الكلاعيّ المتوفي سنة ٤٠٤ صاحب القصيدة الرائية في أنساب حمير ومفاخرها وأيّامها وملوكها وأقيالها...[٦].

(١) صفة جزيرة العرب ص١٥٩، اليمن الكبري ٨١، ١٨٤.
(٢) معجم المقحفي.
(٣) اليمن الكبري ص ٦١.
(٤) معجم الحجري.
(٥) صفة جزيرة العرب ص ٢٠١، وانظر معجم البلدان.
(٦) اليمن الكبرى ص ١٩٠.

٩١- كَمَـران:

جزيرة في البحر الأحمر إلى الشمال من الحديدة..[١].

٩٢- الكُمَيْـم:

مخلاف مشهور من أعمال ناحية الحدا جنوبي صنعاء. إليه ينسب بنو الكُمَيْم أهل صنعاء وذَمار، ويشمل القرى: قَهْلان والجهارنة والزيلة... وفيها آثار سبئية. والكُمَيْم قرية في خولان العالية من مخلاف اليمانية العليا..[٢].

٩٣- كِنْـدة:

قبيلة من ولد كندة بن عُفير بن عَديّ بن الحارث... بن زيد بن كهلان، وهي قبيلة مشهورة ذات بطون وأفخاذ أشهرها: السكاسِك والسُّكون، وتُجيب.. قال أحمد حسين شرف الدين: هي إحدي القباذل السبئيّة التي هاجرت إلى حضرموت خلال الحملات التي وجهها ملوك سبأ وريدان. وردت في النقوش التي عثر عليها في مأرب[٣].

٩٤- كهلان:

بطن من سبأ، يُنسب إلي كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.. وكهلان قرية من أعمال مأرب[٤]. ومن أشهر قبائل كهلان: الأزد وهمدان ومذحج وطيء والأشعر ولخم وجذام وكندة وخولان.

٩٥- كَوْكَبـان:

حصن ومعقل شهير يُطلّ من الشمال الشرقي علي مدينة شِبام الأثرية. قيل سُمّي

---

(١) تاريخ الجزر اليمنية ص٧.

(٢) معجم المقحفي.

(٣) تاريخ اليمن الثقافي ٧٠/١، وجاء فيه: إنّ قبيلة كندة قد تمكنت حوالي القرن الأول للميلاد من تأسيس مملكة دمون التي قال فيها امرؤ القيس:

كأني لم أركب بدَمّـون مَـرّةً ولم أشهد الغارات يوماً بعَنْدَلَلِ

ومن بطون كندة خارج اليمن «تجيب» وأصلها في حضرموت، ومن رجالها رملة بن عمرو التجيبيّ صاحب الشافعي توفيّ ٢٤٦هـ، روي عنه مسلم.

(٤) معجم الحجري عن المقحفي.

«كَوْكَبان» لأنه كان به قصران فيهما نقوش بالأحجار الكريمة. غير أنّ الهمداني ذهب إلى أنّ الحصن باسم كوكبان بن ذي سَفال وذكر آخرون غير هذا. وقال الدكتور حسين العُمْريّ: إنّ كوكبان مركز نفوذ آل عبد القادر من أحفاد شرف الدين، وكان هذا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريّين[١].

٩٦- لَخْم:

بطن عظيم ينتسب إلي لخم واسمه مالك بن عَديّ... بن زيد بن كهلان بن سبَأ. منهم المناذرة في الحيرة في العراق، وبنو عبّاد ملوك أشبيلية بالأندلس، ومنهم بطون أخرى في مصر[٢].

٩٧- مَأْرِب:

من أقدم المدن اليمنية، وهي تبعدعن صنعاء لمسافة ١٩٢ كيلو متراً شرقاً، عاصمة السبئيين في القرن الثامن قبل الميلاد، كانت على طريق التجارة بين الهند والصين وفارس إلي الغرب. وفيها السدّ المشهور. ومأرب في عصرنا مركز مهمّ للبترول[٣].

٩٨- المَخا:

مدينة مشهورة علي البحر الأحمر غربيّ مدينة تَعِزّ بمسافة ٩٤ كيلو متراً. ذُكرت في النقوش باسم (موزا). والمَخا: بلدة بحضرموت حكاها الهمداني في صفة جزيرة العرب[٤].

٩٩- المَدان:

مدينة في جبل الأهنوم مركز ناحية شهارة في محافظة حَجّة نُسب إليها جماعة من أهل العلم. وبنو عبد المدان من قبائل بني الحدث بن كعب في نجران[٥].

---

(١) الإكليل ١٠٢/٢، تاريخ اليمن الثقافي ٥٨/١.
(٢) معجم الحجري عن المقحفي.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ الواسعي ص ٣٥.
(٥) البدر الطالع ص ٣٣٦.

١٠٠ـ المَقالـح:

قرية من ناحية الشِّعر وأعمال النادرة في الغرب ومنهم الأديب الشاعر عبد العزيز بن صالح المقالح مدير جامعة صنعاء[١].

١٠١ـ يافـع:

بلدة في الشمال الشرقي من عَدَن، وهي منطقة غنيّة بالآثار، نُسبت إلي يافع بن قاول.. بن زيد بن يريم ذو رُعَين الأكبر. نُسب إليها جماعة من أهل العلم[٢].

١٠٢ـ يثْـرب:

* أقول: وجدت هذا في الشاهد اللغوي القديم وهو قول الأشجعيّ[٣]:

وَعَـدْتَ وكانَ الخُلف منك سجيةً مواعيـدُ عُـرقـوب أخـاد بيثْـرب

جاء هذا في مجمع الأمثال ولسان العرب وكتب النحو القديمة.

وقيل في المثل: ويُروَى «بيثْرِب» وأمّا مَن أثبت «يثْرب» بالتاء المثنّاة فقال: إنها موضع باليمامة.

ولابد من العودة إلي اليمامة التي قيل فيها إنها ما بين عُمّان إلى الشِّحْر إلى حَضْرَموت إلى عَدَن أبين، وعلى هذا فأهل اليمامة من اليمن، واليمامة من اليَمَن.

وأنا أميل إلى «يثْرب» في رواية البيت لأن في البيت دلالة لغويّة تاريخيّة لم يفطن لها ناشرو المصادر النحوية ومنهم الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ رحمه الله ـ، وهي وجود «أخاه» بالألف والألف تلزم الأسماء الستة لدي أهل اليمن وهذا معروف في جملة من شواهدهم.

ثمّ إنّ دلالة المثل تشير إلى البعد بكون الموضع في إحدى هذه الجهات البعيدة، وإن كانت حكاية المثل كما بسطها الميدانيّ تومئ إلى الصنعة، وإنّي لأذهب إلى هذا مفيداً من قول زهير:

---

(١) معجم المقحفي.

(٢) معجم الحجري.

(٣) لسان العرب، ومجمع الأمثال، وانظر المصادر النحوية.

كانت مواعيـد عُرقـوبٍ لهم مثلاً ومـا مواعيـدُه إلا الأبـاطيـلُ

١٠٣- يُحابِر:

هو الاسم القديم لقبيلة مراد[١].

١٠٤- يُحْبُر بن أخرم:

بطن من بكيل، من همدان[٢].

* أقول: ولابد من الإشارة إلي وضع بناء الفعل (يفُعَل) في أعلام المواقع والحواضر والقبائل في اليمن. وقد يكون لي أن أذهب إلى أنّ وجود هذا في خارج اليمن كان بسبب تاريخيّ يتصل باليمن. ومن هذا الاسم القديم للمدينة المنوّرة هو «يثرِب»، وهذا يرجع إلى أن أهل يثرب الذين مصّروها وسكنوها هم الأوس والخزوج وهما قبيلتان يمنيّتان قحطانيّتان. ومثل هذا مدينة «ينبُع» من موانى السعودية.

١٠٥- يُحصِبْ:

قال ياقوت: مخلاف فيه قصر ريدان[٣].

ويحصب: قبيلة من حمير تنتسب إلي يحصِب بن مالك.. بن حِميَر بن سبأ[٤].

ومن هذه الأسماء التي هي أفعال ذهب فيها إلى الصفات الدائمة:

يَحْمَد (قبيلة من الأزد)[٥]، ويَحير وهي عُزلة من خُبان رُعَين[٦]، ويَخْتُل وهي عزلة شماليّ الـمَخا[٧]، وذو يَدوم من قرى خَولان[٨]، ويَريم وهي مدينة جنوبي ذمار[٩]، ويشكُر:

---

(١) الإكليل ١٧٦/٨.
(٢) قبائل العرب ١٢٦٠/٣.
(٣) معجم البلدان.
(٤) هامش الإكليل ١٩٣/٢.
(٥) معجم المقحفي.
(٦) هامش صفة جزيرة العرب، ص٩٣.
(٧) اليمن الكبري، ص ٢٧.
(٨) معجم الحجري.
(٩) الإكليل ١٩/٢.

قبيلة من بكر بن وائل[1]، وبنو يعفر وهي عزلة من ناحية رَيْمة[2]، ويَعْمون موضع ذكره ياقوت[3]، ويُكالم من قبائل ذي الكلاع في العُدَين[4]، ويَفُوز اسم مشترك لعدد من الحصون[5]، ويَعوق وهو صَنَم لهمدان وخولان قيل إنه كان في خَيْوان[6].

١٠٦ـ اليَمَـن:

قال ياقوت: قال الشرقي: إنما سُمِّيت اليمن لتيامنهم إليها. وقال ابن عبّاس: تفرَّقت العرب فمن تيامن منهم سُمِّيت اليمن.

غير أن لياقوت رأياً ذهب فيه إلي غير هذا فقال: قُلتُ قولهم «تيامَن الناس فسُمّوا اليمن» فيه نظر لأنّ الكعبة مربعّة فلا يمين لها ولا يسار، فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يسار آخرين، وكذلك الجهات الأربع إلا أن يريد بذلك مَن يستقبل الركن اليماني[7].

أقول: وقد أخطأ المستشرقون أصحاب المعجم السبئي ومعهم محمود الغول ـ رحمه الله ـ في أنهم أدرجوا مادة «يَمَن» والأصل الذي كان ينبغي أن يكون هذا في مادة «منن» التي تعني الفائدة والنماء[8].

ولي أن أختم هذه الطائفة فأشير إلى أنّ في معجم البلدان مواد كثيرة ينسبها أهل العلم إلى اليمن لم يفد منها إخواننا في اليمن أصحاب الدرس التاريخي والآثاري.

---

(١) معجم المقحفي.
(٢) العقود اللؤلؤية ٢٣٩/١.
(٣) معجم البلدان. أقول: وبناء يفعول غير بعيد عن بناء الفعل، وقد جاء علي هذا الكثير من الأعلام للمواقع وغيرها. انظر كتاب يفعول للصغاني، تحقيق إبراهيم السامرائي.
(٤) قبائل العرب ١٢٦٨/٣.
(٥) اليمن الكبري ص١٩٨.
(٦) معجم البلدان.
(٧) معجم البلدان.
(٨) المعجم السبئيّ.

مصادر البحث

الأكوع، محمد بن على: اليمن الخضراء. مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧١ .

الجعدي، ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد. مطبعة السُّنّة المحمدية، القاهرة ١٩٥٧ .

الجَنَديّ، بهاء الدين: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد الأكوع، منشورات وزارة الثقافة، صنعاء ١٩٨٣ .

جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٠ .

الحبشي، عبد الله: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨١ .

الحجري، محمد أحمد: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع، منشورات وزارة الثقافة، صنعاء ١٩٨٤ .

الحمويّ، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٧٧ .

الخزرجي، علي بن الحسين: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدول الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٣ .

الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٩ .

شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني، القاهرة ١٩٦٧ .

الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع، تحقيق محمد بن محمد زبارة، القاهرة ١٣٤٨هـ.

القفطي، علي بن يوسف: إنباه الرواة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠-١٩٧٠ .

كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٧٨ .

لقمان، حمزة علي: تاريخ القبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥ .

المقحفي، إبراهيم أحمد: معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء ١٩٨٨ .

الهمداني، محمد الحسن: الإكليل ج١ تحقيق الأكوع، بغداد ١٩٧٧ .

الإكليل ج٢ تحقيق الأكوع، القاهرة ١٩٦٦.

الإكليل ج٨ تحقيق نبيه فارس، صنعاء ١٩٧٩.

الإكليل ج١٠ تحقيق محيي الدين الخطيب، القاهرة ١٣٦٨هـ.

صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، الرياض ١٩٧٤.

الواسعي، عبد الواسع بن يحيي: تاريخ اليمن (فرجة الهموم...). القاهرة، ١٣٤٦هـ.

اليمني، عمارة: المفيد في أخبار صنعاء وزبير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة ١٩٧٦.

طائفة من «الأعلام الجغرافيّة» في العراق

لقد اخترت من الأعلام الجغرافية في العراق طائفة ذات فائدة لغوية وتاريخية، وقد استبعدت منها الأعلام التي كثر درسها فعرفت في الموسوعات التاريخية ودوائر المعارف مثل «بغداد». ولم أذكر من هذه الأعلام التاريخية إلا ما بقي معروفاً في عصرنا في تنظيمات العراق الإدارية.

وأبدأ هذه الطائفة بمدينة كرديّة عُرفت في التاريخ الإسلامي ووردت في الأخبار هي:

١ـ إرْبِـل:

ـ قال أهل البلدان ومنهم ياقوت في معجم البلدان:

إرْبِل: وزان «إثْمِد» ولا يجوز فتح الهمزة.

* أقول: هذا هو ضبط هذه الحاضرة في التاريخ القديم، ولكنها الآن «أربيل» وزن «أفعيل» وليس في العربية شيء من هذا.

وهي من المحافظات الكردية في شمال العراق، وفيها جامعة للآداب والعلوم. وهي في الألسن الدارجة قبل عدّة عقود من السنين «أرويل» بالواو دون الباء، وهذا شيء من الإبدال يعرض للألسن الدارجة.

جاء في معجم البلدان: إرْبِل: قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق.

* أقول: وهي في حاضرنا مدينة فسيحة في فضاء من الأرض قد تخلّى عن القلعة التي لم يبق منها إلا معالم دارسة.

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو أحمد القاسم بن المظفّر الشهرزوريّ الشيبانيّ الإرِبليّ.

وقد صنف في تاريخ إربل ابن المستوفي كتابه الشهير. وقد طبع هذا في العراق وكان من مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام منذ ما يقرب من ربع قرن، حقّقه وقدم له الأستاذ الدكتور سامي الصقّار.

ومن المفيد أن أشير إلى ما قاله في «إربل» أن شروان البغدادي المعروف بـ «شيطان العراق الضرير»:

تَبًّا لشيطاني وما سَوَّلا ... لأنّه أنزلني «إربلا»

نزلتُها في يوم نَحْسٍ فما ... شككتُ أنّي نازل «كربلا»

* أقول: و«كربلا» في البيت الثاني هي «كربلاء» المدينة التي شهدت معركة الطفّ، وقُتل فيها أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وسيأتي الكلام عليها.

٢ـ الإسكندرية:

بلدة صغيرة من محافظة بابل.

ـ قال ياقوت: قرية على دجلة بإزاء الجامدة بينها وبين واسط خمسة عشر فرسخاً.

* أقول: هي في عصرنا على غير ما ذكره ياقوت من كونها على دجلة، لأنها كما أشرنا من محافظة بابل، فهي على الفرات.

* أقول: لعلّ الذي ذكره ياقوت هو قرية على دجلة ذهبت معالمها، فجدّت في عصرنا قرية أخري علي الفرات، أو قد نحمل ذلك علي سهوٍ من ياقوت على ما عُرف من ضبطه والتزامه. وليس لنا من علم في سبب التسمية ونسبتها إلى الإسكندر المكدونيّ.

والذي يعزّز كون القرية على الفرات في بابل علمنا أنّ الإسكندر قد وصل إلى بابل، والتاريخ معروف.

٣ـ أَلوس:

قرية على الفرات قرب عانات والحديثة كما قال ياقوت في معجم البلدان.

وقد تقال بمدّ الهمزة «آلوس»، وهي بهذا النطق في عصرنا.

ـ قال ياقوت: وإليها يُنسَب المؤيّد الألوسيّ الشاعر المتوفي سنة ٥٧٧هـ، ذكره العماد في الخريدة قسم العراق.

* أقول: وقد نُسب إليها جمهرة من أهل العلم في عصرنا كان منهم أبو الثناء الألوسيّ صاحب التفسير المشهور، والسيّد محمود شكري الألوسيّ صاحب بلوغ الأرب، والسيّد نعمان خير الدين، ترجم لهؤلاء الثلاثة وغيرهم، الأستاذ خير الدين الزركلي في الأعلام.

٤ـ الأنبـار:

قال ياقوت: قال أبو القاسم: «الأنبار»: حدّ بابل، سُمِّيَت بذلك لأنّه كان يُجمَع بها أنابير الحنطة والشعير والقتّ والتبن. وكان يُقال لها الأهراء.

ـ قال الأزهريّ: واحد الأنبار «نِبْر»، وجمع الجمع «أنابير».

فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ للهجرة أيّام الخليفة أبي بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ.

* أقول: و«الأنبار» في عصرنا محافظة على الفرات الأوسط تتبعها عدّة نواحٍ وتنظيمات إداريّة.

وقد نُسب إلى «الأنبار» طائفة كبيرة، فيهم اللغويّون والنحويّون والمحدثون والشعراء وغيرهم. والنسبة إلى الجمع «أنباريّ».

ويري الفرس أنّ «الأنبار» كلمة استعارها العرب وتوهّموا في صيغتها الجمع.

جاء في المعجمات الفارسية أنّ: «أنبار» بمعني «امتلاء أو ما يبرزه الإنسان أو ما يكون من ذلك من الحيوان الذي يُتّخذ سماداً أو مخزن الغلال والتبن والعَلَف».

* أقول: ويكاد يتّفق ما جاء في المعجمات العربيّة وما جاء في المعجمات الفارسية، وليس القطع في الأمر ممكنًا.

وفي الألسن الدارجة تحوّل «أنبار» إلى «عنبَر» و«عُنبار» بمعني «المخزن» للبضائع والغِلال.

٥ـ بابـل:

جاء في معجم البلدان: بابل اسم ناحية فيها الكوفة والحلّة يُنسَب إليها السِّحْر، قال تعالى: ﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت﴾ ١٠٢ سورة البقرة.

ـ قيل: بابل العراق، وقيل: بابل دُنباوَنْد.

ـ وقيل: لمّا حَشَرَ الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحاً فحشرتهم واجتمعوا ببابل، فقام يعرُب بن قحطان، أوّل مَن تكلّم بالعربيّة، ولم يزل المنادي ينادي: مَن فَعَل كذا وكذا فله كذا وكذا، حتّى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً، وانقطع الصوت، وتبَلْبَلَت الألسن فسُمّيت «بابل».

* أقول: انتهي ما أثبته ياقوت في معجمه، ولكنّنا في هذا العصر ندرك ما وصل إليه أهل التنقيب في الحضارات القديمة، وقد بدأ هؤلاء درسهم الجادّ منذ أوائل القرن التاسع عشر، فعرفوا اللغة البابليّة الأشّوريّة، وقرأوا النقوش في الألواح، وعلي النُصُب والتماثيل، وعرفوا شريعة حمورابي التي سبقت التاريخ المسيحيّ بعشرات القرون، واكتشفوا مكتبة أشّوربانيبال. وكان من جملة ذلك فوائد تاريخيّة وحضاريّة تتجاوز هذا الذي كان للعرب ممّا أورده ياقوت.

ومن هذا عرفنا أنّ «بابل» لا صلة لها بما يعنيه المصدر «بَلبَلة» الذي يفيد التفرّق. إنّ «بابل» تعني «باب إيل» أي باب الإله[1].

ولكن العرب صرفوا الاسم إلي بناء «فاعِل» فكان من ذلك المعني الذي وصلوا اليه من «البلبلة».

* أقول: وقد سَمّى العرب في حاضرهم وماضيهم (بابل) في أعلام الذكور، ولكن للناصري من العرب اتصال بالسريانية التي عرف فيها «بابل»، فرجعوا إلى الأصل وهو «باب إيل» فكان من أعلامهم «بابيل»، وهذه الصيغة «فاعيل» هي بناء اسم الفاعل في هذه اللغة.

وبهذه اللغة ورد في الأثر «قابيل وهابيل» ابني آدم ـ عليه السلام ـ.

ومن هنا كان من أسماء النصاري «ناصيف»، وهو لدي المسلمين «ناصِف»، وغير هذا. وبابل القديمة في عصرنا موقع أثريّ يشتمل على بقايا الحفائر التي قام بها العلماء المنقبون في القرن الماضي ثم ما كان منهم في هذا القرن. وقد شارك في تلك الأعمال علماء ألمان وفرنسيون وإنكليز، ثم خلفهم عراقيون.

---

(١) أقول: من هذا أيضاً: إسرافيل، وعزرائيل وميكائيل. و«جبرائيل» و«جَبْر، وجضبْرا» في العربيّة والسريانيّة تعني «الرجل». وكذلك في العبرانية (جِبر).

وبابل الحديثة اسم محافظة كبيرة مركزها الرئيسي مدينة الحلّة التي سنعرضها لاحقاً. إنّ اطلاق اسم بابل على المحافظة بجملتها كان منذ سنوات قليلة.

٦ـ باجسـرا:

ـ قال ياقوت: باجسرا بُلَيْدة في شرقيّ بغداد بينها وبين حلوان، على عشرة فراسخ من بغداد. خرج منها جماعة من أهل العلم والرواية منهم أبو القاسم عبد الغني بن محمّد بن خليفة الباجسراويّ، وكان صالحاً، له شعر حسن ورغبة في الأدب، توفيّ سنة ٥٣١هـ.

* أقول: والذي نعرفه عن هذه البُلَيْدة أنّها الآن «أبو جسْره». ولابد لنا أن نقول إنّ الاسم الحاليّ «أبو جسره» هو الاسم القديم «باجسرا»، والعامّة في كل عصر تذهب في الأسماء إلى شيء آخر.

إنّ «باجسرا» موضع قديم يحمل الأصل السريانيّ، فـ «با» تعني «بيت»، وهذا اللفظ الذي اجتزِئ به عن «بيت» معروف في أسماء المواضع والبلدان في البلاد التي عرفت التراث الآراميّ في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام مثل: باخمرا، وباصيدا، وباعشيقا وغيرها.

ولمّا عُرِّبت هذه المواضع ذهبت كلمة «با»، التي هي «بيت»[1]، وتحوّلت إلى حرف الباء في صدر هذه الأسماء نحو: بعشيقه وبحمدون، وحذفت في أسماء أخري فقالوا صيدا وسورا وغيرهما.

وأمّا الألف في آخر هذه الأسماء فهي الألف المعروفة في نهايات الأسماء الآراميّة التي تشير إلي أداة التعريف الآرامية ثمّ فقدت وظيفتها هذه، وبقيت علامة في آخر الأسماء. وقد ذهبت الألف واكتفي بالفتحة مع هاءٍ للتأنيث.

---

(١) من المفيد أن أشير إلي أنّ «با» تتصدّر طائفة من الأعلام اليمنيّة، وهي خاصّة ورثتها اللغة اليمنية في ما ورثته من خصائص لغوية قديمة. إنّ «با» هذه في الأعلام: باحسين، بأحمد، بابكر وغيره هي «و»، ولكنها في لغة اليمن لزمت الألف دائماً وهذا نجده في الشاهد القديم:

واهاً لسلمى ثمّ واهاً واها ... فليت عيناها لنا وفاها

إنّ أباها وأباها أباها ... قد بَلَغَا في المجد غايتاها

والرجز شاهد أيضاً علي التزام المثنّي بالألف.

ولي أن ألحق بهذا «الباء» في الأعلام القديمة اليمنية نحو: بلحارث، وبالهجيم، وبلْعَنبر وغيرها من أسماء القبائل. وهذه البباء هي اجتزاء من «بنو أو بني».

٧- باحزانـــى :

بُلَيْدة صغيرة في أرض جبليّة من نواحي الموصل في العراق. أهلها أكراد أشدّاء يعتنقون «اليزيديّة» مذهباً، وهم أهل مذهب باطنيّ يعبدون الشيطان، وبينهم نصاري يدلّ عليهم اسم المكان هذا «باحزاني». إنّه نظير الأسماء القديمة العراقيّة التي تدلّ علي التأثير الآراميّ، كما أشرنا في «باجسرا».

ولكن هذا الاسم قد خُتم بالياء علي خلاف تلك الأسماء، وهذا يعود إلي أنّ الآراميّين السريان في بلاد العراق نساطرة لهم خصوصيّة لغويّة فيها مجيء الياء[1]. قد تقول: ولِمَ جاءت الألف في الأسماء الأخرى؟ والجواب أنّ تلك الأسماء قد غلب عليها الطابع الآراميّ. ولم يرد اسم «باحزاني» في معجم ياقوت.

٨- بـادَرايـا :

جاء في معجم البلدان: إنّها طَسّوج بالنهروان أو بُلَيْدة بقرب باكسايا بين البَنْدَنيجيْن ونواحي واسط. منها يكون التمر القَسْب اليابس الغاية في الجودة.

* أقول: هي في عصرنا «بَدْرة» وأغلب أهلها من الأكراد الفيليّة الشيعة في الحدود الشرقيّة جنوبي بغداد بما يقرب من مئتي كيلو متر.

* أقول: والاسم يشير إلى الأصل الآراميّ وهي «با» التي تعني «البيت» و«دَرايا» بمعنى «الديار» أو«المنازل».

وما زال هذا الاسم «بيدْرايا» يطلق علي التمر القَسْب الذي يؤتَى به منها.

٩- باعشيقـا :

جاء في معجم البلدان أنّها من قري الموصل من نواحي نَيْنَوي شرقيّ دجلة لها نهر جار.

* أقول: هي في عصرنا «بَعْشيقه»، وهي من القرى التي يسكنها يزيديّون كما ذكرنا في «باحزاني»، وهم أكراد غلاظ شداد. وفيها نصارى نساطرة.

---

(١) يدلّ على ميل النساطرة إلى الياء ما عُرف في أعلامهم «متّي» بالياء، وهو «متّى» في السريانية الغربية ومنه «مار متّى» صاحب «إنجيل متّى»، وكذلك «أدّي» ومنه «أدّي شير» رئيس أساقفة سِعِرْد، وهو الكلدانيّ الأشّوريّ.

ويعني الاسم «باعشيقا» بيت أصحاب العمل أي الزرّاع الفلاحين، وأرضها خصبة يُزرع فيها القمح والحبوب، وفيها الشجر كالجوز وغيره.

١٠ـ باعقوبا:

جاء في معجم البلدان: قرية بأعلى النهروان، وقال: وظنيّ أنّها غير بعقوبا القرية المشهورة علي عشرة فراسخ من بغداد.

* أقول: قد يكون ما ظنّه صحيحاً، ولكن الذي يهمّني أنّها بُلَيْدة ذات صيغة سريانيّة صُدِّرت بـ «با» وقد تكلّمنا علي ذلك. وهي في عصرنا مركز محافظة «ديالَي». وكأنّها «بيت يعقوب»! ونهر بعقوبا الأعظم «النهروان» وهو نهر كبير بقرب بغداد، وهو الحدّ بين طريق خراسان والخالص، وهو نهر تامرّرا بعينه.

١١ـ باكسايا:

جاء في معجم البلدان: إنّها بلدة قرب البَنْدَنيجيْن وبادرايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقيّ في أقصي النهروان، وإليها يُنسَب أبو محمّد عبّاس بن عبد الله بن أبي عيسى الباكسائيّ ويُعرَف بـ «الترقفي»، أحد أئمّة الحديث. توفيّ سنة ٢٦٨ هـ.

* أقول: إنّ باكسايا قرية صغيرة إلى أقصي الجنوب من بغداد في الجانب الشرقيّ، تقرب من مدينة العمارة في محافظة مَيسان، لا يُحسَب لها حساب في التنظيمات الإداريّة في عصرنا.

والاسم يشير إلى أنّ أهل باكسايا التي أوردها ياقوت في معجمه آراميّون نصارى قبل أن يتمّ فتحها على أيدي المسلمين في «فتوح العراق».

١٢ـ بَراثا:

جاء في معجم البلدان: بَراثا محلّة في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبيّ باب محوّل، وكان لها جامع مفرد تصلّي فيه الشيعة، وقد خُرِّب عن آخره، وكذلك المحلّة...

وفي سنة ٣٢٩ فُرِغ من جامع بَراثا وأقيمت فيه الخطبة، وكان قبلُ مسجداً يجتمع فيه قوم من الشيعة يسبّون الصحابة، فكَبَسه الراضي بالله وأخذ مَن وجد فيه وحبسهم وهدمه حتّى ساوَى به الأرض.

ويزعمون أنّ عليًّا ـ عليه السلام ـ مرّ بها لمّا خرج لقتال الحرورية بالنهروان، وصلّى في موضع من الجامع المذكور.

* أقول: ولم يبق في عصرنا إلا ما أثبته الخطيّون ومنهم الدكتور مصطفى جواد من موضع الجامع، فأعيد بناؤه جامعاً ومسجداً للشيعة تُقام فيه احتفالات دينية خاصّة.

والاسم يحمل الصورة الآراميّة شأنه شأن المواضع والحواضر العراقيّة التي خُتمت بالألف كما سنرى.

و«بَراثا» تومئ إلى «البَرْث» في العربيّة وهو الأرض السهلة الليّنة.

١٣ـ البصرة:

* أقول: لم أرد أن أجعل «البصرة» في عدّة أسماء الحواضر في هذا الموجز، وذلك لأنّها مادّة واسعة عُني بها الأقدمون وأهل هذا العصر من عرب وغيرهم من العلماء الغربيّين. غير أني أدرجتها لأقول:

إنّ أهل البلدان الأقدمين ومعهم اللغويّون قد توسّعوا علي طرائقهم في ردّ الأسماء القديمة إلى مادّة في العربيّة، فتعسّفوا وخانهم الدرس.

إنّك تجدهم في البصرة كما تجدهم في الكوفة، ذهبوا إلى أنّ البصرة حجارة غليظة كما قال الأنباريّ أبو بكر، وكما قال قطرُب اللغويّ المعروف. وقال غيرهما: حجارة رخوة فيها بياض، وقالوا: فيها الحصي. وقالوا أرض تسوخ فيها القدم..

* أقول: لعلّ «البصرة» التي مصّرها المسلمون بعد الفتح هي اسم قديم هو «بَصرا» العلم الذي وقفنا علي نظائره في حواضر العراق وبلاد الشام.

وقد حوّل العرب في نطقهم الفتح الطويل في آخر الاسم إلى علامة للتأنيث هي هاء التأنيث فكانت «بصرة» كما كانت «كوفة» التي سيجيء الكلام عليها.

ـ وقال ياقوت: ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في اسم الرجل الذي تُنسب إليه القرية ألفاً ونوناً نحو: «طَلْحَتان»، وهو نهر يُنسَب إلى طلحة بن أبي رافع مولى طلحة بن عبيد الله. و«خيرتان» نهر منسوب إلى خيرة بنت ضَمرة القُشَيريّة امرأة المهلّب بن أبي صفرة. و«مُهلَّبان»: نهر منسوب إلى المهلّب بن أبي صفرة، وغير هذا.

* أقول: ومن هذا شيء آخر ذكره البلاذري في كلامه على البصرة في البلدان[1]. ولنا أن نعود إلى عصرنا فنجد في حاضر البصرة في بُلَيْدة من أعمالها تُسَمّى أبا الخصيب شيئاً من هذا منه: «يوسفان» لقطيعة، ونهر لابدّ أن يكون منسوباً إلى أحد من الأوائل يدعى «يوسف»، كما نجد «مُهَيجْران»، ولعلّها «مُهاجران» وتحوّلت إلى ما تحوّلت إليه في اللغة الدارجة، ولابدّ أن يكون صاحب هذه النسبة أحداً اسمه «مُهاجر».

كما نجد موضعاً في هذه البُلَيْدة يُدعى «باب سليمان»، ولعلّه «باب سَلَمانان». والبصرة اليوم محافظة واسعة تتبعها حواضر وعدّة قرى[2]. يجري فيها نهر صغير يُدعي «نهر العشّار»، ولعلّ العشّاريّ من الشعراء المتأخّرين منسوب إلى النهر، أو أنّه منسوب إلى آخر كان «عشّاراً» أي يستوفي العُشور. و«أبو الخصيب» هي «بَلَخْصيب» في نطق العامّة.

١٤ـ البَنْدَنيجَيْن:

ـ قال ياقوت: لفظه لفظ التثنية، ولا أدري ما «بَنْدَنَيْج» مفرده.

ـ قال حمزة: هو بناحية موضع يُسمّى «وَنْدْنيكَان» وعُرّب على «البندنيجَيْن»، ولم يفسّر معناه. بلدة مشهورة في طَرَف النهروان من ناحية الجبل، من أعمال بغداد.

ـ وقال ياقوت أيضاً: وحدّثني العماد بن كامل البَنْدَنَيْجيّ الفقيه قال: البَنْدَنَيْجين اسم يُطلق على عدّة محالّ متّصلة، وأكبر محلّة فيها يقال لها «باقطنايا»، وبها سوق ودار للإمارة ومنزل القاضي، ثمّ بُوَيقيا، ثمّ سوق جميل، ثمّ فِلشْت، وقد خرج منها خلق من العلماء: محدّثون وشعراء وفقهاء وكتّاب.

* أقول: وقال أهل الدرس في عصرنا الباحثين في «الخطط»:

إنّ «البَنْدَنَيْجيْن» هذه هي «خانِقين» التي أوردها ياقوت في معجمه بكسر النون بعدها

---

(١) انظر البلدان للبلاذري ص، ص٣٤٦، ٣٧٢. وقال ياقوت: قال البلاذري: «عبّادان» قطيعة لحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفّان. وقال: قال ابن الكلبيّ: أوّل مَن رابط بعبّادان عبّاد بن الحصين فنسبت إليه.
ومن هذا: «أُمَيّتان» نسبة إلى أبي أُمَيّة، و«جعفَران» نسبة إلي أمّ جعفر، ومثله «خالدان» وغيرها. وانظر: Grundiss der iranischen philologie 12, 176, Nöldeke LA 12, 183.

(٢) اتّسعت رقعة التنظيمات في البصرة فشملت جهات في الخليج، وشبه الجزيرة، ومنها «دبّي» وغيرها.

قاف وقال: هي بلدة من نواحي السواد في طريق هَمَذان من بغداد بينها وبين «قَصْر شِيرين» ستّة فراسخ لمَن يريد الجبال.

* أقول أيضاً: «خانَقين» في عصرنا، بفتح النون، كما أوردها ياقوت، وكذلك «قصر شيرين»، والأولى عراقيّة، والثانية إيرانيّة. والعامّة تقول: «خانْجين»، وهي «خانَه كَينِ» في اللغة الفارسّة بمعني «الأرض التي يُنْزَل فيها».

فهل نري من وجه لنصل بين «البَنْدَنَيْجيْن» و «خانقين»؟ ما أري شيئاً من هذا.

١٥ـ تَكْريت:

ـ قال ياقوت: هي بفتح التاء والعامّة يسكرونها. بلدة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً. ولها قلعة حصينة في طرفها القبليّ، راكبة على دجلة، وهي غربيّ دجلة. وكان أوّل مَن بني القلعة سابور بن أردشير بن يابك لمّا نزل الهَدّ، وهو بلد مقابل تكريت في البرّيّة.

ـ قال عبيد الله بن الحرّ، وكان قد وقع بينه وبين أصحاب مصعب وقعة بتكريت قُتِل بها أكثر أصحابه ونجا بنفسه فقال في أبيات:

فإنْ تَكُ خيلي يومَ تَكريتَ أحجَمَتْ وقُتِّلَ فرساني، فما كنتُ وانيا

وقد فتحها المسلمون في عهد عمر سنة ١٦هـ. أرسل إليها سعد بن وقّاص جيشاً عليه عبد الله بن المعمّ فحارب أهلها حتىّ فتحها عنوةً. نُسب إليها جماعة من أهل العلم.

* أقول: وقد ورد في المصادر النصرانيّة أنّ أهلها كانوا نصارى، وقد عرفنا من أولئك النصاري أنطون التكريتيّ، وله مصنّفات في الثقافة السريانيّة.

وعُرف أنّ صلاح الدين بن أيّوب قد ولد فيها.

وكانت تكريت في عصرنا هذا بُلَيْدة صغيرة تابعة لقضاء سامرّا وهي وسامرّا تابعتان إدارياً لبغداد العاصمة.

ولمّا قامت ثـورة السابع عشر من تمّوز سنة ١٩٦٨م رأت الحكومة أن تجعل «تكريت» مركز محافظة ففُصِلت عن كونها تتبع سامـرّا، ثمّ جعلت سامرّا تتبع تكريت في شؤونها الإداريّـة.

وهكذا تتبدّل الحال، فتصبح سامرّا التي كانت عاصمة العبّاسيّن طوال نصف قرن من أعمال تكريت، ولكلّ زمان رأي وحكم ونظام.

* قلتُ: صارت تكريت في عهد الثورة مركز محافظة صلاح الدين التي فيها سامرّا والدور وغيرهما. وفيها الآن جامعة للآداب والعلوم.

وقد ورد اسم تكريت في النقوش الأشّورية بالخّط المسماريّ، فهي على هذا من المراكز القديمة.

١٦ـ تَلّ أعفر:

+ أقول: هذا هو الاسم في كتب البلدان، وقد رُكّب هاتان الكلمتان لدلالتهما علي بُلَيْدة معروفة فكانت «تَلْعَفَر».

ـ قال ياقوت: هكذا تقول عامّة الناس [أي تلّ أعفَر]، وأمّا خواصُّهم فيقولون: «تلّ يَعْفَر»، وأصله التلّ الأعفر، وهو اسم قلعة وربَض بين سنجار والموصل. فيها نهر جارٍ، وهي على جَبَلٍ منفرد. وإليها نُسبَ الشاعر التَلَعْفَريّ موسي بن أبي من الذين مدحوا الملك الأشرف.

* أقول: وهذه البُلَيْدة تتبع الموصل.

١٧ـ الحديثة:

الحديثة القديمة هي التي دعاها ياقوت «حديثة الفرات»، قال:

هي على فراسخ من الأنبار، وفيها قلعة حصينة في وسط الفرات، والماء يحيط بها، دخلها المسلمون في خلافة عمر. نُسب إليها جماعة من الرجال من المحدّثين وغيرهم كما أشار الخطيب في تاريخ بغداد.

* أقول: وهي في عصرنا بُلَيْدة صغيرة على الفرات الأوسط من أعمال محافظة «الأنبار».

١٨ـ الحَضْـر:

جاء في معجم البلدان: أنّ «الحَضْر» اسم مدينة بإزاء تكريت في البرّيّة، بينها وبين الموصل والفرات. بيوتها وسقوفها وأبوابها مبنيّة بالحجارة المهندمة. كان فيها ستّون برجاً كبيراً، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، بإزاء كلّ برج قَصْر وإلى جانبه حمّام. ومرّ بها نهر الثرثار، وكان نهراً عظيماً عليه قريّ وجنان.

ـ وقال الشرقيّ بن القطاجي: لـمّا افترقت قضاعة سارت فرقة منهم إلى أرض الجزيرة، وعليهم ملك يقال له الضَّيْزَن بن معاوية... وكان فيما زعموا ملك الجزيرة كلّها إلى الشام. فنزلَ مدينة «الحَضْر».

* أقول: إنّها مدينة ظاهرة آثارها، أقبل عليها الدارسون العراقيّون ومنهم فؤاد سَفَر وكتب عنها وأشار إلي أنّ أهل «الحَضَر» بفتحتين عَرَب، وملكهم «سَنَطْرُق»، غير أن المشاهد العارف بفنون العمارة القديمة يدرك وهو يشاهد الحضر أنّ هذه الأبنية ذات عمارة رومانيّة في حجارتها ونقوشها وفنّ التماثيل القائمة، ولا سيّما ما كان منها للمرأة. ثمّ إنّه يدرك أنّ هذه الآثار تشبه آثار «بُصري وإبلا» في بلاد الشام، كما أنّها تشبه ما هو معروف من نظائرها في «البتراء» في الأردنّ. إنّه الفنّ الرومانيّ في الأبنية بأقواسها وعَقْوها، وتماثيل الآدميّين الدقيقة في إبراز الصورة البشريّة.

إنّ «الحضر» مدينة عراقيّة كانت تُعرف باسم «حطارا»، عرفت أطلالها وسط بادية ما بين دجلة والفرات المعروفة بـ «الجزيرة» على بعد ثلاثة كيلومترات من وادي الثرثار، وعلى مسافة ٦٠ كيلو متراً من قلعة شرقاط.

ثمّ إنّ لغة نقوش الحجر في حروفها الآراميّة ودلالاتها لايمكن أن تكون عربيّة، وأهلها عرب كما ذهب الأستاذ فؤاد سفر إلى القول، وإنّ «سَنَطْرُق» من غير الأعلام التي نعرفها في العربيّة.

وإذا كان في النقوش اسم «سَنَطْرُق» ملك العرب، فهذا لا يبعد عن ورود «العرب أو العربان» في الآثار البابليّة. وقد يعني هذا أن كلمة «ْرب وعُربان» أطلقها أولئك الأقوام على القادمين من بلاد العرب (أي شبه جزيرة العرب).

ويؤيّد هذا أنّ لغة النقوش آراميّة برسومها ومعانيها، فلابدّ أن يكون أهلها آراميّين عاشوا في منتصف القرن الأول الميلاديّ.

ثمّ إنّ التشابه في الآثار والخصائص الفنية بين آثار الحضر ونظائرها في بلاد الشام والأردنّ يشير إلى أنّ هذه محطّات رومانيّة أقامها الرومان مع أهل البلاد حماية لإمبراطوريّتهم حين كان لها توسّع وامتداد في الشرق.

١٩ـ الحِلّـة:

ـ قال ياقوت: هي في اللغة القوم «النُّزول».

وهي عدّة مواضع أشهرها «حِلّة بني مَزْيَد»، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تُسَمى «الجامعين».

وكان أوّل من عَمَرَها سيف الدولة صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد الأسديّ سنة ٤٩٥هـ.

* أقول: هي «الحلّة» في عصرنا مركز محافظة بابل، وقد مرّ الكلام عليها. ولم يكن اسم بابل هو الشامل العامّ لهذه الجهة بما فيها «الحلّة» وحواضر صغيرة أخري إلا بعد إصلاح التنظيمات الإدارية في عهد ثورة تمّوز الثانية.

* أقول: خرج من الحلّة جمهرة من أهل العلم والأدب، ومنهم الشاعر صفيّ الدين الحلبيّ، والمحقّق الحلّيّ من كبار رجال الشيعة، وشعراء آخرون في القرون المتأخّرة اشتهر من بينهم السيّد حيدر الحلّيّ في القرن الماضي.

وهي اليوم مدينة عامرة كثيرة النفوس يمرّ فيها الفرات، وهي ذات زرع ونخيل.

٢٠ـ حمّام علىّ:

بُلَيْدة صغيرة تتبع الموصل. قال ياقوت: إنّها بين الموصل وجهينة قرب عين القار، غربيّ دجلة، وهي عين ماؤها حارّ كبريتيّ...

* أقول: يقصدها الناس للاستحمام والعلاج.

٢١ـ الحُوَيْزة:

جاء في معجم البلدان: أنّ الحُوَيْزة موضع حازه دُبَيْس بن عفيف الأسديّ أيّام الطائع لله، ونزل فيه بحلّته، وبنَى فيه أبنيةً. وليس هذا بدُبَيْس ابن مَزْيَد الذي بنى «الحِلّة» بالجامعين، ولكنّه أسديّ أيضاً.

وهذا الموضع بين واسط والبصرة وخُوزستان في وسط البطائح.

نُسِب إلى الحُوَيْزة قوم منهم عبد الله بن حسن بن إدريس الحُوَيْزي من أهل الحديث.

* أقول: وقد أورد الخاقاني في شعراء العراق غير واحد من الشعراء المتأخّرين اشتهروا بـ «الحويزيّ» .،

* أقول أيضاً: إن «الحُوَيْزة» قرية حدوديّة بين جنوب العراق وإيران علي قرب من «الهور الكبير» الذي يُعرف بـ «هور الحُوَيْزة» إلى الجنوب الشرقيّ من مدينة العمارة مركز محافظة «ميسان». وهي منطقة كثُر فيها النزاع والحرب بين العراق وإيران منذ عدّة عصور، وما زال هذا إلى اليوم.

٢٢ـ الحِيرة:

ـ قال ياقوت: هي مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، يقال لها «النَّجَف»، زعموا أنّ بحر فارس[1] كان يتصّل بها. وبالحيرة «الخَوَرْنَق والسدير»، مسكن ملوك العرب في الجاهليّة من زمن نَصر بن لخم النعمان وآبائه، والنسبة إليها «حاريّ» على غير قياس.

* أقول: و«الحِيرة» اليوم بُلَيْدة صغيرة من أعمال محافظة «الديوانيّة» على الفرات الأوسط، وهي منطقة زرع وفلاحة ونخيل.

٢٣ـ الخابور:

ـ قال ياقوت: الخابور من أرضٍ خَبْرةٍ وخَبْراء، وهو القاع الذي ينبت السَّدْر.

و«الخَبار»: الأرض الرخوة ذات الحجارة.

و«الخابوراء»: اسم موضع لعلّ نهر الخابور يمرّ فيه.

و«الخابور»: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.

أقول: إنّ نهر الخابور يمرّ في جزءٍ من أعلاه بأرض الجزيرة من بلاد الشام، ويدخل العراق، وعلى ضفافه في العراق قريّ ومواضع منها «فيشر خابور» بُلَيْدة أهلها أكراد.

---

(١) أقول: إنّ تسمية «بحر فارس» ترد في كتب البلدان العربية الجغرافية كما وردت في كتاب العين للخليل. وهذه هي التي تدعى في عصرنا «آلخليج العربي» وفيه عدّة بلاد معروفة. والتسمية القديمة مأخوذة ومستوحاة من عصور الإمبراطوريّة الإيرانيّة التي تفسّحت في البلاد العربيّة هذه. وأذكر وأنا طالب في الإعدادية كنّا نطلق مصطلح «خليج البصرة» علي هذا «الخليج الكبير».

٢٤ـ الخالص:

ـ قال ياقوت: اسم كورة عظيمة من شرقيّ بغداد إلي سور بغداد.

* أقول: وهو الآن بُلَيْدة في محافظة «ديالا»[1]، يمرّ فيها نُهَيْر صغير هو نهر الخالص، وهي منطقة فلاحة وبساتين فاكهة ونخيل.

٢٥ـ خانقين:

انظر «البَنْدَنيجين».

٢٦ـ الدُّور:

ـ قال ياقوت: الدُّور سبعة مواضع بأرض العراق من نواحي بغداد، أحدهما «دُور» تكريت وهو بين سامرّا وتكريت، والثاني بين سامرّا وتكريت أيضاً يُعرف بـ «دور عربابي».

* أقول: إنّ «دور عَربابي» يشير إلى التسمية السريانية، ويعني هذا أن أهلها عَرَب وآراميّون. وأقول: هذا هو الذي يهمّني من «الدُّور» التي هي مواطن إقامة حضريّة في العراق، وأمّا ما بقي منها فهي خارج العراق.

و«الدُّور» الأولى كانت قرية تتبع سامرّا، ثمّ اتّسعت حالها بعد ثورة تمّوز فساوت سامرّا في درجتهاالإدارية.

وقد خرج من «الدّور» هذه في عصور ماضية ونُسب إليها أبو عمر حفص بن عمر الدوريّ، ترجم له ابن الجزَريّ في طبقات القرّاء ٢٥٥/١ وغير هذا كثير.

* أقول أيضاً: وهي الآن في النطق السائد «دُور» كما نقول «صُوت» في الألسن الدارجة، ولكنّ النسب إليها كما هو في فصيح العربيّة «دُوريّ».

٢٧ـ ذى قـار:

+ أقول: هذا موضع قديم هو «ذو قار»، ولكنّ المعاصرين أغفلوا وجه الاسم فلزم الياء في كلّ الأحوال. وهذا الاسم لمحافظة كبيرة تقع على ضفّتَي الفرات الأسفل تشتمل على

---

(١) أقول: ديالي، محافظة ونهر في عصرنا، وأرى أنّها تحمل ما يومئ إلي أصل سريانيّ. ولكنّي لم أجده في المعجمات السريانيّة، ولا في العبرانيّة.

حواضر وقرى، مركزها «الناصريّة» مدينة واسعة أسّسها ناصر باشا السعدون في العهد العثمانيّ المتأخّر.

و«ذو قار» في مصادر التاريخ والأدب ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. وحديث ذي قار مع كسرى والنعمان بن المنذر قد ورد في كتب التاريخ القديم الذي كان منه وقعة ذى قار المشهورة التي انتصر فيها العرب علي الفرس.

ـ وقيل بصدد هذه الوقعة إنّها كانت يوم ولادة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وقد أشار إليها أبو تمّام في قصيدته التي مدح بها أباد دُلَف العجليّ.

٢٨ـ زاخُـو:

بُلَيْدة في أقصى شمال العراق منها يدخل القاصد إلى الأراضي التركيّة، أهلها أكراد مسلمون وبينهم نصارى. ولعلّها من «زاخا» السريانيّة بمعنى «النظافة والصفاء».

٢٩ـ سامَـرّا:

جاء في معجم البلدان أنّها سامرّا بالقصر، وسامرّا بالمدّ، وسُرَّ مَن رأَ، وسُرَّ مَن راء، وقد ورد هذا كلّه في الشعر.

ـ قال البحتري:

وأري المطايـا لا قصـور بهـا ... عـن ليـل سـامَـرّاءَ تذرَعُـهُ

ـ وقال الحسين بن الضحّاكُ:

سُـرَّ مَـن را أسَـرُّ من بغـدادِ ... فالْـهُ عن بعض ذكرهـا المعتـاد

ـ وقال البحتريّ:

لأرحَلَـنَّ وآمـالـي مطرَّحـة ... بسُرَّ مَن راءَ مُسْتَبْطي لها القَـدَر

وهي مدينة بين بغداد وتكريت، شرقيّ دجلة.

ـ قال أبو سعد: سامرّاء بلد على درجةٍ فوق بغداد بثلاثين فرسخاً يقال لها سُرَّ مَن رأى، فخفّفها الناس وقالوا: سامرّا.

* أقول: وهي مدينة مازالت فيها آثار العبّاسيّين والمئذنة الملويّة، وداء الخلافة وبقيّة أطلال القصور. وإلى جوار هذه بقايا خطّة المدينة القديمة في شوارعها وطرقها.

وهذه مجاورة للمدينة الحديثة التي فيها الإمام عليّ الهادي والإمام حسن العسكريّ، وموضع غيبة الإمام المهديّ المنتظر.

والنسبة إليها «سامرّيّ»، وقد عُرف بهذه النسبة خلْق كثير من محدّثين وقرّاء وغيرهم. وأخبار سمرًا في الأدب والشعر مستفيضة[1].

وكأني أرى أن «سامرا» تحمل في بنائها الصيغة الآرامية في انتهائها بالألف. وأمّا ما قيل من صور تسميتها فذاك شيء ولّده استحسان الشعراء والناس الذين سكنوها وارتضوا إقامتهم فيها فقالوا: سُرّ من رأي وغيرها.

٣٠ـ سِنْجـار:

ـ قال ياقوت: سنجار، بكسر أوّله وسكون ثانيه ثمّ جيم وآخره راء، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهي في لِحْف جبل عالٍ.

ـ ويقولون: إنّ سفينة نوح ـ عليه السلام ـ لـمّا مرّت به نطحته، فقال نوح: هذا سِنّ جبل جار علينا، فسُمّيت «سِنجار»

ـ قال ياقوت: ولستُ أحقّق هذا والله أعلم به.

ـ وقال ابن الكلبي: إنما سُمّيَت سنجار وآمد وهِيت باسم بانيها.

ـ وقال حمزة الأصبهانيّ: «سنجار» تعريب «سِنكار»[2]، ولم يفسّره.

وهو مدينة طيبة في وسطها نهر جار.

ـ وقيل: إنّ السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن سلجوق وُلِد فيها فسُمّي باسمها، عن الزمخشري.

وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والشعر.

---

(١) قول: ولي في هذا كله مصنف وسمته بإعلام الوَرَي فيما نُسِبَ إلي سامرّا، طبع دار الحكمة، لندن.

(٢) لقد حقّقت في قول حمزة هذا في معجمات اللغة الفارسية فلم أجده. وكأني أميل إلي أن أهل المعرَّب من العلماء العرب لم يكن لهم معرفة حسنة بالفارسية علي قربهم منها. ونسبة حمزة إلي أصبهان لا تعني شيئاً وقد تأكدت أن ابن الجواليقي لا يعرف الفارسية وإن شمّر في أقواله، ونسب ألفاظاً كثيرة إليها لم تكن فارسية.

وقد نُسب إليها جماعة من أهل العلم من أهل عصرنا منهم أسعد بن يحيي بن موسى بن منصور الشاعر ويعرف بالبهاء السنجاريّ.

* أقول: و«سنجار» اليوم بُلَيْدة بلحف الجبل كما ذكر ياقوت من موضعها، وأهلها أكراد مسلمون وبينهم نصاري من أصول سريانيّة شرقيّة يطلقون علي أنفسهم اسم «الكلدان». وأضيف أنّ مَن نُسب إلى سنجار أبو محمّد الأمير حسن بن الأمير يوسف الملقّب بـ «المكزون السنجاري» المتوفي سنة ٦٣٨هـ (أنظر تاريخ العلويّين للطويل).

٣١- شِهْرزُور:

ـ قال ياقوت: شهرزور كورة واسعة بين إربل وهَمَذان، أحدثها زَور بن الضحّاك. و «شِهْر» بالفارسيّة المدينة.

وأهلها أكراد. وقد خرج منها العلماء وأعيان الفضلاء والفقهاء، يفوقون الحصر. وكثر من أولئك نُسبوا إليها واشتهروا بـ «الشهرزوريّ».

٣٢- صيدا (أبو صيدا):

* أقول: هي بُلَيْدة صغيرة علي نهر ديالي، تُعرف بـ (أبو صيْدا). و«صَيدا» هذه نظير الاسم نفسه «صيْدا» من حواضر بلاد الشام المشهورة التي تكون في عصرنا في جنوبيّ لبنان.

وهي «باصيْدا»، و«با» كما بيّنّا في «باعشيقا» و «باعقوبا» تعني «البيت»، وعلى هذا تكون «باصَيدا» تفيد «بيت الصيد». والمدينة علي هذا تحمل الصيغة الآرامية.

* أقول: والعرب من أهل اللغة والتاريخ ذهبوا إلي تفسير مادة «صيداء»، يعني الحجر الأبيض تُعمَل منه البرام (جمع بُرمة)، كما فسّروا البصرة والكوفة أنّهما تربة وحجارة رخوة ونحو هذا، وليس لنا أن نقبل هذه التفسيرات.

٣٣- عانــة:

ـ قال ياقوت: «عانات» بُلَيْدة في أعلي الفرات.

ـ قال الكلبي: قُري «عانات» سُمّيت بثلاثة إخوة من قوم عاد. قال الأعشي:

كأنّ جنيّاً من الزنجبيل خالط فيها، أو إرْيــاً مشورا

وإسْفِنْط عانَةَ بعد الرقاد شكّ الرصاف إليها عذيرا

ـ وقال: قلعة حصينة علي الفرات.

* أقول: قد تكون الفائدة قليلة لنا، نحن الدارسين، ونحن ننظر في أقوال المتقدمين كالكلبي والشرقي ابن القطامي وغيرهما. ولنا أن نعرف أنها «عانة» و «عانات»، وقد عُرفت «هانا» في العهد البابلي القديم.

وهي «أناتا وأناتو» في المصادر اليونانية والرومانية.

* أقول: إنّ الذي ورد في مصادر الإغريق من أنها «أناتو أو أناتا» هو معروف في الأكّديّة البابلية، والرسم المسماريّ للهمزة والعين واحد، وقد ظنّ نفر من أهل الآثار أن «العين» لا توجد في الأبجدية الأكدية، وهذا وهم.

وفي العربية الفصيحة «العانة» القطيع من الحُمُر الوحشية، قال الشاعر القديم:

وبينا هما عنّت على البُعد عانةٌ قد اكتنَزَت لحماً وقد طُبِّقَتْ شَحْما

ولكننا نجد «عانا» السريانية تفيد «الضأن»[1].

* أقول: لعل بُلَيْدة «عانة» قد سُمِّيت بهذا الاسم الذي يدلّ علي الضأن. وهي في عصرنا بُلَيْدة على الفرات في الجانب الأيسر، وفيها جزر في وسط النهر جُعِلت بساتين فيها نخيل وأعناب.

وقد اقتضت مصلحة لبناء سُدّ على الفرات في موضع هذه المدينة أن تُزال ويُرسَم لها موضع آخر يبعد عنها، تُجلب إليه مياه الفرات، فزالت وبكاها أهلها ممّن عرفوا الماضي وكيف عمروها وغرسوا نخيلها وشجرها وشقوا في ذلك.

٣٤ـ عين التمر:

ـ قال ياقوت: هي بلدة قريبة من الأنبار، غربيّ الكوفة، بقربها موضع يقال له «شِفاثا»، منها يُجلَب القَسْب والتمر. فتحها المسلمون أيام أبي بكر الصدّيق على يد خالد.

(١) ربّما اختلفت اللغات السامية في المشترك من اللفظ بينها كما كان في «عانة»، فهي في الآرامية «الضأن»، وفي العربية «حمر الوحش».
قلت: إنّ «الضاد» في العربية يقابله العين في الآرامية، ولذلك كانت «البيعة» التي نُقلت من السريانية الآرامية بصوت العين لتعني «نبيّة النصاري أو الكنيسة»، وكان ينبغي أن تكونَ «بيضة» لأنها في الحقيقة «قبّة بيضاء اللون». قال تعالي: ﴿لَهُدِمَت صوامع وبِيَع﴾.

* أقول: نعم قد تقرب «عين التمر» من الأنبار في سعتها القديمة التاريخيّة، ولكنّها الآن تابعة لمحافظة «كربلا»، على طَرَف البادية، وهي بُلَيْدة صغيرة جداً.

أمّا قول ياقوت: بقربها موضع يقال له «شفاثا»، فصحيح، وهذه الآن ناحية صغيرة تكثر فيها النخيل، وماؤها من عيون يخالطه مركّبات معدنيّة كالكبريت وغيره. وللعراقيّين في عصرنا مثل عامّيّ، يقولو: «ترجو العافية من شفايا»[1].

٣٥ـ الفَلّوجــة:

ـ قال ياقوت: الفلّوجة الكبري والفلّوجة الصغري قريتان كبيرتان من سواد بغداد والكوفة.

* أقول: «الفلّوجة» في عصرنا مدينة عامرة من محافظة الأنبار، على الفرات، يمرّ بها الذاهب من بغداد إلي دمشق برّاً. وكان الناس يبدلون من الفاء ثاءً.

٣٦ـ كَرْبَـلاء:

قال ياقوت: هي بالمدّ، وهي الوضع الذي قُتل فيه الحسين بن عليّ ـ رضي الله عنه ـ في طرف البرّيّة عند الكوفة. فأمّا اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلاً، فيجوز علي هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة فسمّيت بذلك. ويقال: كَرَبَلْتَ الحنطة إذا هذّبتها ونَقّيتها، فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقّاة من الحصى والدغل، فسُمّيت بذلك.

وأورد ياقوت أنّ الحسين قال: ما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض كربٍ وبلاء! وأراد الخروج منها فمُنع كما هو مذكور في مقتله.

* أقول: و«كَرْبَلاء» اليوم مركز محافظة كبيرة ذات بساتين فيها نخيل وشجر يسقيها نهر يدعي «الحسينة» يأخذ ماءه من دجلة.

* أقول أيضاً: هي بالقصر في اللغة الدارجة، وهي كذلك في لغة الشعر، وممّا ورد من ذلك في لغة الشعر ما نسب إلي الشريف الرضيّ من قوله في مطلع قصيدة طويلة:

كَرْبَــلا لا زلتِ كَرْبـاً وَبـلا ما لَقِــي عنـدكِ آلُ المصطفَى

(١) شفاثا هذه من الأصول الآرامية التي بقيت في أسماء المواضع والمدن، ولم أهتدِ إلي دلالتها.

وقد وردت ممدودة في قول الربى بنت امرئ القيس ترثي الإمام الحسين:

إنّ الذي كان نـوراً يُستضاء بـه بكربَـلاء قتيـلٌ غيـر مدفـون

وكأني أجعل الأصل هو لغة القصر «كَرْبَلا» وبذلك أستطيع أن أُلْحِق هذه الكلمة بالأصول الآراميّة في أسماء المدن في ما بين النهرين وبلاد الشام.

٣٧ـ الكوفـة:

ـ قال ياقوت: و«كوفان» اسم أرض، وبها سمّيت الكوفة. و«كوفان والكوفة» واحد. والكوفة من أرض بابل من سواد العراق. سمّيت لاستدارتها من قول العرب: رأيت كوفاناً وكَوَفاناً.

ـ وقيل: سُمّيت «كوفة» لاجتماع الناس فيها، من قولهم: تكوّف الرمل.

وقد مُصِّرت في أيّام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٧هـ، وقيل: سنة ١٨هـ.

ـ وقال قوم: إنّها مُصِّرت بعد البصرة بعامين أي سنة ١٩هـ.

ـ قال أبو عُبَيْدة: لـمّا فرغ سعد من وقعة رستم بالقادسية.

* أقول: لم يكن للدارسين الثقة التامة في ما سجله ياقوت وغيره عن الحواضر القديمة ذات الأصول التي سبقت تاريخ العرب والمسلمين، فقد ذهبوا إلى شيء من القصص التي يختلط فيها التاريخ بالأسطورة. وقد ذهبوا أحياناً للوصول إلى شيء يرضيهم مذهباً يقضي بالرجوع إلى تأويل الكلَم القديم بما يناسب العربيّة، أو قل: إنهم وضعوا شيئاً فحملوا غيرهم عليه. ألا ترى أنّهم فسّروا البصرة والكوفة وصيدا بشيء يتّصل بالأرض والحجارة وبسطوا على كلّ من هذه لوناً يميّزها؟

* أقول: لابد لي أن أذهب إلى أن «الكوفة» من الكلم القديم «كوفا» التي تومئ إلى الصيغة السريانيّة، وأنّ العرب حين واجهوا هذا ومثلها باعقوبا وبعشيقا، نظروا إلى الألف الأخيرة وهي فتحة طويلة، ومالوا إلى تأنيث هذه الألفاظ فأضافوا هاءً محتفظة بفتحة قبل الهاء على غرار المؤنّثات في العربية فصارت: كوفة وبصرة وبعقوبة وبعشيقة. كما مالوا إلى هذا في

الكلمات الأخري نحو سوريا[1] وتركيا وإيطاليا، وفرنسا وغيرها، وجعلوها: سوريّة وتركيّة وإيطالية وفَرَنْسة...

وكأنّي أستدلّ على هذا الرأى في «الكوفة» بما ورد في مصادرنا في «كُوثى»[2] أو «كُوثا» فقيل: كوثَي: موضع بسواد العراق في أرض بابل وهي سرّة السواد.

* أقول: لابد أن يكون هذا الموضع أصلاً لـ «كوفا» التي تحوّلت إلى «كوفة». وبين الثاء والفاء إبدال كثير في العربية، فقالوا: جَدَث وجَدَف، وقالوا: ثآليل وفآليل. وعامّة العراقيّين يقولون «ثلّوجة» للفلّوجة التي مرّ ذكرها. وسمعنا لدي القرويّين مَن يقول: «فَلْج» للثلْج.

٣٨ـ المدائـــن:

ـ قال ياقوت: هي عدّة مدن عراقية اسمها بالفارسية «توسفون» (طَيْسَفون)، وهي بما يقرب من ٣٥ فرسخاً جنوبيّ بغداد. اتّخذها سعد بن أبي وقّاص مقراً له في فتح العراق. واتّخذها الفرثيّون مَشْتي، وأعقبهم الساسانيّون فاتّخذوها عاصمة.

* أقول: في هذه المدينة «طاق كسرى» أو إيوان كسري الذي ورد ذكره في سينيّة البحتري الشهيرة التي مطلعها:

صُنتُ نفسي عمّا يُدَنّسُ نفسي وتَرَفّعتُ عن جَـدار كلّ جِبْس

وفي هذه المدينة قبر الصحابي سلمان الفارسي، ويطلق عليه العراقيون كما يطلقون علي البُلَيْدة كلها «سلمان پاك» و «پاك» هذه تعني «النظيف والطاهر» بالفارسية.

وبقي «سلمان پاك» هو المعروف في التنظيمات الإدارية، ثم اجتهد أولو الأمر فأعادوا كلمة «المدائن» إلى هذه البُلَيْدة كما أعادوا أسماء قديمة أخرى إلى حواضر كثيرة مرّت بنا في هذا «الموجَز».

٣٩ـ المَوْصِـل:

ـ قال ياقوت: الـمَوْصِل إحدى قواعد الإسلام، قليلة النظير كِبَراً وعِظَماً وكثرة خَلْق

(١) قيل في «سوريًا» إنّ هيرودتس الإغريقي حين مرّ بهذه المواضع حسبها بلاد «الأشّوريين» فكانت لديه أشّوريا أو أسّوريا، ومن هذا جاء الاسم «سوريا».

(٢) و«كوثى» من أسماء مكّة ـ حرسها الله ـ.

وسَعَة رُقعة. وهي باب العراق، ومنها يُذهب إلى خراسان، ومنها يُقصَد إلى أذربيجان لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وَصَلَت بين دجلة والفرات، وقيلك وصلت بين سِنْجار والحديثة.

* أقول: هي في عصرنا حاضرة مهمّة ذات قيمة تاريخيّة واقتصاديّة، وهي أمّ الربيعين مركز محافظة كبيرة أختير لها الاسم الأشوريّ القديم «نَينَوي» التي تشمل عدة مدن وحواضر وقري.

ولابدّ من القول في نبذة موجزة عن «نَينَوي» فأقول:

هي عاصمة الأشوريّين في الألف الأوّل قبل الميلاد التي ورد ذكرها في سفر التكوين من العهد القديم، وقد أشير إلى نمرود الذي أسّسها في سهل «شنعار». وهناك إشارات أخرى إلى هذه الحاضرة في سفر ناحوم من أنبياء بني إسرائيل.

ولم أهتدِ إلى معرفة معني «نينوي» في ما بين يديّ من مراجع يسيرة، ولم يُشر الغربيّون إلى هذا وهم يبحثون وينقّبون في آثار الآشوريّين ومدينتهم هذه «Ninive».

* أقول: وقد خرج من الموصل جمهرة من أهل العلم، ونُسب إليها عدد كبير منهم[1].

وللموصل شهرة حضاريّة عُرِفت في فنون الصناعات ومنها صناعة النسيج. وحديث «موصلايا» ودلالتها معروفة.

٤٠ـ مَيْسان:

ـ قال ياقوت: هو، بفتح فسكون وسين مهملة وآخره نون، اسم كورةٍ واسعة كثيرة القري والنخل بين البصرة وواسط، قصبتها ميسان.

وفي هذه الكورة أيضاً قرية فيها قبر «عُزَير» النبيّ ـ عليه السلام ـ مشهور معمور، يقوم بخدمته اليهود، ولهم عليه «وقوف» وتأتيه النذور، وأنا رأيته. ويُنسَب إليه «مَيْسانيّ ومَيْسْنانيّ». وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، لـمّا فتحت مَيْسان في أيّامه ولاها النعمان بن عديّ بن نَضْلة بن عبد العُزّي بن حُرثان.. وكان من مهاجرة الحبشة، ولم يُوَلِّ عُمر أحداً من بني عَديّ ولايةً قطّ غيره لما كان في نفسه من صلاحه.

---

(١) كان من منشورات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية كتاب مفيد عنوانه تاريخ الموصل.

وأراد النعمان امرأته معه على الخروج إلى مَيْسان فأبَتْ عليه فكتب النعمان إلى زوجته:

ألا هل أتى الحسناءَ أنّ حليلَها ... بمَيْسان يُسقَى في زجاج وحَنْتَم
إذا شئتُ غنّتني دهاقين قَرية ... وصَنّاجة يجثو على حَرْف مَنْسِم
فإنْ كنتَ نَدماني فبالأكبَرِ اسْقني ... ولا تَسْقِني بالأصغر المُتَثَلِّم
لعلّ أمير المؤمنين يَسوءُه ... تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتهدِّم

فبلغ ذلك عمرَ، فكتب إليه:

بسم الله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز غافر الذنب وقابل التَّوبْ شديد العقاب... أمّا بعدُ فقد بلغني قولك: «لعلّ أمير المؤمنين يسوءُه». وأيمُ الله، لقد ساءني ذلك، وقد عزلتك.

* أقول: وقد أُطلق اسم مَيْسان في عصرنا على القرية الصغيرة التي فيها قبر «العُزَير» نبي الله ـ عليه السلام ـ. لقد كان هذا قبل ما يقرب من خمسين سنة. ثمّ تنبّه أهل الرأي إلى ما كان منهم فعادوا إلى الاسم ونزعوه عن القرية وأطلقوه على رقعة واسعة جداً، وجعلوه محافظة مركزها مدينة «العمارة» على الجانب الشرقي من دجلة بين واسط والبصرة.

٤١ـ النَّجَف:

ـ قال ياقوت: بظهر الكوفة كالمسنّاة، تمنع مسيل الماء أن يعلو الكوفة ومقابرها. وبالقرب من هذا الموضع قبر أمين المؤمنين ـ عليه السلام ـ عليّ بن أبي طالب. وقد ورد ذكر الموضع في الشعر ولاسيّما حين يعرض الشعراء لرثاء الإمام، قال عليّ بن محمدّ العلويّ المعروف بـ «الحِمّانيّ الكوفيّ»:

لعلّ أمير المؤمنين يَسوءُه ... تَنادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتهدِّم

* أقول: وكانت مدينة النجف تابعة لمحافظة «كَرْبلاء»، ثمّ رأت الحكومة أن تجعلها محافظة لمكانتها الدينيّة والعلميّة، فكان هذا منذ ما يقرب من ربع قرن.

٤٢ـ نَيْنَوى:

انظر «المَوْصِل».

٤٣ـ هِيت:

ـ قال ياقوت: هي بُلَيْدة على الشاطئ الغربي من الفرات في الرقعة الواسعة التي دُعيت «الأنبار». وقد عُرفت بـ «القار» وهو المعروف لدي أهل الصنعة.

* أقول: وهذه المدينة هي التي ذكرها المعرّي في شعره:

هاتِ الحديثَ عن الزوراء أو هيتا ... وموقد النار لا تكرى بتكريتا

٤٤ـ واسط:

ـ قال ياقوت: هي عدّة مواضع منها: واسط الحجّاج وهو أعظمها وأشهرها، سُمّيت لتوسّطها بين البصرة والكوفة.

* أقول: لم يكن معروفاً أمر واسط قبل ربع قرن إلا في أطلالها وبقاياها في حجارة وجُدُر متناثرة بعيداً عن نهر الفرات ببضعة كيلو مترات. غير أن أولى الأمر جرياً مع سياستهم التنظيمية في الحواضر والمدن أعادوا هذا الاسم إلي المنطقة التي كانت تُعرف بـ «لواء الكوت»[1] أو محافظة الكوت في منتصف الطريق بين بغداد والبصرة، فكانت «محافظة واسط».

خاتمة

هذا موجز بأهم الأعلام الجغرافيَّة في العراق، ذات الأصول الجغرافيَّة القديمة، وما عُرض لها في مسيرتها التاريخيَّة. وقد ابتعدت فيه عن المشهور مثل «بغداد» وغيرها، وذلك لكثرة ما كُتِبَ فيها وصُنِّف.

---

(١) «الكوت» حاضرة حديثة أنشأها الناس حول ما كان «COT» في الإنكليزية، وهو المنزل الصغير الذي أقامه الإنكليز في القرن التاسع عشر نقطة ومركزاً لهم علي طريق الهند، وهذا المنزل نظير «كوت الزين» و «كوت الإمارة» وغيرها. ولابدّ أن يكون أوّل قيام «الكويت» هذا.

فهرس موادّ الكتاب

١ ـ الكلمة الأولى	٧
٢ ـ المقدمة	٩ ـ ١٨
٣ ـ من الفرائد الحسان	١٩ ـ ٤٠
٤ ـ نظرة في الأمثال	٤١ ـ ٧٠
٥ ـ من مواد المعجم التاريخي	
الجمع في طائفة من الكلم القديم	٧١ ـ ٧٩
٦ ـ بين الأصالة والتوهم	٨٠ ـ ٩٣
٧ ـ الكلم الذي لزم النفي	٩٤ ـ ٩٧
٨ ـ المعجم العربي والتعريب	٩٨ ـ ١١٤
٩ ـ نظرة نقدية في اللغة اليمنية في المعجمات العربية	١١٥ ـ ١٤٢
١٠ ـ دلالة الألفاظ اليمنية في بعض المعجمات العربية	١٤٣ ـ ١٧٢
١١ ـ مع اليمن في بقايا لغوية	١٧٣ ـ ١٩٧
١٢ ـ رسم الحرف وحديث التصحيف في أصول رسم الحرف	١٩٨ ـ ٢٦٢
١٣ ـ ملحق صوتي في الضاد والظاء	٢٦٣ ـ ٢٧٨
١٤ ـ في النحو العربي	٢٧٩ ـ ٣١٧
١٥ ـ نظرية الشكل والمعنى في النحو العربي	٣١٨ ـ ٣٤٠
١٦ ـ تتمة «الرحلة في بعض المصادر	
فوائد من كتابه المطالع النصرية للهوريني	
ضبط الشكل	٣٤٢ ـ ٣٥٠
١٧ ـ من كتاب «التنبيهات»	٣٥١ ـ ٣٦٠

١٨ ـ مما جاء من كلام أبي القاسم علي بن حمزة البصري في ردّه على
أبي عبيد القاسم بن سلام ٣٦١ ـ ٣٧٤
١٩ ـ ما يتصل من مشكل في رسم الحرف في القراءات ٣٧٥ ـ ٣٧٧
٢٠ ـ ما ورد من التصحيف في «الإمتاع والمؤانسة» ٣٧٨ ـ ٣٨١
٢١ ـ اختيارات من «كتاب تلخيص المتشابه في الرسم» ٣٨٢ ـ ٣٨٥
٢٢ ـ من «المنقوص والممحدود» للفرّاء ٣٨٦ ـ ٣٩٤
٢٣ ـ من مقدمة ابن الصلاح ٣٩٥ ـ ٣٩٧
٢٤ ـ من العربية النصرانية ٣٩٨ ـ ٤٠٢
٢٥ ـ مع ابن بطوطة في رحلته ٤٠٣ ـ ٤٣٨
٢٦ ـ في مسيرة العربية من المصطلحات
في المصادر التاريخية والأدبية ٤٣٩ ـ ٤٧٥
٢٧ ـ في الأعلام الجغرافية اليمنية ٤٧٧ ـ ٥١٠
٢٨ ـ طائفة من الأعلام الجغرافية في العراق ٥١١ ـ ٥٣٥

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة